

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء، تعالى عن الأنداد والشركاء، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وعلى آله الطيبين الأصفياء.

إنه لمن دواعي سروري أن أقدم هذا الكتاب إلى كل مسلم ومسلمة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، سائلاً الله عزَّ وجلَّ، أن يجعل فيه الخير الكثير، إن الله على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

الشكر

لما كان الشكر زكاة المروءة، أراي مندفعا لشكر كل من قدّم لي نصيحة في صغيرة أو كبيرة ساعدت في رسم ملامح هذه الدراسة، كما يشرفني أن أقدم الشكر الجزيل لأستاذي الدكتور محمد الساييس حفظه الله وورعاه، كما أننا لا ننسى شكر أعضاء اللجنة الموقّرين، إن الله خير مسئول، وخير مأمول.

المدخل

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، تبصرة لأولي الألباب، وأودعه من فنون العلم والحكم العجب العجائب، وجعله أجلّ الكتب قدرًا، وأغزرها علمًا، وأعذبها نظمًا، وأبلغها في الخطاب: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾¹ ولا شبهة فيه ولا ارتياب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي عنت لقيوميته الوجوه وخضعت لعظمته الرقاب.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلى خير أمة بأفضل كتاب، وصلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الأنجاء، صلاة وسلامًا دائمين إلى يوم المآب.

فإن القرآن ينبوع العلوم ومنشؤها، ومبنى قواعد الشرع وأساسه، وأصل كل علم ورأسه، والاستشراف على معانيه لا يتحقق إلا بفهم مبانيه، فاهتم به العلماء الأجلاء، أهل الشرف الباذخ، والمجد الراسخ، لهم المناقب والمحاسن، كيف لا وقد رفع قدرهم الرفيع ربّ العباد، حيث قال في محكم الآيات: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾².

فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه. والبياني يهتدي به إلى حسن النظام، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام.

وفي القرآن من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يردجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها.

¹ الزمر، 28.

² فاطر، 32.

ثم إن علم التفسير علم جليل يتوصل به إلى فهم معاني القرآن الكريم، ويستفاد منه استنباط الأحكام الشرعية والاتعاظ بما فيه من القصص والعبر إلى غير ذلك من الفوائد، إضافة إلى ما يعرف به من أسباب نزول الآيات، مع معرفة مكّيها ومدنيّتها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصّتها وعامّتها ووعدّها ووعيدها، وغير ذلك.

فالأمة الإسلامية لها تراث ضخم، وكنوز غالية، من مؤلفات علماء أجيال، تربوا في مدرسة القرآن، ونهلوا من ينابيع السنة المحمدية، ثم كتبوا تلك المؤلفات العظيمة في كل علم وفن. وقد كان لهذه المؤلفات الدور الكبير في إقامة صرح الحضارة والمدنية في ربوع بلادهم وإثراء حياتهم، في فترة غالية من فترات التاريخ. ولقد تطلع الغرب إلى تلك الكنوز، واستطاع في فترة الضعف التي أصابت المسلمين أن ينقلها إلى بلاده، بغية الاستفادة منها؛ فنتيجة لذلك حدث هذا التطور الكبير الذي نلمسه في شتى ميادين الحياة عندهم. ومع ذلك، لا زالت كثير من مكتبات المسلمين تحوي الكثير من كتب التراث والمخطوطات التي تركها الأجداد للأحفاد، تنتظر المهمة العالية والعزيمة الوثابة لإنقاذ ما تبقى.

ولما كان لعلماء المغرب الأقصى والأندلس مكانة عالية في تاريخ المسلمين، لما قدموه من بحوث ذات قيمة في جميع المجالات، قضى على قسم كبير منها، لا سيما في الأندلس، وقسم ثانٍ لا زال مدفوناً في مكتبات العالم، وقسم أخير أخرج، ولكنه لا زال بحاجة إلى دراسة لاستخراج درره ولآله، أراني اخترت ضمن هذا الإطار أن أعمل على دراسة وتحقيق في كتاب "الريان في تفسير القرآن"، لمحمد بن محمد بن سالم المجلسي، عسى أن تبرز هذه الدرر فتشعّ مذكرة برفعة تراثنا وغناه، لا سيما في المغرب العربي، كيف لا، وقد انكبّ الكثيرون في البلاد العربية على دراسة مخطوطات في مصر وسوريا وتركيا، وترك الكثير دراسة مخطوطات المغرب العربي، مع دخر المكتبات بمخطوطات تزيد في ترسيخ قناعاتنا بسعة تراثنا، ليكون لنا نبراساً نفتدي به، خصوصاً في بلاد المشرق العربي، حيث غابت فيه كثير من كتب تراثنا في المغرب العربي، فسنحت الفرصة لإشهار هذا التراث الغالي في أرجاء المعمورة.

المقدمة

موضوع البحث:

أتناول في هذا البحث دراسة وتحقيق كتاب من كتب التفسير المسمى: "الريان في تفسير القرآن"، لمحمد بن محمد المجلسي (1206 هـ . 1302 هـ)، وحصتي منه هي سورة النساء فقط؛ وحبّذا لو يسع الوقت لدراسة وتحقيق كلّ التفسير.

أسباب انتقاء هذا البحث:

1. خدمة كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
2. تميّز أسلوب المؤلف ومنهجه في التفسير.
3. تركه للتفاسير المغلوطة والتأويلات المنحرفة في هذا الميدان.
4. كون هذا الكتاب في تفسير القرآن الكريم، فيعم النفع به . إن شاء الله . في معظم العلوم، ويكون المرجع إليه في قضايا ومسائل كثيرة.
5. رغبتني في أن تكون هذه الدراسة توجيهاً للباحثين والدارسين في تفسير القرآن الكريم إلى الاستفادة من هذا الكتاب والانتفاع به.
6. إثراء مكتبتنا الإسلامية بمثل هذا البحث.

مجال البحث:

مجال هذا البحث هو دراسة جدية لعلم التفسير، وعلى الخصوص دراسة وتحقيق كتاب: "الريان في تفسير القرآن" لمحمد بن محمد سالم المجلسي (1206هـ . 1302هـ)، سورة النساء منه.

ولأن دراسة علوم القرآن تقوم على مناهج تقليدية، كان من الأنسب أن أقوم بتحقيق ودراسة قسم من كتاب من كتب التفسير.

هذا وإن واقع تراثنا في هذه الأيام يواجهه تحديات خطيرة، بالنسبة للباحثين، ما يدفعهم للانكباب على هذا التراث تنقيًا وتحقيقًا وبحوثًا، في سبيل نيل المراد بالاستفادة من هذا الكنوز الدفينة، خاصة ما تضمنه المكتبة الإسلامية في المغرب الإسلامي من تراث علمي متنوع، وهذا إن كان يدل على شيء فإنما يدل على الإسهام البناء والفعال لعلماء هذه البلاد وعطائهم الجدي والبارز في فضاء العلوم والفنون على اختلاف أنواعها وأشكالها وضروبها وألوانها، وعلى أخص الخصوص: علم التفسير.

فالعودة إلى الأصول لا تكون بالتجاوز عن التراث، وإنما من خلاله، إذ يصعب تشييد البناء الجديد وإعلائه من غير أساس من الفهم القديم، كما أنه لا ترتفع في السماء الفروع إلا إذا ضربت في الأرض الجذور، فكان من المهم دراسة التراث وفهمه، والتعرف على ظروفه وملايساته ليكون منطلقنا في الفهم الجديد، فإذا كان الأصل الأول الذي ينبغي أن نفنيء إليه هو القرآن، فإنه لا مندوحة لنا من دراسة تفسير القرآن وعلومه، ومعرفة مناهج المحدثين وطرقهم في تناول النصوص وفهمها وأوجه اتفاقهم واختلافهم.

والكتاب الذي بين يدينا جزء ذهبي من السلسلة الذهبية لتلك الأعمال العلمية التي قامت حول كتاب الله، وقد ألفه العلامة القاضي الشيخ محمد بن محمد بن سالم المجلسي، والذي يعدّ واحدًا من علماء المغرب الإسلامي المتأخرين، حيث ينضم جهده إلى جهود السابقين، وذلك خدمة لكتاب الله المجيد.

أهمية هذا البحث:

أهمية هذا البحث تكمن في أنه يتناول بالدرس والتحقيق كتابًا من كتب التفسير الشريف لم يتناوله الدارسون من قبل، فتحاول هذه الدراسة تقريب معاني هذا الكتاب القيم إلى مفاهيم طلبة العلم الذين أصبحوا يعانون في هذا العصر صعوبات تواجههم من النواحي اللغوية والشرعية لفهم كتب التفسير كما ينبغي، وذلك لابتعادهم عن قراءة مثل هذه الكتب، ومن جهة أخرى تقوم هذه الدراسة على نظرة إحيائية للتراث الإسلامي، حيث يخشى أن تختفي هذه الكتب إن لم تُقَرَّب إلى أفهام طلبة العلم عن الطريق الشرح والتحليل، مع بيان التحذير من مغالطات وتحريفات حصلت من بعضهم أو أدخلت على كتب التفاسير. وعليه، أختصر الأهمية بالآتي:

1. التعريف بشرح مجهول لا يزال مخطوطاً حبيس الخزانات.
2. الاستفادة من كتاب هو شبيه بروضة غناء متنوعة الثمار، فبالإضافة إلى غزارة الفوائد اللغوية والنحوية، فهو يمثل دائرة معارف تضم التفسير والحديث والفقه وأصوله والقصص والعبر وأحوال الرجال.
3. إبراز جهود علماء موريتانيا في خدمة كتاب الله الكريم.

تقسيم البحث:

لقد قسّمت هذه الدراسة إلى المقدمة، وجزئين وخاتمة، وكل جزء بدوره إلى فصول، والفصول إلى مباحث، والمباحث إلى نقاط.

المقدمة، وهي التي بين أيدينا، وتضم:

- موضوع البحث.
- أسباب انتقاء هذا البحث.
- مجال البحث.

- أهمية هذا البحث.
- تقسيم البحث.
- الجزء الأول: إعجاز سورة النساء، وينقسم إلى ثلاثة فصول:
 - الفصل الأول: عظمة القرآن العظيم.
 - الفصل الثاني: فضل سورة النساء.
 - الفصل الثالث: مواضع سورة النساء.
- الجزء الثاني: ترجمة المؤلف ومنهجه، وينقسم إلى فصلين:
 - الفصل الأول: ترجمة المؤلف، وينقسم إلى خمسة مباحث:
 - المبحث الأول: ولادته، اسمه، نسبه، ووفاته.
 - المبحث الثاني: نشأته ورحلته العلمية.
 - المبحث الثالث: شيخه وتلاميذه.
 - المبحث الرابع: مؤلفاته وأعماله.
 - المبحث الخامس: ثناء العلماء عليه ومنزلته.
 - المبحث السادس: تعريف موجز بعصر المؤلف.
 - الفصل الثاني: منهج البحث، وينقسم إلى ثلاثة مباحث:
 - المبحث الأول: مصادر الكتاب.
 - المبحث الثاني: منهج المؤلف في التفسير.
 - المبحث الثالث: المؤلف في ميزان النقد.
 - المبحث الرابع: نسخ المخطوط ووصفه.
 - المبحث الخامس: عملي في التحقيق، والصعوبات المعترضة.
- الخاتمة: فيها نتائج هذه الدراسة، وكيفية الاستفادة لطالبي هذا العلم منها.
- المخطوط المحقق.
- الفهارس: وهي تشتمل على أغلب الفهارس، وهي:
 - الآيات القرآنية.
 - الأحاديث النبوية الشريفة.

- الأعلام.
- البلدان.
- الغزوات.
- الأشعار.
- القبائل.
- الملل والنحل.
- المصادر والمراجع.
- المحتويات.

هذا، وإنني إن أصبت فمن فضل الله تعالى عليّ، وإن أخطأت فمن نفسي، راجياً أن يجعل الله عزّ وجلّ فيه النفع العميم، إن الله هو الكريم.

الجزء الأول: إعجاز سورة النساء

الفصل الأول: عظمة القرآن العظيم

الحمد لله الذي أعزنا بالقرآن، وشرفنا بحفظه وتلاوته، حمداً وشكراً دائمين دوام كمال وجمال وإعجاز القرآن إلى ما شاء الله، فكلامه هو الحكيم، ومنهج العدل الرحيم، قال عز من قائل في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۚ¹

وإن الله أنزله من السماء نوراً مبيناً، وجبلاً متيناً، وميزاناً عدلاً قويمًا، ليسعد من شاء الله له السعادة دنيا وأخرى، ألا وهو القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ²

فالقرآن بحر جواهر، ينال أغلاها الغواصون، ونهر عذب، ينهل منه الناس الحق والقيم، والنظام والحكم، والعلم ومكارم الأخلاق، وهو محفوظ حتى أبد الأبدين، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ³

¹ الزمر، 23.

² النحل، 89.

³ الحجر، 9.

فمن أراد الفلاح في الأولى والثانية لا يهجر كتاب الله تبارك وتعالى، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المكنون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾¹، ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾².

فكتاب الله فيه الشفاء، حق الشفاء، قال جلّ شأنه: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾³.

إن الله تبارك وتعالى أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، وختم به الأنبياء والمرسلين، وأنزل عليه القرآن الكريم، وأعجز خليقته عن معارضته، وعن الإتيان بسورة من مثله في مقابلته، أمر فيه وزجر، وبشر وأنذر، وقصّ عن أحوال الماضين ليعتبر، وضرب فيه الأمثال ليتدبر، ولا حصول لهذه المقاصد إلا بدراية تفسيره، ومعرفة أسباب نزوله وأحكامه، والوقوف على ناسخ ومنسوخه، ومعرفة خاصه وعامه.

والقرآن الكريم هو أول ما يرجع إليه المجتهدون، والحثّ على طلبه وتحصيله مطلوب. وعدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة، وعدد أجزائه ثلاثون جزءاً، والجزء: حزبان، والحزب: أربع أرباع، وعدد الأحزاب: ستون حزباً، وعدد آياته ستة آلاف وستمائة وست وستون.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: <فَضْلُ الْقُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ، وَذَٰكَ أَنَّهُ مِنْهُ>⁴.

¹ فاطر، 29.

² البقرة، 121.

³ الإسراء، 82.

⁴ البيهقي، الأسماء والصفات، باب ما جاء في إثبات صفة القول، ج 1، ص 579. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: <فَضْلُ الْقُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ>. تَفَرَّدَ بِهِ عُمَرُ الْأَبْحُ وَلَيْسَ بِالْقَوِيِّ، وَرُوِيَ عَنْ يُونُسَ بْنِ وَاقِدٍ الْبَصْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ دُونَ ذِكْرِ الْأَشْعَثِ فِي إِسْنَادِهِ، وَرَوَاهُ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَوَّاءٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنِ الْأَشْعَثِ دُونَ ذِكْرِ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <يا أبا ذر، لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله، خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم، عمل به أو لم يعمل، خير من أن تصلي ألف ركعة>¹.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي>².

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <خيركم من تعلم القرآن وعلمه>³.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده>⁴.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <أهل القرآن هم أهل الله وخاصته>⁵.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: <اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه>⁶.

قَتَادَةَ فِيهِ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَافِضُ: قَالَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ: فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ فَضْلَ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَكَانَ فَضْلُهُ لَمْ يَزَلْ، فَكَذَلِكَ فَضْلُ كَلَامِهِ لَمْ يَزَلْ. البیهقي، الأسماء والصفات، باب ما جاء في إثبات صفة القول، ج 1، ص 583.

¹ أي من النوافل. ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب 1 الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب 16 فضل من تعلم القرآن وعلمه، ج 1، ص 79، رقم 219.

² الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الناقب، ، باب 32 مناقب أهل النبي صلى الله عليه وسلم، ج 5، ص 662، رقم 3786.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 69 فضائل القرآن، باب 21 خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ج 4، 1919، رقم 4739.

⁴ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 49 الذكر والدعاء والتوبة، باب 11 فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ج 8، ص 71، رقم 7028.

⁵ أحمد، مسند أحمد، ج 3، ص 127، رقم 12301.

⁶ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 7 صلاة المسافرين، ، باب 42 فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ج 2، ص 197، رقم 1910.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: <يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارثق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها>¹.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب>².

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <من قرأ حرفاً من كتاب فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الْم﴾³ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف>⁴.

وحافظ كتاب الله في قلبه منور لقلبه بخير كلام، فكلام الله أفضل الكلام وأجمل الكلام وأبلغ الكلام وأعذب الكلام، والقرآن الكريم هو المعجزة المستمرة على تعاقب السنين، فهو عبارات عن كلام الله تعالى وتقدس وجل وعلا الذي لا يشبه كلامنا، ليس صوتاً ليس حرفاً ليس لغة، ليس مبتدأ، ليس محتتماً، فالقرآن الكريم ليس من تأليف جبريل عليه السلام، ولا من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم، بل هو كلام الله، بمعنى عبارات عن كلام الله عز وجل، أنزله الله على قلب نبيه صلى الله عليه وسلم عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام.

ثم إن القرآن الكريم هو أكثر كتاب في التاريخ القديم والحديث استُخرج منه علوم، وأُلف حوله كتب، فالقرآن الكريم هو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، وهو شفاء الصدور، بمرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتقارن في الحسن مطالعه ومقاطععه، وحوث كل البيان جوامعه وبدائعه، قد أحكم الحكيم صيغته ومعناه، وقسم لفظه ومعناه، إلى ما ينشط

¹ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، ج5، ص177، رقم 2914.

² الترمذي، سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، ج5، ص177، رقم 2913.

³ البقرة، 1.

⁴ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، با فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، ج5، ص175، رقم 2910.

السامع، ويقرط المسامع، من تجنيس أنيس، وتطبيق لبيق، وتشبيه نبيه، وتقسيم وسيم، وتفصيل أصيل، وتبليغ بليغ، وتصدير بالحسن جدير، وترديد ماله مزيد، إلى غير ذلك¹.

وللقرآن العظيم عشرة أسماء وردت في القرآن نفسه:

1. الكتاب.
2. القرآن.
3. الفرقان.
4. الذكر، والتذكير، والذكرى.
5. التنزيل.
6. الحديث.
7. المؤعدة.
8. الحكم، والحكمة، والحكيم، والمحكم.
9. الشفاء.
10. الهدى، والهادي.

وذكروا له أسماء أخر منها:

الصراط المستقيم، والعصمة، والرحمة، والروح، والقصاص، والبيان، والتبيين، والمبين، والبصائر، والفصل، والنجوم، والميثاني، والنعمة، والبرهان، والبشير، والنذير، والقيم، والمهيمن، والنور، والحق، والعزیز، والكریم، والعظیم، والمبارك².

وإن القرآن الكريم هو دائرة شمس العلوم ومطلعها، فقد أودع فيه سبحانه وتعالى العلم والنور، وأبان فيه كل هدى وغي³.

¹ بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص53. بتصرف.

² عمر بن علي الدمشقي، الباب في علوم الكتاب، سورة البقرة، ج1، ص264. بتصرف.

³ عبد الرحمن السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ص7. بتصرف.

وإن من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكّي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكّي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكّي، وما نزل بالحنيفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل مشيخاً، وما نزل مفرداً، والآيات المدنيات في السور المكّية، والآيات المكّيات في السور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، وما نزل مجملاً، وما نزل مفسراً، وما اختلفوا فيه فقال بعضهم: مدني، وبعضهم: مكّي. فهذه خمسة وعشرون وجهاً، من لم يعرفها ويميز بينها، لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى¹.

وقد عدّ السيوطي من أنواع علوم القرآن اثنين بعد المائة، في كتابه "التحبير في علم التفسير"²، وسبعة بعد الأربعين في "البرهان في علوم القرآن"³، وثمانين في "الإتقان في علوم القرآن"⁴، مع تكراره لبعض العلوم.

والعرب في الجاهلية بلغوا مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان، وأدل دليل على ما حذقوه وأتقنوه من حسن البيان، أن القرآن العظيم كان معجزة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وبيّنته السّاطعة وحجته القاطعة لهم، أن دعا أقصاهم وأدناهم إلى معارضة القرآن في بلاغته الباهرة⁵.

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾¹.

¹ عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 19. بتصرف.

² عبد الرحمن السيوطي، التحبير في علم التفسير، الفهرس.

³ عبد الرحمن السيوطي، البرهان في علوم القرآن، الفهرس.

⁴ عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الفهرس.

⁵ شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، الفصل الأول، ص 9. بتصرف.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ كُلِّ فَتٍّ فَلَمَّسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِيْنَ كَفَرُوا إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾².

ومن تأمل في كتاب الله تعالى وجد أن آيات القرآن التي نزلت على قلب سيدنا محمد عليه السلام في مكة المكرمة تخاطب العقول والعواطف مستهدفةً اقتلاع العقائد الجاهلية لإحلال العقيدة الإسلامية مكانها.

أما في المدينة المنورة الزهراء، وقد استقرّ الرسول عليه الصلاة والسلام فيها واتخذها عاصمةً لدولة الإسلام الأولى، فإنّ نهجاً جديداً بدأ يظهر في الآيات القرآنية، وبخاصة فيما شرع الله للناس أحكاماً تنظم حياة المسلم في المأكل والمشرب والملبس وغيرها، وعلاقة المسلم بغيره من الناس، من المسلمين وغيرهم كما تتناول بيان أمور المعاملات والعقوبات والأخلاق والميراث وشؤون الحياة المتعددة.

ومن الأساليب التي وردت في كتاب الله، الأسلوب القصصي في سَوق أخبار الأمم الغابرة لما كان من أمرهم مع الرسول والأنبياء ليخفف عن الرسول عليه السلام ما يلاقه من عنت قومه، ثم لتكون عظةً وعبرةً لأولي الألباب.

أما ضرب الأمثال فكثير في القرآن الكريم، والحكمة من ذلك بينها الله عزّ وجلّ بقوله:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾³.

ومما تميّزت به آيات القرآن أنّ السور ابتدئت بالبسملة على غير عادة العرب ما عدا سورة براءة لم تبدأ بالبسملة.

كما تميّزت بعض السور بفواتح، وقد أشار العلماء إلى ثلاث ميزاتٍ للمفردة القرآنية هي: جمال وقعها على السمع، واتساقها الكامل مع المعنى، واتساع دلالتها لما لا تتسع له عادةً دلالات الكلمات الأخرى.

أما الأساليب البلاغية فهي أكثر من أن تحصى، وقد قال أهل العلم والفهم: "القرآن آيات كلام له فواصل، ليس شعراً ولا نثراً ولا سجعاً"¹.

¹ الإسراء، 88.

² الأنعام، 7.

³ الزمر، 27.

فلذلك انحصرت سور القرآن وآياته في ستة أنواع:

ثلاثة منها هي السوابق والأصول المهمة، وثلاثة الروادف والتوابع المغنية المتممة.

أما الثلاثة الأول فهي: تعريف المدعو إليه، وهو شرح معرفة الله وصفاته الكاملة اللائقة به، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف الحال عند الوصول إلى رضاه.

وأما الثلاثة المغنية المتممة فهي: تعريف أحوال المجيبين للدعوة لطائف صنيع الله فيهم، وسرّه ومقصوده التشويق والترغيب، وتعريف أحوال الناكبين والناكلين عن الإجابة، وكيفية عقاب الله لهم وعذابه لهم، وسرّه ومقصوده الاعتبار والترهيب. ثم حكاية أحوال الجاحدين وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمجادّة على الحق، وسرّه ومقصوده في جنب الباطل الإفصاح والتنفير، وفي الحقّ الإيضاح والتثبيت والتقهير، وأخيراً تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد².

¹ راجع: عبد الرحمن السيوطي، التحبير في علم التفسير، ص3627. عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص177. نايف معروف، الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، ص29.13.

² الغزالي، جواهر القرآن، الفصل الثاني، باب حصر مقاصد القرآن ونفائسه، ج1، ص33. بتصرف.

الفصل الثاني: فضل سورة النساء

سميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردّد فيها من كثير من أحكام النساء¹. وليس لها اسم آخر².

عدد آيات سورة النساء مائة وست وسبعون آية³، وثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وأربعون كلمة، وستة عشر ألفاً وثلاثة وثلاثون حرفاً⁴.

وسورة النساء من السور الثماني عشرة المدنية المتفق على مدنيتهما، أي التي نزلت على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة المنورة الزهراء. نزلت في حدود سنة سبع للهجرة⁵، بعد الممتحنة⁶. وكلها مدنية إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح في عثمان بن طلحة الحجي، وهي قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾⁷.

¹ بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص270.

² لم يتعرّض أحد من المفسرين إلى اسم ثانٍ لهذه السورة.

³ وعند من لم يعدّ البسملة آية تعداد آيات سورة النساء مائة وخمس وسبعون آية. ابن حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، سورة النساء، ج3، ص158.

⁴ عمر بن علي الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، سورة النساء، ج6، ص138. بتصرف.

⁵ النسفي، تفسير النسفي، سورة النساء، ج1، ص69. ابن عاشور، التحرير والتنوير، سورة النساء، ج4، ص213. بتصرف.

⁶ السيوطي، تفسير الجلالين، ج1، ص97.

⁷ النساء، 58.

قال النقاش¹: وقيل: نزلت عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة. وقد قال بعض الناس: إن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ حيث وقع إنما هو مكّي؛ وقاله علقمة² وغيره، فيشبه أن يكون صدر السورة مكّيًّا، وما نزل بعد الهجرة فإنما هو مدني. وقال النحاس³: هذه السورة مكية⁴.

والطبري يميل إلى القول الأول ويؤكد صحته، فإن في صحيح البخاري⁵ عن عائشة أنها قالت: "وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده" صلى الله عليه وسلم، تعني قد بنى بها.

¹ النقاش العلامة المفسر، شيخ القراء، أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد، الموصلّي ثم البغدادي النقاش. ولد سنة ست وستين ومئتين. وحدث عن: إسحاق بن سنين، وأبي مسلم الكجي، وإبراهيم بن زهير، وغيرهم. قرأ عليه: أبو بكر بن مهران، وعبد العزيز بن جعفر الفارسي، وأبو الحسن بن الحمّامي، وغيرهم. روى عنه: ابن مجاهد. وهو من شيوخه. والدارقطني، وابن شاهين، وغيرهم. وهو مؤلف "شفاء الصدور" في التفسير. وكان واسع الرحلة، قدّم اللقاء، وهو في القراءات أقوى منه في الروايات. وله كتاب: "الإشارة في غريب القرآن"، وكتاب "المناسك"، و"دلائل النبوة". توفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، وقيل: سنة إحدى. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص573 وما بعدها، رقم الترجمة 348. بتصرف.

² علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهل، فقيه الكوفة، وعالمها، ومقرئها، الإمام، الحافظ، الجوّد، المجتهد الكبير، أبو شبل. ولد في أيام الرسالة المحمدية، وعداده في المخضرمين، وهاجر في طلب العلم والجهاد، ونزل الكوفة، ولزم ابن مسعود، وحدث عن: عمر، وعثمان، وسواهما. وكان طلبته يسألونه ويتفقهون به والصحابة متوافرون. توفي سنة 62هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص332327، رقم الترجمة 517. بتصرف.

³ النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر. مفسر، أديب. مولده ووفاته بمصر. كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري. زار العراق واجتمع بعلمائه. ومن كتبه: "تفسير القرآن"، و"إعراب القرآن". خ، و"تفسير أبيات سيبويه". ط، و"ناسخ القرآن ومنسوخه". ط. مجهول الولادة، وتوفي سنة 338هـ. الزركلي، الأعلام، ج1، ص208. بتصرف.

⁴ الطبري، الجامع لأحكام القرآن، سورة النساء، ج5، ص1. بتصرف.

⁵ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 69 فضائل القرآن، باب 6 تأليف القرآن، ج4، ص1910، رقم 4707.

ولا خلاف بين العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما بنى بعائشة بالمدينة. ومن تبين أحكامها علم أنها مدنية لا شك فيها.

وأما من قال: إن قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ مكي حيث وقع، فليس بصحيح؛ فإن البقرة مدنية وفيها قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾¹ في موضعين².
وقال ابن الجوزي:

"اختلفوا في نزولها على قولين:

- أحدهما: أنها مكية. رواه عطية عن ابن عباس، وهو قول الحسن ومجاهد وجابر بن زيد³ وقتادة.

- والثاني: أنها مدنية. رواه عطاء عن ابن عباس، وهو قول مقاتل، وقيل: إنها مدنية إلا آية نزلت بمكة في عثمان بن طلحة حين أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة فيسلمها إلى العباس، وهي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾⁴، ذكره الماوردي⁵.

وسورة النساء هي السورة الرابعة في القرآن الكريم بعد الفاتحة والبقرة وآل عمران، وهي من السور الطوال، وترتيبها هو السادس من حيث عدد الآيات هو الآتي:

1. البقرة: 286 آية.

¹ البقرة، 21، 168.

² الطبري، الجامع لأحكام القرآن، سورة النساء، ج5، ص1. بتصرف.

³ جابر بن زيد، أبو الشعثاء، الأزدي اليماني مولاهم، البصري، الحنفي. والخوف: ناحية من غمان. كان عالم أهل البصرة في زمانه، يُعَدُّ مع الحسن، وابن سيرين، وهو من كبار تلامذة ابن عباس. حدث عنه: عمرو بن دينار، وأيوب السخيتي، وقتادة، وآخرون. وعن إياس بن معاوية قال: أدركت أهل البصرة، ومفتيهم جابر بن زيد. وحديثه في الدواوين المعروفة. توفي سنة 93هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص590، 591، رقم الترجمة 687. بتصرف.

⁴ النساء، 58.

⁵ ابن الجوزي، زاد المسير، ج2، ص1.

2. الشعراء: 227 آية.

3. الأعراف: 206 آية.

4. آل عمران: 200 آية.

5. الصافات: 182 آية.

6. النساء: 176 آية.

7. الأنعام: 165 آية.

8. طه: 135 آية.

والآية الأولى في سورة النساء من الآيات التي تتضمنها خطبة النكاح، ومن الآيات التي كان صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يفتتح خطبه بها¹.

ولما كان مقصود سورة النساء الاجتماع على ما دعت إليه السورتان قبلها (البقرة وآل عمران) من التوحيد، وكان السبب الأعظم في الاجتماع والتواصل عادةً الأرحام العاطفة التي مدارها النساء، سميت بالنساء لذلك، ولأن بالاتقاء فيهم تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد².

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: <مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الْأَوَّلَ فَهُوَ حَبْرٌ>³.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: <أُوتِيَ مُوسَى الْأَلْوَحَ وَأُوتِيَ الْمِثْلَانِ>⁵.

وعن عمرو بن مرة قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: <اقرأ عليّ> . قلت: اقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: <فإني أحب أن أسمع من غيري>، فقرأت عليه سورة النساء

¹ النسائي، سنن النسائي الكبرى، كتاب الجمعة، باب كيف الخطبة، ج1، ص529، رقم 1709.

² إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، سورة النساء، ج2، ص204. بتصرف.

³ الفيومي، المصباح المنير، كتاب الحاء، ج1، ص117.

⁴ أحمد بن حنبل، المسند، ج40، ص501.

⁵ علي بن حسام الهندي، كنز العمال، ج11، ص426.

حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾¹، قال: <أمسك>، فإذا عيناه تذرفان².

وعن البراء رضي الله عنه قال: "آخر سورة نزلت كاملة براءة، وآخر سورة نزلت خاتمة سورة النساء"³.

وفي سورة النساء كم كبير من القراءات للآيات، أما فائدة اختلاف القراءات وتنوعها، فهو:

1. التخفيف والتسهيل على الأمة.
2. غاية الاختصار وجمال الإيجاز.
3. سهولة حفظه، وتيسير نقله.
4. فضل هذه الأمة في تلقي كتاب ربها هذا التلقي⁴.

¹ النساء، 41.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 68 التفسير، باب النساء، ج4، ص1653، رقم 4306.

³ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
النساء، 176. كتاب 67 المغازي، باب 63 حج أبي بالناس في سنة تسع، ج14، ص1586، رقم 4106.

⁴ محمد بن محمد الجزري، طيبة النشر في القراءات العشر، المقدمة. علي التنوري بن محمد السفاقسي، غيث النفع في القراءات السبع، المقدمة. بتصرف.

الفصل الثالث: مواضيع سورة النساء

إن مقصود سورة النساء الاجتماع على التوحيد الذي هدت إليه سورة آل عمران¹. وإن هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكليف، وذلك أن الله تعالى أمر الناس في أول هذه السورة بالتعطف على الأولاد والنساء والأيتام، والرأفة بهم، وإيصال حقوقهم إليهم، وحفظ أموالهم عليهم، وبهذا المعنى ختمت السورة. وذكر الله في أثناء هذه السورة أنواعاً آخر من التكليف، وهي الأمر بالطهارة، والصلاة، وقتال المشركين؛ ولما كانت هذه التكليف شاقة على النفوس لثقلها على الطباع، لا جرم افتتح السورة بالعلة التي لأجلها يجب حمل هذه التكليف الشاقة، وهي تقوى الرب الذي خلقنا والإله الذي أوجدنا².

وقال بعض الأئمة:

تضمنت سورة الفاتحة: الإقرار بالربوبية، والالتجاء إليها في دين الإسلام، والصيانة عن دين اليهود والنصارى.

وتضمنت سورة البقرة قواعد الدين. وسورة آل عمران مكملية لمقصودها، فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم؛ ولهذا ورد فيها كثير من المتشابه لما تمسك به النصارى، فأوجب الحج في آل عمران، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع، وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه، وكان خطاب النصارى في آل عمران، كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر، لأن التوراة أصل، والإنجيل فرع لها، والنبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدتهم، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر، كما كانت دعوته لأهل الشرك قبل أهل الكتاب، ولهذا كانت السور المكينة فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء، وهو دين

¹ إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، سورة النساء، ج2، ص204. بتصرف.

² الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج1، ص1343. بتصرف.

الإسلام، فخطوب به جميع الناس، والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فخطبوا بـ: يا أهل الكتاب، يا بني إسرائيل، يا أيها الذين آمنوا. وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس، وتضمنت الآية المفتوح بها ما في أكثر السورة من أحكام: من نكاح النساء ومحرماته، والموارث المتعلقة بالأرحام، وأن ابتداء هذا الأمر بخلق آدم عليه السلام، ثم خلق زوجته منه، ثم بثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً في غاية الكثرة.

أما المائدة فسورة العقود، تضمَّنت بيان تمام الشرائع، ومكَمَّلات الدين، والوفاء بعهود الرسل، وما أخذ على الأمة، ونهاية الدين، فهي سورة التكميل، لأن فيها تحريم الصيد على المحرم، الذي هو من تمام الإحرام، وتحريم الخمر، الذي هو من تمام حفظ العقل والدين، وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين، الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال، وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله؛ ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، والتيمم، والحكم بالقرآن على كل ذي دين، ولهذا كثر فيها لفظ الإكمال والإتمام، وذكر فيها أن من ارتد عَوَّضَ الله بخير منه، ولا يزال هذا الدين كاملاً، ولهذا ورد أنها آخر ما نزل لما فيها من إرشادات الختم والتمام.

وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنية من أحسن الترتيب.

فسورة النساء شارحة لبقية مجملات سورة البقرة، فمنها:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»¹، وزاد في سورة النساء: «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً»².

لما كانت آية التقوى في سورة البقرة غاية، جعلها في أول السورة التالية لها (وهي سورة النساء) مبدأ.

¹ البقرة، 21.

² النساء، 1.

. أجمل في سورة البقرة: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾¹، وبين في سورة النساء أن زوجته خلقت منه في قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾².

. أجمل في البقرة آية اليتامى، وآية الوصية، والميراث، والوارث، في قوله: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾³، وفصل ذلك في سورة النساء أبلغ تفصيل.

. أجمل في سورة البقرة الأنكحة، فإنه قال في سورة البقرة: ﴿وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾⁴، فذكر نكاح الأمة إجمالاً، وفصل في سورة النساء ما أجمله هناك، مبيناً شروطه، ومنها: أنه ذكر الصداق في البقرة مجملاً بقوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾⁵، وشرحه هنا مفصلاً، ومنها: أنه ذكر هناك الخلع، وذكر هنا أسبابه ودواعيه، من النشوز وما يترتب عليه، وبعث الحكمين، ومنها: أنه فصل هنا من أحكام المجاهدين، وتفضيلهم درجات، والهجرة، ما وقع هناك مجملاً، أو مرموزاً.

وفي سورة النساء من الاعتلاق بسورة الفاتحة:

. تفسير: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾⁶ بقوله: ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾⁷.

وأما وجه اعتلاق سورة النساء بسورة آل عمران فمن وجوه:

¹ البقرة، 35.

² النساء، 1.

³ البقرة، 233.

⁴ البقرة، 221.

⁵ البقرة، 229.

⁶ الفاتحة، 7.

⁷ النساء، 69.

. إن سورة آل عمران خُتمت بالأمر بالتقوى، وافتتحت سورة النساء به، وهذا من أكبر وجوه المناسبات في ترتيب السور، وهو نوع من البديع يسمى: تشابه الأطراف.

. إن سورة آل عمران ذكر فيها قصة أحد مستوفاة، وذكر في سورة النساء ذيلها، وهو قوله:

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ ¹ ﴾¹، فإنها نزلت لما اختلف الصحابة فيمن رجع من المنافقين من غزوة أحد.

. إن سورة آل عمران ذكر فيها الغزوة التي بعد أحد، يقول الله: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ² ﴾² وأشير إليها هنا بقوله: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ ³ ﴾³، ويهذين الوجهين عرف أن تأخير النساء عن آل عمران أنسب من تقديمها عليها في مصحف ابن مسعود، لأن المذكور هنا ذيل ما في آل عمران، ولاحقه وتابعه، فكانت بالتأخير أنسب.

. إن سورة آل عمران ذكر فيها قصة خلق عيسى عليه السلام بلا أب، وأقيمت له الحجة بآدم عليه السلام، وفي ذلك تبرئة لأمه عليها السلام، خلافاً لما زعم اليهود، وتقرير لعبوديته، خلافاً لما ادّعته النصارى، وذكر في هذه السورة الرد على الفريقين معاً: فرد على اليهود بقوله: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ⁴ ﴾⁴، وعلى النصارى بقوله: ﴿ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ⁵ ﴾⁵ إلى قوله: ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ⁶ ﴾⁶.

¹ النساء، 88.

² آل عمران، 172.

³ النساء، 104.

⁴ النساء، 156.

⁵ النساء، 171.

⁶ النساء، 172.

لما ذكر الله في آل عمران: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾¹، رد في سورة النساء على من زعم قتله بقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾² (١٥٧) بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ².

لما قال الله في آل عمران في المتشابه: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾³، قال في سورة النساء: ﴿لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾⁴.

لما قال الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ

وَالْحَرِثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾⁵، فصل هذه الأشياء في السورة التي بعدها على نسق ما وقعت في الآية، ليعلم ما أحل الله من ذلك فيقتصر عليه، وما حرم فلا يتعدى إليه، لميل النفس إليه فقد جاء في هذه السورة أحكام النساء، ومباحاتها، للابتداء بها في الآية السابقة في آل عمران، ولم يحتج إلى تفصيل البنين، لأن تحريم البنين لازم، لا يترك منه شيء كما يترك من النساء، فليس فيهم مباح فيحتاج إلى بيانه، ومع ذلك أشير إليهم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾⁶، ثم فصل في سورة المائدة أحكام السراق، وقطاع الطريق، لتعلقهم بالذهب والفضة الواقعين في الآية بعد النساء والبنين، ووقع في سورة النساء

¹ آل عمران، 55.

² النساء، 157، 158.

³ آل عمران، 7.

⁴ النساء، 162.

⁵ آل عمران، 14.

⁶ النساء، 9.

¹ النساء، 11.

2 النساء، 7.

30

الجزء الثاني: ترجمة المؤلف¹ ومنهجه

الفصل الأول: ترجمة المؤلف

المبحث الأول: ولادته، اسمه، نسبه، ووفاته

هو الصوفي النقشبندي، محمد بن محمد بن سالم بن محمد سعيد بن محمد بن عمر بن السيّد، وهو بوسيدي بن أبي بكر بن علي بن سالم (بمغدش) بن وديعة الله بن عبد الله بن أحمد بن يفت (أي يعيش) أخيار بن الحسن (يدر) بن إبراهيم الأموي... إلى أن يصل النسب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

أما أمه فهي حفصة بنت سيدي محمد بن عبد الله بن المختار بن محمد بن أكتابر بن محمد ابن أبي عنك (كُني بنت له جميلة) ابن اعمر (بضمّتين) ابن أبي عامر أبي السباع... إلى أن يصل نسبها إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما².

¹ لما كان الذي يُهمّنا أفعال المؤلف أكثر من مجرد سيرة حياته، ولأن حياة المؤلف تنقل من بحث إلى آخر كما هي، ولأنه ليس المقصود من هذا كتابة بحث خاص عن حياته، وقد فعل كثير غيري وبالتفصيل، راجع: أحمد ولد عبد القادر، تحقيق مقدمة "النهر الجاري على صحيح البخاري"، ماجستير قدّمها حفيد المؤلف. إلا أنه لا بد من ذلك مقتضياً، بإيراد المخطات البارزة، للتعرف على الثقافة المختزنة عند المؤلف، وذلك للأسباب التالية:

. قارئ البحث يهمه أن يرجع إلى المؤلف ضمن دفتي الكتاب، لا أن يُحال إلى كتب أخرى، قد لا تكون في متناوله.

. محاولة الإتيان بجديد ما سبقني إليه غيري.

. محاولة الوصول إلى معرفة أهم محطات حياة المؤلف، لتسهيل التعرف عليه.

² هذا النسب ذكره المؤلف في مقدمة "النهر الجاري على صحيح البخاري".

إن لولادة المؤلف محمد بن محمد سالم روايات، الأصح منها أنها سنة 1206هـ¹. وقيل:
ولد سنة 1202هـ، وكانت وفاته سنة 1302هـ، ودفن بتيرس الغربية ببيير يسمى "دومس"،
وهي الآن وسط الصحراء، تابعة للمغرب، وخاصة لعمالة العيون الساقية الحمراء².

¹ أشار إليها الأبرز من تلاميذه محمد الخضر بن مايبي. أحمد بن محمد الأمين النيني، تحقيق مقدمة
"الريان"، ص 5. 8. محمد بن محمد فال، مذكرة "جميع جوانب عبد القادر بن محمد"، ص 4.
² من أحفاد المؤلف: فقيه وأستاذ مشهور في البلاد، تقلّد مناصب مهمة، من أبرزها: مدير الأوقاف، ثم
الأمانة العامة لرابطة العلماء، وأخيراً مستشار برئاسة الجمهورية، وهو صاحب أطروحة عن المؤلف، تخرّج
بها من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية.

المبحث الثاني: نشأته ورحلته العلمية

كانت نشأته تحفها المصاعب الجمة، فقد مات والده، وهو بعدُ في الرابعة من عمره مع أخوات له أربعة، وكانت والدته هي التي تتولى بنفسها القيام على رعايتهم. اعتنت به أمه فدرّسته القرآن الكريم إلى أن حفظه عن ظهر قلب، وهو في عمر السابعة، بعدها استكمل علومه ضبطاً وتحويلاً بالقراءات السبع المعتبرة على والدته أيضاً، ثم انصرف بعد ذلك إلى مختصر خليل، كما حفظ سبعة أحرف من القاموس، بعدها حفظ كتباً في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. ثم أخذ يبحث عن شيخ يتلقى منه، حتى اتصل بمحظرة حامد ولد أعمر البارتيلي، بموضع يسمى "الكليات" قرب "أكجوجت"، وكان أول ما قرأ عليه "نظم المسائل الواجبة في العمر مرة"، ثم مختصر خليل¹. وعمل المؤلف على خدمة شيخه الذي أخذ عنه جُلَّ العلم، وهو "حامد ابن أعمر البارتيلي".

أما كسب المؤلف فكان من بيع الخطب الذي يجمعه في النهار في كسائه، ليواصل على شيخه دراسته في الليل².

¹ أحمد ولد عبد القادر (حفيد صاحب التأليف)، تحقيق مقدمة "النهر الجاري على صحيح البخاري"، ص6. بتصرف.

² محمد الحافظ المجتبى، الحديث الشريف وعلومه وعلماءه في بلاد شنقيط، ص183. بتصرف.

المبحث الثالث: شيخه وتلاميذه

لا غَرْوَ أن الصعوبة في إحصاء العلماء المتخرجين من محضرته ترجع إلى أمرين:

1. كثرتهم، على كَرِّ السنين.
2. عدم وجود مراجع يرجع إليها في ذلك.

فيما تذكر بعض المصادر عددًا من مشاهير تلاميذه منهم:

- . الشيخ محمد العاقب بن مايابي الحكني (ت 1312هـ).
- . المختار بن محمد سعيد الملقب أبيه، لازمه سبع سنوات (ت 1336هـ).
- . الشيخ سيدي محمد ولد داداه، صاحب المحطرة التي ذاع صيتها وانتشر (ت 1360هـ).
- وقد ذكرت بعض المصادر نحو ثلاثين ممن تخرجوا من عنده¹.
- . بالإضافة إلى أولاده الأربعة الذين حملوا مشعل العلم داخل البلاد وخارجها، وتخرج بسببهم خلق كثير، وهم أحمد (الأكبر)، وعبد الله، وحبيب الله، وعبد القادر.
- ومحاضر بلاد شنقيط هي ظاهرة غير معتادة، فهي جامعة يُدرّس فيها . بعناية . كل العلوم الإسلامية، من توحيد وقرآن وسيرة وفقه وأصول وقواعد، وعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب.

وعادةً ما يقوم عالم واحد فقط بتدريس هذه العلوم كلّها، وذلك لمدة تزيد على اثنتي عشرة ساعة يوميًا. والطلاب في هذه المحاضر يتعاقبون على هذا العالم، شيخ المحطرة، جماعةً أو فرادى، لتلقّي دروسه الشفوية، منتقلًا من مادة إلى مادة، دونما اضطراب في الإلقاء، أو تداخل

¹ المختار بن حامد، حياة موريتانيا الثقافية، ج2، ص44. بتصرف.

للمعلومات، على اعتبار أنه يعطي أكثر من مادة متباينة مع غيرها تبعاً¹، ذلك أنه من المعروف أن الثقافة الشنقيطية هي ثقافة مروية أو شفوية.

ولقد عمل المؤلف على تأسيس محظرة خاصة به، أسوةً بقرنائه من العلماء، وتُعدّ محظرة محمد بن محمد سالم أكبر المحاضر التي عرفت بها البلاد، فهي جامعة متكاملة متنقلة من "أكان" في الناحية الشرقية إلى "دومس" بالصحراء الغربية، وقد قيل فيها: "إن بداية محظرة آل محمد سالم هي نهاية لغيرها".

واعتبر الشيخ محمد عبد الله ولد البخاري أن مدرسة الظاهر في زمن محمد بن محمد سالم من فقه وتوحيد كانت مسلمة إليه.

وقال فيها الفرنسي "إيتان ريشيه": "إنها كانت مدرسة عليا، يبعث العلماء الموريتانيون تلامذتهم إليها لينهوا بها دراساتهم"².

وقد ظلت هذه المحظرة منذ تأسيسها محطّ رجال طلاب العلم والمعرفة من كل حدب وصوب من الزوايا وغيرها³.

¹ محمد المختار ولد ابّاه، تاريخ النحو العربي بين المشرق والمغرب، ص 545 وما بعدها. بتصرف.

² محمد الأمين ولد داداه، مذكرة القاضي، ص 28. بتصرف.

³ أحمد بن محمد الأمين النيني، تحقيق مقدمة "الريان"، ص 10. أباه بن محمد عالي، مقدمة تحقيق "منح العلي"، ص 19. بتصرف.

المبحث الرابع: مؤلفاته وأعماله

رغم كل انشغالات المؤلف، على الصعد التربوية والاجتماعية وغيرها، إلا أنه أولى للتأليف نصيباً كبيراً من وقته، فمن نظر إلى مؤلفاته حسبه لم يشغل بغير التأليف من مهده إلى لحدده، لكثرتها وكبر حجمها وشموليتها، مع أن هذه المؤلفات لا تزال مخطوطة، ما يجعل الاستفادة منها قاصرة على ذويها، ولا يزال البعض منها بخط المؤلف، وتوجد جميعها بمكتبة أحفاد المؤلف، وعند غيرهم من أهل الحضرة الأسرية، وقد ضمّن المؤلف هذه التأليف جميع أنواع المعارف والفنون.

وفيما يلي قائمة بأسمائها:

1. كتاب شرح به صحيح البخاري سماه "النهر الجاري على صحيح البخاري"، يقع في سبعة أجزاء ضخام حجم كل جزء (845) صحيفة.
2. كتاب ضخّم شرح به "مختصر خليل" سماه "لوامع الدرر في هتك أستار المختصر"، يقع في سبعة أجزاء ضخام حجم كل جزء (850) صحيفة.
3. كتاب ضخّم في تفسير القرآن "الريان في تفسير القرآن" - وهو الكتاب الذي بين أيدينا . في سبعة أجزاء ضخام الحجم، كل جزء (850) صحيفة، ضمنه في مقدمته بياناً لعلوم القرآن والتفسير.
- وهذه المؤلفات جاءت متساوية في العدد دون قصد، وقد ابتدأ بالتأليف أولاً لكتاب "لوامع الدرر"، وكان ذلك في العقد السادس من القرن الثالث عشر الهجري.
4. نظم في التوحيد يقع في مئتي بيت، ضمنه ما يجب لله وما يستحيل في حقه وما يجوز، ومتعلقات أركان الإيمان الستة.

5. شرح مختصر الأخضري بكتاب سماه "منح العلي في شرح الأخضري" يقع في (300) صحيفة.
6. تأليف يمدح به الله سبحانه وتعالى، سماه "الدر النظيم في مدح المولى العظيم"، يقع في (150) صحيفة.
7. نظم بديع في قواعد المذهب المالكي¹.

¹ رسالة أحمد النيني، تحقيق مقدمة "الريان"، ص15. بتصرف. محمد الأمين ولد داداه، مذكرة القاضي، ص44. بتصرف. أحمد ولد عبد القادر، تحقيق مقدمة "النهر الجاري على صحيح البخاري"، ص10. بتصرف. أباه بن محمد عالي، مقدمة تحقيق "منح العلي"، ص20. بتصرف. محمد المختار ولد أباه، دراسات في تاريخ التشريع الإسلامي في موريتانيا، ص120. بتصرف. يوسف الكتاني، مدرسة البخاري في المغرب، ج2، ص568، 582. بتصرف. محمد الحافظ المجتبى، الحديث الشريف وعلومه وعلماءؤه في بلاد شنقيط، ص183، 184. بتصرف.

المبحث الخامس: ثناء العلماء عليه ومنزلته

من المعروف أن مفسر القرآن ينبغي أن يحوز صفات معيّنة، من أهمّها:

1. صحة الاعتقاد ولزوم سنة الدين، فإن من كان مغموصاً عليه في دينه لا يؤمن على الدنيا، فكيف على الدين؟ وعلى كتاب الله تعالى؟ ولأنه لا يؤمن إن كان متهمًا بالإلحاد أن يبغى الفتنة ويغترّ الناس بليّته وخداعه، كدأب الباطنية¹ وغلاة الرافضة² والمشبهة المجسّمة¹، وإن كان

¹ الباطنية: ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر سائر أصناف الكفرة عليهم، ومن الذين أسسوا هذه الجماعة: ميمون بن ديصان المعروف بالقّدّاح ومحمد بن الحسين الملقب بذيذان حيث كانا مسجونين مع غيرهم في سجن والي العراق، وظهرت دعوتهم بعد خروجهم وكثر أتباعهم ناحية المغرب حيث ادعى ميمون بن ديصان بأنه منسوب للنبي عليه الصلاة والسلام ليحلب الناس إليه، وأساس مذهبهم أنهم كانوا من المجوس مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يجسروا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين، فنافقوا وفضّلوا أديان المجوس وتأوّلوا آيات القرآن وسنن النبي صلى الله عليه وسلم على موافقة أساسهم، ومن ضلّالاتهم أن النور خالق الخيرات والمنافع، والظلام فاعل الشر والمضار، ومنها أنهم أباحوا لأتباعهم نكاح البنات والأخوات وأباحوا شرب الخمر وجميع المحرمات وأحلّوا اللواط، ومنعوا إطفاء النار لأنّها من معبوداتهم الباطلة، وأمروا بقطع يد من أطفأ ناراً بيده، وبقطع لسان من أطفأها بنفخة. البغدادي، الفرق بين الفرق، الفصل 17، ص 265، 266، 269، 270. بتصرف.

² اجتمعت الفرق الثلاث من الزيدية على القول بأن أصحاب الكبائر من الأمة يكونون مخلّدين في النار، فهم من هذا الوجه كالخوارج الذين أياسوا أسراء المذنبين من رحمة الله تعالى، ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون. إنّما قيل لهذه الفرق الثلاث وأتباعها: زيدية، لقولهم بإمامة زيد بن علي ابن الحسن بن علي بن أبي طالب في وقته، وإمامة ابنه يحيى بن زيد بعد زيد؛ وكان زيد بن علي قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة، وخرج بهم على والي العراق، وهو يوسف ابن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقيين، فلما استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي، قالوا له: إنا

متَّهَمًا بـهوى لم يؤمن أن يحمله هواه كلما يوافق بدعته كدأب القدرية المعتزلة، فإن أحدهم يصنف الكتاب في تفسيره، ومقصوده صد الناس عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى.

2. الاعتماد على النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ومن عاصروهم وتجنَّب المحدثات التي تخالف الكتاب والسنة، وإذا تعارضت أقوالهم وأمكن الجمع بينها فعل.

3. صحة المقصد فيما يقول ليلقى التسديد، وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا، لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسَّل به غرض يصده عن صواب قصده، ويفسد عليه صحة عمله.

4. الامتلاء بعدة الإعراب، لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام، فإنه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان، إما حقيقة أو مجازًا، فتأويله تعطيله².

ومن دون مجاملة متكلَّف فيها، فإن المؤلف حقَّق هذه الشروط بتمامها، كما هو واضح، فشرحه "الريان" شاهد على المناقبة العلمية للمؤلف، والأمانة العلمية في النقل، والقوة في الإقناع بالحجة، والحرص على نشر الحق.

نصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب، فقال زيد: إني لا أقول فيهما إلا خيرًا، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرًا، وإنما خرجت على بني أمية الذين قاتلوا جدي الحسين، وأغاروا على المدينة يوم الحرة، ثم رموا بيتًا لله بحجر المنجنيق والنار، ففارقوه عند ذلك، حتى قال لهم: رفضتموني، ومن يومئذ سمو رافضة. البغدادي، الفرق بين الفرق، الباب 3، في بيان مقالات فرق الرفض، ص 25. بتصرف. أما الروافض، فإن السبائية منهم أظهروا بدعتهم في زمان علي رضي الله عنه فقال بعضهم لعلي: أنت إلهنا، فأحرق علي قومًا منهم، ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن، وهذه الفرقة ليست من فرق أمة الإسلام، لتسميتهم عليًا إلهًا، ثم افترقت الرافضة بعد زمان علي رضي الله عنه أربعة أصناف: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة. وافترقت الزيدية فرقًا، والإمامية فرقًا. البغدادي، الفرق بين الفرق، الباب 2، الفصل 2، ص 15. بتصرف.

¹ المشبهة: من الفرق الخارجة عن الإسلام. والمشبهة صنفان: صنف شبهوا ذات البارئ بذات غيره، وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره، وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون إلى أصناف شتى، وأول ظهور التشبيه صادر عن بعض الغلاة، ومنهم السبائية الذين سمو علي بن أبي طالب إلهًا وشبهوه بذات الإله، ومنهم البينانية أتباع بيان بن سمعان الذين زعم أن معبوده إنسان من ثور على صورة الإنسان في أعضائه، وأنه يفنى كله إلا وجهه، وغيرهم كثير. البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 214. بتصرف.

² عبد الرحمن السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ص 572، 573. بتصرف.

ولا شك أن المؤلف ذو باع طويل في أنواع العلوم، ومن أدل الأمور على ذلك التفسير الذي بين ظهرانينا.

فمقدمة "الريان في تفسير القرآن" اشتملت على جميع علوم القرآن بصفة عامة، وجمع فيها المؤلف بين علوم القرآن والتفسير، فهو يطوي المنشور، وينشر المطوي، ويركز على الجانب الفقهي واللغوي، وتظهر شخصيته أحياناً، وتتوارى أحياناً أخرى.

وإن المؤلف ضمّن مقدمة "الريان" فصلاً جمعت أبحاثاً متعلقة بعلوم القرآن بالعناوين الآتية:

1. بيان ذكر الأئمة الناقلين.
2. بيان نوع القراءة.
3. معنى القرآن.
4. نزول القرآن.
5. جمع القرآن في المصحف.
6. نَقْط القرآن.
7. تحزيب القرآن.
8. أسماء القرآن.
9. المكي.
10. المدني.
11. المعاني والفنون التي تضمنها القرآن الكريم.
12. أسباب الخلاف بين المفسرين، والوجوه التي ترجح بها أقوالهم.
13. انقسام السلف إلى مفسر وغير مفسر.
14. أنواع الوقف.
15. نزول القرآن على سبعة أحرف.
16. إعجاز القرآن.
17. الاستعاذة والتسمية.
18. الإدغام الحرفان المتقاربان في كلمة أو كلمتين.
19. ذكر المد والقصر.

20. الهمزتان من كلمتين.
21. الهمزة المفردة.
22. نقل حركة الهمزة إلى الساكن الصحيح قبلها.
23. وقف حمزة وهشام على الهمز.
24. ذكر ذال إذ.
25. ذكر دال قد.
26. ذكر تاء التأنيث.
27. ذكر لام هل وبل.
28. ذكر حروف قربت مخارجها.
29. أحكام النون الساكنة، الفتح والإمالة.
30. مذهب الكسائي في إمالة هاء التأنيث في الوقف.
31. مذاهب الأئمة في الراآت.
32. ذكر اللامات.
33. ذكر الوقف على آخر الكلم.
34. الوقف على مرسوم الخط.
35. ذكر مذهب حمزة في السكوت على الساكن قبل الهمزة.
36. ذكر المذاهب في الفتح والإسكان لياء الإضافة.
37. المذاهب في الزوائد في سورة الفاتحة.
38. فوائد جمعة تتعلق بالبسملة¹.

¹ أحمد بن محمد الأمين، تحقيق مقدمة "الريان في تفسير القرآن"، ص 169.

المبحث السادس: تعريف موجز بعصر المؤلف

تيرس الغريبة عبارة عن مفاوز، تتخللها كثبان رمال منتشرة هنا وهناك وهناك، بالإضافة إلى جبال من الصوان.

في هذه المنطقة الصعبة التضاريس، القاسية المناخ، البعيدة عن رخاء العيش، ورغد المدن، عاش المؤلف معظم حياته، وأسس محضرته في محيط طبيعي لا يشجع . عادةً . كثيرًا على تحصيل العلم والمعرفة.

إلا أن ذلك كله من تأسيس معالم نهضة علمية جديدة تنضاف إلى ثروة البلاد العلمية والحضارية. فالخبرة الشنقيطية قامت على ظهور الجمال في حياة بدوية، ولكنها كانت حضارة في أبرز دعائمها وخصائصها، حضارة العلم والمعرفة، وإن كانت في إطار من البداوة¹.

ولا ننسى شح المياه التي تنعكس على مجرى الحياة البشرية والرعية، وعلى الحياة الثقافية والعلمية بالتبعية، إلا أن ذلك كله أيضًا لم يمنع الطلاب من مختلف أصقاع البلاد أن يقصدوها طلبًا للعلم والمعرفة.

أما سياسيًا، فكان المحيط مضطربًا جدًا، إذ تتوزع فيه السلطات بين إمارات لا يتجاوز قانون سلطتها نطاق إقليم معين، فيما تتولى بعض القبائل السيادة على منطقة بعينها، وتحتل قبائل بني حسان مركز السلطة في أغلب الإمارات.

وأدى هذا الوضع الخطير المتشردم إلى تعرض البلاد لحروب وحالات من عدم الاستقرار وانتشار الفوضى، وظلت العلاقات بين هذه الإمارات بين مد وجزر، ليعرف الناس فترات الازدهار حينًا، والانهيار أحيانًا أخرى. مثلاً: إمارة يحيى بن عثمان في "آدرار" تمكنت في فترة أن تظهر العدالة والأمن، ولا سيما في ظل إمارة "أحمد بن محمد"، الذي كانت تربطه بالمؤلف

¹ محمد الأمين ولد داداه، "محمد بن محمد سالم حياته وآثاره العلمية"، ص6. بتصرف.

أواصر الصداقة الحميمة والثقة المتبادلة، كما كانت له صلات مع إمارات "اترارزة"، وخاصة "محمد لحبيب بن عمر المختار"، وكانت له صداقات ووشائج حميمة ووطيدة أيضاً مع "قبة اركبيات"، وخاصة "محمد بن الخليل"¹.

وإن أبا محمد عبد الله بن ياسين الجزولي إمام المرابطين المتوفى سنة 451هـ يُعدّ أول قاض في بلاد شنقيط² تحفظ المصادر اسمه، وبعد أن التفّ الناس حوله، ظهر بعد ذلك أمر المرابطين، وأعلنت دولتهم في الصحراء، فارتفع شأن الفقهاء.

وبعد أن سقطت الدولة المرابطية، وقعت البلاد في دوامة فوضى، فكان البديل ما يُسمى بحكم جماعة المسلمين.

ثم عرف القضاء ازدهاراً في العهد الحسّاني، وظلّ للفقهاء الكلمة الأولى والأخيرة في عملية القضاء، كما هي الحال في الفتوى³.

إذاً، عايش المؤلف حياة قبلية وصراعات دائمة حول الزعامات والمصالح الاقتصادية، وقد أدى ذلك كله إلى ازدياد تأزم الوضع السياسي في البلاد، ما جعل الحالة السياسية تسير عكس مصالح البلاد والعباد. كما عايش حركات جهادية عديدة.

وعاش المؤلف في حالة اجتماعية سادت في بلاد شنقيط تعود أولاً لتركيبية المجتمع، إذ هو خليط من العرب والبربر والسود الأعاجم، وكذلك من السادة والعبيد والموالي والخدم، ومن القبائل العديدة المختلفة. ويُقال: إن هذه التركيبة ساعدت على تدهور الوضع الاجتماعي وعدم اتّزانه، خاصة للتنافس والصراع القائم بين القبائل على اختلافها.

أما الحالة الاقتصادية فغلب عليها الفقر والتقصّف، وكانت مرتكزات الناس على الصعيد الاقتصادي قائمة على: الزراعة، الرعي، التجارة (محدودة الأثر). كما أن بعض القبائل كانت تعيش على قطع الطريق والإغارة، وأخذ الضرائب من قوافل التجارة.

¹ المختار بن حامد، حياة موريتانيا الثقافية، ج2، ص5. السيد ولد أباه وآخرون، موريتانيا الثقافة والدولة والمجتمع، ص24، 77، 194. محمد السيد، تاريخ دول المغرب العربي (موريتانيا)، ص256. بتصرف.

² لمزيد من المعلومات عن شنقيط راجع: أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط.

³ الدد بن سيد أحمد، أحكام القضاة في بلاد شنقيط بين التعقيب والتسليم، ص22.15. بتصرف.

أما الحالة الدينية والعلمية فأبرز ملامحها أن الدين الإسلامي هو دين الجميع، فقد كان هناك علماء يحكمون ويقضون بين الناس بشرع الله تعالى، منهم المؤلف الذي كان قاضي القضاة في زمانه. وتسود هناك العقيدة الأشعرية، والمذهب المالكي، والطرق الصوفية الآتية: القادرية والشاذلية والتيجانية.

وتعود الحركة العلمية إلى عهد المرابطين الزاهر، الذين كان لهم فضل كبير في نشر العلم وإكرام العلماء، فقد عملوا على تشكيل كتاتيب تدعى أربطة، لإعداد الجيل علميًا وتربويًا وجهاديًا، وسميت هذه الكتاتيب أيضًا بالمحاضر. وقد انتشرت هذه المحاضر في مناطق موريتانيا كافة، تبعًا للقبائل والعشائر استقرارًا وارتحالًا، وكان رؤاها العلماء المجاهدين العاملين¹.

وعن تاريخ موريتانيا قبل البعثة النبوية، يعتبر كثير من المؤرخين أن المرجح أنها كانت بلادًا عامرة لها نشاط حضاري بارز، ووجود تجاري على الخط الرابط بين الشمال الإفريقي، وبين الجنوب والوسط الإفريقي.

ثم سيطر عليها الرومان ثم البيزنطيون، ثم الوندال الذين دمروا ما كان في المنطقة من تمدن. وتذكر بعض الروايات أن العرب نزحوا إلى تلك المناطق، إن من اليمن أو من الجزيرة العربية، قبل البعثة النبوية.

وعاش فيها حينها الأفارقة السود أهل قارة إفريقيا الأصليين، حيث كانت قبائلها تزحف من الجنوب الصعب إلى الشمال اللين، طلبًا للعيش الرغيد في بلاد الرعي والزراعة والتجارة. ودخل الإسلام إلى موريتانيا، فتغيروا وغيروا، ونشروا الخير في البقاع؛ وتاريخ موريتانيا تابع للمغرب الأقصى (مراكش)²، ذلك أن موريتانيا كانت إلى غاية عهد بني مرين تابعة للمغرب الأقصى (مراكش). ويرجع تاريخ دخول الإسلام إلى هذه البلاد، عند بعضهم، إلى أواسط

¹ عدنان بن محمد بن عبد الله آل شلش، العلامة الشنقيطي مفسرًا، ص 4237. بتصرف.

² مراكش، بالفتح ثم التشديد وضم الكاف وشين معجمة، أعظم مدينة بالمغرب وأجلها، بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر، وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين من الملتمين الملقب بأمير المسلمين في حدود سنة 74هـ، وكان موضع مراكش قبل ذلك مخافة يقطع فيه اللصوص على القوافل، كان إذا انتهت القوافل إليه قالوا: مراكش، معناه بالبربرية: أسرع المشي، وبقيت مدة يشرب أهلها من الآبار حتى جلب إليها ماء يسير من ناحية أغمات يسقي بساتين لها. الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 94. بتصرف.

القرن الهجري الأول، على يد عقبة بن نافع الفهري رحمه الله، وبعده موسى بن نصير رحمه الله، وبعده عبد الرحمن بن حبيب الفهري رحمه الله حفيد عقبة؛ بالإضافة إلى قوافل التجار المسلمين التي كانت سبباً قوياً في نشر الإسلام، كما أن البربر المهاجرين إلى هذه المنطقة بعد فتح الأندلس على يد طارق بن زياد في أواخر القرن الهجري الأول، ساعدوا في نشر الإسلام في هذه البلاد. وبعد ذلك ظهرت حركة المرابطين، لتعرض فيما بعد إلى هجمات احتلالية استعمارية غربية، بدأت منذ القرن الهجري التاسع¹.

¹ عدنان بن محمد بن عبد الله آل شلش، العلامة الشنقيطي مفسراً، ص3122. بتصرف.

الفصل الثاني: منهج البحث

المبحث الأول: مصادر الكتاب

أهمل المؤلف في بداية شرحه وفي آخره الإشارة إلى مصادر المادة العلمية لشرحه¹. وقد تعددت المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في هذا المؤلف، وتنوعت بتنوع ثقافته التي وسعت التأليف في علوم شتى، خاصة وأن المؤلف عاش في زمن، سبقه تصنيف أمهات الكتب في الفقه والحديث والتفسير واللغة وكتب الغريب وكتب تأويل مختلف الحديث وغيرها، والتي اعتمدها المؤلف في شرحه، وجمع منها المادة العلمية للكتاب.

ولما كان الاطلاع على فكر المؤلف ومنهجه، يُعين عليه معرفة المصادر التي تمثل الروافد المعرفية التي تبلور أفكاره، كان المطلوب من الباحث أن يقف عليها مطولاً، سواء تلك التي صرح بها أو التي لم يصرح بها، وبعد الوقوف عليها تبين أنه منها ما هو من كتب الفقه، ومنها ما هو من كتب الحديث، ومنها ما هو من كتب التفسير، هذا بالإضافة إلى كتب اللغة والنحو، وكتب التوحيد والتاريخ والسيرة، ومنها نوع آخر غير ما تقدم، وهو نقله عن بعض علماء اتصل بهم وصحبهم وتلمذ عليهم.

¹ بخلاف بعض الشراح، كابن الملحق مثلاً، فإنه ذكر في آخر كتابه "التوضيح" المراجع التي رجع إليها. راجع: ابن الملحق، التوضيح لشرح الجامع، ص39.

وأهم هذه المصادر:

من مصادر التفسير وعلوم القرآن:

- . تفسير ابن عباس (تنوير المقياس تفسير حبر الأمة عبد الله بن عباس) (ت 67هـ).
- . تفسير مجاهد (ت 104هـ).
- . مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 209هـ).
- . تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) (ت 310هـ).
- . تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) (ت 430هـ).
- . تفسير الماوردي (النكت والعيون) (ت 450هـ).
- . معاني القرآن للفراء (ت 516هـ).
- . تفسير البغوي (معالم التنزيل) (ت 516هـ).
- . تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز) (ت 546هـ).
- . تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (ت 671هـ).
- . تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (ت 685هـ).
- . تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (ت 710هـ).
- . تفسير ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل) (ت 741هـ).
- . تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) (ت 741هـ).
- . تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)¹ (ت 774هـ).
- . النشر في القراءات العشر لمحمد الجزري (ت 833هـ).
- . تفسير السيوطي (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) (ت 911هـ).
- . تفسير السيوطي (تفسير الجلالين) (ت 911هـ).
- . تفسير الفودي (ضياء التأويل في معاني التنزيل) (ت 1245هـ).

¹ وهذا التفسير فيه بعض الطامات، فهو غير معتمد عند العلماء.

من مصادر السنة:

- . الموطأ للإمام مالك (ت 179هـ).
- . المصنف لابن أبي شيبة (ت 235هـ).
- . مسند أحمد (ت 241هـ).
- . صحيح البخاري (ت 256هـ).
- . صحيح مسلم (ت 261هـ).
- . سنن ابن ماجه (ت 273هـ).
- . سنن أبي داود (ت 275هـ).
- . سنن الترمذي (ت 279هـ).
- . سنن النسائي (ت 303هـ).
- . صحيح ابن حبان (ت 354هـ).
- . معجم الطبراني (ت 360هـ).
- . مستدرک الحاكم (ت 405هـ).
- . سنن البيهقي (ت 458هـ).

من مصادر اللغة:

- . الصحاح للجوهري (ت 393هـ).
- . الألفية لابن مالك (ت 672هـ).
- . القاموس المحيط للفيروزبادي (ت 817هـ).

من مصادر التاريخ والتراجم والسير:

- . مغازي ابن إسحاق (ت 151هـ).
- . الطبقات الكبرى لابن سعد (ت 230هـ).

وإن ثقافة المؤلف واسعة جدًا، فهو أصولي فقيه نحوي لغوي مفسر، فتفسيره هذا حوى علومًا ضمن التفسير.

ومن باب الأمانة العلمية، فإن أغلب المادة العلمية لهذا الشرح قد نقلها المؤلف المجلسي عن غيره، لكن من باب الإنصاف فإن المؤلف لم يكن مجرد ناقل، وإنما كان محللاً ومعلّقًا وشارحًا لما ينقل مستدلًا له أو عليه، أو مرجحًا، ففيه جهد يُذكر للمؤلف، ونكت حلوة، وفتات مهمة.

ولا يعيب هذا المؤلف المجلسي، فإن العلماء يفعلون ذلك كثيرًا.

وعليه، فإن المنهج التفسيري عند المؤلف يظهر واضحًا جليًا بالاعتماد على مفسرين معيّنين، وعلى كتب تفسير محددة لهم:

- . تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) (ت 310هـ).
- . تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) (ت 430هـ).
- . تفسير البغوي (معالم التنزيل) (ت 516هـ).
- . تفسير ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل) (ت 741هـ).
- . تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) (ت 741هـ).
- . تفسير السيوطي (تفسير الجلالين) (ت 911هـ).
- . تفسير الفودي (ضياء التأويل في معاني التنزيل) (ت 1245هـ).

وهذه التفاسير تبدأ من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثاني عشر الذي عاش فيه المؤلف. فهو يعتمد على أوائل كتب التفسير التي قيّد لها أن تحفظ وتنشر، فيما ما قبل ذلك من التفاسير ما هي إلا نقولات موجودة في كتب تفاسير أخرى، جُمع بعضها في كتب مستقلة، ولكنها منقوصة.

والمؤلف كرر بعض النقولات والأخبار عند عرضه لأقوال المفسرين، لعله من باب التأكيد، وجعل التفسير كتابًا مفتوحًا على كل المفسرين في آن واحد.

كما نرى المؤلف يتدخل، تارة خَلَّلَ نقله للتفسير عن أحد المفسرين، وتارة أخرى معقبًا. كما أنه في مرة يوافق رأي غيره من المفسرين، وفي مرة أخرى قليلة قد يخالف. كما أن المؤلف في أحيان يقوم بالجمع بين معاني التفسير الواردة في عدد من كتب التفسير في عرض واحد، وفي أحيان أخرى يقوم بتحليل جديد. ويمزج أثناء التفسير أقوال أهل المذاهب الأربعة، عندما تكون المسألة فقهية.

هذا وإن المؤلف يطيل غالبًا عند نقله نصًا من كتاب تفسير، وفي باقي النقول يختصر النقل. كما أنه لا يشير في مرات ومرات إلى أنه ينقل، أو أين يبدأ النقل، وأين ينتهي. وهو يضع اسم المفسر أحيانًا من دون لفظ "قال"، وأحيانًا من دون اسم المفسر، ومرة يضعه أول الكلام، ومرة أخرى آخره. وهو في ذلك يجري مجرى الأقدمين، وكأن المؤلف كتبه على عجل ولم يروّ في مراجعته، لمزيد تهذيب وتنقيح.

على كل فإن تفسير المؤلف هو عبارة عن مجموعة تفاسير ممزوجة، بالإضافة إلى علوم وفنون أخرى متضمنة.

المبحث الثاني: منهج المؤلف في التفسير

لا شك أن أساليب الشرح تتغير من مؤلف إلى آخر، وهي كذلك على مر السنين، تبعًا لمزاج الشارح، ونوعية المؤلف، والشكل والإطار المراد إيصالهما إلى المتلقي، ومع ذلك كله، نجد أن الشروحات تندرج تحت أطر ثلاثة، هي:

1. الشرح الموضوعي، أو ما يسمى شرحًا بالقول.

2. الشرح الموضوعي.

3. الشرح المزجي.

الشرح الموضوعي:

هو عبارة عن شرح مواضع مختارة.

الشرح الموضوعي:

هو أسلوب من الشرح، يعتمد فيه الشارح على تقسيم الآيات إلى موضوعات، بعد ذلك يعتمد الشارح على تفصيل كل ما يمت إلى الجوهر، كل على حدة. وفي هذا المضمار تتفاوت قوة الشروحات، وذلك بسبب أمرين:

1. قوة شرح العالم.

2. نية العالم في التوسع أو الاختصار.

الشرح المزجي:

هو ذكر نص الآية ممزوجًا بالشرح، أو بعبارة أخرى أن يأتي الشارح على ذكر الآية، ويورد قبلها أو بعدها من كلامه هو. إلا أنه مهما توسع الشارح في كلامه مقدمًا ومؤخرًا بالنسبة

للآيات التي يشرحها، تراه يحرص على أن تكون اللفظة التي تسبق أو تلي كلام القرآن مترابطة معها في سياق واحد متناسق، مميّزًا لذلك عن ذاك، بوضع الآية ضمن قوسين، أو بلون أسود عابق، أو بلون مختلف مثلاً¹. وعلى هذه الطريقة نهج المجلسي الشنقيطي في "الريان".

¹ أبو العلي عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، ج1، ص109. بتصرف.

المبحث الثالث: المؤلف في ميزان النَّدَق

إن هذا المخطوط هو أحد أهم الكتب التي صَنَّفها المصنف، بل هو من أهم كتب التفسير للقرآن الكريم، ومن مميزاتة:

- خال . نوعاً ما . من التطويل، وهو بعيد عن الاختصار المخلّ.
- ألفاظه على قدّ المعاني، بل في كثير من الأحيان حَمَل الألفاظ أكبر طاقة لها من المعاني.
- إيراد كل أسباب النزول عند تفسير كل آية من الآيات، ما يفيد القارئ إضافة إلى المعنى معرفة في سبب نزول الآية، وتعمُّقاً في جوها، ما يورث فهماً أعمق واستفادة أكبر من جوهرها.
- الحديث عمن نزلت فيهم بعض الآيات.
- ذكر القراءات المشهورة، فهو يذكر دوماً أكثر من قراءة لأكثر من قارئ، ويندر أن يُشير إلى القراءات الشاذة، وإن فعل ذلك أحياناً.
- التوقف عند الآيات المنسوخة، والتي اختلف العلماء حولها أمنسوخة هي أم لا؟ وأورد أقوال العلماء في ذلك.
- التوقف عند تفسير الآية، ليدكر أقوال العرب فيها، من ناحية إعراب بعض كلماتها، أو صرف بعضها، مع ذكر عمن ينقل من علماء النحو والصرف.
- إيراد أبيات شعر عند تفسير بعض الآيات، ولشرح بعض المفردات واستعمالاتها في لغة العرب. بالإضافة إلى إظهار لهجات العرب في بعض الألفاظ، كما اعتمد على الحديث النبوي الشريف في سبيل توضيح بعض النواحي.
- رد القول إلى قائله من علماء اللغة والنحو والقراءة.
- بُعِد تفسيره عن التفسيرات المنحرفة، والتأويلات الباطلة، التي أسرف أصحابها حين حَمَلوا النص القرآني ما لا يحتمله. مع أنه أورد أقوالاً غريبة بعيدة من بعض الكتب.

وهذا التفسير . الذي بين ظهرائنا . بصمة مشرقة لعالم أظهرته مؤلفاته أنه واسع المعرفة، مطلع على كثير من العلوم؛ وهو واقع يعكس امتدادًا لحال السلف الصالح، الذين تبحروا في العلوم عامة دون تخصيص، فنجد الفقيه منهم له باع كبير في الشعر، والطبيب يتكلم بالفلك والحديث والأدب؛ فكثيرًا ما نجد المؤلف يستطرد في فوائد أدبية ولغوية، تشرح الموضوع، وترسخ معاني الآيات أو الأحاديث التي يشرحها أو يستدل بها.

إن دراسة هذا المخطوط تعد إحياء لذخائر الأمة وتراثها الفكري، الذي تركه لنا الأسلاف، لتتناقله الأجيال على مر الزمان، فمن الأهمية بمكان تزويد المكتبة الإسلامية بالمراجع النفيسة، ولا سيما إذا كان هذا العلم مرتبطًا أشد الارتباط بعلوم كتاب الله، فإنها تزيده نورًا ورفعته بين سائر العلوم.

وهذا العالم، وإن كانت "موريتانيا" مسقط رأسه، فقد رقى بنور علمه وسمو فقهه إلى الأمة الإسلامية جمعاء، فإن دراسة تفسير القرآن لا يختص بعرق دون آخر، ولا بقومية دون أخرى، ولا بزمان دون آخر، بل هو عالمي الدلالة، وهو النور الذي يسترشد بنوره.

ولقد قام المؤلف بمراعاة عدة أمور في شرحه أكسبته ألقًا وتألقًا، منها . على سبيل المثال لا الحصر .:

- أ . تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة أو بالآثار.
- ب . الاستعانة بالقرآت للتدليل على المعاني من الآيات بقرآنها المتعددة.
- ت . اللجوء إلى كتب أهل اللغة لاستجلاء معاني بعض الكلمات.

إلا أنه غفل عن عدة أمور، منها . على سبيل المثال لا الحصر .:

- إيراد أحاديث ضعيفة.
 - اضطراب في بعض النقول بعزو الأقوال إلى غير أصحابها.
- وهي أمور قد تجدها في كثير من المصنّفات.

لقد تميّز هذا التفسير بالطريقة الفريدة التي سلكها المؤلف في المزاوجة والمراوحة بين التفسير بالظاهر والتفسير بالإشارة على نمط رائع، فجاء مفيداً مقيداً بشروط وضوابط عملية مقررّة، حيث برع في القدرة على الإبانة عن غايات ومقاصد جليّة ترمي إلى اكتشاف وإبراز وتفهم الأبعاد التي تومئ إليها الآيات القرآنية.

كما أن منهج المؤلف فيه تميّز أيضاً بأنه بناه على أساس من تفسير الآيات وتأويلها، إذ نجد المؤلف كثيراً ما يستند في جُلِّ تفسيره إلى ما يعزز أفكاره وآراءه، من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأقوال علماء تفسير وفقه ولغة، ويستطرد في تفسيرها وبيان معانيها، وهذا ما أضفى على تراثه قيمة منهجية كبيرة. فهو شبيه بروضة غناء متنوعة الثمار، فبالإضافة إلى غزارة الفوائد اللغوية والنحوية، فهو يمثل دائرة معارف تضم: الحديث وشرحه، وتشمل الفقه وأصوله، والقصص والعبر، وبعض أحوال الرجال.

المبحث الرابع: نسخ المخطوط ووصفه

لقد استطعت . بفضل الله عزَّ وجلَّ . بعد جهد جهيد في البحث، والمراجعة لكثير من فهارس المخطوطات، وسؤال أهل الخبرة والعلم وأقرباء المؤلف، العثور على نسخة مخطوطة واحدة للجزء الذي أريد تحقيقه.

وتجدر الإشارة أن جميع نسخ المخطوط، بل ومؤلفات محمد بن محمد سالم، إلا المفقود منها، هي في خزائن خاصة لذوي المؤلف، وهم منتشرون في موريتانيا وجنوب المغرب في العيون والداخلية عند آل عبد القادر بن محمد بن محمد سالم وآل حبيب الله بن محمد بن محمد سالم وآل عبد الله بن محمد بن محمد سالم.

وفيما يلي توصيفاً للمخطوط، مع عرض ما ذكره الناسخون.

إن المخطوط الذي حصَّله للمؤلف "محمد بن محمد سالم المجلسي" رحمه الله، ليس بخط يد المؤلف، بل بخط يد ابن عم له هو "محمد الأمين بن السعيد المجلسي" كتبه بما يقدر سنة 1929م، الموافق في 27 جمادى الأولى 1387هـ.

ثم نسخ بعض أحفاد المؤلف عنه، منهم "أحمد بن محمد بن حبيب الله بن محمد بن محمد سالم"، وقد تم نسخ الجزء الأول، وفي نسخة ثانية تمت كتابتها سنة 1948م، وهو المعمول عليه سنة 1978م.

والمخطوط الكامل لكتاب "الريان" مؤلف من سبع مجلدات ضخام، كتب بخط ديواني متفاوت الحجم والوضوح، كما أنه محفوظ من الرطوبة والتآكل، وهو قليل الحواشي.

وقد حصّلت النسخة الوحيدة من أحد أقرباء المؤلف، وهي نسخة من النسخ المكتوبة بخط بعض تلاميذ المؤلف وأقربائه، حيث كانوا يقتنون نسخًا بإملاء ذاتي؛ وسأتكلم على الجزء الذي عملت به.

النسخة الوحيدة (الأصل) :

تبدأ بتفسير سورة النساء، والذي عملت على تحقيق تفسيرها، وهي التي أشير إليها في التحقيق بـ "الأصل".

فالجزء الذي عملت عليه هو من صحيفة 1 إلى صحيفة 263، صفحاته على ورق كبير قياس (26 × 18 سم)، وفي كل صحيفة 42 سطرًا وسطيًا، وفي السطر الواحد 19 كلمة تقريبًا، وقد ميّزت الآيات بخط أسود عابق بحجم أكبر مع وضع الشكل. والمخطوط لا يخلو من أخطاء إملائية ولغوية، وليس فيه علامات وقف ولا تشكيل. والخط لا بأس به، وهو قليل الحواشي والهوامش، ويتخلله إشارات ودوائر.

وهذه صورة عن الصحيفة الأولى لهذه النسخة:

المبحث الخامس: عملي في التحقيق والصُّعوبات المُعترضة

بعد أن حصَّلت نسخة مخطوطة أولى لهذا الكتاب، باءت كل محاولاتي بالفشل في أن أجد مخطوطة أخرى، فلا أعلم أحداً يملك مخطوطة ثانية لسورة النساء للمجلسي الشنقيطي. هذا، وقد راعيت في أثناء التحقيق الخطوات الآتية:

1. اتَّبعْتُ قواعد الرسم المعروفة اليوم¹، والتصحيح اللغوي، ومحاولة معرفة الكلمات المطموسة، ومكان السقط حيث وجد، وقد رجعت فيه إلى مصادر المؤلف، وميّزت ما أضفته بين عاكفتين.

- 2 عزوت الآيات القرآنية، وميّزت الآيات بأقواس خاصة ﴿ 》 .
- 3 خرجت الأحاديث والآثار بذكر الراوي، والكتاب، ورقم الكتاب واسمه، ورقم الباب واسمه، ورقم الجزء، ورقم الصحيفة، ورقم الحديث. وبَيَّنت إن كان في الحديث من كلام، وقد ميَّزت الأحاديث بأقواس خاصة < > .
4. ترجمت للأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في المتن بتراجم مختصرة، مع ذكر مصادر ترجمتهم، وأما ما ورد ذكره في المقدمة وتكرر في المخطوط، فخرَّجته في المخطوط.
5. شرحت الألفاظ الغريبة والعبارات المبهمة، وعرَّفت بالبلدان والملل والنحل والقبائل وأصحاب أبيات الشعر وأوزانها.

¹ هناك ثلاثة رسوم للحرف العربي: الرسم العثماني في المصحف، الرسم العروضي عند العروضيين، والرسم الإملائي المعروف. وقد اعتمدنا الأخير. انظر: مصطفى طوموم، سراج الكتبة، ص 6.

6. وثّقت النصوص التي يوردها المؤلف من مصادرها الأصلية، أو الكتب المعتمدة، ووضعتها بين شولتين " " .

7. علّقت على بعض المسائل الخلافية مع التعليل والترجيح.

8. رسمت الشكل على حروف الكلمات التي تحتاج إلى ذلك.

9. اختصرت كلمة "هجرية" بأول حرف من الكلمة: هـ .

10. صيّرت كلّ بيت في مستطيل وهمي باللون الرمادي، على الشكل الآتي:

قَفْ أَلَا قَاضٍ فإِني ضَاقَ بي ~ رَيْبُ قَاضِينَا فَضَاقَ الأَفْئُقُ¹

11. جلبت الساقط من المخطوط من أصول الكتب المنقول عنها، ووضعتها في المتن بين قوسين ().

12. ذكرت في فهرس المصادر والمراجع الاسم الثنائي لكل عَلم، والثلاثي عند الحاجة.

13. اعتمدتُ التقويم الهجري في كلّ البحث، ما عدا سنة طبع الكتاب في فهرس المصادر

والمراجع، فإنها بالتقويم الميلادي أيضاً، مراعاةً لسهولة الرجوع إلى الكتاب في دور النشر.

14. وضعت في تراجم الأعلام في الهوامش حرف "ط" للكتاب المطبوع، وحرف "خ" للكتاب المخطوط، وذلك نقلاً عن المصدر أو المرجع.

15. أهملت "أل" التعريف و"ابن" و"أبو" في العملية الألفبائية لترتيب المصادر والمراجع، و أهملت "أل" التعريف فقط في ترتيب الأعلام.

16. صنعت فهرس متنوعة تسهّل الوصول لمختلف المعلومات الواردة في الكتاب، والفهارس هي:

- الآيات القرآنية.
- الأحاديث النبوية الشريفة.
- الأعلام.
- البلدان.
- الغزوات.
- الأشعار.

¹ ناصيف اليازجي، مجمع البحرين، المقامة العشرون التي تُعرف بالبَصْرِيَّة، ص 131. 135.

- القبائل.
- الملل والنحل.
- المصادر والمراجع.
- المحتويات.

ثم إن دراسة كتب علم التفسير . بصورة عامة . لا بد لها أن تعتمد على أكثر من منهج، وذلك لصعوبة حل رموزها ومصطلحاتها المختصرة، ومن هنا كان لا بدّ للباحث أن يعتمد على عدة مناهج، وانطلاقاً من ذلك عوّلت على هذه المناهج الثلاث:

- 1 المنهج التاريخي: إذ إن من المهمّ أن نعود إلى عصر هذه الكتب المؤلفة لفهم البيئة التي نشأت فيها وأسبابها، ثم المحاولة من الاستفادة بها فيما يحتاج إليه طلبة العلم في هذا العصر.
- 2 المنهج التحليلي: وإنما ذلك لأجل فك رموز ومصطلحات الكتاب، بُغية الوصول يُيسر إلى المعاني الكامنة وراء العبارات والكلمات المختصرة.
- 3 المنهج الاستنباطي: وذلك لاستنباط الأحكام الفقهية أو الفنية الخاصة بعلم التفسير.

هذا، وإن كلّ باحث في مضمار التحقيق العلمي للمخطوطات الإسلامية، أن يواجه مجموعة من المصاعب، كتكبّد عناء السفر للحصول على نسخة مخطوطة للعمل عليها، زائد التحقق من كون المخطوط طبع أم لا؟ وفي حال أنها طبعت، هل حققت تحقيقاً علمياً وافياً؟ حيث إن الأمر لا يحتاج إلى إعادة تحقيق. ومن أبرز هذه العقبات:

- بعض الصعوبة عند قراءة المخطوط، لا سيما مع اختلاف أنواع الخط عن الخطوط المستعملة في بلادنا.
- عدم العثور على نسخة للكتاب مطبوعة بعد سؤالي في أكثر من مكتبة عامة في عدة بلدان مثل: لبنان، سوريا، المملكة العربية السعودية، مصر...
- تنوع المسائل اللغوية وغموضها.
- صعوبة الرجوع إلى بعض مصادر المؤلف، لفقدتها أو ندرة وجودها.

الخاتمة

لا بدّ في خضم هذا العمل الكبير الذي هو عبارة عن تحقيق لكتاب تفسير من أهم الكنوز التي تحويها خزائن المخطوطات في المغرب العربي، أن يكون هناك إشارات ملحوظة تأتت من النظر في هذا العمل، وخلاصات توصّلت إليها هذه الدّراسة، من ذلك:

- إن كتاب "الريان في تفسير القرآن"، لمؤلفه محمد بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي، هو من الشروح المتوسطة، إلا أن هذا التفسير ليس بالطويل المملّ، ولا بالموجز المخل، كما أنه من الشروح المتميزة بالمتن، أي التي تعتمد الشرح المزجي، وهي طريقة نهجها القدماء، تحتاج إلى قوة ربط، ليكون السياق في نسق واحد.
- إن مؤلف هذا التفسير رجل عالم متبحّر في علوم شتى، قام بتقديم شرح واف لكتاب الله عزّ وجلّ، ليكون حلقة في سلسلة ذهبية من العلماء، تشرّفت بخدمة كتاب الله تعالى، فهذا الشرح يندرج . ولا شكّ . ضمن تراث المغرب الإسلامي الذي ينبغي المحافظة عليه بتحقيقه ودراسته ونشره، وذلك لربط ماضي المسلمين بحاضرهم.
- إن المؤلّف في هذا التفسير الذي جمع فيه كل هذه المادة العلمية في نسيج واحد متكامل، أثبت سعة اطلاعه وتنوع معارفه وشمولية ثقافته، إذ إنه كان محصلاً لعلوم متعدّدة، فكان له في كل فن سهم، وفي كل علم حظ. والمعلوم أن العالم الموسوعي عندما يؤلف كتابه، فإنه لا يقتصر على الفن الذي ينتسب إليه الكتاب، بل يجد

نفسه يتجول في المعارف المتنوعة، مفسراً وفتياً ومحدثاً وسيراً ومرتجماً ولغوياً ونحوياً ...

● إن اعتماد المؤلف في هذا الكتاب . في غالبه . هو على النقل من بطون كتب أساطين أهل العلم، إما نصاً وإما معنى، مع تذييل وتطويل وتعليق في بعض الأحيان من عنده.

● إن الملاحظ بقوة هو استشهاد المؤلف كثيراً بالقرآن الكريم والحديث الشريف، مع استعراض واستقراء أقوال العلماء في ذلك.

● إن هذا الكتاب . بشكل عام . هو موسوعة علمية متعددة الآفاق العلمية، فهو بستان مليء بالثمار والأزهار.

وإن هذا البحث . بإذن الله . ليس مجرد رقيم يُضاف إلى ورق كثير مطبوع في مستودعات الجامعات والمكاتب، بل هو محاولة جادة لرفع صرح الثقافة الإسلامية، وإزالة الصدأ عن تراث راقٍ لم يأخذ قسطه الذي يستحق في سماء الفنون، فتزاني قمت بعمل بعيد عن الإطناب، ومصون من الإسهاب، هو عبارة عن تحقيق وتخريج وتهذيب وترتيب.

ومع أن بضاعتي مزجاة، ولكن حسبي المحاولة، ولا أزعم أنني جمعت فأوعيت، وشرحت فوفيت، وإنما هو جهد المقل، الذي طلب الجلل، وقد علم أنه لا يقوم بالكل.

تحقيق المخطوط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

الجزء الثاني من كتاب: "الريان في تفسير القرآن"، للبعد الفقير إلى مولاه الغني به عمن سواه، محمد بن محمد سالم بن محمد سعيد المجلسي العلوي الفاطمي الحسيني الإدريسي. [الكامل]¹

الله عَظَّمَ قَدْرَ جَاهِ مُحَمَّدٍ ~ وَأَنَالَهُ فَضْلاً لَدَيْهِ عَظِيماً
في محكم التنزيل قال خلقه: ~ ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾²

سورة النساء

سورة النساء مدنية، مائة وخمس وسبعون آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قال الشيخ سيدي عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي⁴³: "سورة النساء مدنية إلا آية واحدة نزلت بمكة¹ عام الفتح وهي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا

¹ مجهول قائله.

² الأحزاب، 5.

³ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المغربي الجزائري المالكي المفسر، أبو زيد، ولد سنة ست وثمانين وسبعمائة من الهجرة، كان مفسراً من أعيان الجزائر، زار تونس والمشرق، أخذ عن أبي القاسم العبدوسي وحفيد ابن مرزوق والبرزلي والولي العراقي، من مؤلفاته: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، توفي سنة خمس وسبعين وثمانمائة. السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج4، ص152. الزركلي، الأعلام، ج3، ص331. بتصرف.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص411.

أَلَمْ تَنْتَ إِلَى أَهْلِهَا ²، وفي البخاري ³ عن عائشة ⁴ رضي الله عنها أنها قالت: "ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم" ⁵، تعني قد بنى بها. انتهى. قوله: "عام الفتح" هذا لا ينافي أنها مدنية كلها، لأن المراد بالسورة المدنية كل ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة ⁶، كما أن السورة المكية كل ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة، فالشيخ إنما أراد أن يبين المحل الذي نزلت فيه، والله سبحانه أعلم.

¹ مكة: بلد الله الحرام، وهي مدينة في واد والجبال مشرفة عليها من جميع النواحي محيطة حول الكعبة، حارة في الصيف إلا أن ليلها طيب، وعرضها سعة الوادي، وليس بها ماء جار ومياهها من السماء ومن أشهر آبارها زمزم. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص187. بتصرف.

² آل عمران، 58.

³ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، ولد في بخارى سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة، قام برحلة طويلة في الحديث فزار خراسان ومكة والمدينة والعراق ومصر والشام، فكتب عن أكثر من ألف رجل، روى عنه خلق كثير منهم الترمذي وابن أبي الدنيا وابن خزيمة ومسلم في غير صحيحه، من مؤلفاته: الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، التاريخ الكبير، توفي سنة ست وخمسين ومائتين هجرية. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12، ص391. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج2، ص134. بتصرف.

⁴ عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما القرشية المكية، أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم، تزوجها قبل مهاجره بعد وفاة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، روت عن أبيها أبي بكر وعمر وفاطمة وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، روى عنها عمر وابنه عبد الله وأبو هريرة وأبو موسى وعبد الله بن عباس وغيرهم، توفيت سنة ثمان وخمسين، ودفنت بمقبرة البقيع. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص359. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج6، ص188.

⁵ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 66 فضائل القرآن، باب 6 تأليف القرآن، ج9، ص38، 39، رقم4993.

⁶ يثرب: مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب ابن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عييل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طيبة وطابة، كراهية للتثريب، وسميت مدينة الرسول لنزوله بها، ويقال أصل

قال صاحب هذا التفسير: ولما ذكر عز وجل ما لكل فريق بالخصوص، وبَيَّن بعد ذلك لخصوص المؤمنين ما يفوزون به بين ذلك للكافة فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا﴾ اسم مبهم، ونداؤه صلة لنداء ما بعده لامتناع مباشرته بالنداء، والمعنى: يا صنف أو جنس الذي هو الناس أو نحو ذلك، قال في الباب: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ خطاب للكافة، فهو كقوله: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ﴾¹ انتهى. وقال ابن جزي²: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ خطاب على العموم³ انتهى. وقال في الضياء: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ خطاب يعم بني آدم⁴ انتهى. ﴿اتَّقُوا﴾ خافوا ربكم. قال في الباب: "أي احذروا أمر ربكم أن تخالفوه فيما أمركم به أو نهاكم عنه"⁵. أمرهم أن يتقوه، لأنه هو ربهم، ثم بين لهم الحجة على أنه هو ربهم لقوله: ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول صيغ ليتوصل به إلى وصف المعارف بالجملة ﴿خَلَقَكُمْ﴾ اخترعكم وأنشأكم ﴿مِّنْ﴾ ابتدائية ﴿نَفْسٍ﴾ يعني بها آدم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه، وقال: ﴿وَنَجِدْكَ﴾ بالحذف على تأنيث لفظ النفس، قال في الباب: "يعني من أصل واحد، وهو آدم أبو البشر عليه السلام، وإنما أنث الوصف على لفظ النفس، وإن كان المراد به الذكر، فهو كما قال بعضهم: [الوافر]

التثريب للإفساد، وقال آخرون: بل يثرب ناحية من مدينة النبي صلى الله عليه وسلم. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص430. بتصرف.

¹ الأعراف، 26، 27، 31، 35. يس، 60. الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص340.
² ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الكلبي الغرناطي المعروف بابن جزي، له مشاركة في فنون من عربية وفقه وأصوله وأدب، تقدم خطيباً ببلده على حداثة سنه، لازم الحافظ ابن رشيد وقرأ على أبي جعفرين الزبير وغيره، من مؤلفاته: التسهيل لعلوم التنزيل (في التفسير)، الفوائد العامة في لحن العامة، توفي مقتولاً في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من الهجرة. العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج3، ص356. الزركلي، الأعلام، ج5، ص325. بتصرف.

³ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص76.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص162.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص340.

أَبُوكَ خَلِيفَةً وَلَدَتْهُ أُخْرَى ~ وَأَنْتَ خَلِيفَةُ ذَاكَ الْكَمَالِ

وإنما قال: ولدته أخرى، لتأنيث الخليفة¹. انتهى. وفي الآية تنبيه على الصانع وافتتاح الوجوه ﴿وَخَلَقَ﴾ فطر وابتدع ﴿مِنْهَا﴾ ابتدائية، والضمير عائد على النفس ﴿زَوْجَهَا﴾ "يعني حواء بالمد، وذلك أنه تعالى لما خلق آدم ألقى عليه النوم، ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى، وهي القصيرة، فلما استيقظ رآها جالسة عند رأسه، فقال لها: من أنت؟ قالت: امرأة، قال: لم خلقت؟ قالت: لتسكن إلي، فمال إليها وألفها، لأنها خلقت منه²، واختلفوا في أي وقت خلقت حواء، فقال كعب³ ووهب⁴ وابن إسحاق⁵: خلقت قبل دخوله الجنة. وقال ابن مسعود¹ وابن عباس²: خلقت في الجنة بعد دخوله إياها". انتهى. قاله في الباب³.

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 340. أنشد البيت الفراء. ابن منظور، لسان العرب، مادة خ ل ف، ج 9، ص 82.

² ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 1، ص 224.

³ كعب الأحبار، أبو إسحاق كعب بن ماته الحميري التابعي المعروف بكعب الأحبار، كان من أهل اليمن، سكن الشام وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم في خلافة أبي بكر، روى عن النبي مرسلاً وصهيب الرومي وعمر بن الخطاب وخالد بن معدان، توفي في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه. المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج 24، ص 189.

⁴ وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار، وهو الأسوار الإمام، العلامة الأخباري القصصي، أبو عبد الله الأبنائي، اليماني الذماري الصنعاني، أخو همام بن منبه، ومعتل بن منبه، وغيلان بن منبه. مولده في زمن عثمان سنة أربع وثلاثين، ورحل وحج. وأخذ عن ابن عباس، وأبي هريرة. إن صح. وأبي سعيد، وغيرهم. حدث عنه ولداه: عبد الله وعبد الرحمن، وعمرو بن دينار، وخلق سواهم. وروايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب. قال العجلي: تابعي ثقة، كان على قضاء صنعاء. مات سنة عشر ومائة. وقيل: أربع عشرة ومائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 544 وما بعدها، رقم الترجمة 219. بتصرف.

⁵ ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، وقيل: ابن كوثان، العلامة الحافظ الأخباري، أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله القرشي المطلي مولا هم المدني، صاحب السيرة النبوية، رأى أنس بن مالك بالمدينة، وسعيد بن المسيب. وحدث عن: أبيه وعمه موسى بن يسار، وغيرهم كثير. حدث عنه: يزيد بن

وقال الثعالبي: "قال ابن عباس وغيره: خلق الله آدم وحشاً⁴ في الجنة وحده، ثم نام فانتزع الله أحد أضلاعه القصير من شماله، وقيل: من يمينه، فخلق منه حواء. ويعضد هذا الحديث الصحيح⁵ في قوله صلى الله عليه وسلم: <إن المرأة خلقت من ضلع أعوج>⁶ الحديث. انتهى. ﴿وَبَتْ﴾ نشر وأظهر ﴿مِنْهُمَا﴾: "آدم وحواء"، قاله في الباب⁷. وقال الثعالبي: "

أبي حبيب شيخه، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وهما من التابعين وفاقاً، وغيرهم. روى له مسلم في المتابعات واستشهد به البخاري. ولد سنة ثمانين، ومات سنة خمسين ومائة، وقيل غير ذلك. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 7، ص 5533، رقم الترجمة 15. بتصرف.

¹ عبد الله بن مسعود، أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمَخ بن فار ابن مخزوم الهذلي، المكي، المهاجري، البصري، أسلم قديماً وهاجر المجرتين وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وكان صاحب نعليه، ومن السابقين الأولين ومن النجباء العالمين وفقه الأمة، حدث عنه أبو هريرة وابن عباس وابن أنس وغيرهم، وروى عنه القراءة أبو عبد الرحمن السلمي وعبيد بن نضيلة وطائفة، شهد فتوح الشام وسيّره عمر إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم، ومناقبه غزيرة، روى علمًا كثيرًا، وكان معدودًا من أذكى العلماء، توفي بالمدينة، ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين للهجرة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 4، ص 233235. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 1، ص 461. بتصرف.

² عبد الله بن عباس، أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي رضي الله عنه، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، لقب بترجمان القرآن، ودعا له النبي بأن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل، لازم الرسول وروى عنه، وروى عنه مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم كثير، شهد مع عليّ الجمل وصفين، كف بصره في آخر عمره فسكن الطائف وتوفي بها سنة ثمان وستين من الهجرة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 2، ص 230. ابن الأثير، أسد الغابة، ج 3، ص 186.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 340.

⁴ لعل المعنى أنه كان الإنسي الوحيد حينها. ابن منظور، لسان العرب، مادة و ح ش، ج 6، ص 368.

⁵ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 60 أحاديث الأنبياء، باب 1 خلق آدم وذريته، ج 6، ص 363، رقم 3330.

⁶ الثعالبي، الجواهرالحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 411.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 340.

﴿وَبَثَّ﴾ معناه نشر، كقوله تعالى: ﴿كَأَلْفَرَّاشٍ الْمَبْثُوثِ﴾¹ أي المنتشر². انتهى.
وقال السيوطي³: " بث معناه فرق ونشر"⁴. انتهى. ويقال: بثتكَ سري أي نشرته لك،
﴿وَزَرَأِي مَبْثُوثَةٌ﴾⁵ أي متفرقة في مجالسهم ﴿رِجَالًا﴾ بالإثبات، جمع رجل، وهو الذكر من
بني آدم ﴿كَثِيرًا﴾ وصف ﴿رِجَالًا﴾ بـ ﴿كَثِيرًا﴾ لأن فعيلاً يوصف به الجمع والمفرد
﴿وَنِسَاءً﴾ بالمد اسم جمع، والمراد به الإناث من بني آدم، وإنما وصف الرجال بـ ﴿كَثِيرًا﴾
دون النساء، لأن حال الرجال أكمل وأتم، وهذا كالتنبيه على أن اللائق بحال الرجال الظهور
والاشتهار، وبحال النساء الاختفاء والخمول. انظر الباب⁶. وقال في الضياء: "إن حواء ولدت
لآدم أربعين ولدًا في عشرين بطنًا، في كل بطن ذكر وأنثى"⁷، ﴿وَاتَّقُوا﴾ أيها الناس
﴿اللَّهَ﴾ قال في الباب: " إنما ذكر التقوى للتأكيد، وأنه أهل لأن يتقى"⁸ انتهى. ﴿الَّذِي
تَسَاءَلُونَ﴾ بالإثبات ﴿بِهِ﴾ الضمير عائد على ﴿اللَّهِ﴾، وقوله: ﴿تَسَاءَلُونَ﴾ فيه إدغام

¹ القارعة، 4.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 411.

³ السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد المصري الشافعي المعروف
بالسيوطي، ولد سنة تسع وأربعين وثمانمائة للهجرة، نشأ يتيماً وحفظ القرآن وهو ابن ثماني سنين، تنقل في
بعض مدن مصر لتحصيل العلم وسافر لأجل ذلك إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب وغيرها،
كان حافظاً فقيهاً مفسراً وعالماً بالنحو وأصول الفقه وغير ذلك من العلوم إلا علم الحساب فكان عسيراً
عليه، أخذ عن علم الدين البلقيني والكافيجي وغيرهم، صنّف في علوم شتى حتى بلغت تصانيفه أكثر من
خمسائة مصنّف منها: الدر المنثور في التفسير المأثور، الآلء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تدريب
الراوي في شرح تقريب النووي. السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج 4، ص 7065.

⁴ السيوطي، تفسير الجلالين، ص 97.

⁵ الغاشية، 16.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 341.

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 162.

⁸ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 341.

التاء في الأصل في السين، وقرأ عاصم¹ وحمزة² والكسائي³ بتخفيف السين وحذف إحدى التاءين، ومعنى ﴿تَسَاءَلُونَ﴾ على قراءة الأربعة والثلاثة: تتعاطفون، وقد علمته أن أصله "تتساءلون" وهو على بابهِ من التفاعل، أي يسأل بعضهم بعضًا، نحو: أسألك بالله وأحلف عليك بالله وأستشفع إليك بالله ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالإثبات، جمع رحم، وهو في الأصل مستقر الولد من البطن، والمراد به القرابة. قال البغوي⁴: "قراءة العامة بالنصب¹، أي واتقوا الأرحام"

¹ أبو بكر عاصم الكوفي الحنط، شيخ الإقراء بالكوفة وأحد القراء السبعة، وهو الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي في موضعه، جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان من التابعين، روى عن أبي رُمَّة رفاعة ابن يثري التميمي والحارث بن حسان البكري، وكانت لهما صحبة، أخذ القراءة عرضاً على زر بن حُبَيْش وأبي عبد الرحمن السلمي، روى القراءة عنه: أبان بن تغلب وإسماعيل بن مخلد والحسن بن صالح وحفص بن سليمان أبو بكر شعبة بن عياش والمفضل بن محمد. توفي آخر سنة سبع وعشرين ومائة للهجرة، وقيل غير ذلك. الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ج1، ص94.88. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص349346. بتصرف.

² حمزة القارئ، حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، التيمي، الزيات. أحد القراء السبعة. كان من موالي التميم فنسب إليهم. وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان (في أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل) ويجلب الجبن والجوز إلى الكوفة. ومات بحلوان. كان عالماً بالقراءات، انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول. ولد سنة 80هـ، وتوفي سنة 156هـ. . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص90، 91. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2، ص216. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص24. الزركلي، الأعلام، ج2، ص277. بتصرف.

³ الكسائي، أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الملقب بالكسائي لكسائه أحرم فيه، كان شيخ القراء والعربية، تلا على ابن أبي ليلى عرضاً وعلى حمزة بن حبيب الزيات، حدّث عن جعفر الصادق والأعمش، تلا عليه أبوعمر الدوري وأبو الحارث الليث وقتيبة بن مهران وغيرهم، اختار قراءة اشتهرت وصارت إحدى السبع، جالس في النحو الخليل، توفي سنة تسع وثمانين ومائة من الهجرة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، ص134.131. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص24. بتصرف.

⁴ البغوي، ركن الدين أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، الملقب محيي السنة، كان محدثاً فقيهاً مفسراً جامعاً بين العلم والعمل، تفقه على القاضي حسين وهو أخص تلاميذه، وسمع الحديث من أبي بكر يعقوب بن أحمد الصيرفي وغيره، روى عنه أبو منصور محمد بن أسعد العطاري المعروف بحفدة، وأبو

واتقوا الأرحام" أن تقطعوها، وقراءة حمزة بالخفض أي تساءلون به بالأرحام، والقراءة الثانية جارية على القليل في كلام العرب من عدم إعادة الخافض في العطف على الضمير المخفوض. وقال في اللباب: "قرئ بفتح الميم، ومعناه: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وقرئ بكسر الميم، فهو كقولك: سألتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم، لأن العرب كان من عادتهم أن يقولوا ذلك، والرحم القرابة، وإنما استعير الرحم للقرابة، لأنهم خرجوا من رحم واحدة، وفي الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها، ويدل على ذلك أيضاً الأحاديث الواردة في ذلك، روى البخاري² ومسلم³ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: >الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله<". وروى البخاري¹ ومسلم² عن أنس³ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

الفتح محمد بن محمد الطائي، وآخرون. من مؤلفاته: معالم التنزيل في التفسير والتأويل، شرح السنة، مصابيح السنة، توفي سنة ست عشرة وخمسمائة هجرية بمرور الرُّود، وبها كانت إقامته، ودفن عند شيخه القاضي حسين. تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج7، ص8075. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص136، 137.

¹ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص24.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 78 الأدب، باب 13 من وصل وصله الله، ج10، ص417، رقم5989، (بنحوه).

³ مسلم بن الحجاج، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، رحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، أخذ عن البخاري أصحاب الصحيح والقعني وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل وحرمة ابن يحيى وخلق كثير، روى عن أبي عيسى الترمذي صاحب السنن وصالح بن محمد جزرة وعبد الله بن يحيى القاضي وغيرهم، من مؤلفاته: صحيح مسلم، الأفراد والوحدان، توفي سنة إحدى وستين ومائتين للهجرة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12، ص557. بتصرف. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 45 البر والصلة ولآداب، باب 6 صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ج4، ص1981، رقم2555.

قال: <من سره أن يبسط عليه رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه>⁴، قوله: <في أثره> قال في شرح الغريين⁵: "أي في أجله، وسمي الأجل أثرًا، لأنه يتبع العمر، قال سيدنا كعب بن زهير⁶ رضي الله عنه: [البسيط]⁷

يَسْعَى الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ يُدْرِكُهَا ~ وَالنَّفْسُ وَاحِدَةٌ وَالْهَمُّ مَتَشَرُّ

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 78 الأدب، باب 12 من بسط له في الرزق بصلة الرحم، ج 10، ص 415، رقم 5986.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب 45 البر والصلة والآداب، باب 6 صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ج 4، ص 1982، رقم 2557.

³ أنس بن مالك بن النضر بن ضَمَضَم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غَنَم بن عَدِي بن النجار، الإمام، التقى، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى عن النبي عليه الصلاة والسلام علمًا جمًّا، وعن أبي بكر وعمر وعثمان ومعاذ، وأسيد بن الحضير، وأبي طلحة وغيرهم، وروى عنه خلق عظيم، منهم: الحسن، وابن سيرين، والشعبي، وأبو قلابة ومكحول وعمر بن عبد العزيز وآخرون، وقال ثابت البناني: قال أبو هريرة: ما رأيت أحدًا أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أمِّ سُلَيْم، يعني أنسًا، مسنده: ألفان ومائتان وستة وثمانون حديثًا، وتوفي سنة 93هـ عن عمر يناهز 103 سنوات. العسقلاني، الإصابة، ج 1، ص 128.126. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 207.202، رقم الترجمة 420. بتصرف.

⁴ هنا انتهى كلام الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 341.

⁵ أبو عبيد القاسم بن سلام، الغريين في القرآن والحديث، ج 1، ص 45، 46.

⁶ كعب بن زهير بن أبي سلمة المازني، أبو المضرب وأبو عقبة، شاعر مخضرم من أهل نجد اشتهر في الجاهلية، ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلم وشبَّ بنساء المسلمين، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه، فجاءه أخوه بجير يطلب الأمان له، فأسلم كعب، وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته وهو في المسجد: [البسيط]

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

فأمنه النبي صلى الله عليه وسلم. عدّه ابن سلام الجمحي في الطبقة الثانية من الشعراء الجاهليين. مجهول الولادة، وتوفي سنة 26هـ. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 5، ص 592. عزيزة فوال بابي، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، ص 393. بتصرف.

⁷ السهيلي، الروض الأنف، ج 2، ص 552.

والمرء ما عاش ممدوداً له أمرٌ ~ لا ينتهي العمرُ حتى ينتهي الأثر¹

انتهى. وعن جبير بن مطعم² أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: > لا يدخل الجنة قاطع³، قال سفيان⁴ في روايته: "يعني قاطع رحم"⁵. وعن الحسن⁶ قال: "من سألك بالله فأعطه". وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: "الرحم معلقة بالعرش، فإذا أتاها الواصل بشئت به وكلمته، وإن أتاها القاطع احتجبت عنه"⁷. انتهى .

¹ هنا أعاد النقل عن الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص341.

² جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، أبو محمد، ويقال: أبو عدي، القرشي النوفلي، من الطلقاء الذين حسن إسلامهم، قدم المدينة في فداء الأسارى من قومه، كان موصوفاً بالحلم وُبل الرأي، وله رواية الحديث، روى عنه: ولداه الفقيهان محمد ونافع وسليمان بن صرد وسعيد بن المسيب وغيرهم، توفي بالمدينة سنة تسع وخمسين للهجرة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص462. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص ص99. بتصرف.

³

⁴ سفيان الثوري، ابن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة، وفي أجداده ثور فُنسب إليه، شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوري، الكوفي المجتهد، مصنف كتاب "الجامع"، ولد سنة 97هـ. كان والده من أصحاب الشعبي، وخيشمة بن عبد الرحمن فتلقى علومًا نافعة في مجالات شتى، ووصل عدد شيوخه إلى 600 شيخ، وأما الرواة عنه فبالألف. وقال شعبة وابن عُيينة وغيرهم: سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث. توفي سنة 126 هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص156. رقم الترجمة 1218. بتصرف.

⁵ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 45 البر والصلة والآداب، باب 6 صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ج4، ص1981، رقم 18/2556.

⁶ الحسن البصري، الحسن بن أبي الحسن يسار البصري التابعي، ولد بالمدينة المنورة وسكن البصرة، وكان شيخ أهل البصرة في زمانه ومن كبار العلماء والشجعان والفصحاء ثقة حجة عالمًا فقيهاً جميلاً، روى عن عمران بن الحصين والمغيرة بن شعبة وابن عباس وآخرون، روى عنه ثابت البناني وأيوب وابن عون وحميد الطويل ويونس بن عبيد وغيرهم، توفي في البصرة سنة عشر ومائة. العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج2، ص231. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص588. بتصرف.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص341.

واعلم أن صلة الرحم واجبة كتاباً وسنة وإجماعاً، قاله النفراوي¹. وقال في الضياء: "واتفقت الأمة على أن صلة ذوي الأرحام واجبة، وأن قطعها محرم، قاله ابن العربي في الأحكام"². وقال البيضاوي³: "وقد نبّه سبحانه إذ قرن الأرحام باسمه على أن قطعها بمكان منه"⁴. انتهى. ومن الكبائر قطيعة الرحم، وهي فعلية من القطع عند الوصل، والرحم القرابة من جهة الأب والأم، فلا تقيد بمحرمية هذا إذا حصل القطع بالإساءة أو بالمجر إما بترك الإحسان، فالأقرب كما قال العراقي⁵ بأن ليست بكبيرة ولا صغيرة، ويحتمل أن تكون صغيرة في بعض الأحوال، والوصل يحصل بالزيارة وإرسال السلام والإحسان والمكاتبة ونحو ذلك، انظر الشريبي⁶، وقال في الإكمال⁷: "الرحم التي توصل وتقطع معنى من المعاني لا جسم، وإنما هي قرابة واتصال مخصوص، والمعاني لا توصف بقيام ولا كلام، وإذا مقامها وتعليقها ضرب مثل واستعارة على مجازات العرب، قال: ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة على الجملة، وقطيعتها كبيرة، ولكن الصلة درجات أدناها ترك المهاجرة، وليس من لم يبلغ أقصى الصلة يسمى قاطعاً، ولا من قصر عما ينبغي ويقدر عليه يسمى واصلاً، وجاء في الأثر: "إن الله يسأل عن الرحم ولو

¹ النفراوي، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهرى المالكي، فقيه من بلدة نفري من أعمال قويسنا بمصر. نشأ بها وتفقّه وتأدّب وتوفي بالقاهرة، له كتب، منها: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، في فقه المالكية، ورسالة في التعليق على البسملة، وشرح الرسالة النورية للشيخ نوري الصفافسي. توفي سنة 1126هـ. الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 192. بتصرف. النفراوي، الفواكه الدواني، ج 2، ص 386. بتصرف.

² ابن العربي، أحكام القرآن، ج 1، ص 307.

³ البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي القاضي الشافعي، ولد في المدينة البيضاء بفاس قرب شيراز، كان مفسراً عالم أذريجان وشيخ تلك الناحية، ولي قضاء شيراز، له مصنفات عديدة، منها: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (في التفسير)، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول، توفي سنة خمس وثمانين وستمائة من الهجرة. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 5، ص 393، 392.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 162.

⁵ لم أعثر عليه.

⁶ الشريبي، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ج 2، ص 523.

⁷ لم أعثر عليه.

بأربعين"¹. والرحم المأمور بصلتها على وجهين: عامة وخاصة، فالعامة رحم الدين، وتجب المحبة لأهله، والنصرة لهم، وترك مضارقتهم، والعدل بينهم، والنصفة في معاملتهم، والقيام بحقوقهم، كتمريض المرضى، والصلاة عليهم ودفنهم، وغير ذلك، وأما الخاصة فتجب لهم الحقوق العامة، وزيادة عليها، وهذا بحكم القدرة على الصلة والحاجة إليها، وتتأكد في حقهم حقوق العامة، حتى إذا تراخمت الحقوق بدئ الأقرب فالأقرب، نقله خطاب² في حاشيته على الرسالة. وروى البخاري³ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: <ليس الواصل بالمكافي، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها>. ولما حثهم على التقوى خوفهم من تركه، فقال جل من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ أكد بالاستئناف وبأن المكسورة ﴿كَانَ﴾ أي لم يزل ﴿عَلَيْكُمْ﴾ متعلق بقوله: ﴿رَقِيبًا﴾ فاصلة الآية الأولى من سورة النساء، أي حافظًا لا يغيب عنه شيء من أمر خلقه، فبين بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ لأنه يعلم السر وأخفى، وإذا كان كذلك فهو جدير بأن يخاف ويتقى. وقيل: إن الرقيب هو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل، وتحصل عنده من كلام غير واحد أن الرقيب جامع لمعنيين، أحدهما أنه مطلع على جميع ما يصدر من العباد، ثانيهما أنه سبحانه حافظ عليهم جميع ذلك، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾⁴ وَيَقُولُونَ يَوْمَ لَنَّا مَالِ هَذَا

¹ لم أعثر عليه.

² الخطاب المالكي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني المعروف بالخطاب، فقيه مالكي، أصله من المغرب، ولد بمكة سنة اثنتين وتسعمائة للهجرة، أخذ الفقه وغيره عن جماعة كوالده الخطاب الكبير وأحمد ابن عبد الغفار ومحمد بن عراق وروى عن النويري والعز عبد العزيز ابن فهد، وأخذ عنه ولده يحيى الخطاب ومحمد الفلاني وعبد الرحمن التاجوري ومحمد القيسي، من مؤلفاته: قرّة العين بشرح وركات إمام الحرمين، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل. توفي في طرابلس الغرب سنة أربع وخمسمائة وتسعمائة. التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص592. الزركلي، الأعلام، ج7، ص58. بتصرف.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 78 الأدب، باب 15 ليس الواصل بالمكافي، ج10، ص423، رقم5991.

⁴ ق، 18.

أَلَكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا¹، وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، "ضرب من الوعد" انظر الثعالبي². وقال ابن جزري: "إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة، وهو مقام شريف، أصله علم وحال، ثم يثمر حالين، أما العلم فهو معرفة العبد بأن الله مطلع عليه، ناظر إليه، يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم كل ما يخطر على باله، وأما الحال فهو ملازمة هذا العلم للقلب، بحيث يغلب عليه، ولا يغفل، ولا يكفي العلم دون هذه الحال، فإذا حصل العلم والحال كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين الحياء من الله، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي والجلد في الطاعة، وكانت ثمرتهما عند المقربين المشاهدة³ التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال، وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: <الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك>⁴، فقوله: <أن تعبد الله كأنك تراه> إشارة إلى الثمرة الثانية، وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم، كمن يشاهد ملكًا عظيمًا، فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة، وقوله: <فإن لم تكن تراه فإنه يراك> إشارة إلى الثمرة الأولى، ومعناه: إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقربين، فاعلم أنه يراك، فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين، فلما فسر الإحسان أول مرة بالمقام الأعلى، رأى أن كثيرًا من الناس قد يعجزون عنه، نزل عنه إلى المقام الآخر، وأعلم أن المراقبة لا تستقيم حتى يتقدم قبلها المشاركة والمراقبة، ويتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة، فأما المشاركة فهي اشتراط العبد على نفسه التزام الطاعة وترك المعاصي، وأما المراقبة فهي معاهدة العبد لربه على ذلك، ثم بعد المشاركة والمراقبة في أول الأمر تكون المراقبة إلى آخره، وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه ربه، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عاهد عليه ربه حمد الله، وإن وجد نفسه قد حل عقد المشاركة ونقض عهد المراقبة عاقب النفس عقابًا يزجرها عن العودة إلى مثل ذلك، ثم عاد إلى المشاركة والمراقبة وحافظ

¹ الكهف، 49.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص412.

³ في التسهيل: "الشهادة".

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 2 الإيمان، باب 37 سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان، ج1، ص114، رقم50.

على المراقبة ثم اختبر بالمحاسبة، فهكذا يكون إلى أن يلقي الله تعالى¹. انتهى. وقال الثعالبي: "قال المحاسبي²: سألت أبا جعفر محمد بن موسى، قلت: أجمل حالات العارفين ما هي؟ قال: الحالة المحمودة التي تجمع لك الحالات المحمودة كلها في حالة واحدة هي المراقبة، فالزم نفسك وقلبك دوام العلم، فنظر³ الله إليك في حركتك وسكونك وجميع أحوالك بأنك⁴ بعين⁵ الله عز وجل في جميع تقلباتك، وإنك في قبضته حيث كنت، وأن عين الله على قلبك، وناظرة⁶ إلى شرك وعلايتك، فهذه الصفة لمن ليس له قسط⁷ تجري منه السواقي والأنهار وتجري فيه السفن إلى معادن الغنيمه". انتهى من كتاب القصد إلى الله تعالى⁸. انتهى. ولما كان رعي أمور اليتامى والعدل في نكاح النساء وفي الموارث والوصايا وما يتصل بذلك من صلة الأرحام التي أمر الله بها في قوله والأرحام أتبعه بها فقال: ﴿وَأَتُوا﴾ أعطوا ﴿الْيَتَامَى﴾ بالحذف، جمع يتيم، وهو الذي مات أبوه، وحقيقة اليتيم في الصغر، ولا يتم بعد البلوغ، ويتجاوز فيه بأن يطلق عليه اليتيم بعد البلوغ باعتبار ما كان قبل بلوغه ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ بالحذف. قال ابن جزري: "خطاب للأوصياء، وقيل: للعرب الذين لا يورثون الصغير مع الكبير، فأمرُوا أن يورثوهم، وعلى القول بأن الخطاب للأوصياء، فالمراد أن يعطوا لليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم، فيكون اليتيم على هذا حقيقة"⁹. والحاصل أنه فسر قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى﴾

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص412.

² الحارث المحاسبي، أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، ولد ونشأ بالبصرة، كان عالماً بالأصول واعظاً زاهداً، من مؤلفاته: الرعاية لحقوق الله عز وجل، التوهم، توفي ببغداد سنة ثلاث عشرة ومائتين من الهجرة. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2، ص57.

³ في الثعالبي: "بنظر".

⁴ في الثعالبي: "فإنك".

⁵ بمراً منا وعلمنا وحفظنا. الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج3، ص229، 230.

⁶ في الثعالبي: "ناظر".

⁷ في الثعالبي: "شط بحر".

⁸ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص412.

⁹ ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص177.

أَمْوَالَهُمْ ﷺ بأن الخطاب فيه لمن كانت عادته من العرب أن لا يورث الصغير، فأمرُوا أن يورثوهم، قاله ابن زيد¹. وعلى هذا فالآية نزلت في رجل من غطفان² كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم كان في حجره، فلما بلغ اليتيم طلب المال الذي له، فمنعه عمه، فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت الآية، فلما سمعها العم قال: أطعنا الله وأطعنا الرسول، نعوذ بالله من الحوب³ الكبير، ودفع إلى اليتيم ماله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: <من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره>، يعني جنته، فلما قبض الصبي ماله أنفقه في سبيل الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: <ثبت الأجر وبقي الوزر> قال: ثبت الأجر للغلام، وبقي الوزر على والده⁴. وفسر أيضًا بأنه خطاب للأولياء، وعليه فإن أريد باليتيم حقيقته فمعناه ادفعوا إليهم من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم، وإن أريد باليتيم البالغ

¹ ابن زيد، عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني، أخو أسامة وعبد الله، كان صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرًا قي مجلد وكتائبًا في الناسخ والمنسوخ، حدث عن أبيه وابن المنكر، روى عنه أصبغ وقتيبة وهشام بن عمار وآخرون، ضعفه الذهبي وغيره، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص349. بتصرف.

² عدنان: أحد من تقف عندهم أنساب العرب. والمؤرخون متفقون على أنه من أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. وإلى عدنان ينتسب معظم أهل الحجاز. ولد له "معد"، وولد لمعد "نزار"، ومن نزار "ربيعة"، وكثرت بطون هذين، فكان من ربيعة: بنو أسد، وعبد القيس، وعنزة، وبكر، وتغلب، ووائل، والأرقام، والدؤل، وغيرهم كثيرون. وتشعبت قبائل مضر شعبتين عظيمتين: قيس عيلان بن مضر، وإلياس بن مضر. فمن قيس عيلان: غطفان، وسليم. ومن غطفان: بغيض، عبس، وذبيان، وما يتفرع منهم. ومن سليم: بھة، وهوازن. وأما إلياس فمن بني: تميم، وهذيل، وأسد، وبطون كنانة، ومن كنانة: قريش. وانقسمت قريش فكان منها: جمح، وسهم، وعدي، ومخزوم، وتيم، وزهرة، وعبد الدار، وأسد بن عبد العزى، وعبد مناف. وكان من عبد مناف: عبد شمس، ونوفل، والمطلب، وهاشم. ومن هاشم: رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباسيون. ومن عبد شمس: بنو أمية. وانتشرت بطون عدنان في أنحاء الحجاز وقحطان ونجد والعراق، ثم اليمن. وعدنان مجهول الولادة والوفاة. القلقشندي، نهاية الأرب، ج1، ص118. الزركلي، الأعلام، ج4، ص218. بتصرف.

³ الحوب: الحاجة. ابن منظور، لسان العرب، مادة ح و ب، ج1، ص337.

⁴ ذكره الواحدي دون إسناد، أسباب النزول، ص104، 105.

باعتبار ما كان عليه قبل البلوغ، فمعه ادفعوا إليهم جميع أموالهم. وقد قيل بكل، وعلى هذا القول الأخير يقيد بالرشد، كما قال الله عز وجل فيما يأتي: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ زُجْءًا فَأَدْعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾، والله تعالى أعلم. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ أي تستبدلوا ﴿الْخَبِيثَ﴾ الحرام ﴿بِالطَّيِّبِ﴾ الحلال، يقول الله تعالى لا تأخذوا الحرام وتتركوا الطيب، كأن يأخذ مال اليتيم الجيد ويترك لليتيم رديه. قال في اللباب: "واختلفوا في هذا التبديل، فقال¹ سعيد بن المسيب² والنخعي³ والزهري⁴ والسدي⁵: كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم، ويجعلون

¹ أورد هذه الأقوال عنهم ابن جرير في تفسيره، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج4، ص229.

² سعيد بن المسيب، أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن وهب بن عمرو بن عائذ، التابعي القرشي المخزومي عالم المدينة، ولد لستين مضتاً من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقيل: لأربع مضت مننها بالمدينة، رأى عمر وسمع عثمان وعلياً وزيد بن ثابت وعائشة وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم، روى عنه إدريس بن صبيح وإسماعيل بن أمية وعبد الرحمن بن حميد وعطاء الخراساني وعمرو بن شعيب، توفي سنة أربع وتسعين للهجرة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص217، 246. بتصرف.

³ النخعي، أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي اليماني ثم الكوفي، أحد الأعلام وفقهه العراق، روى عن مسروق وعلقمة بن قيس وعبيدة السلماني والقاضي شريح وعبيد بن نضيلة وآخرون، روى عنه الشعبي ومنصور والمغيرة بن مقسم والأعمش وغيرهم من التابعين، توفي سنة ست وسبعين من الهجرة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص528. بتصرف.

⁴ الزهري، أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري المدني نزيل الشام، كان ثقة جليلاً حافظ زمانه، روى عن سهل بن سعد وأنس بن مالك ولقيه بدمشق والسائب ابن يزيد وأبي الطفيل عامر وأبي أمية بن سهل وغيرهم، حدث عنه عطاء بن أبي رباح وهو أكبر منه وعمر بن عبد العزيز ومات قبله ببضع وعشرين سنة وعمرو بن دينار وعمرو بن شعيب وقتادة بن دعامة زيد بن أسلم وغيرهم، توفي سنة أربع وعشرين ومائة للهجرة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص350. بتصرف.

⁵ السدي الصغير، محمد بن مروان بن عبد الله السدي الأصغر الكوفي، متهم بالكذب، قال النسائي: متروك الحديث، وقال صالح بن محمد: كان يضع الحديث، روى عن الأعمش ومحمد بن السائب الكلبي صاحب التفسير، وروى عنه ابنه علي والأصمعي وصالح بن محمد الترمذي. العسقلاني، تهذيب تهذيب، ج9، ص387. المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج26، ص392. بتصرف.

مكانه الردي، فرمما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينه، ويجعل مكانها المهزولة، ويأخذ الدرهم الجيد من مال اليتيم، ويجعل مكانه الزائف، ويقول: شاة بشاة، ودرهم بدرهم، فذلك تبدلهم فنهوا عنه. وقال عطاء¹: هو الربح في مال اليتيم وهو صغير لا علم له بذلك، وقيل: إنه ليس بإبدال حقيقة، وإنما هو أخذه مستهلكاً، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار، وإنما كان يأخذ المال الأكابر من الرجال، وهذا وقيل: بدل هذا هو أكل مال اليتيم عوضاً عن أكل أموالهم، فنهوا عن ذلك². انتهى. ونحوه لابن جزى³، والتفسير الأول لغير

واحد ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾ بالإثبات ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ بالحذف، أي أموال اليتامى ﴿إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ بالحذف، قال ابن جزى: "وإنما تعدى الفعل بإلى لأنه تضمن معنى الجمع والضم، وقيل: ﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى مع"⁴. انتهى. وقال في الباب: "واعلم أن الله تعالى نهي عن أكل مال اليتيم، وأراد به جميع التصرفات المهلكة للمال، وإنما ذكر الأكل، لأنه معظم المقصود"⁵. انتهى. ﴿إِنَّهُ﴾ أي أكل أموال اليتامى ﴿كَانَ﴾، قال صاحب هذا التفسير: الظاهر أنه أتى بـ ﴿كَانَ﴾ ليفيد أن هذا أمر قد تعذر في جميع الشرائع، والله سبحانه أعلم ﴿حُوبًا﴾ أي ذنباً، خبر كان، واسمها ضمير يعود على الأكل ﴿كَبِيرًا﴾ عظيمًا، فاصلة الآية الثانية، وقرئ

¹ عطاء بن أبي رباح أسلم، الإمام، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم، المكي، نشأ بمكة، حدث عن: عائشة، وأم سلمة، وأم هانئ، وأبي هريرة، وابن عباس، وحكيم بن حزام، ورافع بن خديج، وعدة من الصحابة، وقد أدرك مائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحدث عنه: مجاهد بن جبر، وأبو إسحاق السبيعي، وأبو الزبير، وعمرو بن دينار، والزهري، وقتادة وغيرهم كثير. كان ثقة، فقيهاً، عالماً، كثير الحديث، وعن أبي جعفر قال: خذوا من عطاء ما استطعتم، وقال أبو حازم الأعرج: فاق عطاء أهل مكة في الفتوى، توفي سنة خمس عشرة ومائة للهجرة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص887. بتصرف.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص342.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص177.

⁴ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص177.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص342.

﴿حُوبًا﴾ بالفتح مصدر حاب، ثم قال في اللباب: "يعني أن أكل مال اليتيم بغير حق إثم عظيم". انتهى. ويقال للإثم: حوب وحبوب وحبوبة. ومنه الحديث: >رب تقبل توبتي واغسل حوبتي<¹، وفي الحديث: أن رجلاً سأله عليه السلام الإذن في الجهاد فقال: >ألك حوبة؟< قال: نعم². يعني ما يأثم به إن ضيعه من حرفة³. قاله في الغريبين⁴. وقال الثعالبي: "يحب الرجل إذا ألقى الحوب عن نفسه، وكذلك تحنث وتأثم وتخرج، فهذه الأربعة بخلاف تفعل كله، لأن تفعل معناه الدخول في الشيء، كتعبّد وتكسب"⁵. انتهى. ويقال أيضاً: تهجد ترك المجود، والله تعالى أعلم. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَلَّا﴾ بالوصل ﴿نُقْسِطُوا﴾ تعدلوا، يقال: أقسط إذا عدل، وقسط إذا جار ﴿فِي﴾ أمور ﴿الْيَتَامَى﴾ بالحذف، وجواب الشرط محذوف، أي وإن خفتم عدم العدل في أمور اليتامى فتخرجتم من ولايتهم فخافوا ألا تعدلوا في أمور النساء. قال السيوطي: "ولما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ فتخرجوا من ولاية اليتامى، وكان فيهم من تحته العشر أو الثماني من الأزواج، فلا يعدل بينهم فنزل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ فتخرجتم من أمرهم، فخافوا أيضاً ألا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن"⁶. انتهى. وهذا التفسير هو لسعيد بن جبير⁷ وقتادة¹ والضحاك²

¹ رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 49 الدعوات، باب 103 في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، ج5، ص518، رقم3551. قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

² عبد الرزاق الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، ج5، ص175، رقم9286.

³ في غريب الحديث: "حرمة".

⁴ أبو عبيد القاسم بن سلام، غريب الحديث، ج2، ص20.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص412.

⁶ السيوطي، تفسير الجلالين، ص97.

⁷ سعيد بن جبير بن هشام، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي مولا هم الكوفي، كان عالماً جليلاً من سادات التابعين، روى عن ابن عباس فأكثر، وعن عبد الله بن مغفل وعائشة وعدي بن حاتم وأبي موسى الأشعري وغيرهم من الصحابة، وروى عن التابعين مثل أبي عبد الرحمن السلمي، وحدث عنه أبو صالح السمان وآدم ابن سليمان وأيوب السخيتاني وأشعث وحبيب بن أبي ثابت والأعمش وغيرهم، ذهب إلى

والسدي، وقيل: الخطاب لأولياء اليتامى، والكلام في اليتيمات، أي وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا فيهن إذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن. قاله في الباب³. قال صاحب هذا التفسير: وعلى هذا فجواب الشرط هو قوله عز وجل: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾. وقال الحسن⁴: "كان الرجل من أهل المدينة يكون عنده الأيتام، وفيهن من يحل له نكاحها، فيتزوجها لأجل مالها، وهي لا تعجبه، كراهة أن يدخل غريب فيشاركه في مالها، ثم يسيء صحبتها، ويتربص بها أن تموت فيرثها، فعاب الله ذلك، وأنزل هذه الآية". وهذان تفسيران الثالث تفسير مجاهد⁵ ومعناه: إن تخرجتم من ولاية اليتامى وأموالهم إيماناً، فكذلك

أصبهان ومكة فقبض عليه واليها خالد الفسري، وأرسله إلى الحجاج فقتله بواسط سنة خمس وتسعين للهجرة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص343. بتصرف.

¹ قتادة بن دعام بن قتادة بن عزيز، وقيل: قتادة بن دعام بن عكابة، حافظ العصر، وقدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الضرير، الأكمه، مولده سنة 60هـ، روى عن عبد الله ابن سرجيس، وأنس بن مالك، وأبو الطفيل الكنائي، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية رضيع الرياحي، وغيرهم، وكان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، روى عنه أئمة الإسلام: أيوب السخيتاني، وابن أبي عروبة، ومعمّر بن راشد، والأوزاعي، ومسنر بن كدام وأمّ سواهم، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فإنه مدّس معروف بذلك، وقيل للزهري: أقتادة أعلم عندكم أم مكحول؟ قال: لا، بل قتادة، ما كان عند مكحول إلا شيء يسير. توفي سنة 118هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص283. بتصرف.

² الضحاك (صاحب التفسير)، الضحاك بن مزاحم، أبو محمد الهلالي وقيل أبو القاسم صاحب التفسير، حدّث عن ابن عباس ولم يلقه على قول بعضهم وعن أبي سعيد الخدري وابن عمر وطاووس وغيرهم، حدّث عنه جوير بن سعيد ومقاتل وأبو جناب الكلبي وعمارة بن أبي حفصة وغيرهم، وثقه أحمد وغيره وضعفه يحيى القطان، كان يدور على الصبيان يعلمهم، توفي سنة اثنتين ومائة للهجرة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص600. بتصرف.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص342.

⁴ المراد الحسن البصري رضي الله عنه، ولم أعر على القول.

⁵ مجاهد بن جبر، المكي الأسود شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج، كان من ثقة التابعين فقيهاً عالماً كثير الحديث، روى عن ابن عباس فأكثر وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، وروى عن أبي هريرة وعائشة وسعد

تخرجوا من الزنى فانكحوا النساء الحلال نكاحاً طيباً". انتهى. الرابع تفسير عكرمة¹ في روايته عن ابن عباس: "كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء أو أكثر، فإذا صار معدداً من مؤن نسائه، مال إلى مال يتيمه الذي في حجره أنفقه، فقيل لهم: لا تزيدوا على أربع حتى لا يحوجكم إلى أخذ أموال اليتامى". انتهى. وقد مرّ التفسير الثاني، ومن أهله عائشة رضي الله تعالى عنها، روى البخاري² ومسلم³ عن عروة بن الزبير⁴ أنه سأل عائشة رضي الله تعالى عنها عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ قالت: "هي أن اليتيمة في حجر وليها، فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة نسائها، فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء"، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: "فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، فأنزل الله

بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وابن عمر وغيرهم، تلا عليه جماعة، منهم: ابن كثير الداري وأبو عمرو بن العلاء وابن محيصن، حدث عنه عكرمة وطاووس وعطاء، وهم من أقرانه وعمرو بن دينار وأبو الزبير والأعمش ومنصور بن المعتمر وغيرهم، اختلف في سنة وفاته، فقيل: اثنتين ومائة للهجرة، وقيل: ثلاث وأربع وسبع وثمان. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص457.449. بتصرف.

¹ عكرمة، العلامة، الحافظ، المفسر، أبو عبد الله القرشي مولاهم، المدني، البربري الأصل، كان لخصين ابن أبي الحرّ العنبري، فوهبه لابن عباس، حدث عن ابن عباس، وعائشة، وغيرهما، وحدث عنه: إبراهيم النخعي والشعبي، وغيرهم. وكان يفتي على باب ابن عباس، وابن عباس في الدار، وقد أجازته بالفتوى، برأه أحمد العجلي فقال عنه: مكّي، تابعي، بريء مما يرميه به الناس من الحرورية، وقال البخاري: ليس أحد من أصحابنا إلا وهو يحتج بعكرمة. توفي سنة 105. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص20، رقم الترجمة 759. بتصرف.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 47 الشركة، باب 7 شركة اليتيم وأهل الميراث، ج5، ص133، رقم2494.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 54 التفسير (أوله)، ج4، ص2313، 2314، رقم3018.

⁴ عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية، الإمام، عالم المدينة، أبو عبد الله القرشي، الأسدي، المدني، الفقيه، أحد الفقهاء السبعة، ولد سنة 23هـ، قال العجلي عنه: تابعي، ثقة، رجل صالح، لم يدخل في شيء من الفتن، وتوفي سنة 93هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص557. 565، رقم الترجمة 671. بتصرف.

تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾، فبين الله لهم في هذه الآية: اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في إكمال الصداق، وإذا كانت مرغوباً عنها تركوها والتمسوا غيرها من النساء، قالت: "فكما تتركونها حين ترغبون عنها، فليس لكم أن تنكحوها إذا رغبتن فيها، إلا أن تقسطوا لها وتعطوها حقها الأوفى من الصداق". انتهى. وقد مر قول الحسن أن الآية في غير المرغوب فيها، والحاصل أن أهل التفسير الثاني اختلفوا في الآية، فمنهم من قال: هذه الآية في المرغوب فيها، ومنهم من قال: هي في غير المرغوب فيها، والله تعالى أعلم. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ قال الثعالبي: "قال أبو عبيدة¹: خفتم هنا بمعنى أيقنتم. قال ابن عطية²: "وما قاله غير صحيح، ولا يكون الخوف بمعنى اليقين، وإنما هو من أفعال التوقع، إلا أنه قد يميل فيه الظن إلى إحدى الجهتين"، وكذا رد الداودي³ على أبي عبيدة،

¹ أبو عُبيدة، مَعْمَرُ بن المثنى التيمي مولاهم، البصري، النحوي، الإمام العلامة البحر، صاحب التصانيف، ولد سنة 110هـ. في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري. قال المبرّد: كان هو والأصمعيّ متقاربين في النحو، وكان أبو عُبيدة أكمل القوم، ومن أقوال ابن قتيبة فيه: كان يبغض العرب، وألف في مثالبها كتباً، وكان يرى رأي الخوارج، ومن كتبه: "مجاز القرآن"، و"غريب الحديث"، و"مقتل عثمان". مات سنة 209هـ، وقارب مائة عام. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص256، رقم الترجمة 1617. بتصرف.

² ابن عطية (المفسر)، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الحاربي الغرناطي القاضي، المفسر المشهور، ولد سنة ثمانين وأربعمائة للهجرة، كان واسع المعرفة واشتغل بالفقه والعربية، وولي قضاء المرية، حدث عن أبيه والحافظ أبي علي الغساني ومحمد بن الفرج وغيرهم، حدث عنه أولاده وأبو القاسم بن حبيش وأبو محمد بن عبيد الله وأبو جعفر بن مضاء وغيرهم، من مؤلفاته: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، توفي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص587، 588. بتصرف.

³ الداودي، أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي المالكي، كان بطرابلس ثم انتقل إلى تلمسان، وكان درسه وحده لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور وإنما وصل بإدراكه، حمل عنه أبو عبد الملك البوني وأبو بكر بن محمد بن أبي زيد، من مؤلفاته: النصيحة في شرح البخاري، الواهي في الفقه، النامي في شرح الموطأ، توفي بتلمسان سنة اثنتين وأربعمائة من الهجرة. ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ص94.

ولفظه: "وعن أبي عبيدة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ مجازاً، أي أيقنتم، قال أبو جعفر¹: بل هو ظاهر على الكلمة"². انتهى. ﴿فَانكِحُوا﴾ تزوجوا، جواب الشرط، أو استئناف بياني، أي يبين فيه العدد الذي لا يجوز أن يتعدى في الزواج ﴿مَا﴾ بمعنى من، أي الجنس الذي ﴿طَابَ﴾ حل ﴿لَكُمْ﴾ ويظهر أن اللام لشبه التملك أو للاختصاص ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ حالن الضمير في طاب، و﴿مَنْ﴾ تبعيضية، واحترز بقوله: ﴿مَا طَابَ لَكُمْ﴾ مما في قوله عز وجل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ إلى آخرها، ونحوها مما حرّمته السنّة، وقيد هذا الذي طاب بقوله: ﴿مَثْنَى﴾ يعني أن ما يحلّ من النساء ويباح نكاحه اثنتان اثنتين، فتزوج زيد اثنتين، وعمرو اثنتين، وخالد اثنتين، وبكر اثنتين، وهكذا، أي يباح الجمع بينهما لكل أحد ﴿وَأُولَئِكَ﴾ يعني أنه يباح نكاح ثلاث ثلاث، فيباح لزيد أن يجمع بين ثلاث ممن يحلّ نكاحهن، وللحارث كذلك، ولكعب كذلك، ولعلي كذلك، ولعبد القاهر كذلك، وهكذا، وقوله: ﴿وَأُولَئِكَ﴾ بالحذف، وكذا قوله: ﴿وَرُبَّعَ﴾ يعني أنه يباح الجمع بين أربع ممن يحلّ الجمع بينهن نكاحهن، فيباح لعبد الرحمن الجمع بين أربع منهن، ولعوف كذلك، ومالك كذلك، ولمسلمة كذلك، وهكذا، والواو في "ثلاث" و"ربّع" بمعنى "لو"، ويظهر لك هذا التفسير بأن الخطاب لجميع الرجال، فيجوز لكل واحد منهم أن ينكح ما أراد من تلك الأعداد، فتكررت الأعداد بتكرار الناس، وهذه الثلاثة ممنوعة الصرف للعدل والوصف، وهي حال". انتهى. وهذه الحال هي محض الإباحة، فلا يقال: انكحوا بمعنى أباح لكم، فيكون المعنى أباح لكم نكاح ما أباح لكم، لأن

¹ أبو جعفر (المقرئ)، يزيد بن القعقاع المخزومي المدني القارئ، أحد القراء العشرة، تابعي مشهور ثقة كبير القدر، عرض القرآن على مولاه عبد الله بن عياش وعبد الله بن عباس وأبي هريرة، وروى عنهم، روى القراءة عنه: نافع بن أبي نعيم وعيسى بن وردان وغيرهما، توفي بالمدينة سنة ثلاثين ومائة للهجرة، وقيل غير ذلك. الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ج1، ص72. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص382. بتصرف.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص413.

الحال هي التي تمّ بها المعنى، وقيل: والظاهر حيثُ أن تكون ﴿مَا﴾ واقعة على العدد، وأن يكون المراد بالطيب طيب النفس وميلان القلب بدل، وهي معدولة عن أعداد مكررة، قال ابن جزري: "ومعنى التكرار فيها أن الخطاب لجماعة، فيجوز لكل واحد منهم أن ينكح ما أراد من تلك الأعداد، فتكررت الأعداد بتكرار الناس، والمعنى: انكحوا اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً، وفي ذلك منع لما كان في الجاهلية من تزوج ما زاد على الأربع، وقد انعقد الإجماع على تحريم ما زاد على الرابعة"¹. انتهى. وقال في المعونة²: "ولا خلاف في منع نكاح الخامسة المتيطي³، نكاح الخامسة ممنوع لإجماع ابن عرفة، نكاح الخامسة حرام إجماعاً، قاله أبو علي"⁴. وقال في اللباب: "وقوّاه بمعنى أو، لأنه لما كانت أو بمنزلة واو النسق جاز أن يكون الواو بمنزلة أو، وقيل: إن الواو أفادت أنه يجوز لكل أحد أن يختار لنفسه قسمًا من هذه الأقسام بحسب حاله، فإن قدر على نكاح اثنتين فاثنتين، وإن قدر على ثلاث فثلاثاً، وإن قدر على أربع فأربعاً، واجتمعت الأمة على أنه لا يجوز لأحد أن يزيد على أربع نسوة، وأن الزيادة على أربع من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها أحد من الأمة، قال أكثر العلماء: ولا يجوز للعبد أن ينكح أكثر من اثنتين، وقال مالك⁵ في إحدى الروايتين عنه وربيعه⁶: "يجوز للعبد أن يتزوج بأربع نسوة". واستدل بهذه الآية، وأجاب الشافعي¹ بأن هذه

¹ ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 178.

² المعونة لمذهب عالم المدينة للقاضي أبي محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادي، الديباج ص 262.

³ هكذا في الأصل: "المتيطي".

⁴ اسمه في الأعلام كثير، ولا يوجد علامة فارقة.

⁵ مالك بن أنس، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عنمر الحِميري الأصبحي، ولد بالمدينة المنورة سنة ثلاث وتسعين للهجرة، كان إمام دار الهجرة وصاحب المذهب، وكان ثقة جليلاً عالماً ورعاً زاهداً، سمع من الزهري وربيعة الرأي وسعيد المقبري وعبد الله بن دينار وغيرهم، روى عنه الأوزاعي وعبد الكرم بن أبي المخارق وعائشة بنت سعد وآخرون، من مؤلفاته: "الموطأ". توفي سنة تسع وسبعين ومائة بالمدينة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 8، ص 48. القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج 1، ص 102. بتصرف.

⁶ ربيعة، أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن فَرُوخ المعروف بريعة الرأي، كان أحد أئمة الاجتهاد وعالم المدينة وفقهها، انتشر صيته وانتفع به الناس، روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وعطاء بن يسار

الآية مختصة بالأحرار، يدل عليه آخر الآية، وهو قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ والعبد لا يملك شيئاً، فثبت بذلك أن المراد من حكم الآية الأحرار دون العبيد". انتهى. وقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ استدل به الظاهرية² على وجوب النكاح، قالوا: لأن قوله: ﴿فَانكِحُوا﴾ أمر، والأمر الوجوب، وأجيب بأن قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا﴾ إنما هو بيان لما يحل من العدد في النكاح. وتمسك الشافعي في بيان النكاح أن النكاح ليس بواجب بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصِيرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ الآية، فحكم في هذه الآية بأن ترك النكاح خير من فعله، وذلك يدل على أنه ليس بواجب"، قاله في اللباب. وقال ابن جزى: "وقال قوم لا يعبؤ بقولهم: إنه يجوز الجمع بين تسع، لأن مثنى وثلاث ورباع يجتمع منه تسع، وهذا خطأ إلى آخر كلامه". ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ خشيتهم ﴿أَلَّا﴾ بالوصل ﴿تُعَدِّلُوا﴾ بين الاثنين أو الثلاث أو الأربع ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي فانكحوا واحدة بالحذف، والمعنى: اقتصروا على نكاح

وغيرهم، حدّث عنه الأوزاعي وشعبة ومالك وعليه تفقه وسفيان الثوري وغيرهم، توفي سنة ست وثلثين. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2، ص288. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص9689. بتصرف.

¹ الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس القرشي المطلبي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه نسبة الشافعية كافة، ولد سنة خمس ومائة للهجرة في غرة بفلسطين وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، كان عالماً بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة وآثارهم وبكلام العرب واللغة والشعر، رحل إلى بغداد مرتين ومكة ومصر، أخذ العلم عن مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة وسفيان بن عيينة ومحمد بن الحسن وغيرهم، حدّث عنه الحميدي وأبو عبيد القاسم بن سلام وأحمد بن حنبل ويونس بن عبد الأعلى وخلق كثير، من مؤلفاته: الأم في الفقه، والرسالة في أصول الفقه، توفي بمصر سنة أربع ومائتين. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، ص995. بتصرف.

² من يقول بالظاهر.

الواحدة، "قرأ أبو جعفر ﴿فَوَاحِشَةً﴾ بالرفع، والباقون بالنصب": "نشر"¹. ويظهر على بالرفع منه مبتدأ حذف خبره أو العكس أو فاعل فعل محذوف، والله تعالى أعلم. ﴿أَوْ﴾ انكحوا ﴿مَا﴾ أي الذي ﴿مَلَكَتْ﴾ له أي حوته واستولت عليه واستبدت به ﴿أَيَّمَنْتُمْ﴾ بالحذف من الإماء، إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات، ونكاح ملك اليمين هو التسري، وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعني ما ملكتم، وأسند الملك إلى اليمين، إذ هو صفة مدح، ألا ترى أنها المنفقة كما قال عليه الصلاة والسلام: >حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه<². قال ابن العربي³: "قال علمائنا: وفي الآية دليل على أن ملك اليمين لا حق له في الوطء والقسم، لأن المعنى: فإن خفتم ألا تعدلوا في القسم فواحدة أو ما ملكت أيمانكم، فجعل سبحانه ملك اليمين في منزلة الواحدة، فانتفى بذلك أن يكون للأمة حق في وطاء أو قسم"⁴. انتهى من الأحكام، قاله الثعالبي⁵. وقال البغوي: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ تقديره: أو ما ملكتم، وقال بعض أهل المعاني: أو ما ملكت أيمانكم، أي ما تنفذ فيه أقسامكم، جعله من يمين الحلف، لا من يمين الجارحة"⁶. انتهى. ﴿ذَلِكَ﴾ أي الاختصار

¹ في الأصل: "نثر"، وهو خطأ. ابن الجزري، النشر، ج3، ص25.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 10 الأذان، باب 36 من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ج2، ص143، رقم660.

³ ابن العربي المالكي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي المالكي المعروف بابن العربي المالكي، ولد سنة ثمان وستين وأربعمائة للهجرة، سمع من أبي عبد الله بن منظور وأبي عبد الله محمد ابن عتاب وابن الطيوري وغيرهم، أخذ عنه القاضي عياض، رحل إلى الشام والحجاز ومصر وبغداد وبها صحب أبا بكر الشاشي وأبا حامد الغزالي، من مؤلفاته: عارضة الأحوذى شرح سنن الترمذي، أحكام القرآن، توفي سنة ثلاث وأربعين وخمسائة. ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ص376.

⁴ ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص414، 415.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص414، 415.

⁶ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص7.

على الواحدة أو التسري ، وقال ابن جزى: "الإشارة إلى الاختصار على الواحدة"¹. ﴿أَدْنَى﴾ أقرب إلى ﴿أَلَا﴾ بالوصل ﴿تَعُولُوا﴾ تجوزوا بين الأزواج. يقول الله تعالى الاختصار على نكاح الواحدة أو التسري أقرب إلى عدم الجور، وهو العدل، حين تخافوا أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتم أكثر من واحدة، والناصب لـ ﴿تَعُولُوا﴾ أن المدغمة في اللام. قال في اللباب: "ومعنى ﴿أَلَا تَعُولُوا﴾ أي لا تميلوا أو لا تجوزوا، وهو قول أكثر المفسرين، لأن أصل العول الميل، يقال: مال الميزان إذا مال، وعال الحاكم إذا جار. وقيل: معناه ألا تجاوزوا ما فرض الله عليكم، وهو من عدل الفرائض إذا جاوزت سهامها. وقال الشافعي رحمه الله معناه: "أن لا يكثر عيالكُم"². وقد أنكر على الشافعي من ليس له إحاطة بلغة العرب فقال: إنما يقال في كثرة العيال أعال الرجل يعيل إعالة إذا كثر عياله، وقال هذا من خطأ الشافعي، لأنه انفرد به، ولا يوافقه عليه أحد، وإنما قال هذه المقالة من لا علم له بلغة العرب، فقد روى الأزهري³ في كتابه تهذيب اللغة عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم⁴ في قوله تعالى: ﴿أَلَا﴾

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص177.

² البيهقي، السنن الكبرى، ج7، ص466.

³ الأزهري (اللغوي)، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الهروي الأزهري النحوي اللغوي الشافعي، عني بالفقه أولاً ثم غلب عليه التبحر في العربية فرحل في طلبها وقصد القبائل وتوسع في أخبارهم، سمع الحديث بكرة ورحل إلى بغداد وسمع أبا القاسم البغوي ونفطويه وأبا بكر ابن داود وابن السراج، أخذ عنه العروي صاحب الغريين وحدث عنه أبو يعقوب القزّاب، كان قد وقع في أسر عرب عرباء نشأوا بالبادية ويتكلمون بطباعهم فبقي عندهم دهرًا طويلاً فاستفاد منهم ألفاظًا في اللغة، من مؤلفاته: تهذيب اللغة، التقريب في التفسير، توفي سنة سبعين وثلاثمائة. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص45، 46. الرّكلي، الأعلام، ج5، ص311. بتصرف.

⁴ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشي العدوي المدني. مولى عمر بن الخطاب، أخو عبد الله بن زيد ابن أسلم، وأسامة بن زيد بن أسلم. روى عن: أبيه زيد بن أسلم، وأبي حازم سلمة بن دينار، وصفوان بن سليم، ومحمد بن المنكدر. روى عنه: إسحاق بن عيسى بن الطباع، وأصبغ بن الفرج المصري، وبشر الحافي، وابنه زيد بن عبد الرحمن بن زيد، وآخرون. وعن أحمد: ضعيف. وعن يحيى: ليس حديثه بشيء. وقال أبو داود: أولاد زيد بن أسلم كلهم ضعيف، وأمثلهم عبد الله. وقال النسائي: ضعيف. وقال أبو

بالوصل ﴿تَعُولُوا﴾: "أي لا يكثر عيالكم"¹. وروى الأزهرى عن الكسائي قال: "عال الرجل إذا افتقر، وأعال إذا كثر عياله"، قال: "ومن العرب الفصحاء من يقول: عال الرجل يعول إذا كثر عياله"². قال الأزهرى: "وهذا يقوي قول الشافعي، لأن الكسائي لا يحكي عن العرب إلا ما حفظه وضبطه. وقول الشافعي نفسه حجة، لأنه عربي فصيح، والذي اعترض عليه وخطأه عجل ولم يتثبت فيما قال"³. انتهى بزيادة قليلة. وإن أريد العيال كما قال الشافعي، فإنه يقال عنه فيما ملكت أيمانكم يجوز العزل في التسري فتقل الأولاد، و﴿تَعُولُوا﴾ فاصلة الآية الثالثة. ﴿وَأَتُوا﴾ أعطوا أيها الأزواج ﴿النِّسَاء﴾ زوجاتكم ﴿صَدَقْتِهِنَّ﴾ بالحذف، وجمع صدقة بضم الدال وهي الصداق، "وقيل: الخطاب للأولياء، لأن بعضهم كان يأكل صداق وليته، وقيل: نهي عن الشغار"⁴. قاله ابن جزى. وقال في الباب: "قال الكلبي⁵ وجماعة: هذا خطاب للأولياء، قال أبو صالح⁶: كان الرجل إذا زوج أئمة

حاتم: ليس بقوي في الحديث، وكان في نفسه صالحاً، وفي الحديث واهياً. وقال ابن عدي: له أحاديث حسان، وهو ممن احتمله وصدقه بعضهم، وهو ممن يُكتب حديثه، روى له الترمذى، وابن ماجه، وأبو جعفر الطحاوي. توفي سنة ثنتين وثمانين ومائة. بدر الدين العيني، مغني الأختيار، ج3، ص215. بتصرف.

¹ الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة ع ا ل، ج3، ص2287.

² الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة ع ا ل، ج3، ص2287.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص343.

⁴ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص178.

⁵ الكلبي، أبو نصر محمد بن السائب بن بشر الكلبي، كان نسابة عالماً بالتفسير والأخبار وأيام العرب، من أهل الكوفة مولداً ووفاة، روى عن أبي صالح وعامر الشعبي، وروى عنه ابنه هشام وابن إسحاق وابن جريج، كان متهماً بالكذب، صنّف كتاباً في تفسير القرآن، توفي سنة ست وأربعين ومائة. العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج9، ص158. الزركلي، الأعلام، ج6، ص133.

⁶ أبو صالح المؤدّن، أحمد بن عبد الملك بن عليّ بن أحمد بن عبد الصمد بن بكر النيسابوريّ، الصوفيّ، الإمام، الحافظ، الزاهد، المسند، محدّث خراسان، مولده في سنة 388هـ، وقد صحب الكثيرين من الأكابر كالأستاذ أبي عليّ الدقاق، وقد خرّج أبو صالح ألف حديث عن ألف شيخ له، حفظ القرآن

أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك. وقيل: إن ولي المرأة كان إذا زوجها فإن كانت معهم في العشرة لم يعطها من مهرها قليلاً ولا كثيراً، وإن كان زوجها غريباً حملوها إليه على بعير، ولا يعطيها من مهرها شيئاً غير ذلك، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، وأمرهم أن يدفعوا الحق إلى أهلها، وقال الحضرمي¹: كان الأولياء يعطي هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته، ولا مهر بينهما، وهذا هو الشغار، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، وأمرهم بتسمية المهر في العقد. روى البخاري² ومسلم³ عن ابن عمر⁴: "أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار⁵ والسفاد أو يزوج الرجل الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته وليس بينهما صداق"، وقيل: الخطاب للأزواج، وهذا أصح، وهو قول الأكثرين، لأن الخطاب فيما قبل مع الناكحين، وهم الأزواج، أمرهم الله بإيتاء نسائهم الصداق"، "والآية صالحة لتلك التأويلات"⁶. انظر الثعالبي. ﴿نَحْلَةً﴾ عطية منكم لهن، وانتصابه على المصدر من معنى ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ﴾ أو على الحال من صغير المخاطبين أو ﴿نَحْلَةً﴾ عطية من الله، قال صاحب هذا التفسير: والظاهر على هذا القول أنها مصدر بدل من اللفظ بفعله. وقيل: معنى ﴿نَحْلَةً﴾ شرعة وديانة، وهي حينئذ مفعول لأجله، كما في الضياء⁷ من قولهم: انتحل كذا إذا دال به. ابن

وجمع الأحاديث، وجمع الأبواب والشيوخ، وأذن سنين حُسْبَةً. توفي في 7 رمضان سنة 470 هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 593، 594، رقم الترجمة 4445. بتصرف.

¹ لم أعثر عليه.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 67 النكاح، باب 28 الشغار، ج 8، ص 162، رقم 5112.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 16 النكاح، باب 7 تحريم نكاح الشغار وبطلانه، ج 2، ص 1034، رقم 1415.

⁴ عبد الله بن عمر بن الخطاب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وشهد الرسول صلى الله عليه وسلم له بالصلاح، شهد الخندق وغزوة مؤتة واليرموك وفتح مصر، توفي سنة ثلاث وسبعين من الهجرة رضي الله عنه. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 2، ص 347. ابن الأثير، أسد الغابة، ج 3، ص 236. بتصرف.

⁵ في الخازن: "الشغار في العقد والشغار أن يزوج".

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 412.

⁷ عبد الله بن محمد، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 163.

العربي: "النحلة في اللغة العطية من غير عوض"¹، وفي الباب: "أصل النحلة العطية بغير عوض على سبيل التبرع، وهي أخص من الهبة، وسمي الصداق نحلة من حيث إنه لا يجب مقابلة غير التمتع، فليس ثمَّ عوض مالي"². وروى البخاري³ ومسلم⁴ عن عقبة بن عامر⁵ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: <أحق الشروط أن توفوا ما استحللتم به الفروج>. انتهى. وقيل: نحلة فريضة مسماة. قال في الضياء: "من فسر النحلة بالفريضة نظر إلى مفهوم الآية، لا إلى موضوع اللفظ".⁶ انتهى. ﴿فَإِنْ طِبْنَ﴾ أي الزوجات جدن وسخون ﴿لَكُمْ﴾ أيها الأزواج، والظاهر أن اللام للتعدية أو لشبه التملك، والله تعالى أعلم ﴿عَنْ﴾ تجاوزية ﴿شَيْءٍ مِنْهُ﴾ أي من الصداق ﴿نَفْسًا﴾ تمييز محول عن الفاعل، وهو نون الإناث، بقول الله تعالى فَإِنْ طَابَتْ نفوس الزوجات بشيء من الصداق لكم أيها الأزواج ﴿فَكُلُوهُ﴾ أي ما طابت لكم عنه نفوسهن أي خذوه واصنعوا به ما شئتم، فالضمير المنصوب عائد على شيء ﴿هَنِيئًا﴾ حال من الهاء أي كلوه حال كونه ﴿مَرِيئًا﴾ أي طيبًا مريئًا أي سائغًا، وهذان اللفظان عبارة عن الإباحة، فاصلة الآية الرابعة. وقيل: الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء، والمريء المحمود العاقبة. وفي الآية دليل على إباحة هبة المرأة صداقها،

¹ ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص316.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج2، ص477.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في المهر عند عقد النكاح، ج5، ص323، رقم2721.

⁴ مسلم، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب الوفاء بالشروط في النكاح، ج2، ص1035، رقم1418.

⁵ ابن عامر (المقري)، أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي التابعي، إمام أهل الشام في القراءة والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بها، كان مشتهرًا بالفضائل والعلم والزهد وعلم النحو واللغة، ولي القضاء بدمشق أخذ القراءة عرضًا على أبي الدرداء والمغيرة بن أبي شهاب صاحب عثمان ابن عفان، وقرأ على واثلة بن الأسقع، وقد ثبت سماعه من جماعة من الصحابة. روى القراءة عنه عرضًا يحيى بن عامر وربيعه بن يزيد. توفي بدمشق سنة ثمان عشرة ومائة للهجرة. الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ج1، ص8682. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص425.423. بتصرف.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص344.

وأنها تملكه، ولا حق للولي فيه".¹ قاله في الباب. وقال ابن جزي: "﴿هَنِئًا مَرِيئًا﴾ عبارة عن التحليل ومبالغة في الإباحة، وهما صفتان من قولك: هنؤ الطعام ومرء، إذا كان سائغاً لا تنغيص فيه، وهما وصف المصدر، أي أكلاً هنيئاً، أو حال من ضمير الفاعل، وقد يوقف على ﴿فَكُلُوهُ﴾ ويستدأ هنيئاً مريئاً على الدعاء"² انتهى. وقال الثعالبي: "قال اللغويون: الطعام الهنيء هو السائغ المستحسن الحميد المغبة، وكذلك المريء"³. ومعنى قوله: ﴿فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ﴾ إلخ، سخت لكم به نفوسهن، أي تركته النفوس وتجاوزت عنه للمتروك له، ونفس بمعنى الجمع، واحترز بقوله جلّ وعزّ: ﴿فَإِنْ طِبَّنَ﴾ إلخ، عما إذا وهبن وهن مكرهات، فلا يحل ذلك. وقال في الضياء: "وتقييد ذلك بطيب النفس يدل على ضيق المسلك ووجوب الاحتياط، ولذا جعل بعضهم من للتبعيض حثاً لها على عدم هبة الكل، وإليه ذهب الليث، فلم يجز التبرع إلا باليسير، وروي عن مالك جوازه للثيب دون البكر، والله أعلم"⁴. انتهى. وقال عكرمة وغيره: الهنيء المريء السائغ الطيب، يقال: هنأني الطعام يهنئني بفتح النون في الماضي وكسرهما في الغالب. وقيل: الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء، والمريء الحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر، قرأ⁵ أبو جعفر هنيئاً مريئاً بتشديد الياء فيهما من غير همز، وكذلك برآء وبريون وبرئاً، والآخرون يهمزون. انتهى.

﴿وَلَا تُؤْتُوا﴾ تعطوا أيها الأولياء ﴿السُّفَهَاءَ﴾ مفعول أول، يعني المبذرين من الرجال والنساء والصبيان. قال في القاموس: "السفه محركة كسحاب وسحابة خفة الحلم أو نقيضه أو الجهل"⁶. انتهى. قال أبو موسى الأشعري¹ وغيره: "نزلت في كل من اقتضى الصفة التي شرط

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص344.

² ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص178.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص415.

⁴ عبد الله بن محمد، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص163.

⁵ أحمد بن محمد البناء، إتحاف فضلاء البشر، ج1، ص503.

⁶ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب الهاء، فصل السين، ص1609.

الله من السفه كائنًا من كان"². قاله الثعالبي. وقال في اللباب: "اختلفوا في هؤلاء السفهاء منهم، فقيل: هم النساء، نهي الله الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم، سواء كن أزواجًا أو بنات أو أمهات. وقيل: هم الأولاد خاصة، يقول لا تعطوا³ ولدكم السفية مالكم يعمد إليه فيفسده عليكم. وقيل: هم امرأتك وابنك السفية، قال ابن عباس: لا تعمد إلى مالك الذي خولك الله، وجعله لك معيشة، وتعطيه امرأتك وابنك، فيكونوا هم الذين يقومون عليك، ثم تنظر إلى

ما في أيديهم، أمسك مالك وأصلحه، وكن أنت الذي تنفق عليهم"⁴. ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ بالحذف، مفعول ثان، يعني أموالهم التي في أيديكم، وأضافها إلى المخاطبين، أي هي كأموالهم. وقيل: أموال المخاطبين، قاله أبو موسى الأشعري وابن عباس والحسن وغيرهم، والأول لابن جبير، ثم ذكر العلة الموجبة لحفظ المال عن السفهاء فقال: ﴿أَلَيْ﴾ اسم موصول مؤنث صيغ ليتوصل به إلى وصف المعارف بالجملة ﴿جَعَلَ﴾ صيَّر ﴿اللَّهُ﴾ والمفعول الأول محذوف عائد على الموصول، أي جعلها الله ﴿لَكُمْ﴾ اللام للتمليك، ويظهر أنها هي ومدخولها حال من قوله: ﴿قِيَمًا﴾ مفعول ثان لـ ﴿جَعَلَ﴾ مصدر من قام، فعل أي صيَّرها الله لكم قِيَمًا لمعاشكم أي صلاحًا له يصلح بها معاشكم ومعاش أولادكم ومن علق

¹ أبو موسى الأشعري الصحابي، عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري التميمي الفقيه المقرئ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حدث عنه بُرَيْدَةُ بن الحُصَيْب وأبو أمامة الباهلي وأبو سعيد الخُدْري وأنس بن مالك وسعيد بن المسيَّب وغيرهم، وهو معدود فيمن قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم، أقرأ أهل البصرة وفقههم في الدين، قرأ عليه حطان بن عبد الله الرقاشي وأبو رجاء العطاردي، استعمله النبي ومعاذًا على زَيْيد وعدَن وولي إمرة الكوفة لعمر وإمرة البصرة، غزا وجاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، كان حسن الصوت خفيف الجسم، توفي بالكوفة سنة أربع وأربعين للهجرة، وقيل غير ذلك. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص213211. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص402380. بتصرف.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص416.

³ في لباب التأويل في معاني التنزيل: "لا تعط... ولدك... مالك... عليك".

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص344.

بكم، وقوله: **قيماً** بدون ألف، لمنافعكم، وابن عامر: وبالألف للثمانية الباقين¹. قال الكلبي²: إذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة³. وقال سعيد بن جبير: "كما مر هو مال اليتيم، يكون من⁴ عندك، يقول لا تؤتة إياه، وأنفق عليه منه حتى يبلغ، وإنما أضاف المال للأولياء لأنهم قوامها ومدبروها"⁵. قاله في الباب. وقال: "وأصل السفه الخفة، واستعمل في خفة النفوس⁶ نقص الفضل في الأمور الدنيوية والدينية، والسفيه المستحق للحجر هو الذي يكون مبدراً في ماله ومفسداً في دينه، فلا يجوز لوليه أن يدفع إليه ماله، وقيل: إن السفيه المذكور في هذه الآية ليس هو صفة ذم لهؤلاء، وإنما سموا سفهاء لخفة عقولهم ونقصان تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال"⁷. انتهى. وقوله فيما أعلم أن الإعلال مطرد فيه مع الألف، وغير مطرد فيه بدونها، وإنما الغالب فيه التصحيح، ومّر أن معنى قيماً وقيماً صلاح لمعاشكم أي أموركم، إذ بالمال يقام الحج والجهاد وأعمال البر وفكاك الرقاب من النار وأمور المعاش، والله تعالى أعلم. ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ﴾ الضمير المنصوب يعود على السفهاء، والمرفوع خطاب للأولياء ﴿فِيهَا﴾ أي اطعموهم من الأموال إذا كان المال للسفهاء، فالمعنى ظاهر، وإن كان للمخاطبين، فالمراد من تجب عليهم نفقته، قال غير واحد: وإنما قال: ﴿فِيهَا﴾ ولم يقل منها، لأنه أراد اجعلوا لهم فيها رزقاً. انتهى. وهو ظاهر أن المعنى يجعلون لهم فيها رزقاً باقياً ما دامت، وقال. فيما يأتي قريباً: ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ لأنه أصح، ولا يبقى بعد في المال شيء، ومن تفسير ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ﴾: وأطعموهم. قال البغوي: "الرزق من الله: العطية من غير حد،

¹ أحمد البنا الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ج1، ص502.

² في الأصل: "الطبي"، والصواب ما أثبتناه من الباب (344/1)، ومعالم التنزيل (9/2) للبغوي.

³ في الباب زيادة: "وأن ولده سفيه مفسد لا يتبغي له أن يسلط واحد منهما على ما له فيفسده".

⁴ في الباب لا يوجد: "من".

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص344.

⁶ في الخازن: النفس لنقصان العقل.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص344.

ومن العبد: إجراء¹ مؤقت محدود². انتهى. ﴿وَأَكْسُوهُمْ﴾ يقال فيه ما قيل في ﴿وَأَزْرُقُوهُمْ﴾ من كون المال للمخاطبين أو للسفهاء ﴿وَقُولُوا﴾ أيها الأولياء ﴿هَمْ﴾ أي للسفهاء، واللام للتبليغ ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ جميلاً بأن تعدوهم عدة جميلة بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا، ويقول الولي لليتيم: مالك عندي، وأنا أمين عليك، فإذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك، وقال الزجاج³: "علموهم مع إطعامكم إياهم وكسوتكم أمر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل"⁴. الباب: "﴿وَقُولُوا هَمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ يعني قولاً جميلاً، لأن القول الجميل يؤثر في القلب، وقال عطاء: يقول إذا رجحت أعطيتك، وإذا غنمت قسمت لك حظاً"⁵. انتهى. وقال الثعالبي: "﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ معناه: ادعوا لهم، ومعنى اللفظة: كل كلام تعرفه النفوس وتأنس إليه ويقتضيه الشرع"⁶. انتهى. وقال ابن زيد: إن لم يكن ممن تجب عليك نفقته فقل له: عافاك الله وإيانا، بارك الله فيك. وقوله: ﴿مَّعْرُوفًا﴾ فاصلة الآية الخامسة. قال في الضياء: "وفي مدارك التنزيل للنسفي: كان بعض السلف يقول: لأن يحاسبني الله على المال خير من أن أحتاج إلى الناس"⁷. ﴿وَابْتَلُوا﴾ أي جربوا ﴿أَلْيَتَنَّى﴾ بالحذف، "يقول الله

¹ في المعالم: العباد أجر.

² البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص10.

³ الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، كان نحوي زمانه لزم المبرد، ثم أدب القاسم بن عبيد الله الوزير فكان سبب غناه، أخذ عنه العربية أبو علي الفارسي وجماعة، من مؤلفاته: "معاني القرآن"، و"الاشتقاق". توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة للهجرة، وقيل: سنة عشرة، وقيل: ست عشرة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، ص360. بتصرف.

⁴ الزجاج، معاني القرآن وإعابه، ج2، ص14.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص345.

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص416.

⁷ النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج1، ص344، 345.

⁸ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص164.

عَزَّ وَجَلَّ اختبروا اليتامى" ¹، أي جربوهم في عقولهم وأديانهم وحقوق أموالهم، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِّنْهُ﴾ إلخ. قال الثعالبي: "الابتلاء الاختبار، ومعناه جربوا عقولهم وقرائحهم وتصرفهم" ². انتهى. والآية نزلت في ثابت بن رفاعه ³ وفي عمه ⁴، وذلك أن رفاعه توفي وترك ابنه ثابتًا وهو صغير، فجاء عمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ابن أخي يتيم في حجرى، فما يحل لي من ماله؟ ومتى أدفع ماله إليه؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَابْتَلُوا الَّتِي مَنَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ بالإثبات، أي بلغوا الحال الذي يكونون فيها أهلاً للنكاح، من حلم أو حيض أو حمل أو ثماني عشرة سنة، أو الإنبات. قال في الضياء: "﴿وَابْتَلُوا الَّتِي مَنَىٰ﴾ قبل البلوغ في ضبط المال وحسن التصرف فيه، بأن يكل إليه مقدمات العقد، وعند أبي حنيفة ⁵ بأن يدفع إليه ما يتصرف فيه، حتى إذا بلغوا النكاح، أي صاروا أهلاً له، بالاحتلام من الغلام والجارية، واستكمال ثماني عشرة سنة عند مالك، وسبع عشرة للجارية وثمانى عشرة للغلام عند

¹ قاله ابن عباس، انظر: البيهقي، السنن الكبرى، ج 6، ص 59.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 416.

³ ثابت بن رفاعه الأنصاري، توفي والده وهو صغير فصار تحت حجر عمِّ وهو رجل من الأنصار، أتى به عمُّه إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عما يحل له من ماله. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 1، ص 192.

⁴ رفاعه بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب، وهو ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس الأنصاري الظفري، عم قتادة بن النعمان. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 2، ص 490.

⁵ أبو حنيفة، النعمان بن ثابت الكوفي، ولد سنة ثمانين هجرية، أخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان وسمع عطاء ابن أبي رباح ومحمد بن المنكدر ونافعًا مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، روى عنه عبيد الله بن المبارك ووكيع الجراح وغيرهما، انتشر صيته حتى صار أحد الأئمة الأربعة المشهورين عند أهل السنة صاحب مذهب الحنفية، أراده المنصور العباسي على القضاء فأبى فأمر بحبسه فضرب وحُبس، مات في السجن ببغداد سنة خمسين ومائة. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 5، ص 405. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 27، ص 144.

أبي حنيفة، وخمس عشرة فيهما عند غيرهما، وبالحيض والحمل للجارية"¹. انتهى. وقوله: بَلَّغُوا
النِّكَاحَ ﴿﴾ تحقيقه أن تقول: وصلوا حال النكاح، لأن البلوغ الوصول، وحال النكاح هي
الحالة التي يتأهل بها الشخص للتزويج، وتعرف بخمسة قد مر ذكرها، وهي: بروز المني يقظة أو
نوماً، والحيض، والحمل، وبلوغ ثماني عشرة سنة أي تمامها، وإنبات الشعر، ثلاثة منها يشترك
فيها الغلام والجارية، واثنان منها تختص بهما الأنثى، وفهم من الآية أن اليتامى قبل البلوغ لا
تدفع إليهم أموالهم ولو ولد، وأما قبل البلوغ فهو قوله جلّ وعزّ: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُمْ﴾ قال
الثعالبي: "معناه علمتم وشعرتم وخبرتم، ومالك رحمه الله يرى السن حين البلوغ والرشد وحين
يدفع إليه المال"². وقال السيوطي: "﴿ءَانَسْتُمْ﴾ أبصرتهم"³. ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي من اليتامى،
الظاهر أنه حال من قوله: ﴿رُشِّدًا﴾ وأن من ابتدائية، و﴿رُشِّدًا﴾ مفعول ﴿ءَانَسْتُمْ﴾
والرشد هو حفظ المال، بأن يحسن الإمساك والتجر⁴ معاً، وقيل: بأن يحسن الإمساك، ولو لم
يحسن التجر وقوي، والله تعالى أعلم. ﴿فَادْفَعُوا﴾ أي أدّوا وأسلموا أيها الأولياء ﴿إِلَيْهِمْ﴾
أي إلى اليتامى ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ بالحذف. السيوطي: ﴿رُشِّدًا﴾ في دينهم ومالهم"⁵. انتهى.
وقال في الضياء: "﴿رُشِّدًا﴾ حفظاً للمال عند مالك وأبي حنيفة، أو مع صلاح في الدين
عند غيرهما، ويروى عن مالك"⁶. انتهى. وقال الثعالبي: "قال ابن عباس: الرشد في العقل
وتدبير المال لا غير، وهو قول ابن القاسم⁷ في مذهبنا، وقال الحسن وقتادة: الرشد في العقل

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص164.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص416.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص98.

⁴ "التُّجْرُ: جمع تاجر". ابن منظور، لسان العرب، مادة ت ج ر، ج4، ص89.

⁵ السيوطي، تفسير الجلالين، ص98.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص164.

⁷ ابن القاسم، عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري، أبو عبد الله. فقيه، جمع بين
الزهد والعلم، وتفقه بالإمام مالك ونظرائه. له: "المدونة". ط، ستة عشر جزءاً، وهي من أجل كتب

والدين، وهي رواية أيضًا عن مالك¹. انتهى. وقال في الباب: ﴿رُشْدًا﴾ يعني عقلاً وصلاًحاً في الدين وحفظاً للمال وعلماً بما يصلحه². انتهى. وقال البغوي: "قال المفسرون: يعني عقلاً وصلاًحاً في الدين إلخ³. قال سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي⁴: لا تدفع إليه ماله ولو كان شيئاً حتى تؤنس⁵ رشده، والابتلاء يختلف باختلاف أحوالهم، فإن كان ممن يتصرف في السوق فيدفع الولي إليه شيئاً يسيراً من المال، وينظر في تصرفه، وإن كان ممن لا يتصرف في السوق فيختبره في نفقة داره والإنفاق على عبيده وأجرائه، وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزائها، وإذا رأى حسن تدبيره وتصرفه في الأمور مراراً، فغلب على الظن رشده دفع إليه ماله بعد بلوغه⁶. وتصرفات الصبي العاقل المميز بإذن وليه صحيحة عند أبي حنيفة، قال الشافعي: هي غير صحيحة، واحتج أبو حنيفة على قوله بهذه الآية، وذلك لأن قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ يقتضي أن هذا الابتلاء إنما يحصل قبل البلوغ، والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله في جميع تصرفاته، فثبت أن قوله: ﴿وَابْتَلُوا﴾

المالكية، رواها عن الإمام مالك. مولده ووفاته بمصر. ولد سنة 132هـ، وتوفي سنة 191هـ. الزركلي، الأعلام، ج3، 323. بتصرف.

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص416.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص345.

³ في المعالم: وصلاًحاً في الدين وحفظاً للمال وعلماً بما يصلحه.

⁴ الشعبي، عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كَبَّار، إمام، علامة العصر، أبو عمرو الهَمْداني، ثم الشعبي، ويقال عامر بن عبد الله، ولد سنة 21هـ وقيل 28هـ، وقيل بعد سنة 32هـ، سمع من عدة من كبار الصحابة، وحدث عن: سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبي موسى الأشعري، وعدي بن حاتم، وأسامة بن زيد، وأبي هريرة، وغيرهم كثير، ويروى عنه أنه كان يقول: أدركت خمسمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه: الحكم، وحماد، وأبو إسحاق، وداود ابن أبي هند، وابن عون، ومكحول الشامي، وآخرون، وعن أبي بكر الهذلي: قال لي ابن سيرين: الزم الشعبي، فبقد رأيته يُسْتَفْتَى وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون. مات سنة 104هـ، وقيل 105هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص493.482، رقم الترجمة 616. بتصرف.

⁵ في المعالم: "يؤنس".

⁶ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص10، 11.

أَلْيَنَّمَى ﴿﴾ أمر للأولياء بالإذن لهم في البيع والشراء قبل البلوغ، أجاب الشافعي بأن قال: ليس المراد بقوله: ﴿وَابْتَلُوا أَلْيَنَّمَى﴾ الإذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ وإنما يدفع إليهم أموالهم بعد البلوغ وإيناس الرشد، فثبت بموجب هذه الآية أنه لا يدفع إليه مال حال الصغر، فوجب أن لا يصح تصرفه حالة الصغر، والمراد من الابتلاء هو اختبار عقله وإسبار حاله في معرفة المصالح والمفاسد. انتهى.

وقال في الضياء: "﴿فَإِنْ﴾ شرطية جواب ﴿إِذَا﴾ المتضمنة معنى الشرط، والجملة غاية للابتلاء، فكأنه قال وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم، فالبلوغ والرشد معتبران معًا عند الأئمة الثلاثة، إلا أن أبا حنيفة قال: إذا زادت على البلوغ سبع سنين دفع إليه المال، وإن لم يؤنس منه رشد، لأنه مظنته، وخالفه باقي الأئمة، و﴿حَتَّى﴾ ابتدائية، وفيها معنى الغاية، والفاء دلّت على وجوب الدفع بعد الإيناس من غير توقف، ولذلك أقرّ بالابتلاء قبل البلوغ ونكر الرشد للاكتفاء بالأدنى منه"¹. انتهى. قوله: إلا أن أبا حنيفة إلخ مخالف لقول البغوي: "وعند أبي حنيفة لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال"².

انتهى. ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا﴾ بالإثبات، أي أموال اليتامى ﴿إِسْرَافًا﴾ بالإثبات، أي ظلمًا، يقول الله تعالى لا تأكلوا أيها الأولياء أموال اليتامى ظلمًا أي بغير حق، وهو معنى الإسراف، فهم منه أن أكلها بالحق جائز، وقوله: "﴿إِسْرَافًا﴾ حال"³. قاله السيوطي، أي لا تأكلوها حال كونكم مسرفين ﴿وَبِدَارًا﴾ حال أيضًا، فهما مصدران، كل منهما حال، أي ولا تأكلوا أيها الأولياء أموال اليتامى حال كونكم مبادرين أي مسارعين في أكلها مخافة ﴿أَنْ يَكْبُرُوا﴾ فهو مفعول لأجله، ويحتمل أن يكون ﴿أَنْ يَكْبُرُوا﴾ مفعول بدارًا، أي لا تبادروا بالأكل كبرهم، فتغتنموا الأكل في حال صغرهم، غير منتظرين كبرهم، لئلا يمتنعوا من

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص165.

² البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص12.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص98.

أكله¹. انظر ابن جزى. ثم قسم الأولياء قسمين فقال: ﴿وَمَنْ كَانَ﴾ من الأولياء ﴿غَنِيًّا﴾ عن مال اليتيم ﴿فَلَيْسَتْ عَفْفٌ﴾: "أي فليكيف عن أكل اليتيم فلا يرزأ² قليلاً ولا كثيراً، والعفة الامتناع مما لا يحل"³. قاله البغوي. وقال الثعالبي: "يقال: عَفَّ الرجل عن الشيء واستعف إذا أمسك، فأمر الغني بالإمساك عن مال اليتيم، وأباح الله للولي الفقير أن يأكل من مال يتيمة بالمعروف"⁴. كما قال عز وجل: ﴿وَمَنْ كَانَ﴾ من الأولياء ﴿فَقِيرًا﴾ محتاجاً إلى مال اليتيم، وهو يحفظه ﴿فَلْيَأْكُلْ﴾ بالإثبات من مال اليتيم ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: "مقدار أجره عمله غير متأكل"⁵، أي غير جامع به مالا ولا واق به ماله، والمعنى: إن كان قيم اليتيم غنياً فليقتنع بما رزقه الله إشفافاً عليه وطلباً لأجر الآخرة، وإن كان فقيراً فليأكل بقدر قيامه، ولفظ الاستحقاق⁶ والأكل بالمعروف مشعر بأن الولي له حق في مال اليتيم، لكن قيل: في مثل الركوب للدابة، وشرب لبن المواشي، وأكل ثمر النخل، وخدمة الخادم لا كأخذ الدينار والدرهم إلا قرصاً"⁷. قاله في الضياء، والله أعلم. وقال ابن جزى: "أمر الله الوصي الغني أن يستعف عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئاً، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف، قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: أن يتسلف⁸ الوصي من مال المحجور⁹، فإذا أيسر رده، وقيل: المراد أن يكون له أجر بقدر عمله وخدمته، ومعنى ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير إسراف، وقيل:

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 179.

² في المعالم: "يرزؤه".

³ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج 2، ص 13.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 417.

⁵ في الضياء: "متأكل".

⁶ في الضياء: "استعفاق".

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 165.

⁸ في ابن جزى: "يستلف".

⁹ في ابن جزى: "اليتيم".

نسخها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾¹. انتهى. ويأتي إبطال هذا القول قريباً إن شاء الله تعالى. وقال الثعالبي: "واختلف العلماء في حد المعروف، فقال ابن عباس وغيره: إنما يأكل الوصي بالمعروف إذا شرب من اللبن وأكل من الثمر² بما يهنأ الجرباء ويلوط الحوض ويجذ³ الثمر وما أشبهه، قلت: يقال للقطران: الهناء في لغة العرب، كذا رأيته منصوباً عليه"⁴ انتهى. قوله: ويلوط الحوض أي يطينه. وقال البغوي: "قال بعضهم: المعروف أن يأخذ من جميع ماله بقدر قيامه وأجرة عمله، ولا قضاء عليه، وهو قول عائشة و جماعة من أهل العلم"⁵. وقد مرّ عن ابن جزي⁶ قول: بأن قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ نسخته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ إلخ. قال في الذهب⁷: واختار هذا القول زيد بن أسلم⁸، وتعقب هذا القول ابن العربي⁹ وزيفه، وقال ابن هلال: "اتضح من كلام مالك أنه لم يبح للولي من مال اليتيم إلا ما لا ثمن له، كالفاكهة والتمر. ابن عرفة: لأن شرب اللبن من الضروع، وأكل الثمر من الجذوع، أمر متعارف بين الخلق، ومتسامح فيه، اللهم إلا أن يكون مال اليتيم خدمة وعمل زيادة على تفقده وتعهده، فله حينئذ الأكل من ماله بقدر اشتغاله فيه

¹ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص178.

² في الثعالبي: "التمر".

³ في الثعالبي: "يجذ".

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص417.

⁵ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص14.

⁶ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص178.

⁷ لم أتمكن من الوقوف على هذا الكتاب.

⁸ زيد بن أسلم، أبو عبد الله العدوي العمري المدني الفقيه، حدّث عن والده أسلم مولى عمر وعن عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعطاء بن أبي رباح وغيرهم، حدّث عنه مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي وسفيان بن عيينة وعبد العزيز الدراوردي وأولاده أسامة وعبد الله وعبد الرحمن بنو زيد وغيرهم، كان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولزيد تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمن، توفي سنة ست وثلاثين ومائة من الهجرة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص317. بتصرف.

⁹ ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص324.

وخدمته فيه وقيامه عليه"¹. انتهى. ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ﴾ أدبتم أيها الأولياء ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أي إلى
اليتامى الذين آنستم منهم رشداً ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ بالحذف، التي كنتم أمناء عليها ﴿فَأَشْهَدُوا﴾
﴿أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ﴾ عَلَيْهِمْ أي على الذين كانوا في حجوركم أنهم تسلموا أموالهم، لئلا
تضمنوا، هذا هو قول مالك وابن القاسم، وهو المشهور من مذهبننا، أو لئلا تحلفوا، وهو قول
عبد الملك²، وعليه فهذا أمر إرشاد وليس بواجب. ابن جزى: "أمر بالتحرز والحزم، فهو ندب
وقيل: فرض"³. انتهى. وقال الثعالبي: "أمر الله تعالى بالتحرز والحزم"⁴. انتهى. وقال في
الذهب⁵: "وهذا أمر إرشاد لا وجوب". انتهى. وهؤلاء الأئمة مروا على قول عبد الملك، وقد
علمت أن المشهور خلافه. وقال في اللباب: "أمر الله تعالى الولي بالإشهاد على دفع المال إلى
اليتيم، لتزول عنه التهمة، وتنقطع الخصومة، لأنه إذا كانت عليه بينة، كان أبعد من أن يدعي
عدم القبض، ويظهر بذلك أمانة الوصي، ويسقط عنه اليمين عند إنكار اليتيم القبض"⁶.
انتهى. وقال البغوي: "هذا إرشاد ليس بواجب، أمر الولي على دفع المال إلى اليتيم بعد ما بلغ
لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة"⁷. انتهى. مسألة: لا يجوز ولا ينفذ إقرار الوصي على

¹ لم أعثر عليه.

² إمام الحرمين الجويني، الإمام الكبير شيخ الشافعية إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك ابن الإمام أبي محمد
عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني ثم النيسابوري، ضياء الدين الشافعي
صاحب التصانيف. ولد في أول سنة تسع عشرة وأربعمئة من الهجرة، وسمع من أبيه وأبي سعد النصروبي
وعدة، روى عنه: أبو عبد الله الفراوي، وزاهر الشحامي، وآخرون. من مصنفاته: نهاية المطلب في
المذهب، الإرشاد في أصول الدين، الشامل في أصول الدين. توفي في الخامس والعشرين من ربيع الآخر
سنة ثمان وسبعين وأربعمئة من الهجرة، ودفن في داره ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين. الذهبي، سير
أعلام النبلاء، ج18، ص477.468. بتصرف.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص179.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص417.

⁵ لم أتمكن من الوقوف على هذا الكتاب.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص345.

⁷ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص14.

اليتم في حجره بأن ادعى في مال اليتيم، لأنّ الخصومة معه، ولا يكلف، لأن إقراره في ذلك أو إنكاره غير معتد به، ولكن يحض ليعلم من شهد على الميت، ليكون ذلك أهون له في مدفع إن رامه، وقول ابن الهندي¹ يقبل إقرار الوصي على اليتيم خطأ، قاله ابن عتاب²، انظر التبصرة³. وقال ابن سلمون⁴: "وأما الإقرار على اليتيم أو الصغير، ففي كتاب ابن سحنون⁵:

¹ ابن الهندي، أبو عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهمداني القرطبي المالكي المعروف بابن الهندي، سمع من ابن أبي دليم، كان واحد عصره في علم الشروط لا نظير له، له كتاب جامع يحتوي على علم كثير وعليه اعتماد الموثقين والحكام بالأندلس والمغرب، لم يكن بالمرضي في دينه ولا بالمقبول قوله، عديم المروءة، وذكرت فيه أشياء منكورة، وكان فكها حسن الحديث، روى عنه أبو بكر بن سيرين وحمزة بن حاسب، توفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وهو ابن ثمانين سنة. القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج2، ص649، 650. ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ص99، 98.

² ابن عتاب، أبو عبد الله محمد بن عتاب بن الحسن الأندلسي، ولد سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، كان فقيها محدثا حافظا للأخبار والأشعار والأمثال متواضعا، وكان شيخ أهل الشورى في زمانه وعليه كان مدار الفتوى، دعي إلى قضاء قرطبة مرارا فأبى، حدث عن عبد الرحمن بن أحمد التجيبي وأبي القاسم خلف بن يحيى والقاضي أبي بكر بن واقد وغيرهم، حدث عنه ابنه أبو محمد عبد الرحمن والقاضي ابن سهل، توفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص330، 328. بتصرف.

³ ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ج1، ص124.

⁴ ابن سلمون، أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن سلمون الكنايني الغرناطي المالكي، ولد سنة تسع وتسعين وستمائة للهجرة، عرض القراءات على أبي جعفر بن الزبير الحافظ وعلى أبي عبد الله بن عياش وقراءة نافع على أبيه وعلى فضل بن محمد بن فضيلة وقراءة الحرمين على أبي الوليد العطار وعلي بن أحمد البلوطي، أخذ عنه أبو عبد الله الحضرمي قراءة وسماعا. من مؤلفاته: الشافي في تحرير ما وقع من الخلاف بين التبصرة والكافي، في فروع المالكية، العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام. توفي شهيدا في وقعة طريف سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص436. الزركلي، الأعلام، ج4، ص106. بتصرف.

⁵ لم أعثر على القول. ابن سحنون، محمد بن عبد السلام (سحنون) بن سعيد بن حبيب التنوخي، أبو عبد الله. فقيه مالكي مناظر، كثير التصانيف. وفي المؤرخين من يسميه عبد الرؤوف بن علي، وغير ذلك. من أهل القيروان، لم يكن في عصره أحد أجمع لفنون العلم منه. رحل إلى المشرق سنة 235 هـ، وتوفي بالساحل، ونقل إلى القيروان فدفن فيها. من كتبه: "آداب المعلمين". ط، رسالة، و"أجوبة محمد بن

لا يجوز إقرار والد الصبي ولا الوصي عليه بغصب ولا دين وهو شاهد عليه". انتهى. ﴿وَكَفَىٰ﴾
 بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ الباء زائدة، والله فاعل كفى و﴿حَسِيبًا﴾ تمييز، "ومعناه: محاسب ومجاز
 وشاهد"، قاله في الباب¹. وقال السيوطي: "حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم"². انتهى. وقال
 في الضياء: "﴿حَسِيبًا﴾ حافظاً ومحاسباً للمجاوز ما حدَّ له³ حث على مراعاة مال اليتيم
 "⁴. وقال الثعالبي: "معناه: حاسباً أعمالكم ومجازيها"⁵. انتهى. وقوله: ﴿حَسِيبًا﴾ فاصلة
 الآية السادسة. وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ فيه وعيد لمن لم يعدل في اليتامى، ومن عدم
 العدل في اليتامى عدم توريتهم، وتوريتهم واجب محتتم، كما قال الله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ﴾
 بالإثبات، أي الذكور من الناس كباراً وصغاراً ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِّمَّا﴾ أي من المال الذي
 ﴿تَرَكَ﴾ هـ ﴿الْوَالِدَانِ﴾ بحذف الألفين ﴿و﴾ للرجال نصيب أيضاً مما ترك
 ﴿الْأَقْرَبُونَ﴾ يقول الله تعالى من مات وله ولد، فإن الميراث يشترك فيه الصغير والكبير، ولا
 يختص به الكبير دون الصغير، كان الميت من الوالدين الأب أو الأم أو ماتا جميعاً فتقسم التركة
 بين من يستحق الميراث شرعاً على الوجه الذي أمر الله به، ولا يحرم الصغار، بل لهم ما بينه
 الله لهم، وكذلك لو مات غير الوالدين، فإن أهل ميراثه يقتسمونه على الوجه الذي أمر الله به،
 ولا يحرم الصغار، بل الجميع ينالون حظوظهم". والآية نزلت في أوس بن ثابت الأنصاري⁶،

سحنون". خ، في الفقه، ولد سنة 202هـ، وتوفي سنة 256هـ. الزركلي، الأعلام، ج6، ص204.
 بتصرف.

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص482.

² السيوطي، تفسير الجلالين، ص98.

³ في الضياء: "عما حدَّ له".

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص165.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص417.

⁶ أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي الصحابي، شهد بدرًا والعقبية والمشاهد مع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم، توفي يوم أُحُد وترك امرأته وبتين وقيل: ثلاث، نزلت فيه وفي امرأته قول الله

مِنْهُ ﴿ أَي من المتروك ﴾ ﴿ أَوْ كَثُرَ ﴾ بدل من ﴿ مِمَّا تَرَكَ ﴾ يعني أن لكل حظه من التركة، كانت التركة قليلة أو كثيرة ﴿ نَصِيبًا ﴾ مفعول ثان لفعل محذوف، أي جعل الله ذلك نصيبًا مفروضًا، أو مفعوله أعني محذوفًا، كما في البغوي¹ وغيره، أو حال كما في الضياء² ﴿ مَقْرُوضًا ﴾ صفة لـ ﴿ نَصِيبًا ﴾ يعني موجبًا محتومًا، والفرض والواجب مترادفان، وفي الحديث: <من قطع ميراثًا فرضه الله، قطع الله تعالى ميراثه من الجنة>³. فلما نزلت هذه الآية مجملة لم يبين فيها النصيب كم هو، أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سويد وعرفجة: <لا تفرقا من المال شيئًا، فإن الله تعالى قد جعل لبناته نصيبًا مما ترك، ولم يبين كم هو، حتى أنظر ما يقول فيهن>⁴. فأنزل الله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ خَافُوا الْآيَةَ، فلما نزلت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سويد وعرفجة أن ادفعا إلى أم كحة الثمن مما تركه وإلى بناته الثلثين، ولكما باقي المال⁵، وقوله: ﴿ مَقْرُوضًا ﴾ فاصلة الآية السابعة. ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ ﴾ أي وإذا حضر قسم التركة ﴿ أُولُوا ﴾ بإثبات واوين الألف الأولى واللام خطأ لا لفظًا، أصحاب ﴿ الْقُرْبَى ﴾ أي قرابة الوارثين الذين لا يرثون ﴿ وَالْيَتَامَى ﴾ بالحذف، عطف على ﴿ وَالْمَسْكِينِ ﴾ بالحذف، أي المحتاجون الذين لا مال لهم، وإنما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم ﴿ فَأَرْزُقُوهُمْ ﴾ الضمير المنصوب عائد على ﴿ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ ﴾، والمرفوع هم للورثة، والضمير في ﴿ مِنْهُ ﴾ عائد على المال المتروك،

¹ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص15.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص165.

³ سعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور، ج1، ص96، رقم285، من حديث سليمان بن موسى مرسلاً.

⁴ لم أعثر عليه.

⁵ أبو داود، سنن أبي داود (بنحوه)، كتاب 7 الفرائض، باب4 ما جاء في ميراث الصلب، ج2، ص135، رقم2891.

ومعنى ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾: ارضخوا لهم من المال قبل القسمة. قال ابن جزى: "الآية خطاب للوارثين، أمروا أن يتصدقوا من الميراث على قرابتهم، وعلى اليتامى والمساكين، فقيل: إن ذلك على الوجوب، وقيل: على الندب، وهو الصحيح، وقيل: نسخ بآية الميراث"¹. انتهى. وقال الثعالبي: "اختلف فيمن خوطب بهذه الآية، فقيل: الخطاب للوارثين، وقيل: للمحتضرين، والمعنى: إذا حضر أحدكم الموت أيها المؤمنون، وقسمتم أموالكم بالوصية، وحضركم من لا يرث من ذوي القرابة واليتامى والمساكين ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ قاله ابن عباس وغيره. واختلف هل هي منسوخة بآية الميراث أو هي محكمة؟ وعلى أنها محكمة، فهل الأمر على الوجوب، فيعطى لهم ما خف²، أو على الندب؟ خلاف، والضمير في قوله: ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ عائد على الأصناف الثلاثة"³. انتهى. وقال في الباب: "واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هذه الآية منسوخة بآية الميراث، وهذا رواية مجاهد عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة، وقال قوم: هي محكمة غير منسوخة، وهو الرواية الأخرى عن ابن عباس، وهو قول أبي موسى الأشعري وأبي العالية⁴ والشعبي وعطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعي والزهري، ثم اختلف العلماء بعد القول بأنها محكمة: هل هذا النفي الأمر أمر وجوب أو ندب، على قولين، أحدهما: أنه واجب، فقيل: إن كان الوارث كبيراً وجب عليه أن يرضخ لمن حضر القسمة شيئاً من المال بقدر يطيب به

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص179.

² في الثعالبي: "خلف".

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص418.

⁴ أبو العالية، رُفِعَ بن مِهْران، الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أبو العالية الرياحي، البصري، أحد الأعلام، كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه، وسمع من: عمر، وعلي، وأبي، وأبي ذر، وابن مسعود، وعائشة، وابن عباس وعدة، وحفظ القرآن، وقرأه على أبي بن كعب، وتصدّر لإفادة العلم، وبعده صيته، وقال أبو بكر بن أبي داود: وليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير، وقد وثق أبا العالية، الحافظان أبو زرعة وأبو حاتم، توفي في شوال سنة تسعين من الهجرة، وقيل غير ذلك. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص213207. بتصرف.

نفسه، وإن كان الوارث صغيراً وجب على الولي أن يعتذر إليهم، ويقول: إني لا أملك هذا المال، وهو لهؤلاء الضعفاء، قال ابن عباس: إن كان الورثة كباراً رضخوا لهم، وإن كان الورثة صغاراً اعتذروا إليهم، فيقول الوصي: أنا لا أملك هذا المال، وإنما هو للصغار، ولو كان لي منه شيء لأعطيكم، وإن يكبروا فسيعرفون حقكم، هذا هو القول المعروف. وقال بعضهم: ذلك حق واجب في مال الصغار والكبار، فإن كان الورثة كباراً تولوا إعطاءهم بأنفسهم، وإن كانوا صغاراً أعطى وليهم. روى محمد بن سيرين¹ أن عبيدة السلماني² قسم أموال أيتام، فأمر بشاة فذبحت وصنعت طعاماً لأجل هذه الآية، قال: لولا هذه الآية لكان هذا من مالي، وقال الحسن³: كانوا يعطون الثابت والأواني والثياب والمتاع والشيء الذي يستحي من قسمته⁴. انتهى. والقول الثاني: إن هذا الأمر ندب على سبيل الفرض، وهذا القول هو الأصح الذي عليه العمل اليوم، واحتجوا بهذا القول: بأنه لو كان لهؤلاء حقّ معيّن لبيّنه الله تعالى، كما بيّن سائر الحقوق، بحيث لم يبيّن علمنا أن ذلك غير واجب، وقيل في معنى الآية: إن المراد بالقسمة الوصية، فإذا حضر الوصية من لا يرث من الأقارب واليتامى والمساكين، أمر الله

¹ محمد بن سيرين، الإمام، شيخ الإسلام، أبو بكر الأنصاري، الأنسي، البصري، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبوه من سبي جرّحزايّا، تملكه أنس، ثم كاتبه على ألوف من المال، فوفّاه، سمع أبا هريرة وعمران بن الحُصَيْن، وابن عباس، وعديّ بن حاتم، وابن عمر وخلقاً سواهم، وروى عنه: قتادة، وابن عون، وقرّة بن خالد وغيرهم، وقد أدرك ثلاثين صحابياً، وقال هشام: حدثني أصدق من رأيت: محمد بن سيرين، وقال حُلَيْف بن عقبة: كان ابن سيرين نسيج وحده، وكان فقيهاً، عالماً، ورعاً، كثير الحديث، صدوقاً، وهو حجة، ومن أقواله: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، مات سنة 110هـ، لتسع مضيّن من شوال. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص676.686، رقم الترجمة 749. بتصرف.

² عبيدة السلماني، عبيدة بن عمرو، أو قيس، السلماني المرادي. تابعي، أسلم باليمن أيام فتح مكة، ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم. وكان عريف قومه، وهاجر إلى المدينة في زمان عمر رضي الله عنه. وحضر كثيراً من الوقائع، وتفقه، وروى الحديث. وكان يوازي شريكاً في القضاء. مجهول الولادة، وتوفي سنة 72هـ. الزركلي، الأعلام، ج4، ص199. بتصرف.

³ في الباب زيادة: "هذا الرضخ فحص بقسمة الأعيان، فإذا آل الأمر إلى قسمة الأرضين والرفيق وما أشبه ذلك فقالوا لهم قولاً معروفاً، وقيل: كانوا يعطون...".

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص483.

الموصي أن يجعل لهم نصيباً من تلك الوصية. انتهى. وقال في الضياء: "قال ابن العربي: "لو وجب . يعني رزق الأصناف الثلاثة من التركة¹ لكان استحقاقاً ومشاركة للوارث في التركة، فتكون إحدى الجهتين مجهولة²، وذلك مناقض للحكمة"³، ولتنازعوا فيه منازعة تؤدي إلى القطعية، والمقصود بذلك الصلة"⁴. انتهى. وعن ابن عباس⁵ أن الآية محكمة، ولكنها مما تهاون

به الناس ﴿ وَقُولُوا ﴾ أيها الأولياء ﴿ لَهُمْ ﴾ أي للأصناف الثلاثة ﴿ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ فاصلة الثامنة، أي جيبلاً بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه لصغار، ولو كان لكم شيء منه لأتيموهم، وإن يكبروا فسيعرفون حكم هذا القول المعروف، كما مر التصريح بذلك، وهذا إنما يأتي على أنه لا حق لهم في مال الصغار، وأما على أنهم لهم حق في مال الصغار، فيجمعون لهم بين الرضخ والقول المعروف، وهو حينئذ ما يؤنس النفوس، وأن لا يتبع العطية بالمرء والأذى. ثم ذكر لهم ما يفهم الحث على الإحسان إلى اليتامى والتحذير من الإساءة إليهم فقال: ﴿ وَلِيَخْشَ ﴾ أي وليخف، ومفعوله محذوف، أي الله أو ضياع اليتيم ﴿ الَّذِينَ ﴾ أي الأولياء الذين ﴿ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ ﴾ ابتدائية متعلقة بـ ﴿ تَرَكَوْا ﴾ ﴿ حَلَفِهِمْ ﴾ أي من بعدهم ﴿ ذُرِّيَّةً ﴾ أولاداً ﴿ ضِعْفًا ﴾ بالحذف صغاراً ﴿ خَافُوا ﴾ بالإثبات ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ أي على الذرية التي ماتوا عنها مرضاً، و﴿ خَافُوا ﴾ جواب الشرط، ومفعوله محذوف: الفقر. يقول الله تبارك وتعالى وليخش الذي في حجره يتيم أن يضيع ماله، بل يحسن إليه، ويفعل معه كما يجب أن يفعل بذريته الضعاف الذي لو مات وخلفهم من بعده لضاعوا إن لم يكن لهم قيم يحسن إليهم، أو تقول: وليخش الله الذي في حجره يتيم في أن يضيع ماله إلخ. وفي هذا المثال استعطاف على الأيتام، فإن الولي إذا استحضر تلك الحالة يشفق على ولده، فيحمله ذلك على أن يرق لليتيم الذي ليس له غير الله، فيستحضر ما أمره

¹ ما بين الإشارتين (-) من كلام الفودي.

² في ضياء التأويل في معاني التنزيل (166/1) زيادة: "والأخرى معلومة".

³ ابن عربي، أحكام القرآن، ج1، ص329.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص166.

⁵ لم أعثر على القول.

الله به في شأنه، فيحمله ذلك على أن يمثل أمر الله فيه، هذا تفسير الكلبي¹: أن الخطاب لأولياء اليتامى، وقيل: إن هذا خطاب للذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت، فيقولون له: انظر لنفسك، فإن أولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئاً، قدم لنفسك، أعتق وتصدق وأعط، فلا يزالون به حتى يأتي على عامة ماله، فنهاهم الله عن ذلك، وأمرهم بأن يأمره بالنظر لولده، ولا يزيد على الثلث في وصيته، ولا يجحف، والمعنى: كما صح أنكم تكرهون بقاء أولادكم في الضياع والجوع من غير مال، فاحشوا الله، ولا تحملوا المريض على أن يحرم أولاده الضعفاء من ماله، وحاصل هذا الكلام: كما أنك لا ترضى هذا الفعل لنفسك، فلا ترضه لأخيك المسلم، وقيل: هو الرجل يحضره الموت، ويريد أن يوصي بشيء، فيقول له من حضره: اتق الله، أمسك مالك لولدك، فيمنعوه من الوصية لأقاربه المحتاجين، وقيل: يحتمل أن تكون الآية خطاباً لمن قرب أجله، ويكون المقصود نهي عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقراء ضعفاء ضائعين بعد موته، ثم إن كانت هذه الآية نزلت قبل تقدير الثلث، كان المراد منها أن لا يجعل الوصية مستغرقة للتركة، وإن كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث، كان المراد منها أن يوصي بالثلث أو بأقل إذا خاف على ورثته، كما روي عن كثير من الصحابة أنهم وصوا بالقليل لأجل ذلك، وكانوا يقولون: الخمس في الوصية أفضل من الربع، والربع أفضل من الثلث، وقد ورد في الصحيح: >الثلث، والثلث كثير، لأن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس<². يعني يسألونهم بأكفهم، وقيل: إن المراد جميع الناس، وإن لم يكن الأيتام في حجورهم، فهو أمر بالإحسان إليهم، فيتفكر كل أحد في ولده إن تركه فيحمله ذلك على الإحسان إلى اليتامى. انظر: اللباب³، والتهالبي⁴، وغيرهما. ﴿فَلْيَتَّقُوا﴾ أي فليخافوا، يعني: الأولياء أو غيرهم، على ما مر من الخلاف ﴿اللَّهُ﴾ في الأمر الذي تقدم ذكره ﴿وَلْيَقُولُوا﴾ أي الأولياء أو غيرهم ممن ذكره ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ فاصلة الآية

¹ لم أعثر على القول.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 23 الجنائز، باب 36 رثاء النبي سعد بن خولة، ج3، ص164، رقم1295.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص484.

⁴ التهالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص418، 419.

التاسعة، أي عدلاً وصواباً بالقول السديد من الجالسين عند المريض، هو أن يأمره بأن يتصدق بما دون الثلث، فإن كان ولا بدّ فالثلث، والثلث كثير، ويترك الباقي لولده، وأن لا يحيف في وصيته، والقول السديد¹: الأوصياء أن يفعلوا في ما لهم الجميل، ويكلموهم كما يكلمون أولادهم، ولا يؤذوهم بقول ولا فعل"، قاله في الباب². وقال الثعالبي: "والسديد معناه المصيب للحق"³، أمرهم بالخشية أولاً، لأنها الباعثة على الامتثال، وثانياً بالتقوى، لأنه نهاية المقامات، ثم أمرهم أن يقولوا لليتامى قولاً سديداً تطيب به قلوبهم نحو: يا بني، وتأدب بآداب الشرع، وما يدل على محاسن الأخلاق، أو للمريض، لأن الكلمة الطيبة صدقة. ولما حضّر على العدل في أمر اليتامى، وبَيَّن ما يفعل معهم، ذكر حكم أكل أموالهم ظلماً فقال:

﴿إِنَّ﴾ أَكْدَبَ ﴿إِنَّ﴾ الْمَكْسُورَةَ بِالْإِسْتِنَافِ ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ﴾ بِالْإِثْبَاتِ، أَيِ يَتَلَفُونَ بِأَكْلِ أَوْ غَيْرِ ﴿أَمْوَالٍ﴾ بِالْحَذْفِ ﴿الْيَتَامَى﴾ بِالْحَذْفِ ﴿ظُلْمًا﴾ يَعْنِي بغير حق، بخلاف من أكله بحق، كقيام بماله إن أكل بعذر قيامه، وبخلاف من له على اليتيم دين فأكل بقدره، فلا حرج عليه، و﴿ظُلْمًا﴾ نَائِبٌ عَنِ الْمَصْدَرِ، أَيِ أَكَلَ ظُلْمًا، أَوْ حَالَ أَيِ ظَالِمِينَ ﴿إِنَّمَا﴾ هِيَ وَمَا بَعْدَهَا خَبَرٌ عَنِ إِنْ، وَمَا زَائِدَةٌ كَافِيَةٌ لِإِنْ عَنِ الْعَمَلِ ﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ بِالْإِثْبَاتِ، مَفْعُولٌ ﴿يَأْكُلُونَ﴾، أَخْبَرَ سَبْحَانَهُ مِنْهُمْ أَنَّ هَذَا الَّذِي يَأْكُلُونَهُ الْآنَ إِنَّمَا هُوَ النَّارُ، لِأَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي بُطُونِهِمْ. قَالَ فِي الْبَابِ: "﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ يَعْنِي سَيَأْكُلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارًا، فَسَمِيَ الَّذِي يَأْكُلُونَهُ بِمَا يُؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ السَّيِّدِيُّ: يَبْعَثُ أَكْلَ مَالِ الْيَتِيمِ ظُلْمًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَهَبُ النَّارِ يُخْرِجُ مِنْ فِيهِ وَمِنْ مَسَامِعِهِ وَعَيْنِيهِ وَأَنْفِهِ، يَعْرِفُهُ مَنْ رَأَاهُ"⁴. انتهى. وفي الحديث: >إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُمْ مِنْ

¹ هنا زيادة: "من".

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص484.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص419.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص484.

قبورهم تتأجج أفواههم ناراً¹. انتهى. وفي حديث أبي سعيد الخدري² قال: حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسري به قال: >نظرت فإذا أنا بقوم ولهم مشافر كمشافر الإبل، وكل بهم من يأخذ بمشافرهم، ثم يجعل في أفواههم صخر من نار فيخرج من أسافلهم، قلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، إنما يأكلون في بطونهم ناراً³. وقيل: إنما ذكر أكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام، والمراد أن أكل مال اليتيم ظلماً يفضي بالأكل إلى النار، وإنما خص الأكل بالذكر، وإن كان المراد سائر الإتلافات وجميع التصرفات الردية المتلفة للمال، لأن الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم، فعبر عن جميع ذلك بالأكل، لأنه معظم المقصود، وإنما ذكر البطون للتأكيد، فهو كقولك: رأيت بعيني، وسمعت بأذني. انتهى. قال السيوطي: "﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ لأنه يؤول إليها"⁴. انتهى. وقوله: "﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ الآية، وإن نزلت في الأوصياء، تتناول كل آكل ظلماً، وإن لم يكن وصياً. قال الثعالبي رحمه الله تعالى: "تأمل صدر هذه السورة. رحمك الله. معظمة، إنما هو في شأن الأجوфин البطن والفرج مع اللسان، وهما المهلكان، وأعظم الجوارح آفة وجناية على الإنسان"⁵. وقد روينا عن مالك في الموطأ عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قال: >من وقاه الله شرّ اثنين ولج الجنة: ما بين

¹ أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ج13، ص434، رقم7440. قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (2/7): "وفيه زياد بن المنذر، وهو كذاب".

² أبو سعيد الخدري الصحابي، سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة، الإمام المجاهد مفتي المدينة أحد الفقهاء المجتهدين، استشهد أبوه مالك يوم أحد، شهد أبو سعيد الخندق وبيعة الرضوان، حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وعمر وطائفة، حدث عنه ابن عمر وجابر وأنس وأبو سلمة وسعيد بن المسيب وعطية العوفي وخلق كثير، توفي رضي الله عنه سنة أربع وسبعين للهجرة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص78، 79. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص172.168. بتصرف.

³ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج4، ص273.

⁴ السيوطي، تفسير الجلالين، ص99.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص419.

لحييه، وما بين رجليه¹. قال أبو عمر بن عبد البر² في التمهيد³: "ومعلوم أنه أراد صلى الله عليه وسلم بما بين لحييه اللسان، وبما بين رجليه الفرج، والله أعلم، ولهذا أردف مالك حديثه هذا بحديثه⁴ عن زيد ابن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب⁵ دخل على أبي بكر الصديق⁶ رضي الله عنهما وهو يجبذ لسانه، فقال له عمر: مه، غفر الله لك، فقال أبو بكر:

¹ مالك بن أنس، الموطأ، كتاب الجامع، باب ما جاء فيما يخاف من اللسان، ص840، رقم196.

² ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر التَّمَرِي الأندلسي القُرطبي المالكي، ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة من الهجرة، طلب العلم وأدرك الكبار وطال عمره وعلا سنده وجمع وصنّف، سمع من أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن والمَعَمَّر محمد بن عبد الملك بن ضيفون وخلف بن القاسم بن سهل الحافظ وغيرهم، حدّث عنه أبو محمد بن حزم والحافظ أبو علي الغساني وأبو عبد الله الحميدي ومحمد بن فتوح الأنصاري وطائفة، له بسطة كبيرة في علم الأثر، من مؤلفاته: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب. توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة من الهجرة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص163.153. بتصرف.

³ ابن عبد البر، التمهيد، ج2، ص484.

⁴ مالك بن أنس، الموطأ، كتاب الجامع، باب ما جاء فيما يخاف من اللسان، ص840، رقم197.

⁵ عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح القرشي العدوي أبو حفص، الصحابي الجليل صاحب الفتوحات ويضرب بعدله المثل، ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من لقب بأمر المؤمنين من الخلفاء، سماه النبي صَلَّى الله عليه وسلّم بالفاروق، شهد مع رسول الله بدرًا وأحدًا والخندق وبيعة الرضوان وخيبر والفتح وغيرها من المشاهد، بويع له بالخلافة بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعهد منه، وفضائله ومناقبه كثيرة، قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي غيلة بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح سنة ثلاث وعشرين للهجرة رضي الله عنه. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج3، ص678.642. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص518-519. الزركلي، الأعلام، ج5، ص45، 46. بتصرف.

⁶ أبو بكر الصّدّيق، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب القرشي التميمي، غلب عليه اسم عتيق ولقبه المسلمون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد بمكة بعد الفيل بستين وستة أشهر، صحب النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وسبق إلى الإيمان فكان أول من أسلم من الرجال واستمر معه طوال إقامته بمكة ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها إلى أن مات، بويع بالخلافة يوم وفاة النبي سنة إحدى عشرة للهجرة، فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة، وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق. توفي رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكانت

"إن هذا أوردني الموارد". وقال أبو عمر: وعن أبي هريرة¹ رضي الله تعالى عنه: >إن أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان: البطن والفرج<². وعن سهل بن سعد الساعدي³ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: >من يتكفل لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة<⁴. ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ يعني الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، أي يدخلون في الآخرة ﴿سَعِيرًا﴾ فاصلة الآية العاشرة، أي ناراً مسعرة، أي موقدة، وقوله يصلون، قال في الضياء: "بالبناء للفاعل للجمهور، وللمفعول لابن عامر وابن عياش⁵ عن عاصم: يدخلون سعيراً، ناراً شديدة، يحرقون فيها، من صلى النار قاسى حرها، وصليته شويته، وقرئ مشدداً من صليته ألقيته فيها"⁶. انتهى. قوله: للجمهور، أي التسعة وحفص. وقال البغوي: "قرأ

مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر ونصف شهر. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص341.344.

¹ أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة رضي الله عنه، اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له، روى عنه كثيرون من صحابة وتابعين، استعمله عمر بن الخطاب رضي الله في خلافته على البحرين ثم عزله ثم بعد فترة أراده بعد زمن على العمل فامتنع وسكن المدينة وبها توفي سنة سبع وخمسين من الهجرة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص202. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج5، ص318.

² أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج2، ص442.

³ سهل بن سعد بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة، الإمام، الفاضل، المقمّر، بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو العباس الخزرجي، الأنصاري، الساعدي، روي عنه عدّة أحاديث، وحدث عنه ابنه عباس، وأبو حازم الأعرج، وابن شهاب الزهري، وغيرهم وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، وكان من أبناء المائة وكان موته سنة إحدى وسبعين وقيل ثمان وثمانين للهجرة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص200. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص218، 219، رقم الترجمة 430. بتصرف.

⁴ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 37 الزهد، باب 60 ما جاء في حفظ اللسان، ج4، ص524، رقم2408. قال الترمذي: "حديث حسن صحيح". ابن عبد البر، التمهيد، ج2، ص483.

⁵ ابن عياش، أبو بكر شعبة بن عياش، تقدمت ترجمته في أبي بكر.

⁶ عبد الله بن عثمان الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص166.

العامّة بفتح الياء، أي يدخلون، يقال: صلى النار يصلّاها، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾¹، وقرأ ابن عامر وأبو بكر² بضم الياء، أي يدخلون ويحرقون، نظيره: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾³ ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾⁴. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: >رأيت ليلة أسري بي قومًا لهم مشافر كمشافر الإبل، إحداها قالصة على منخره، والأخرى على بطنه، وخزنة النار يلقمونهم حجر جهنم وصخرها، فقلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً<⁴. انتهى. وقال الثعالبي: "والصلا هو التسخين بقرب النار أو بمباشرتها والحرق الذي يذهب بالحرق، وليس بصال إلا في بدء أمره، وأهل جهنم لا تذهبهم فهم فيها صالون، أعاذنا الله منها بجوده وكرمه، والسعير الجمر المشتعل، وهذه آية من آيات الوعيد، والذي يعتقد أهل السنة أن ذلك نافذ على بعض العصاة، ساقط بالمشيئة عن بعضهم"⁵. في القاموس: "صلى اللحم يصله صليًا شواه أو ألقاه في النار للإحراق كأصلاه وصلاه، ويده بالنار سخنها، وصلى النار وبها صليًا وصليًا وصلاء بكسر قاسى حرها"⁶. انتهى. وقوله تعالى: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ قال في اللباب: "لما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس، واحترزوا من مخالطة اليتامى وأموالهم بالكلية، فشق ذلك على

¹ الصفات، 163.

² أبو بكر (المقرئ)، شعبة بن عياش بن سالم، أبو بكر الحنات الأسدي النهشلي الكوفي، الإمام العلم راوي عاصم بن أبي النّجود، عرض القرآن على عام ثلاث مرات، عرض عليه أو روى عنه يحيى الخاسب والكسائي وعبد الحميد بن صالح البرجمي وإسحاق بن عيسى وحماد بن أبي زياد وحسين الاحتياطي ويعقوب الأعشى وغيرهم، توفي سنة ثلاث وقيل أربع وتسعين ومائة للهجرة. الذهبي، معرفة القراء على الطبقات والأعصار، ج1، ص138.134. ابن الأثير، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص254، 255. بتصرف.

³ المدثر، 26.

⁴ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج4، ص273.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص420.

⁶ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب الواو والياء، فصل الصاد، ص1681.

اليتامى، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَخَاطَبُوهُمْ فَاخْوَانُكُمْ﴾¹ وقد توهم بعضهم أن قوله: ﴿وَإِنْ تَخَاطَبُوهُمْ فَاخْوَانُكُمْ﴾² ناسخ لهذه الآية، وهذا غلط ممن توهمه، لأن هذه الآية واردة³ في المنع من أكل أموال اليتامى ظلماً، وهذا لا يصير منسوخاً، لأن أكل مال اليتيم بغير حق من أعظم الآثام، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَخَاطَبُوهُمْ فَاخْوَانُكُمْ﴾⁴ واردة على سبيل الإصلاح في أموال اليتامى والإحسان إليهم، وهو من أعظم القرب". انتهى. ولما أمر سبحانه بالعدل في أموال اليتامى بين ما لهم من الميراث ولغيرهم فقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ قال في الضياء: "يأمركم ويعهد إليكم ويفرض لكم وعليكم"⁵. انتهى. ﴿فِي﴾ شأن ميراث ﴿أَوْلَدِكُمْ﴾ بالحذف، جمع ولد، يشمل الذكر والأنثى، ولهذا قال: ﴿لِلذَّكَرِ﴾ من الأولاد ﴿مِثْلُ حَظِّ﴾ نصيب ﴿الْأُنثَيَيْنِ﴾ منهم، يقول الله تعالى إذا مات والد ووالدة، فإن للولد الذكر مثل حظ الأنثيين، أي يعطى للولد الذكر مثل ما يعطى للأنثيين، فإذا مات أب وترك ابناً وبنتين، تكون المسألة من أربعة للابن اثنان، ولكل واحدة من البنتين سهم، فله النصف، ولكل واحدة منهما الربع، وكذا لو ماتت الأم أو مات الوالدان جميعاً، وعلم منه أن الأولاد الذكور مستوية أنصباؤهم، كذا الإناث نصيبهن مستو، فنصيب الأولاد الذكور مستو، قلوا أو كثر،وا، انفردوا أو كان معهم غيرهم، ومثلهم في استواء الأنصباء الإناث، قلت أو كثرت. قال ابن جزى: "هذه الآية نزلت في بنات سعد بن الربيع"⁶، وقيل: بسبب جابر ابن

¹ البقرة، 220.

² البقرة، 220.

³ التاء غير موجودة في لباب التأويل.

⁴ البقرة، 220.

⁵ عبد الله بن عثمان الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص166.

⁶ سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهرة الأنصاري البصري النقيب الشهيد الذي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الرحمن عوف، كان أحد النقباء ليلة العقبة، توفي يوم أحد سنة ثلاث من الهجرة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص58، 59. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1،

عبد الله¹، إذ دعاه² رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه، ورفعت ما كان في الجاهلية من ترك توريث النساء والأطفال، وقيل: نسخت الوصية للوالدين والأقربين، وإنما قال: ﴿يُوصِيكُمُ﴾ بلفظ الفعل الدائم، ولذا لم يقل أوصاكم تنبيهاً على نسخ ما مضى والشروع في حكم آخر، وإنما قال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ ولم يقل نوصيكم، لأنه أراد تعظيم الوصية، فجاء بالاسم الذي هو أعظم الأسماء³. انتهى. وإنما قال: ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ ولم يقل في أبنائكم، لأن الابن إنما يقع على الذكر، فلا شك أن الأنسب بقوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ إنما التعبير بأولادكم، وإن أمكن شمول لأبناء للبنات باعتبار التغليب، والله تعالى أعلم. وقال في اللباب: "اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية، مروى عن جابر قال: "مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأبو بكر وهما ماشيان، فوجداني أغمي علي، فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صب وضوءه⁴ علي، فأفقت، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، كيف أصنع في مالي؟ فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية

ص320318. بتصرف. الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 30 الفرائض، باب 3 ما جاء في ميراث البنات، ج4، ص361، رقم2092. قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

¹ جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الصحابي، أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن، الأنصاري الخزرجي السلمي المدني الفقيه، من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتاً، روى كثيراً عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر وعلي وأبي بكر وأبي عبيدة و معاذ ابن جبل والزبير وطائفة، حدث عنه سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح وسالم بن أبي الجعد والحسن البصري وأبو جعفر الباقر وغيرهم، كان مفتي المدينة في زمانه، شهد الخندق وبيعة الشجرة، وشاخ وذهب بصره وقارب التسعين، توفي سنة ثمان وسبعين للهجرة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص434. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، صص194.189. بتصرف.

² في التسهيل: "عاده".

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص180.

⁴ "الوضوء بالفتح الماء الذي يُتَوَضَّأُ به، كالفطور والسحور لما يُفطَرُ عليه ويُتَسَحَّرُ به". ابن منظور، لسان العرب، مادة و ض أ، ج1، ص194.

الميراث" ¹. وفي رواية: "فقلت: لا يرثني إلا كلاله، فكيف الميراث؟ فنزلت آية الفرائض" ². وفي رواية أخرى: "فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾" ³. وفي رواية أخرى: "فلم يرد عليّ شيئاً حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾" ⁴، أخرجه البخاري ⁵ ومسلم ⁶. وقال مقاتل ⁷ والكلبي: نزلت في أم كحة امرأة أوس بن ثابت وبناته. قال عطاء: نزلت في سعد بن الربيع النقيب، استشهد يوم أحد، وترك امرأة وبنتين وأخاً. وعن جابر رضي الله عنه قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابتيتها من سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما، فلم يدع لهما مالاً، ولا ينكحان إلا ولهما مال، قال: <يقضي الله في ذلك>، فنزلت آية الميراث، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهم فقال: <أعط ابنتي سعد الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقي فهو لك>، أخرجه

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 75 المرضى، باب 5 عيادة المغمى عليه، ج 10، ص 114، رقم 5651.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 75 المرضى، باب 21 وضوء العائد للمريض، ج 10، ص 132، رقم 5676.

³ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 48 التفسير، باب 5 ومن سورة النساء، ج 5، ص 217، 218، رقم 3015. قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

⁴ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 30 الفرائض، باب 7 ميراث الأخوات، ج 4، ص 364، رقم 2097. قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

⁵ انظر: صحيح البخاري في المصدر السابق.

⁶ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 23 الفرائض، باب 2 ميراث الكلاله، ج 3، ص 1234، رقم 1616.

⁷ مقاتل بن سليمان البلخي، أبو الحسن. صاحب التفسير، قال أبو حنيفة: أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهنم معطل، ومقاتل مشبه. أصله من بلخ، وانتقل إلى البصرة، ودخل بغداد وحدث بها. من مؤلفاته: "التفسير الميسر"، "متشابه القرآن"، و"الناسخ والنسخ". توفي بالبصرة سنة خمسين ومائة للهجرة. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 5، ص 255. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 7، ص 201. بتصرف.

الترمذي¹. وقال السدي: كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار من الغلمان، لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال، فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر²، وترك امرأة وخمس بنات، فجاءت الورثة، وأخذوا ماله، فشكت امرأته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله هذه الآية³، وأعلم أن الورثة كانت في الجاهلية بالذكورة والقوة، فكانوا يورثون الرجال دون النساء والصبيان، فأبطل الله عز وجل ذلك بقوله: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الآية، وكانت أيضًا في ابتداء الإسلام بالمخالفة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾، ثم صارت الورثة بالهجرة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَكِيلٍ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾⁴ فنسخ ذلك كله، وصارت الورثة بأحد الأمور الثلاثة: النسب، والنكاح، والولاء. وعلم الفرائض من أعظم العلوم قدرًا، وأشرفها ذخرًا، وأفضلها ذكرًا، وهي ركن من أركان الشريعة، وفرع من فروعها، اشتغل الصدر الأول من الصحابة بتحصيلها، وتكلموا في فروعها وأصولها، ويكفي في فضلها

¹ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي، ولد في حدود سنة عشر ومائتين من الهجرة، كان أحد أئمة الحفاظ الكبار المبرزين، طاف في البلاد وسمع خلقًا كثيرًا، سافر إلى العراق والحجاز، لكنه لم يرحل إلى مصر والشام بل يروي عن علماء هذين البلدين بالواسطة، من أبرز مشايخه، الإمام البخاري ومسلم، روى عن محمد بن بشار بُندار، وأبي سعيد الأشج، وغيرهما، روى عنه أبو العباس المروزي، وأبو سعيد الشاشي، وحماد بن شاکر، وآخرون، من مؤلفاته: الجامع المعروف بسنن الترمذي، الشمائل المحمدية، العلل الكبير، توفي سنة تسع وسبعين ومائتين من الهجرة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، ص277270. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج4، ص278. بتصرف. الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 30 الفرائض، باب3 ما جاء في ميراث البنات، ج4، ص361، رقم2092. قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

² عبد الرحمن بن ثابت بن المنذر بن حزام الأنصاري الخزرجي أخو حسان الشاعر، قال السدي في تفسيره مات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وترك امرأة وخمسة إخوة، ولم أره لغيره ولا ذكر أهل النسب لحسان أخًا اسمه عبد الرحمن، قاله الحافظ ابن حجر. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص393.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص485.

⁴ الأنفال، 72.

أن الله عزَّ وجلَّ تولى قسمتها بنفسه، وأنزلها في كتابه مبينة من محل قدسه، وقد حثَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها، وفي الحديث: <تعلموا الفرائض والقرآن، وعلموا الناس بأني مقبوض، والعلم مرفوع، ويوشك أن يختلف اثنان في الفريضة، فلا يجدان أحداً يخبرهما>¹. انتهى. وفي الحديث: <إن علم الفرائض أول علم ينسى، وأول شيء ينزع من أمتي>². واعلم أنه لا يرث من الرجال إلا عشرة: الابن، وابن الابن وإن سفل، والأب، والجد وإن علا، والأخ سواء كان شقيقاً أو لأب أو لأم، وابن الأخ شقيقاً أو للأب وإن سفل، والعم للأب والأم وللأب وإن بعد، وأبناءؤهما وإن سفلوا، والزوج، والمعتق أو عاصبة. ولا يرث من النساء إلا سبع: البنت، وبنت الابن وإن سفلت، والأم، والجددة وإن علت كأم الأم وأمهاتها وأم الأب وأمهاتها، فإن استوتا اشتركتا في السدس، وإلا اشتركتا إلا أن تكون القري هي التي للأم، فإنها تختص به، وأم أب الأب تورث ولا ترث، وما عدا هذه الجدات لا يرثن ولا يورثن بواسطة جدتيهن، وأم الأب ترث وتورث بذلك دون أمهاتها، واللواتي للأم لا يرثن بواسطة جدتيهن، ولا يورثن بذلك، والزوجة والمعتقة. وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير، وهم: الأبوان، والولدان، والزوجان، لأنه ليس بينهم وبين الميت واسطة، ولا توارث بين مسلم وكافر، فلا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم، وأما الكفار أهل الملل، فقليل: يرث بعضهم بعضاً، بناء على أن الكفر كله ملة واحدة، وقيل: ذلك مانع، والرق مانع من الميراث، فلا يرث الرقيق، ولا يورث، بل ماله لسيده، والقتل عمداً عدواناً يمنع القاتل من الإرث، فلا يرث المقتول كالمخطئ من الدية، وكذا لا ميراث بين من لم يعلم موته، هل سبق أو تأخر عن موت غيره؟ كما لو ماتا معاً، وكذا لو علم تقدم موت أحدهما على الآخر، ولم يعلم عين الميت منهما أولاً. قال ابن جزى: "فإن قيل: هلا قال للأنثيين مثل حظ الذكر؟ فالجواب: أنه بدأ بالذكر لفضله، ولأن القصد ذكر حظه، ولو قال للأنثيين مثل حظ الذكر، لكان فيه تفضيل للإناث"³. انتهى. وقال في الضياء: "وبدأ بميراث الأولاد، لأن تعلق القلب

¹ الدارمي، سنن الدارمي، المقدمة، باب الاقتداء بالعلماء، ج1، ص72، 73.

² ابن ماجه (بنحوه)، سنن ابن ماجه، كتاب 23، باب 1 الحث على تعليم الفرائض، ج2، ص908، رقم2719.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص180.

بهم أشد، فأجمله ثم فصله بقوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ وقوله صفة لموصوف محذوف، أي ﴿لِلذَّكَرِ¹ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾، وقوله جلّت قدرته: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ شامل لما إذا كان معهم غيرهم، فيأخذ الفرض فرضه، ثم الباقي للأولاد يقسمونه ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ ويصير الأبناء البنات عسبة، وأما إذا انفرد الأولاد ﴿فَإِنْ كُنَّ أَيُّ الْأَوْلَادِ، أَثْنُ الضَّمِيرِ، لِأَنَّ الْأَوْلَادَ فِي هَذَا بِمَعْنَى الْمَوْلُودَاتِ، أَوْ لاعتبار الخبر ﴿نِسَاءً﴾ خَلَصًا لَيْسَ مَعَهُنَّ ذَكَرٌ ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ بِأَنَّ كُلَّ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَكْثَرَ ﴿فَلَهُنَّ﴾ أَيُّ لِلْبَنَاتِ اللَّاتِي هُنَّ فَوْقَ اثْنَتَيْنِ ﴿ثُلَاثًا مَا﴾ أَيُّ الْمَالِ الَّذِي ﴿تَرَكَ﴾ لَهُ الْوَالِدُ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾، وَكَذَا الْحُكْمُ لَوْ تَرَكَ الْوَالِدُ اثْنَتَيْنِ، فَإِنَّ لهُمَا ثُلثِي مَا تَرَكَ، وَيُظْهِرُ لِي أَنَّهُ أَتَى بِـ ﴿فَوْقَ﴾ لِيُفِيدَ أَنَّهَا لَيْسَ لهُمَا إِلَّا الثَّلَاثَانِ، وَلَوْ كَثُرْنَ، فَإِذَا كَانَتَا اثْنَتَيْنِ، فَلَا يَتَوَهَّمُ نَقْصُهُمَا عَنِ الثَّلَاثَيْنِ، لِأَنَّهُ وَقَفَ التَّصْحِيحُ عِنْدَمَا جَعَلَ لِلْأَخْتَيْنِ الثَّلَاثَ، عَلِمَ أَنَّ الْبَنَتَيْنِ لَا يَنْقُصَانِ عَنْهُمَا، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَفِي الْبَابِ: "إِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ، يَعْنِي بَنَتَيْنِ فَصَاعِدًا، وَأَجْمَعْتَ الْأُمَّةَ عَلَى أَنَّ لِلْبَنَتَيْنِ الثَّلَاثَيْنِ، إِلَّا مَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى ظَاهِرِ الْآيَةِ، وَقَالَ: الثَّلَاثَانِ فَرَضُ الثَّلَاثِ مِنَ الْبَنَاتِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ فَجَعَلَ الثَّلَاثَيْنِ لِلنِّسَاءِ إِذَا زَدْنَ عَلَى الْبَنَتَيْنِ، وَعِنْدَهُ أَنَّ فَرَضَ الْبَنَتَيْنِ النِّصْفَ كَفَرَضِ الْوَاحِدَةِ، وَأَجِيبَ عَنْهُ بِوُجُوهِ فِيهَا حُجَّةٌ لِمَذْهَبِ الْجُمْهُورِ، الْوَجْهَ الْأَوَّلُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ فَجَعَلَ لِلْوَاحِدَةِ النِّصْفَ، وَذَلِكَ يَنْفِي حَصُولَ النِّصْفِ نَصِيبَ الْبَنَتَيْنِ. الْوَجْهَ الثَّانِي: أَنَّ فِي الْآيَةِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا، التَّقْدِيرُ: فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً اثْنَتَيْنِ فَمَا فَوْقَهُمَا، فَلَهُنَّ الثَّلَاثَانِ. الْوَجْهَ الثَّلَاثُ: أَنَّ لَفْظَةَ ﴿فَوْقَ﴾ هَا هُنَا صِلَةٌ، وَالتَّقْدِيرُ: فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً اثْنَتَيْنِ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ²﴾ يَعْنِي فَاضْرِبُوا

¹ عبد الله بن عثمان الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 166.

² الأنفال، 12.

الأعناق، وإنما سمي الاثنتين نساء بلفظ الجمع، لأن العرب تطلق على الاثنتين جماعة، بدليل قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَعَتَ قُلُوبُكُمَا﴾¹. الوجه الرابع: قال الجمهور: إنما أعطينا البنتين الثلثين بتأويل القرآن، لأن الله تعالى جعل للبنت الواحدة النصف، وجعل للأخت الواحدة النصف، بقوله: ﴿إِنْ أَمْرُؤَا هَٰلِكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ ثم جعل للأختين الثلثين بقوله: ﴿فَإِنْ كَانَتَا أُثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ فلما جعل الثلثين للأختين، علمنا أن للبنتين الثلثين قياساً على الأختين. الوجه الخامس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين² لابنتي سعد بن الربيع، وهذا نص واضح في المسألة³. انتهى. وقال الثعالبي: "وأما الوقوف مع اللفظ فيسقط معه النص على الاثنتين، ويجب الثلثان بالإجماع، ولم يحفظ فيه خلاف، إلا ما روي عن ابن عباس من أنه جرى لهما النصف، ويثبت ذلك أيضاً بالقياس على الأختين، ومحدث الترمذي⁴ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى لابنتين بالثلثين"⁵. انتهى. وقال في الضياء: " واجتمعت الأمة على أن الثلثين للبنتين، وما روي عن ابن عباس من أن لهما النصف لا يعتبر، لأن الثلثين للأختين بقوله: ﴿فَلَهُمَا الثُّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ فالبتان أولى"⁶. انتهى. قال صاحب هذا التفسير: لما ذكر جلّ وعلا أن للأختين الثلثين، علمنا أن البنتين كذلك بالاحروية⁷، ولما ذكر أن ما فوق البنتين لا يزداد على الثلثين، علمنا أن الأخوات فوق الاثنتين لا يزدن على الثلثين بطريق الاحروية⁸، والله تعالى أعلم. ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾

¹ التحريم، 4.

² الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 30 الفرائض، باب 3 ما جاء في ميراث البنات، ج 4، ص 361، رقم 2092. قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 490.

⁴ انظر: سنن الترمذي في المصدر السابق.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 420.

⁶ عبد الله بن عثمان الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 167.

⁷ لم أعرف ما هي هذه الكلمة.

⁸ لم أعرف ما هي هذه الكلمة.

بالإثبات ﴿وَحِدَةً﴾ بالحذف، قرأ¹ أهل المدينة وأبو جعفر وحده بالرفع فكان تامة، وقرأ الباقون بالنصب على أن كان ناقصة ترفع الاسم وتنصب الخبر، أي وإن كانت المولودة واحدة ﴿فَلَهَا﴾ أي فللمولودة الواحدة ﴿النِّصْفُ﴾ يعني أن الميت إذا لم يكن له من الأولاد إلا بنت واحدة، فإنها تعطى من ماله النصف، والباقي للعصبة أو لبيت المال. قال ابن جزري: "وقوله: ﴿فَلَهَا النِّصْفُ﴾ نص على أن للبنات النصف إذا انفردت، والدليل على أن للابن جميع المال إذا انفرد، أن ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾". انتهى. ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي أبوي الميت، خبر مقدم ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ﴾ بالحذف، بدل بتكرير العامل للتخصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس، لأن التفصيل بعد الاحتمال تأكيد ﴿مِنْهُمَا﴾ صفة لواحد ومن تبعيضية ﴿السُّدُسُ﴾ مبتدأ مؤخر، أي والسدس كائن لكل واحد من الأبوين، فلهما سدسان، للأم واحد، وللأب واحد، فمجموع مالهما الثلث من جميع التركة، كما قال جلت قدرته: ﴿مِمَّا﴾ أي المال الذي ﴿تَرَكَ﴾ أي خلفه الوالد الميت، وقوله جل وعزّ لأبويه، يعني أباه وأمه، فغلب الأب في التثنية، لأن الذكر يغلب، ومن تبعيضية، يقوله الله تعالى إذا مات شخص وله أبوان أب وأم، فإن لكل واحد منهما من تركته سدسًا، بشرط ذكره الله تعالى بقوله: ﴿إِنْ كَانَ لَهُ﴾ أي للولد الميت، خبر كان ﴿وَلَدٌ﴾ اسمها ذكرًا كان أو أنثى، واحدًا أو أكثر، لكن إن كان هناك ذكر، فلكل واحد من الأبوين السدس لا غير، وإن لم يكن هناك ذكر، فللأم السدس بالفرض، وللأب السدس بالفرض، ثم ينظر، فإن بقي شيء من التركة أخذه بالتعصيب، كبنات لها النصف، وللأم السدس، وللأب سدسان، سدس بالفرض، وسدس بالتعصيب، وإن لم يبق شيء، فلا شيء له سوى السدس بالفرض، كبناتين أو أكثر، وقوله: ﴿وَلَدٌ﴾ يعني سواء كان ولدًا للصلب أو ولد ابن وإن سفل ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ﴾ أي للولد الميت ﴿وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُ﴾ وورثته أبواه ﴿بِالْحَذْفِ﴾ أي ليس له وارث سواهما ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ أي أم الولد الميت، جواب الشرط، ولأمه بضم

¹ ابن الجزري، النشر، ج3، ص25.

الهمزة للجمهور، وبكسرها إتباعاً لخمزة والكسائي في الموضعين، وفي النشر: "قرأ حمزة والكسائي فلأمه في الحرفين، وفي القصص: في إمها رسولاً يتلوا، وفي الزخرف: في إم الكتاب، بكسر الهمزة في الأربعة في حال الوصل أي وصل حرف الجر بخمزة أم"¹. قاله ابن القاصح². والباقون بضمها في الحالين، فإذا أضيف الأم إلى ووليت همزته كسرة، وجملته أربع في النحل: من بطون إمهااتهم، وكذا في النور والزمر والنجم، فخمزة يكسر الهمزة والميم في الوصل، والكسائي يكسر همزة بالوصل ويفتح الميم، والباقون يضمون الهمزة ويفتحون الميم في الحالين، والابتداء للجميع في هذه المواضع بضم الهمزة بالواحد، وبضمها وفتح الميم في الجمع"³. انتهى. ﴿الْثُلُثُ﴾ والباقي للأب، وهو الثلثان للأب، فللذكر مثل حظ الأنثيين، فإن كان مع الأبوين وارث من زوج أو زوجة، كان للأم ثلث ما بقي، وللأب ثلثاه، فيأخذ ثلث المال فيما إذا كان معهما زوج، وتأخذ هي سدسه، والنصف للزوج، وإن كان معهما زوجة، أخذت الربع، وأخذت الأم الربع، وأخذ الأب النصف، وما فسرت به قوله جلّت قدرته: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ من أنه لا وارث له غيرهما، اتبعت فيه صاحب اللباب⁴. وقال صاحب الضياء: "فإن لم يكن له ولد، وورثه أبواه فقط، أو مع زوج، فلأمه الثلث، أي ثلث المال، أو ما يبقى بعد الزوج، والباقي للأب بالعصوبة، ولما كان الوالدان يدلان بقرابة واحدة وهي الوالدية، استويا مع وجود الولد، وفضل الأب والأم⁵ مع عدمه بالذكورة والنصرة ووجوبه

¹ ابن القاصح، سراج القارئ المبتدي، ص188.

² ابن القاصح، أبو البقاء نور الدين علي بن عثمان بن محمد بن أحمد العذري المقرئ من أهل بغداد، ولد سنة ست عشرة وسبعمائة من الهجرة، عرض الشاطبية على المجد إسماعيل الكفتي وتقدم في القراءات، قرأ العشرة وغيرها على أبي بكر بن الجندي، أخذ عنه الرزائقي والبرهان الصالح، من مؤلفاته سراج القارئ المبتدي وتذكرة المقرئ المنتهي، ومصطلح الإشارات في القراءات، توفي سنة إحدى وثمانمائة. السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج5، ص260. الزركلي، الأعلام، ج4، ص311، 312. بتصرف.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص25.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص340.

⁵ في الضياء: "الأم" من دون واو.

المؤنة عليه، وثبتت الأم على سهم لأجل القرابة"¹، قاله ابن العربي في الأحكام. ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ أَيُّ لَوْلَدٍ الْمَيِّتِ، خَبِرَ كَانَ الْخَ ﴿إِخْوَةً﴾ اسْمَهَا، وَالْمَرَادُ اثْنَانِ فَصَاعِدًا ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ أَيُّ لَأُمِّ الْوَلَدِ الْمَيِّتِ مِنْ مَتْرُوكِهِ ﴿السُّدُسُ﴾ وَالْبَاقِي لِلْأَبِ، إِنْ كَانَ كَمَا هُوَ الْمَوْضُوعُ، وَإِلَّا فَلِلْإِخْوَةِ إِنْ كَانُوا ذَكَوْرًا، أَوْ لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ إِنْ كَانُوا إِنَاثًا، أَوْ لَأُمِّ، وَحُجِبَ الْإِخْوَةُ، وَهُمْ قَدْ حُجِبُوا الْأُمُّ لِلْسُدُسِ، مَعَ أَنَّهُمْ مُحْجُوبُونَ بِالْأَبِ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِخْوَةً﴾ كَانُوا ذَكَوْرًا أَوْ إِنَاثًا أَوْ مُخْتَلِفِينَ أَشْقَاءَ أَوْ لِأَبٍ أَوْ لَأُمِّ، فَالْأُمُّ يُحْجِبُهَا لِلْسُدُسِ اثْنَانِ مِنَ الْإِخْوَةِ فَأَكْثَرُ، كَانَا ذَكَرَيْنِ أَوْ اثْنَيْنِ أَوْ مُخْتَلِفَيْنِ، وَمِفْهُومُ قَوْلِهِ: ﴿إِخْوَةً﴾ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا أَخٌ وَاحِدٌ أَوْ أُخْتُ وَاحِدَةٌ، لَكَانَ لَهَا الثَّلَاثُ وَلِلْأَبِ الثَّلَاثَانِ إِنْ لَمْ يَكُنْ زَوْجٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ هَذَا الْحُكْمُ جَارٍ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أُمٌّ كَمَا مَرَّ. قَالَ فِي اللَّبَابِ: "وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الثَّلَاثَةَ يُحْجِبُونَ الْأُمَّ مِنَ الثَّلَاثِ إِلَى السُّدُسِ، وَأَنَّ الْأَخَ الْوَاحِدَ وَالْأُخْتَ الْوَاحِدَةَ لَا يُحْجِبَانَهَا مِنَ الثَّلَاثِ إِلَى السُّدُسِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَخْوَيْنِ، فَالْأَكْثَرُ مِنَ الصَّحَابَةِ يَقُولُونَ: إِنْ الْأَخْوَيْنِ يُحْجِبَانِ الْأُمَّ مِنَ الثَّلَاثِ إِلَى السُّدُسِ، وَهَذَا قَوْلُ عُمَرَ وَعُثْمَانَ² وَعَلِيٍّ³ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ¹ وَالْجُمْهُورُ، وَقَالَ

¹ ابن عربي، أحكام القرآن، ج1، ص338.

² عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي، أمير المؤمنين وثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، لقب بذي النورين لأنه تزوج بنتي الرسول صلى الله عليه وسلم زُفَيَّةَ وَأُمِّ كَلثُومَ، ولد بمكة وأسلم بعد البعثة بقليل، وهاجر إلى أرض الحبشة المجرتين ثم عاد إلى مكة وهاجر المدينة، كان غنيًا، من أعظم أعماله في الإسلام تجهيز نصف جيش العُسرة بماله، صارت إليه الخلافة بعد وفاة عمر ابن الخطاب سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، في أيامه افتتحت أرمينية والقوقاز وقبرس، وأتم جمع القرآن وكتب عدة نسخ وأرسلها إلى الأمصار، مات رضي الله عنه مقتولًا صبيحة عيد الأضحى وهو يقرأ القرآن في بيته بالمدينة سنة خمس وثلاثين للهجرة. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج3، ص492480. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص463462. الزركلي، الأعلام، ج4، ص210. بتصرف.

³ علي بن أبي طالب، علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الصحابي الجليل رضي الله عنه، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره وأول الناس إسلامًا من الذكور، ولد بمكة قبل البعثة بعشر سنين ووري في

ابن عباس: لا يحجب الإخوة الأم من الثلث إلى السدس إلا أن يكونوا ثلاثة، قال ابن عباس لعثمان: لم صار الأخوان يردان الأم من الثلث إلى السدس، وإنما قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ والأخوان في لسان قومك ليسا بإخوة، فقال عثمان: يا بني، إن قومك حججوها بالأخوين، ولا أستطيع نقض أمر قد كان قبلي. واعلم أنهم قد اختلفوا في أقل الجمع، فقيل: أقل الجمع اثنان، وهو قول القاضي أبي بكر الباقلاني²، وحجة هذا القول أنك إذا جمعت واحداً إلى واحد، فهما جماعة، لأن أصل الجمع ضم شيء إلى شيء. وقال ابن الأنباري³:

حجر النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، وزوجه بنته فاطمة رضي الله عنها، ولي الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، خاض معركة الحمل وصفين والنهروان، أقام بالكوفة دار خلافته إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة، سنة أربعين من الهجرة، كانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص507-510. ابن الأثير، أسد الغابة، ج3، ص588.

¹ زيد بن ثابت، هو الصحابي زيد بن ثابت الضحاك الأنصاري الخزرجي، استصغر يوم بدر ويقال: إنه شهد أحداً، ويقال أول مشاهدته الخندق، كانت معه راية بني النجار يوم تبوك أعطاها له النبي، وكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان من علماء الصحابة وهو الذي تولى قسم غنائم اليرموك، تعلم كتابة لليهود بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم في نصف شهر والسريانية في سبعة عشر يوماً، اختلف في سنة وفاته والأكثر على أنه مات سنة خمس وأربعين للهجرة رضي الله عنه. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص562. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص426. بتصرف.

² الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن بن جعفر البصري ثم البغدادي الباقلاني الأشعري، أحد أئمة المتكلمين على مذهب أهل السنة على طريقة أبي الحسن الأشعري، كان فصيحاً موصوفاً بسرعة الجواب وإقامة الحجة على خصومه ببراهين تلجمهم وتقطعهم، أخذ علم الكلام عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أحمد بن مجاهد الطائي تلميذ أبي الحسن الأشعري، له تصانيف عديدة في الرد على المبتدعة من المعتزلة والجهمية والمجسمة وغيرهم، منها: تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، توفي سنة ثلاث وأربعمئة هجرية. انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص177. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص269. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص190. بتصرف.

³ ابن الأنباري (النحوي)، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري المقرئ النحوي، ولد سنة اثنتين وسبعين ومائتين للهجرة، كان أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار، سمع

التثنية عند العرب أول الجمع، ومشهور في كلامهم إيقاع الجمع على التثنية، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾¹ وهما داود وسليمان، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾² يريد قلبيكما، والقول الثاني: أن أقل الجمع ثلاثة، وهو قول الجمهور، وهو الأرجح³، وإنما حجب العلماء الأم بالأخوين لدليل اتفقوا عليه، وهو أن لفظ الأخوة يطلق على الأخوين فما زاد، وذلك جائز في اللغة، ثم إنَّ الأخوة إذا حجبوا الأم من الثلث إلى السدس، فإنهم لا يرثون شيئاً البتة، بل يأخذ الأب الباقي، كرجل مات عن أبوين وأخوين، فإن الأم تأخذ السدس، والباقي للأب، وهو خمسة أسداس. قال قتادة: وإنما حجب الإخوة الأم للسدس من غير أن يرثوا شيئاً معونة للأب، لأنه يقوم بشأنهم وينفق عليهم دون الأم⁴. انتهى كلام صاحب الباب. قال صاحب هذا التفسير: وهذه العلة غير مطردة، لخروج الإخوة للأم عنها، ومن قام بنفسه من غيرهم، والله سبحانه أعلم. من ابتدائية يتنازعها الكون الذي تضمنته الأخبار من قوله: ﴿فَلَهُنَّ﴾ إلى آخر الأخبار، أي استقر لهن ﴿ثُلُثًا مَّا تَرَكَ﴾ ﴿مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ﴾ ويحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي وهذا المذكور من قسم الأنصباء إنما هو كائن ﴿بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ حصّة من مال الميت ﴿يُوصِي بِهَا﴾ أي يأمر الميت في حياته بأن تخرج بعد موته، والضمير في بها راجع إلى الوصية. قال في

في صباه باعتناء والده من محمد بن يونس الكديمي وإسماعيل القاضي وأبي العباس ثعلب وخلق كثير، وحمل عن والده، وحدث عنه أبو عمر بن حيّويه وأبو الحسن الدارقطني وأبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب وغيرهم، من مؤلفاته: إيضاح الوقف والابتداء، الكافي في النحو وشرحه، الزاهر في اللغة، مات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص278274. الزركلي، الأعلام، ج6، ص334. بتصرف. لم أعثر على القول.

¹ الأنبياء، 78.

² التحريم، 4.

³ في الباب: "الأصح".

⁴ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص490، 491.

النشر: "قرأ ابن كثير¹ وابن عامر وأبو بكر يوصي بها في الموضعين بفتح الصاد، وتابعهم حفص على الثاني فقط، والباقون بالكسر"². انتهى. ﴿أَوْ دِينَ﴾ عطف على وصية، أي وإنما تكون هذه الأنصباء من بعد أن يقضي الدين الذي على الميت، فأول ما يفعل بتركة الميت أن يخرج منها حق تعلق بعين، كالمرهون وعبد جنى ثم مؤن تجهيزه، ثم تقضي ديونه، ثم تخرج وصاياه من ثلث الباقي، ثم الباقي لوارثه، على ما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز. قال في اللباب: "يعني أن هذه الأنصباء والسهام، وإنما تقسم بعد قضاء الدين وإنفاذ وصية الميت في ثلثه، وذكر الوصية مقدم على الدين في اللفظ لا في الحكم، لأن لفظة ﴿أَوْ﴾ لا توجب الترتيب، وإنما هي لأحد شيئين، كأنه قال من بعد أحد هذين مفردًا أو مضمومًا إلى الآخر. قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: إنكم تقررون الوصية قبل الدين، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية، وهذا إجماع أن الدين مقدم على الوصية، والإرث مؤخر عنهما، لأن الدين حق على الميت، والوصية حق له، وهما مقدمان على الورثة"³. انتهى. وقال الثعالبي: "وقدم الوصية في اللفظ اهتمامًا بها وندبًا إليها، إذ هي أقل لزومًا من الدين وأيضًا قدمها لأن الشرع حض عليها، فلا بد منها، والدين قد يكون وقد لا يكون، وأيضًا قدّمها، إذ هي حظ المساكين والضعفاء، وأخر الدين، لأنه حق غريم يطلبه بقوة وله فيه مقال، وأجمع العلماء على أن الدين مقدم على الوصية، والإجماع على أنه لا يوصي بأكثر من الثلث،

¹ ابن كثير (المقرئ)، أبو معبد عبد الله بن كثير بن المطلب المكي الداري التابعي، إمام أهل مكة في القراءة، كان فاضلاً عالماً زاهداً مشتهراً بعلم النحو واللغة، ولد بمكة سنة خمس وأربعين للهجرة، ولقي بها عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك ومجاهد بن جبر وروى عنهم، وأخذ القراءة عرضاً عبد الله بن السائب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرض أيضاً على مجاهد ابن جبر ودرياس مولى عبد الله بن عباس، روى القراءة عنه إسماعيل بن عبد الله القسطنطيني وإسماعيل بن مسلم وغيرهما، توفي ابن كثير بمكة سنة عشرين ومائة. الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ج1، ص8886.

ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص443. بتصرف.

² ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص26.

³ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص491.

واستحب كثير منهم أن لا يبلغ الثلث¹. انتهى. وقال في الضياء: "وأتى بـ ﴿أَوْ﴾ دون الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب، مؤخرة عنه في الوفاء اهتماماً بأدائها، لأنها مظنة التفريط، إذ لا قائم لها بخلاف الدين"². انتهى. قوله: إذ لا قائم لها لا يتجه في كل الصور، وقال ابن جزى: "وإنما قدمت الوصية على الدين، والدين مقدم عليها في الشريعة اهتماماً بها وتأكيدها للأمر بها، ولئلا يتهاون بها، وآخر الدين لأن صاحبه يتقاضاه، فلا يحتاج إلى تأكيد في الأمر بإخراجه، وتخرج الوصية من الثلثين³، والدين من رأس المال بعد الكفن، وإنما ذكر الوصية والدين نكرتين ليدل على أنهما⁴ يكونان، وقد لا يكونان، فدل ذلك على سقوط وجوب الوصية"⁵. انتهى. ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ بالإثبات فيهما، خبر مبتدأ محذوف، أو العكس، ومبتدأ وخبره ﴿لَا تَدْرُونَ﴾ لا تعرفون ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ مبتدأ وخبره، والاستفهام معلق لروى عن العمل ﴿لَكُمْ﴾ اللام غائية متعلقة بأقرب ﴿نَفْعًا﴾ تمييز. اعلم. رحمك الله تعالى. أن المقصود من هذا الكلام الحث على اتباع ما فرض الله من الميراث هؤلاء، والتسليم له، فلا يقولون: لم جعلت كذا لهذا؟ ولم جعلت كذا لهذا؟ بل تخرس ألسنتهم عن ذلك، ويعتقدون بقلوبهم أن ما فرضه الله هو المتبع لا غير، يقول الله تعالى، الذين يرثونكم آباؤكم وأبناؤكم، لا تعلمون أيهم أنفع لكم في الدين والدنيا، فمنكم من يظن أن الأب أنفع، وأنا العالم بمن هو أنفع لكم، وقد دبرت أمركم على ما فيه المصلحة، فاتبعوه، فأعطيت الأب ما أعطيت، وأعطيت الأم ما أعطيت، لا معقب لحكمي، ولا راد لقضائي. انظر: البغوي⁶، واللباب⁷.

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص421.

² عبد الله بن عثمان الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص167.

³ في التسهيل: "الثلث".

⁴ في التسهيل زيادة: "قد".

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص181.

⁶ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص24.

⁷ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص491.

وهذا تأنيس للعرب الذي يورثون على غير هذا الوجه. قال الفخر¹: "وفي الآية إشارة إلى الانقياد إلى الشرع، وترك ما يميل إليه الطبع"². والحاصل: أن هذه الجملة معترضة بين ذكر الوارثين وانصبتهم، وقوله: ﴿فَرِيضَةً﴾ متعلقة بمعنى الآية مفيدة للتأكيد، والله تعالى أعلم. ﴿فَرِيضَةً﴾ أي فرض ذلك فريضة ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ صفة لـ ﴿فَرِيضَةً﴾ ومصدر من الفعل المقدر كما فسرت، أو من يوصيكم والمعنى: أن هذه الموارث التي قدرها الله تعالى أمر محتوم، أي أوجبه الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فاصلة الآية الأولى بعد العشر من سورة النساء. قال في اللباب: "يعني كان عليماً بالأشياء قبل خلقها، حكيماً فيما قدر من الفرائض وفرض من الأحكام. وقيل: معناه كان عليماً بخلقها قبل أن يخلقهم، حكيماً حيث فرض للصغار مع الكبار، ولم يخص الكبار بالميراث، كما كان يفعل، واختلف في معنى لفظة ﴿كَانَ﴾، فقيل: إن الله تعالى كان عليماً بالأشياء قبل خلقها، ولم يزل كذلك، وقيل: إن القوم لما شاهدوا علماً وحكمة ومغفرة وتفضلاً، قيل لهم: إن الله تعالى كان كذلك ولم يزل الله عما³ شاهدتم، حكاه الزجاج عن سيبويه⁴. انتهى. وبدأ سبحانه بميراث الوالد، ثم ثلث

¹ الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بابن الخطيب، كان مفسراً بارعاً في علم الكلام والمعمقولات، وله في الوعظ اليد البيضاء، رجع بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية وغيرهم إلى مذهب أهل السنة، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة للهجرة بالري، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، أخذ عن والده والكمال السمناني والمجد الجيلي، من مؤلفاته: تفسير القرآن، أساس التقديس، توفي بمدينة هراة سنة ست وستمائة. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج4، ص252248.

² الرازي، تفسير القرآن، ج9، ص225.

³ في اللباب: "على ما".

⁴ سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري، إمام النحو وحجة العرب، طلب الفقه والحديث مدة ثم أقبل على العربية فبرع وساد أهل العصر، كان شاباً جميلاً نظيفاً، استملى على حماد بن سلمة، وأخذ النحو عن عيسى بن عمر ويونس بن حبيب والخليل وأبي الخطاب الأخفش الكبير. توفي سنة ثمانين ومائة للهجرة وهو أصح، وقيل: ثمان وثمانين ومائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص351، 352. بتصرف.

بميراث الزوج، فقال: ﴿وَلَكُمْ﴾ أيها الأزواج، خطاب للذكور ﴿نِصْفُ﴾ مبتدأ، وخبره لكم، ﴿مَا﴾ أي المال الذي تركه أي خلفه ﴿أَزْوَاجُكُمْ﴾ بالحذف، يعني زوجاتكم، فإن الزوج يطلق على الذكر وعلى الأنثى، أي فيجزأ المال جزأين متساوين، فيكون الزوج واحداً منهما بشرط أشار إليه بقوله: ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ﴾ لهن، أي للزوجات ولد ذكر أو أنثى واحد أو متعدد منه أو من غيره لصلبه أو لابن وإن سفل ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ﴾ أي للزوجات ﴿وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى ﴿فَلَكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿الرُّبْعُ﴾ مبتدأ وخبره لكم ﴿مِمَّا﴾ أي من المال الذي ﴿تَرَكَنَ﴾ تركته، أي متن عنه بأن يجزأ المال أربعة أجزاء متساوية، ويكون للزوج أحدها، ومن تبعيضية ﴿مِنْ﴾ ابتدائية، خبر مبتدأ محذوف أو حال يتنازعه الاستقرار في لكم، ولكم ﴿بَعْدَ﴾ إخراج ﴿وَصِيَّةٍ﴾ حصة من المال ﴿يُوصِيكَ﴾ أي الزوجات ﴿بِهَا﴾ بالوصية أي يأمرهم في حياتهم بإخراجها بعد الموت ﴿أَوْ دَيْنٍ﴾ يقول الله تعالى للزوج النصف من مال زوجته التي ماتت إن لم يكن لها ولد، وإنما يكون له النصف من بعد أن يخرج من مالها ما أوصت به، ومن بعد أن يخرج ما أوصت به، ومن بعد أن يقضي ما عليها من الدين، والحاصل أن الدين والوصية مقدمان، وإنما يقسم على الورثة ما بقي بعدهما، أو ما بقي بعد أحدهما، إن لم يكن إلا أحدهما، فإن لم يكن دين ولا وصية، قسم المال كله بين الورثة، فللزوج من مال زوجته نصف الجميع أو ربعه ثم ربع الميراث الزوجة من الزوج فقال: ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي وللأزواج الإناث ﴿الرُّبْعُ مِمَّا﴾ أي من المال الذي ﴿تَرَكَتُمُ﴾ أيها الأزواج الذكور، أي متم عنه بأن يجزأ المال أربعة أجزاء متساوية، وتأخذ الزوجة واحداً منها بشرط أشار إليه بقوله: ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى واحد أو متعدد منها أو من غيرها لصلب أو لابن وإن سفل ﴿فَلَهُنَّ﴾ أي للزوجات الإناث ﴿الثُّمْنُ مِمَّا﴾ أي من المال

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص491، 492.

الذي ﴿تَرَكَكُمْ﴾ أي مَثُم عنه بأن يَجْزَأُ المال ثمانية أجزاء متساوية وتأخذ الزوجة واحدًا منها ﴿مِّنْ﴾ ابتدائية، والإعراب كما تقدم ﴿بَعْدِ﴾ إخراج ﴿وَصِيَّةٍ﴾ حصة في مالكم ﴿تَوْصُوتُ﴾ أيها الأزواج ﴿بِهَا﴾ أي بالوصية، والظاهر أن الباء للإلصاق أو قضاء ﴿دَيْنٍ﴾ ترتب في ذممكم، يقول الله تعالى للزوجة من مال زوجها الميت الربع، إن لم يكن لزوجها الميت ولد، فإن كان له ولد فلها الثمن، وإنما يكون لها الربع أو الثمن، من بعد أن يخرج ما أوصى به الزوج، ومن بعد أن يقضي ما عليه من الدين، فيبدأ بهما معًا إن كانا واحدًا هما إن لم يكن إلا واحد، فإن انتفيا فلهن الربع أو الثمن من المال كله، قوله: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾. إلى هنا قال ابن جزي. خطاب للرجال، وأجمع العلماء على ما تضمنته هذه الآية من ميراث الزوج، والزوجة¹ تنفرد به إن كانت واحدة، ويقسم بينهما إن كن أكثر من واحدة، ولا ينقصن من ميراث الزوج وسائر أهل السهام إلا ما نقص والعول على مذهب جمهور العلماء خلافاً لابن عباس، فإنه لا يقول بالعول، فإن قيل²: كرر قوله: ﴿مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ مع ميراث الزوج وميراث الزوجة، ولم يذكره قبل ذلك إلا مرة واحدة في ميراث الأبوين والأولاد؟ فالجواب: أن الموروث في ميراث الزوج هو الزوجة، والموروث في مال الزوجة هو الزوج، فكل واحدة قضية على انفرادها، فلذلك ذكر ذلك مع كل واحدة بخلاف الأولى، فإن الموروث فيها واحد ذكر حكم ما يرث منه أولاده وأبواه، وهي قضية واحدة، فلذلك قال فيها: ﴿مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ مرة واحدة³. انتهى. وقال في الباب: "لما جعل الله في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الأنثيين، جعل في الموجب النسبي⁴ للرجل مثل حظ الأنثيين"⁵. قال غير واحد: والولد في هذه الآية ولد الصلب وولد الابن وإن سفل، بخلاف ولد البنت، ثم خمس بميراث الكلالة، فقال جلت

¹ في التسهيل زيادة: "وإن ميراث الزوجة".

² في التسهيل زيادة: "لم".

³ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص181، 182.

⁴ في الباب: "السبي".

⁵ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص492.

قدرته: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ﴾ اسم كان وفاعلها على أنها تامة ﴿يُورَثُ﴾ صفة لـ ﴿رَجُلٌ﴾ يعني مات فصار ماله ميراثاً ﴿كَكَلَّةً﴾ بالحذف، أي لا ولد له ولا والد، خبر كان على أنها ناقصة، وحال على أنها تامة ﴿أَوْ أَمْرَأَةً﴾ أي وإن كانت امرأة تورث كلاله ﴿وَلَهُ﴾ أي وللموروث من الرجال أو المرأة ﴿أَخٌ﴾ لام مبتدأ وخبره الجار والمجرور قبله، والجملة حالية، وصاحب الحال رجل أو امرأة ﴿أَوْ أُخْتُ﴾ لأم عطف على ﴿أَخٌ﴾، ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ﴾ بالحذف ﴿مِنْهُمَا﴾ أي الأخ والأخت ﴿السُّدُسُ﴾ مبتدأ، وخبره لكل، يقول الله تعالى الإخوة للأم إذا لم يوجد منهم إلا واحد ذكر أو أنثى فإنه يأخذ من مال أخيه الميت الذي يورث كلاله ﴿السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا﴾ أي الأخوة للأم ﴿أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي من واحد ﴿فَهُمْ﴾ أي الأخوة للأم ﴿شُرَكَاءُ﴾ أي مشتركون ﴿فِي الثُّلُثِ﴾ أي ثلث مال أخيهام الموروث كلاله، يقول الله عزَّ وجلَّ إذا مات ميت رجل أو امرأة، وليس للميت والد ذكر ولا ولد ذكر أو أنثى، فإن كان له إخوة من الأم، فإنهم يشتركون في ثلث ماله، والذكر والأنثى فيه سواء، فالانثى يقتسمانه، لكل نصفه أو ثلاثة، فلكل ثلثه، وهكذا. قال ابن جزى¹: "الكلاله هي انقطاع عمودي النسب، وهي خلو الميت عن والد وولد، ويحتمل أن تطلق هنا على الميت الموروث أو على الورثة وعلى الورثة أو على القرابة أو على المال، فإن كانت للميت، فأعرا بها خبر كان، و﴿يُورَثُ﴾ في موضع الصفة أو ﴿كَكَلَّةً﴾ حال من الضمير، وإن كانت لموروث هي خبر كان، و﴿يُورَثُ﴾ في موضع الصفة أو ﴿كَكَلَّةً﴾ حال من الضمير، وإن كانت لموروث هي خبر كان على حذف مضاف، تقديره: ذا كلاله، أو حال على حذف مضاف أيضاً، وإن كانت للورثة فهي مصدر، وإن كانت للقرابة فهي مفعول من أجله، تقديره: يورث من أجل القرابة، وإن كان للمال فهي مفعول ثانٍ لـ ﴿يُورَثُ﴾ كل واحد من هذه الوجوه على أن تكون كان تامة

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص182.

﴿يُورَثُ﴾ في موضع الصفة لـ ﴿رَجُلٌ﴾ وأن تكون ناقصة و﴿يُورَثُ﴾ خبرها، والمراد هنا الأخ للأم والأخت للأم بإجماع، وقرأ¹ سعد بن أبي وقاص² ولد أخ أو أخت لأمه، وذلك تفسير للمعنى، وإذا كان للأم اثنان فأكثر، فلهما أولهم الثلث بالسواء بين الذكر والأنثى، لأن قوله: ﴿شُرَكَاءُ﴾ يقتضي التسوية بينهم، ولا خلاف في ذلك. انتهى. قال في الباب: "واختلفوا في الكلالة، فذهب أكثر الصحابة إلى أن الكلالة من لا ولد له ولا والد. روى الشعبي قال: سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الكلالة؟ فقال: سأقول فيها قولاً برأيي، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان، أراه ما خلا الوالد والولد. فلما استخلف عمر قال: إني لأستحي من الله أن أردّ شيئاً قاله أبو بكر. وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت وإحدى الروایتين عن ابن عمر³ وابن عباس، وهذا القول هو الصحيح المختار، ويدل على صحته أن اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان إذا تباعدت بينهم، فسميت القرابة البعيدة كاللة من هذا الوجه، وقيل: إن الكلالة في أصل اللغة عبارة عن الإحاطة، ومنه الإكليل لأجل إحاطته بالرأس، فباعدا الوالد والولد⁴ من القرابة، إنما سموا كلاله لأنهم كالدائرة المحيطة بالإنسان. والرواية الأخرى عن ابن عباس وابن عمر⁵ أن الكلالة من لا

¹ لم أعثر عليها.

² سعد بن أبي وقاص الصحابي، أبو إسحاق، سعد بن مالك أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري المكي، أحد العشرة وأحد السابقين الأولين وأحد الستة أهل الشورى، شهد بدرًا والحديبية، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم جملة صالحة من الحديث، حدّث عنه ابن عمر وعائشة أم المؤمنين وابن عباس والسائب بن يزيد وسعيد بن المسيّب وابنته عائشة وغيرهم. توفي على الصحيح سنة خمس وخمسين من الهجرة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص78، 79. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص124.92. بتصرف.

³ في الباب: "عمر".

⁴ في الباب: "فمن عد الوالد والولد".

⁵ في الباب: "عمر".

ولد له، وبه قال طاووس¹، واحتج بهذا القول بقوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ﴾ وبيانه عند العامة مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله، واختلفوا في أن الكلالة اسم لمن؟ فمنهم من قال: هي اسم للميت، وهو قول علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس. وقيل: هي اسم للحي من الورثة، وهو قول أبي بكر الصديق، وعليه جمهور العلماء الذين قالوا: إن الكلالة من دون الوالد والولد، ويدل عليه حديث جابر²: "إنما يرثني كلاله يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد". وقال ابن زيد: الكلالة الذي لا ولد له ولا والد، والحي والميت كلهم كلاله، هذا يرث بالكلالة، وهذا يورث بالكلالة. وعن معدان³ بن أبي طلحة: "خطب عمر بن الخطاب فقال: إني لا أدع بعدي شيئاً أهم عندي من الكلالة، ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي في الكلالة، حتى طعن بإصبعه في صدري، وقال: >يا عمر، ألا يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء، وإني إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن<، لفظ مسلم⁵ قوله: >ألا يكفيك آية الصيف<. أراد أن الله عز وجل أنزل في الكلالة آيتين، إحداهما في النساء، وهي التي في الشتاء، وهي التي في أول سورة النساء، والآية الأخرى في

¹ طاووس بن كيسان، الفقيه، القدوة، عالم اليمن، أبو عبد الرحمن الفارسي، ثم اليميني، الجندي، الحافظ، سمع من زيد بن ثابت، وعائشة، وأبي هريرة، ولازم ابن عباس مدة، وهو معدود من كبراء أصحابه، وحديثه في دواوين الإسلام، وهو حجة باتفاق، قال عنه ابن حبان: كان من عبّاد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، مستجاب الدعوة، حج أربعين حجة، وتوفي سنة 105هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص4938، رقم الترجمة 13. بتصرف.

² النسائي، السنن الكبرى (بنحوه)، ج6، ص224.

³ في الأصل: "معاذ"، وفي الباب: "معدان"، وهو الصواب عما جاء في الحديث. معدان بن أبي طلحة اليعمرى، ويعمر بطن من كنانة، وقد قيل: معدان بن طلحة. يروي عن أبي الدرداء وثوبان. روى عنه سالم بن أبي الجعد وأهل الشام. ابن حبان، ثقات ابن حبان، ج5، ص457.

⁴ في الباب: "في شيء ما أغلظ في الكلالة".

⁵ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 23 الفرائض، باب 2 ميراث الكلالة، ج3، ص1236، رقم 1617.

الصيف، وهي التي في آخر السورة¹. انتهى. يعني بالتي في أول السورة قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرُثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً﴾ إلخ، وهي التي في الشتاء، وبالتي في آخرها قوله جلّت قدرته: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ إِنْ امْرَأَةٌ هَلَكَ﴾ إلخ، بيّن في الأولى ميراث الإخوة للأُم انفرادًا وتعددًا، كانوا ذكورًا أو إناثًا أو مختلفين، وبيّن في الثانية ميراث الإخوة الأشقاء أو لأب. وقوله عز وجل: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ قد مر تفسير له بأنه عائد على الموروث تبعًا للسيوطي² وغيره. وقال في الباب: "فإن قلت: إن الله تعالى قال: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرُثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾"³ ولم يذكر المرأة، فما السبب فيه؟ قلت: هذا على عادة العرب، فإنهم إذا ذكروا اسمين ثم أخبروا عنهما، وكانا في الحكم سواء، ربما أضافوا إلى أحدهما دون الآخر، وربما أضافوا إليهما، فهو كقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾⁴ ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾، وقال الفراء: إذا جاء حرفان في معنى واحد جاز إسناد التفسير إلى أيهما أزيد، ويجوز إسناده إليهما"⁵.

﴿مِنْ﴾ ابتدائية، يتنازعها: ﴿فَلِكُلِّ﴾ و﴿شُرَكَاءَ﴾، ﴿بَعْدِ﴾ إخراج ﴿وَصِيَّةِ﴾ أي مال ﴿يُوصَى﴾ أي الموروث كلاله ﴿بِهَا﴾ أي بالوصية، ومعنى يوصي بها في المواطن الأربعة: يأمر بها، أي بإخراجها من ماله الموصى له، والظاهر أن الباء للإلصاق، والله تعالى أعلم. ﴿أَوْ دَيْنٍ﴾ يعني أنه يبدأ بإخراج الوصية وقضاء الدين انفرادًا واجتماعًا، ثم بعد ذلك يكون لكل واحد منهما السدس، فإن كانوا اثنين فصاعدًا فهم شركاء في الثلث، فإن لم يكن واحد منهما، فللواحد سدس جميع المال، والأكثر ثلث جميع المال، يقسم بينهم على

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص355.

² السيوطي، تفسير الجلالين، ص100.

³ في لباب التأويل في معاني التنزيل زيادة: "فذكر الرجل".

⁴ البقرة، 45.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص355، 356.

السواء، ولا ينظر بذكورة ولا لأنوثة ﴿غَيْرُ مُضْكَرٍ﴾ لإثبات حال من ضمير ﴿يُوصَى﴾،¹ يعني أنه لا يجوز للموصى أن يضار في وصيته، ووجوه الضرر كثيرة، منها أن يوصى بأكثر من الثلث، ومنها أن يقر بحق عليه وليس هو عليه، ومنها أن يوصى لوارث، وقوله: مضار اسم فاعل، أصله بكسر الراء الأول ويشمل الإضرار بالورثة والإضرار بغيرهم. قال الثعالبي: "وتقدير¹ أبي حيان² ورثته يأباه فصاحة ألفاظ الآية، إذ مقتضاها العموم، فلو قال غير مضار ورثته³ أو غيرهم لكان أحسن، لكن الغالب مضارة الورثة، فلهذا قدرهم"⁴. وقوله: ﴿غَيْرُ مُضْكَرٍ﴾ جار في الموصى في المواضع الأربعة، فالمضار في الوصية لا تجوز، وهي من الكبائر، كان المضار كلاله أو غيره، واعلم أن الوصية بأكثر من الثلث والوصية لوارث محل الرد فيهما إن لم يجز ذلك الوارث، فإن أجاز الورثة ذلك جاز ونفذ، وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال⁵: >إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فيجب لهما النار<. وقال قتادة: "كره الله الضرر في الحياة وعند الموت، فمنهى عن ذلك". انتهى. واعلم أن الأولى للإنسان أن ينظر عند

¹ أبو حيان (المفسر)، أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الأندلسي الجياني، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة من الهجرة، كان عالماً باللغة والنحو والصرف والقراءات وله اليد الطولى في التفسير، سمع ببلاد الأندلس وإفريقية والإسكندرية ومصر والحجاز، قرأ القرآن على أبي جعفر الطباع وأبي علي الأحوص ولازم بهاء الدين بن النحاس، وأخذ عن كثيرين بلغوا من نحو أربعمائة وخمسين شخصاً، أخذ عنه تقي الدين السبكي والأسنوي وخلائق، تولى تدريس التفسير بالمنصورية، زادت تصانيفه على الخمسين منها: البحر المحيط في التفسير، إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 6، ص 145_147. العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج 4، ص 310302.

² أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج 3، ص 198.

³ في تفسير الثعالبي: "ورثته".

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 422.

⁵ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 12 الوصايا، باب 3 ما جاء في كراهية الإضرار في الوصية، ج 2، ص 126، 127، رقم 2867 .

الموت في قدر ما يخلف من المال، ومن يخلف من الورثة، ثم يجعل وصيته بحسب ذلك، فإن كان ماله قليلاً، وفي الورثة كثرة، فالأولى له أن لا يوصي بشيء، لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص¹: **<إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس>**. وإن كان في المال كثرة أوصى بحسب المال وحاجتهم في القلة والكثرة. وروى نافع² عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال³: **<ما من امرئ مسلم له شيء يوصي فيه>**، وفي رواية⁴: **<له شيء يريد أن يوصي به أن يبيت ليلتين>**، وفي رواية⁵: **<ثلاث ليالٍ إلا ووصيته مكتوبة عنده>**، قال نافع: سمعت عبد الله بن عمر يقول: "ما مرت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إلا ووصيتي مكتوبة". أخرجاه في الصحيحين. وفي الحديث⁶ أن الله عزَّ وجلَّ أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث. **﴿وَصِيَّةٌ﴾** مصدر مؤكد لقوله: **﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾**، فهو راجع ومنصوب به **﴿مُضَكَّرٌ﴾** ويجوز أن يكون معمولاً لفعل مضمر: أي أوصيتكم بذلك وصية **﴿مِّنَ اللَّهِ﴾** صفة لـ **﴿وَصِيَّةٌ﴾**، **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾** فيه وعد ووعد، يعني أن الله تعالى هو المطلع على جميع أعمال عباده، فيعلم الممثل من غيره، فيثيب المطيع، ويعاقب العاصي. الباب: "يعني أن

¹ تقدم تخريجه.

² نافع مولى ابن عمر، أبو عبد الله القرشي ثم العدوي العمري عالم المدينة، كان ثقة نبيلاً كثير الحديث، روى عن ابن عمر وكان راويته وعائشة وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأم سلمة والإمام مالك وغيرهم، روى عنه الزهري وأيوب السخيتاني ومحمد الطويل وابن جريج وغيرهم، بعثه عمر ابن عبد العزيز إلى أهل مصر ليعلمهم السنن، توفي سنة سبع عشرة ومائة للهجرة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص101.95. بتصرف.

³ صحيح البخاري، كتاب 55 الوصايا، باب 1 الوصايا، ج 5، ص355، رقم2738.

⁴ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب 22 الوصايا، باب 2 الحث على الوصية، ج2، ص902، رقم2702.

⁵ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 25 الوصية، أول كتاب الوصية، ج3، ص1249، رقم1627.

⁶ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 31 الوصايا، باب 5، ما جاء الوصية لوارث، ج4، ص376، رقم377، قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

الله تعالى عالم بمصالح عباده ومضارهم، وبما يفرض عليهم من الأحكام. وقيل: عليم بمن يجور في وصيته، وبمن لا يجور. ﴿حَلِيمٌ﴾ فاصلة الآية الثانية. يعني أنه تعالى ذو حلم وذو أناة في ترك العقوبة عمن جار في وصيته. وقال أبو سليمان الخطابي¹: "الحليم ذو الصفح والأناة الذي لا يستغربه غضب ولا يستخفه جهل جاهل"² انتهى. قاله في الباب. وفيه أيضاً: "والحليم هو الصفوح مع القدرة، المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة"³. انتهى. السيوطي: ﴿عَلِيمٌ﴾ بما دبره لخلق من الفرائض، ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عمن خالفه. وخصت السنة تورث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رق"⁴. انتهى. ﴿تِلْكَ﴾ يعني الأحكام التي تقدم ذكرها في هذه الصورة في مال اليتامى والوصايا والأنكحة والموارث ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ شرائعه للمكلفين، كالحدود المضروبة، والحدود جمع حد، وأصل الحد الحاجز بين الشيئين، فهذه الأحكام المذكورة التي بيّن الله تعالى هي الحاجز المانع من الحرام، فمن امتثل المأمور، واجتنب المنهي منها، فقد وقف عند الحد، ومن لم يجتنب فقد تجاوز الحد المضروب، ثم بيّن سبحانه للممثل من التكريم والتشريف بقوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يمثل ما أمره به الله ورسوله، ويجتنب ما نهاه عنه الله ورسوله ﴿يُدْخِلْهُ﴾ نسكنه ﴿جَنَّاتٍ﴾ بالحذف، جمع جنة، وهي في الأصل الحديقة ذات النخل والشجر،

¹ الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطابي، ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة، كان حافظاً أديباً فقيهاً، أخذ الفقه على مذهب الشافعي عن أبي بكر القفال وغيره، رحل في طلب الحديث وقراءة العلوم وطوّف، سمع من أبي سعيد بن الأعرابي وأبي بكر بن داسة وأبي العباس الأصم وغيرهم، حدّث عنه أبو عبد الله الحاكم وأبو حامد الأسفراييني وأبو عبيد الهروي وطائفة سواهم، من مؤلفاته: معالم السنن شرح سنن أبي داود، غريب الحديث، شرح صحيح البخاري، توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة للهجرة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 17، ص 214. الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 273. بتصرف.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 356.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 356.

⁴ السيوطي، تفسير الجلالين، ص 100.

والمراد بها هنا الدار الآخرة المشتملة على جميع النعم التي سمع بها والتي لم يسمع بها، سميت بذلك لاشتغالها على الحقائق، ومن عجيب أمرها أن أهلها في ازدياد دائماً، وقوله: ﴿يُدْخِلُهُ﴾ قال في النشر: "قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر ندخله في الحرفين بالنون، والباقون بالباء"¹. انتهى. وقال ابن القاصح: "قرأ نافع² وابن عامر ندخله جنات وندخله نازاً، في هذه السورة، ندخله جنات في سورة الطلاق: ونكفر عنه سيئاته وندخله جنات، في سورة التغابن: وندخله جنات ونعذبه عذاباً أليماً، في سورة الفتح بالنون المواضع السبعة، والباقون بالياء"³. انتهى. ﴿تَجْرِي﴾ تضطرب وتطرد ﴿مِنْ﴾ ابتدائية ﴿تَحْتَهَا﴾ أي الجنات ﴿الْأَنْهَارُ﴾ بالحذف، ومن عجيب أمرها أنها تجري على غير أحدود ﴿خَالِدِينَ﴾ بالحذف، مقيمين ﴿فِيهَا﴾ أي في الجنان أبداً، لا يخرجون منها ولا يعانون، حال مقدرة من الضمير المنصوب في ﴿يُدْخِلُهُ﴾ روعي فيه معنى وفي صاحبه لفظها وفي ندخله بالنون التفتات ﴿وَذَلِكَ﴾ بالحذف، حيث جاء، أي إدخال الجنان المذكورة والخلود فيها ﴿الْفَوْزُ﴾ الظفر بالمحوب والنجاة من المهروب ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبير الذي دونه كل فوز، فاصلة الآية الثالثة ﴿وَمَنْ﴾ شرطية كالتي قبلها ﴿يَعْصِ﴾ المعصية ضد الطاعة ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بأن يخالف أمر الله ورسوله ﴿وَيَتَعَدَّ﴾ جزم

¹ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص26.

² نافع المقرئ، نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، أبو رويم، وقيل: أبو عبد الرحمن، إمام حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، نشأ بالمدينة وأقام بها وكان يتصدّر للإقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلي بالناس فيه ستين سنة، قرأ على أبي جعفر المقرئ وابن هرمز الأعرج ومسلم بن جندب وشيبة بن نصاح وغيرهم، أقرأ الناس دهرًا طويلاً فقرأ عليه من القدماء مالك وإسماعيل بن جعفر وعيسى بن وردان الخذاء وغيرهم وقرأ عليه ممن بعدهم إسحاق المسيبي وقالون وورش وغيرهم، مات في سنة تسع وخمسين ومائة للهجرة. الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ج1، ص111.107. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص334.330.

³ ابن القاصح، سراج القارئ المبتدي، ص189.

بحذف آخره، أي يتجاوز ﴿حُدُودَهُ﴾ بأن يتعدى الأمر الذي أحل له إلى ما حرم عليه، قال صاحب هذا التفسير: فإن قلت: ما وجه الجمع بين قوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وبين قوله: ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾؟ فالجواب: أن الأول عام، وهذا في أمور خاصة، أوصى الله تعالى بحفظها في قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ لشح النفوس وحرصها على الأموال، فخصها بالذكر بعد العموم اهتماماً بها، والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿يُدْخِلُهُ﴾ نسكنه ﴿نَارًا﴾ بالإثبات حيث وقع معرفاً أو منكرًا، والنار هي الجوهر اللطيف المحرق، نسأل الله العافية، مفعول أو ظرف أو منصوب على نزع الخافض ﴿خَلِيدًا﴾ بالحذف ﴿فِيهَا﴾ أي في النار، أي مقيمًا فيها أبدًا لا يخرج منها ولا يموت، كما قال في رواية أخرى: ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾¹ وروعي هنا في الحال وفي صاحبه لفظ من ﴿وَلَهُ﴾ أي وللذي عصى الله ورسوله وتعدى حدوده، خبر مقدم، والمبتدأ عذاب، بالإثبات، عقاب ونكال، سمي بذلك لأنه يعذب أي يمنع من الراحة ﴿مُهِيتٌ﴾ فاصلة الآية الرابعة. أي مذل مخز. قال في القاموس: "هان هونًا بالضم وهوانًا ومهانة ذل"، ثم قال: "والهون بالضم الخزي كالمهانة"². انتهى. والخزي الفضيحة المخجلة الهادمة لقدر المرء، قوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قد علمت أنه راعى هنا لفظ من دون معناها، بخلاف ما قبله، فإنه راعى اللفظ وراعى المعنى، ويظهر أن ذلك للإشارة إلى أن الأخير المفرد الدليل الذي لا يجد ناصرًا ولا مدفع له عن نفسه، والله تعالى أعلم. وقوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية، قال ابن جزي: "تعلق بها المعتزلة"³

¹ طه، 74.

² الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب النون، فصل الهاء، ص 1600.

³ المعتزلة: ينقسمون إلى عشرين فرقة، كل فرقة منها تكفر سائرهما، ويجمعها كلها في بدعتها أمور، منها نفيها كلها عن الله عز وجل صفاته الأزلية، ومنها اتفاقهم على القول بحدوث كلام الله تعالى، ومنها قولهم جميعًا بأن الله غير خالق لأكساب الناس ولا لشيء من أعمال الحيوانات؛ ولأجل هذا سماهم المسلمون

في قولهم: إن العصاة من المؤمنين يخلدون في النار، وتأولها الأشعرية¹ على أنها في الكفار². انتهى. وقال في الباب: "فإن قلت: كيف قطع للعاصي بالخلود في النار في هذه الآية، وهي فيها دليل للمعتزلة على قولهم: العصاة والفساق من أهل الإيمان يخلدون في النار؟ قلت: قال الضحاك: "المعصية هنا الشرك"، وقال الكلبي: "من يكفر بقسمة الله ويتعدّد حدود الله استحلالاً"³. انتهى المراد منه. فتحصل من هذا أنه لا دليل للمعتزلة في الآية الكريمة، ولما ذكر ما يفعل بصاحب هذه الكبيرة الموجبة للكفر في الآخرة، ذكر ما يفعل بصاحب هذه الكبيرة التي لا توجب الكفر في الدنيا بقوله: ﴿وَالَّتِي﴾ بحذف الألف وإحدى اللامين في كل موضع، جمع التي، وهي اسم موصول صيغ لوصف المعرفة بالجملة ﴿يَأْتِيَنَّ﴾ بالإثبات، يفعلن، يقال: أتى كذا إذا فعله، والنون هو الفاعل عائد على الموصول ﴿أَلْفَحْشَةً﴾ بالحذف، الذنب المتناهي في القبح، وهي هنا الزنى بإجماع ﴿مِنْ﴾ تبعيضية، وهي ومدخولها حال من نون ﴿وَالَّتِي﴾، ﴿نَسَائِكُمْ﴾ بالإثبات، قيل: هن المتزوجات. وقيل: المراد بهن جنس النساء. قال في الباب: "﴿وَالَّتِي﴾ جمع التي، وهي كلمة يخبر بها عن المؤنث خاصة، ﴿وَالَّتِي﴾ يفعلن الفاحشة، يقال: أتيت أمراً قبيحاً إذا

قدريّة، ومنها اتفاقهم على دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين وأنه لا مؤمن ولا من كافر، ولأجل هذا سماهم المسلمون "معتزلة" لاعتزالهم قول الأمة بأسرها، وغيرها من الضلالات. البغدادي، الفرق بين الفرق، الفصل 3، ص 93، 94. بتصرف.

¹ الأشاعرة: أتباع أبي الحسن بن علي بن إسماعيل بن إسحاق من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، تلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم، نصر السنة وأحكم الردود على مخالفيها بالحجة البالغة، ورد الشبه وقمع البدع، وكان مقررًا لمذاهب السلف الصالح، ومناضلاً عما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام على ذلك الحجج والبراهين وقد أجمعت على مذهبه الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ترجمة أبي الحسن الأشعري، ج 2، ص 254. الزركلي، الأعلام، ج 4، ص 263. بتصرف.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 182.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 357.

فعلته، والفاحشة¹ في اللغة: الفعلة القبيحة. وقيل: الفاحشة عبارة عن كل فعل وقول يعظم قبحه في النفوس، ويقبح ذكره في الألسنة، حتى يبلغ الغاية في جنسه، وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام، ولذلك أجمعوا على أن الفاحشة ها هنا هي الزنى، وإنما هي الزنى فاحشة لزيادة قبحه². انتهى. وقوله تعالى: ﴿مِنْ نِّسَائِكُمْ﴾ يعني المؤمنات، أفاد ذلك بالإضافة ﴿فَاسْتَشْهِدُوا﴾ يظهر من كلام الباب³ الآتي قريباً أن معنى استشهدوا أشهدوا، وصرح قبل ذلك بأن السنين والتاء للطلب في أحد التفسيرين، وقرن الخبر بالفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط، إذ المعنى: ومن يأتين الفاحشة من نسائك فاستشهدوا ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ أي على النساء التي يفعلن الفاحشة، والمشهود به هو إتيان الفاحشة ﴿أَرْبَعَةً﴾ أي أربعة رجال ﴿مِّنْكُمْ﴾ يعني من المسلمين، في موضع الصفة لأربعة، ومن تبعية. قال في الباب: "وهذا خطاب للأزواج إذا طلبوا أربعة من الشهود يشهدون عليهن، وقيل: هو خطاب للحكام، أي اسمعوا شهادة أربعة عليهن، ويشترط في هذه الشهادة العدالة والذكورة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنما جعل الله الشهود أربعة سترًا يستركم به دون فواحشكم"⁴. انتهى. وقال السيوطي: "﴿أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ أي من رجال المسلمين"⁵. انتهى. ونحوه غير واحد، أفاد كونهم مسلمين بقوله: ﴿مِّنْكُمْ﴾. ابن جزري: "قيل: إنما جعل شهود الزنى أربعة تغليظاً على المدعي وسترًا على العباد، وقيل: ليكون شاهدان على كل واحد من الزانين"⁶. انتهى. وقال في الضياء: "﴿أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ أي من رجال المسلمين العدول

¹ "الفاحشة: القبيح من القول والفعل، وجمعها الفَوَاحِشُ". ابن منظور، لسان العرب، مادة ف ح ش، ج6، ص321.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص357.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص357.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص357.

⁵ السيوطي، تفسير الجلالين، ص101.

⁶ ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص183.

كما مر في البيع . حملاً للمطلق على المقيد، واشترط الأربعة في الزنى خاصة دون القتل وغيره تغليظاً على المدعي وسترًا من الله على عباده، ولذا اشترط أيضًا رؤيتهم ذلك، كالمروء في المكحلة"¹. انتهى. ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ أي الأربعة العدول بالزنى عليهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهن، أعني التي شهد عليهن بالزنى ﴿فِي الْبُيُوتِ﴾ أي امنعهن من مخالطة الناس، واجعلوا البيوت سجنًا لهن ﴿حَتَّى﴾ غاية للإمساك، أي امسكوهن في البيوت إلى أن ﴿يَتَوَفَّنَهُنَّ﴾ بالياء مكان الألف، أي النساء اللاتي يأتين الفاحشة ﴿أَلْمَوْتُ﴾ فاعل يتوفى، والتوفي أخذ الشيء مستوفى، يقال: توفاه إذا أخذه مستوفى، والمراد انقضاء مدة الحياة بالموت. قال في الباب: "والحكمة في حبسهن في البيوت أن المرأة إنما تقع في الزنى عند الخروج والبروز للرجال، فإذا حبست في البيوت لم تقدر على الزنى"². ﴿أَوْ يَجْعَلَ﴾ عطف على ﴿يَتَوَفَّنَهُنَّ﴾ أو إلى أن يجعل أي يوجد الله. قال صاحب هذا التفسير: في هذا تعليم أن من الأدب حيث قال: ﴿يَتَوَفَّنَهُنَّ أَلْمَوْتُ﴾ فنسب التوفي إلى الموت، وإن كان المتوفي هو الله على الحقيقة، ونسب جعل القبيل إلى الله تعالى حيث قال: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾، ﴿لَهُنَّ﴾ يعني النساء اللاتي يأتين الفاحشة من نساء المؤمنين، وقامت عليهن بذلك أربعة عدول يشهدون به، كالمروء في المكحلة، واللام لشبه التملك ﴿سَبِيلًا﴾ فاصلة الآية الخامسة، طريقًا يذهب بمن إليه، وقد جعل الله لهن سبيلًا بالحد، أي الجلد والرفع، واختلف العلماء في أن الإمساك في البيوت كان حدًا فنسخ أم كان حبسًا ليظهر الحد على قولين. انتهى. قال صاحب هذا التفسير: وعلى هذا الأخير تكون الآية من المنسوخ، والله تعالى أعلم. قال الثعالبي: "قال ابن عطية: "وكانت عقوبة الزنى أولاً الإمساك في البيوت، ثم نسخ ذلك بالأذى الذي بعده، ثم نسخ ذلك بآية النور، وبالرحم في الثيب، قاله عبادة بن

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص169.

² الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص357.

الصامت¹ وغيره. وعن عمران بن حصين² أنه قال: "كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه الوحي ثم ألقعه ووجهه محمر فقال: <قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر، جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب، جلد مائة والرجم>³. أخرجه مسلم⁴، وهو خبر آحاد، ثم ورد في الخبر المتواتر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ولم يجلد، فمن قال: إن السنة المتواترة تنسخ القرآن، جعل رجم الرسول دون جلد ناسخاً لجلد الثيب، وهذا الذي عليه الأمة، أن السنة المتواترة تنسخ القرآن، إذ هما جميعاً وحي من الله سبحانه، ويوجبان جميعاً العلم والعمل، ويتجه عندي في هذه النازلة بعينها أن الناسخ بحكم الجلد هو القرآن المتفق على رفع لفظه وبقاء حكمه في قوله تعالى الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، وهذا نص في الرجم، وقد قرأها عمر بمحضر الصحابة، والحديث بكماله في مسلم⁵. والسنة هي المبينة، ولفظ البخاري⁶: <أو يجعل الله لهن سبيلاً، الرجم للثيب، والجلد للبكر>. انتهى. وقال في اللباب: "وهذا الحكم كان في أول الإسلام قبل نزول الحدود، وكانت المرأة إذا زنت حبست في البيت حتى تموت، فنسخ الحبس بالحدود، وجعل الله لهن سبيلاً، واتفق العلماء على أن

¹ عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر، أبو الوليد الأنصاري الخزرجي الصحابي الجليل، أحد النقباء ليلة العقبة ومن أعيان البدرين، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر وسكن بيت المقدس، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً، حدث عنه أبو أمامة الباهلي وأنس بن مالك وأبو مسلم الخولاني ومحمود بن الربيع وغيرهم، توفي رضي الله عنه سنة أربع وثلاثين للهجرة وقال آخرون مات سنة خمس وأربعين. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص115.

² عمران بن حصين بن عبيد بن خلف، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام القدوة أبو نجيد الخزاعي، أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في وقت سنة سبع من الهجرة، ولي قضاء البصرة وكان عمر بعثه إلى أهل البصرة ليفقههم، غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة، وله عدة أحاديث، حدث عنه مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير وأبو رجاء العطاردي وابن سيرين والشَّعْبِي وعطاء مولى عمران بن حصين وغيرهم. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج512508.

³ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص357، 358.

⁴ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 29 الحدود، باب 3 حد الزنى، ج3، ص1316، رقم1690.

⁵ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 29 الحدود، باب 3 حد الزنى، ج3، ص1316، رقم1690.

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 65 التفسير، سورة النساء، ج8، ص337.

هذه الآية منسوخة، ثم اختلفوا في ناسخها، فذهب بعضهم إلى أن ناسخها وهو حديث عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: <خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر، جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب، جلد مائة والرجم>¹ انتهى. ثم نسخ الجلد في حق الثيب، وأجمع العلماء على أن جلد الحر البكر الزاني مائة، وعلى رجم الحر المحصن، وهو الذي اجتمع فيه أربعة أوصاف: البلوغ، والعقل، والحرية، والإصابة في نكاح صحيح لازم وهو الثيب، واختلفوا في جلد الثيب ورجمه، فذهبت طائفة إلى أنه يجب الجمع بينهما، وبه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري وإسحاق بن راهويه³ وداود⁴ وأهل الظاهر. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه جلد شراحة الهمدانية⁵ يوم الخميس مائة، ثم رجمها يوم الجمعة، وقال⁶: "جلدتها بكتاب الله، ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"، بعد أن قال لها: "لعلك أكرهت، لعل زوجك

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 29 الحدود، باب 3 حد الزنى، ج 3، ص 1316، رقم 1690.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 357، 358.

³ إسحاق بن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه المروزي نزيل نيسابور، أحد كبار الحفاظ، طاف البلاد لجمع الحديث فرحل إلى العراق والحجاز والشام واليمن، ولد سنة إحدى وستين ومائة من الهجرة، سمع من ابن المبارك والفضيل بن عياض ومعتز بن سليمان وسفيان بن عيينة وغيرهم كثير، حدث عنه بقية بن الوليد وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين والبخاري وجماعات سواهم، من مؤلفاته: المسند، استوطن نيسابور وتوفي بها سنة ثمان وثلاثين ومائتين. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 383358.

⁴ داود بن أبي هند، واسم أبي هند: دينار بن عذافر. الإمام الحافظ، الثقة، أبو محمد الخراساني ثم البصري، من موالي بني قشير فيما قيل. ويقال: كنيته أبو بكر. حدث عن سعيد بن المسيب، وأبي عثمان النهدي، وعامر الشعبي، وغيرهم. حدث عنه: سفيان، وشعبة، وحماد بن سلمة، مات سنة 139هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 6، ص 376، رقم الترجمة 158. بتصرف.

⁵ شراحة الهمدانية، لم أجد من ترجم لها، وشراحة ضبطه الحافظ العسقلاني فقال: "بضم الشين المعجمة وتخفيف الراء ثم حاء مهملة، والهمداني بسكون الميم". العسقلاني، فتح الباري، ج 12، ص 119.

⁶ بنحوه في كتاب 86 الحدود، باب 21 رجم المحصن.

أتاك، لعلك لعلك"¹. وعامة العلماء على أن الثيب لا يجلد مع الرجم، لأن النبي عليه السلام رجم ماعزاً² والغامدية³ ولم يجلدهما. هذه عبارة البغوي⁴. وقال في الباب: "قال جماهير العلماء: والواجب على المحصن الزاني الرجم وحده، لأن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزاً والغامدية ولم يجلدهما، وأما تغريب البكر الزاني ونفيه سنة، فهو مذهب الشافعي وجماهير العلماء، قال أبو حنيفة: لا يقضي بالنفي أحد إلا أن يراه الحاكم تعزيراً. وقال مالك والأوزاعي: لا نفي على النساء. ويروى مثله عن علي، قالوا: لأن المرأة عورة، في نفيها تعريض لها للفتنة وتضييع لها، وحجة الشافعي وجماهير العلماء ظاهر حديث عبادة بن الصامت، وهو قوله صلى الله عليه وسلم⁵: <البكر بالبكر، جلد مائة ونفي سنة>، وروي عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب وغرّب، وأن أبا بكر ضرب وغرّب، وأن عمر ضرب وغرّب⁶، وإن كان الزاني عبداً فعليه جلد خمسين، وفي تغريبه قولان أصحهما أنه يغرب نصف سنة قياساً على حده، وإن كان الزاني مجنوناً أو غير بالغ فلا حد عليه"⁷. انتهى.

﴿وَالَّذَانِ﴾ بالحذف، قرأ ابن كثير والليث، وفي طه أن هذان، وفي الحج هذان، وفي

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 29 الحدود، باب 5 من اعترف على نفسه بالزنى، ج3، ص1321، 1322، رقم1695.

² ماعز بن مالك الأسلمي. قال ابن حبان: له صحبة، وهو الذي رجم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. ثبت ذكره في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد وغيرهما. وجاء ذكره في حديث أبي بكر الصديق وأبي ذر وجابر بن سمرة. سماه بعضهم، وأبهمه بعضهم، ويقال: إن اسمه عريب، وماعز لقب. العسقلاني، الإصابة، ج5، ص705. بتصرف.

³ الغامدية، امرأة من غامد وهي بطن جُهَيْنَة، اسمها سُبَيْعة القرشية، لم أجد من ترجم لها. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص325. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 29 الحدود، باب 5 من اعترف على نفسه بالزنى، ج3، ص1321، 1322، رقم1695.

⁴ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص29.

⁵ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 29 الحدود، ب 3 حد الزنى، ج 3، ص 1316، رقم1690.

⁶ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 15 الحدود، باب 11 ما جاء في النفي، ج4، ص35، رقم1438. قال: "حديث غريب".

⁷ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص358.

القصص هاتين، وفي فصلت إن الذين بتشديد النون وتمكين مد الألف والياء قبلها في الخمسة، والباقون بالتخفيف من غير تسكين للألف ولا مد للياء نشر¹، وقال ابن القاصح: "في ابن كثير: وأبو عمرو فذانك برهانان بالقصص بالتشديد، والباقون بالتخفيف"². انتهى.

﴿يَأْتِيَنَهَا﴾ أي يفعلان الفاحشة، وهي الزنى، بإثبات الألف الأول، وحذف الثاني ﴿مِنْكُمْ﴾ إلى المؤمنون ﴿فَكَادُوهُمَا﴾ الإيذاء إيقاع المكروه. وقال السيوطي: "﴿فَكَادُوهُمَا﴾ بالسب والضرب بالنعال"³، ونحوه وغيره. وقال البغوي: "قال عطاء وقتادة: فعيروهما باللسان، أما خفت الله، أما استحيت من الله حيث زنت. قال ابن عباس: هو باللسان واليد، يؤذى بالتعير وضرب النعال، فإن قيل: ذكر الحبس في الآية الأولى، وذكر في هذه الآية الإيذاء، فكيف وجه الجمع؟ قيل: الآية الأولى في الثيب، وهذه في البكر. وقيل: الأولى في النساء، وهذه في الرجال"⁴. انتهى. قوله: وهذه في الرجال، هذا يظهر في اللواط، وأما في الزنى، فالذي يظهر أن المراد بالثنية الرجل والمرأة. ابن جزي: "كانت عقوبة الزنى الإمساك في البيوت، ثم نسخ ذلك بالأذى، وهو السب والتوبيخ. وقيل: إن الإمساك في البيوت للنساء، والأذى للرجال، فلا نسخ بينهما، ورجحه ابن عطية⁵ وابن الفرس⁶ بقوله: في الإمساك من نسائكم، وفي الأذى منكم، ثم نسخ الإمساك والأذى بالرجم للمحصن، وبالجلد لغير المحصن، واستقر الأمر على ذلك، أما الجلد فمذكور في سورة النور، وأما الرجم فقد كان في القرآن ثم نسخ لفظه وبقي حكمه، وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزاً الأسلمي والغامدية"⁷⁸. ﴿فَإِنْ تَابَا﴾ بالإثبات أي اللذان يأتیان الفاحشة من الزنى

¹ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص26، 27.

² ابن القاصح، سراج القارئ المبتدي، ص190.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص101.

⁴ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص29.

⁵ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص22.

⁶ قول: "ابن فرس" غير موجود في التسهيل لعلوم التنزيل. وابن فرس هذا هو مجهول.

⁷ في التسهيل لعلوم التنزيل: "وغيره".

⁸ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص182.

﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل فيما يأتي ﴿فَاعْرِضْهُمَا﴾ أيها المؤمنون ﴿عَنْهُمَا﴾ أي اتركوهما ولا تؤذوهما. قال ابن جزى: "لما أمر بالأذى للزاني أمر بالإعراض عنه إذا تاب وهو ترك الأذى"¹. انتهى. وقال في الضياء: ﴿فَاعْرِضْهُمَا﴾ لا تؤذوهما، لأن التوبة تجب ما قبلها"². وهذا منسوخ بالحد، أي الجلد في البكر، والرجم في الثيب، وبالرجم في اللواط مطلقاً إن أريد فاحشة اللواط، إذ يرحم فيه الفاعل والمفعول في مذهب مالك، أحصنا أم لا، حرين أو عبيدين، وقيل: العبد يجلد خمسين. وقال أبو حنيفة: كل منهما يعزر ولا حد عليه. وقال الشافعي: يرحم الفاعل والمفعول به، وإن كان محصناً، بل يجلد ويغرب، ثم ذكر ما هو كالعلة فيما قبله فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ بالإثبات، حيث وقع إذ لم يزل ﴿تَوَابًا﴾ بالإثبات، أي يعود على عبده إذا تاب إليه بالمغفرة ﴿رَحِيمًا﴾ قال في الباب: ﴿تَوَابًا رَحِيمًا﴾ يعني أنه تعالى يعود على عبده بفضلته ومغفرته ورحمته إذا تاب إليه"³. وقوله: ﴿رَحِيمًا﴾ فاصلة الآية السادسة. وقال في الضياء: "قال البيضاوي: "قيل: هذه الآية سابقة على الأولى نزولاً، وكانت عقوبة الزناة الأذى، ثم الحبس، ثم الجلد. وقيل: الأولى في المساحقات، وهذه في اللواطيين، والزانية والزاني في الزناة"⁴. انتهى. ثم بين وقت التوبة المقبولة بقوله: ﴿إِنَّمَا﴾ ما هذه زائدة كافة، لأن المكسورة من العمل ﴿التَّوْبَةُ﴾ أي الرجوع إلى الله والندم على الذنب الذي فعله الشخص، حال كونها كائنة ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ يعني أن التوبة التي كتب الله على نفسه قبولها بفضلته إنما هي ﴿لِلَّذِينَ﴾ اللام للاختصاص ﴿يَعْمَلُونَ﴾ يفعلون ﴿الْأَسْوَأَ﴾ الذنب، حال كونهم متلبسين ﴿بِجَهْلَةٍ﴾ بالحدف. قال في الضياء: "وقد أجمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن كل ذنب عصي الله به فهو جهالة، عمداً كان أو غيره، وكل عاص

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص182.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص170.

³ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص358.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص170.

جاهل إذ لم يستعمل العلم، أو المعنى جاهلين عقوبة الذنب، أو فيهم شوب¹ الجهل، فإن من عرف عظمة الله لا يجترئ على معصيته، وليس المراد بالجهالة الجهل بكونه معصية، لأنه يقتضي عدم قبول توبة المتعمد، وهو فاسد إجماعاً، و﴿التَّوبَةُ﴾ مبتدأ على حذف مضاف، أي قبول التوبة، و﴿عَلَى اللَّهِ﴾ خبره، و﴿لِلَّذِينَ﴾ حال من الضمير في ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ أو هو الخبر، و﴿عَلَى اللَّهِ﴾ حال من محذوف تقديره: إذا كانت وكان تامة وصاحب الحال ضمير الفاعل، قاله الكواشي². وقال في الباب: "﴿إِنَّمَا التَّوبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ يعني التوبة التي يقبلها الله، فتكون ﴿عَلَى﴾ بمعنى عند. وقيل: ﴿عَلَى﴾ بمعنى من، أي من الله. وقال أهل المعاني: إن الله عز وجل وعد بقبول التوبة من المؤمنين في قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾³ وإذا وعد الله شيئاً أنجز ميعاده وصدق فيه، فمعنى قوله: ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ أوجب على نفسه من غير إيجاب أحد عليه، لأنه تعالى يفعل ما يريد للذين يعملون السوء، يعني الذنوب والمعاصي، سميت سوء لسوء عاقبتها، إذا لم يتب منها بجهالة. قال قتادة: أجمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن كل شيء عصي الله به جهالة، عمداً كان أو غيره، وكل من عصى الله فهو جاهل، من جهالته عمل السوء، فكل من عصى الله سمي جاهلاً، وسمي فعله جهالة، وإنما سمي من عصى الله جاهلاً لأنه لم يستعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب، وإذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلاً بهذا الاعتبار. وقيل: معنى الجهالة أن يلقي الإنسان بالذنب مع العلم بأنه ذنب، لكنه يجهل عقوبته. وقيل: معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية⁴. انتهى. ابن جزى: "﴿إِنَّمَا التَّوبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي إنما يقبل الله توبة من كان على هذه الصفة، وإذا تاب العبد توبة صحيحة بشروطها، فيقطع بقبول الله لتوبته عند

¹ "الشَّوْبُ: الْخَلْطُ، شَابَ الشَّيْءُ شَوْبًا خَلَطَهُ، وَشُبُّهُ أَشْوَبُهُ خَلَطْتُهُ، فَهُوَ مَشُوبٌ". ابن منظور، لسان

العرب، مادة ش و ب، ج 1، ص 510.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 170.

³ الأنعام، 54.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 359.

جمهور العلماء. وقال أبو المعالي: يغلب ذلك على الظن، ولا يقطع به. ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ بسفاهة وقلة تحصيل أدت إلى المعصية، وليس المعنى أنه يجهل أن يكون ذلك بالفعل معصية. قال أبو العالية: أجمع الصحابة على أن كل معصية جهالة، سواء كانت عمداً أو خطأ¹. انتهى. وقال الثعالبي: "قال ابن عطية: ﴿إِنَّمَا﴾ حاصرة² مقصد المتكلم بها أبداً، فقد تصادف من المعنى ما يقتضي العقل فيه الحصر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ وقد لا تصادف ذلك، كقوله: "إنما الشجاع عنتر"، وهي في هذه الآية حاصرة، إذ ليست التوبة إلا لهذا الصنف المذكور، وتصح التوبة وإن نقضها التائب في ثاني حال بمعاودة الذنب الذي تاب منه، فإن التوبة الأولى طاعة قد انقضت وصحت، وهو محتاج بعد موازنة الذنب إلى توبة أخرى مستأنفة، وتصح أيضاً التوبة من ذنب مع الإقامة على غيره من غير نوعه، خلافاً للمعتزلة في قولهم: لا يكون تائباً من أقام على ذنب³. والسوء في هذه الآية يعم الكفر والمعاصي⁴. انتهى. ﴿ثُمَّ﴾ بعد عمل السوء ﴿يَتُوبُونَ﴾ إلى الله مما عملوا من السوء ﴿مِنْ﴾ الظاهر أن ﴿مِنْ﴾ ابتدائية، أو بمعنى في نحو: ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾⁵، ﴿قَرِيبٍ﴾ أي في زمن قريب، والزمن القريب هو ما كان قبل الغرغرة، واحترز بذلك عما لو تاب بعد الغرغرة، فإن التوبة حينئذ لا تقبل، وفي الحديث المشهور: >إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر<⁶، وعن ابن عباس: ما لم يشاهد ملك الموت. وفي القاموس: "غرغر: جاد بنفسه عند الموت"⁷. انتهى. وقال في الباب: "الغرغرة أن يجعل المشروب في جوف

¹ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص183.

² في تفسير الثعالبي: "حاصرة وهو"، وكذا في تفسير ابن عطية.

³ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص23، 24.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص424.

⁵ فاطر، 40، الأحقاف، 4.

⁶ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 49 الدعوات، باب 99 في فضل التوبة والاستغفار، ج5، ص511،

رقم3537. قال: "حديث حسن".

⁷ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب الرء، فصل الغين، ص578.

المريض فيرده في الحلق ولا يصل ولا يقدر على بلعه، وذلك عند بلوغ الروح إلى الحلقوم"¹. انتهى. وقيل في معنى الآية: إن الغريب هو أن يتوب الإنسان قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها، وفيه مخالفة لأهل السنة أن السيئات لا تحبط الحسنات. وقال في الباب: "﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ يعني يتوبون بعد الإقلاع من الذنب بزمان قريب، لئلا يعد في زمرة المصرين. وقيل: القريب أن يتوب في صحته قبل مرض موته. وقيل: قبل موته. وقيل: قبل معاينة ملك الموت، ومعاينة أهوال الموت، وفيه تنبيه على أن عمر الإنسان وإن طال فهو قليل، وأن الإنسان يتوقع في كل ساعة لحظة نزول الموت به"². وروى البغوي³ بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: >إن الشيطان قال: وعزتك يا رب، لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي وارتفاعي في مكاني⁴، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني"<⁵.

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص359.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص359.

³ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص32.

⁴ ارتفاع المكانة لا المكان: الحيز والجهة، لأن الله موجود بلا مكان. جاء في كتاب "الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به" للإمام أبي بكر بن الطيب الباقلاني، (ص66.64) ما نصه: "ويجب أن يُعلم أن كل ما يدل على الحدوث أو على سمة النقص، فالرب تعالى يتقدس عنه. فمن ذلك: أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول، والانتقال، ولا القيام، ولا القعود، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى، 11). وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص، 4). ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك، فإن قيل: أليس قد قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه، 5). قلنا: بلى. قد قال ذلك، ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب والسنة، لكن ننفي عنه أمانة الحدوث، ونقول استواؤه لا يشبه استواء الخلق، ولا نقول إنَّ العرش له قرار ولا مكان، لأن الله تعالى كان ولا مكان، فلمَّا خلق المكان لم يتغيَّر عما كان".

⁵ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج3، ص29.

انتهى. ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ يعني الذين عملوا السوء ثم تابوا من قريب، والظاهر أن الفاء عاطفة سببية ﴿يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم، قال غير واحد: وعد بالوفاء بما وعد به وكتبه على نفسه بقوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ﴾، ﴿وَكَانَ﴾ بالإثبات ﴿اللَّهُ﴾ أي لم يزل ﴿عَلِيمًا﴾. قال في الضياء: "﴿عَلِيمًا﴾ بخلقه، يعلم إخلاصهم في التوبة"¹. انتهى. وقال الثعالبي: "﴿عَلِيمًا﴾ بمن يتوب، ويسره هو سبحانه للتوبة ﴿حَكِيمًا﴾ فيما ينفذه من ذلك"². انتهى. وقال السيوطي: "﴿عَلِيمًا﴾ بخلقه، ﴿حَكِيمًا﴾ في صناعه بهم"³. وقال في الباب: "﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ قال ابن عباس: علم ما في قلوب المؤمنين من التصديق واليقين، فحكم بالتوبة قبل الموت، ولو بقدر فواق ناقة"⁴. وقيل: معنى الآية علم أنه إنما يأتي بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والجهالة عليه، فحكم بالتوبة لمن تاب منها وأتاب من قريب"⁵. انتهى. قوله: ﴿حَكِيمًا﴾ فاصلة الآية السابعة. ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ بالإثبات، يعني الذنوب، هذا مفهوم قوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾، ﴿حَتَّى﴾ غاية لعمل السيئات ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ يعني وقع النزاع وعاین ملائكة الموت، وهي حالة السوق حين تساق الروح من جسده ﴿قَالَ﴾ جواب إذا ﴿إِنِّي تَبْتُ﴾ من ذنوب ﴿أَلَكُنْ﴾ بالحذف، أي في هذا الوقت الذي حضره الموت فيه، يقول الله تعالى إن الذين يعملون السيئات ولم يتوبوا منها إلى أن عاينوا الموت، فلما عاينوها تابوا، لا يقبل الله تعالى توبتهم، فإن كانوا كفاراً فهم

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص171.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص425.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص101.

⁴ "قدر فُواق ناقة: وهو قدر ما بين الحلبتين من الراحة". ابن منظور، لسان العرب، مادة ف و ق، ج10، ص315.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص359.

مخلدون في النار بالإجماع، وإن كانوا مسلمين فهم في مشيئة الله، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم. انظر ابن جزى¹. وقال في اللباب: "قال المحققون: قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة، بل المانع من قبولها مشاهدة الأحوال التي لا يمكن معها الرجوع إلى مشاهدة الدنيا بحال، ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا إيمانه، وهو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَاكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَاثَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ

وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ

لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾³. انتهى. فإن قلت: قد تعلققت الوعيدية بهذه الآية، وقالوا: أخبر الله بأن

عصاة المؤمنين إذا سلموا أمرهم إلى انقضاء آجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار،

لأن الله تعالى جمعهم في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، وأيضاً أخبر تعالى

أنه لا توبة لهم عند معاينة الموت وأسبابه، قلت: ليس الأمر على ما زعموا إلخ، ولم أرتض

جوابه، فلذا لم آت به، ويأتي الجواب عن ذلك قريباً إن شاء الله تعالى عند قوله: ﴿أُولَٰئِكَ

أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. وقد روي عن ابن عباس⁴ في قوله: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ

لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ يريد الشرك. وقال سعيد بن جبیر⁵: نزلت الآية الأولى في

المؤمنين، يعني قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾، والوسطى في المنافقين، يعني قوله تعالى:

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾، والأخرى في الكافرين، يعني قوله: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ

كُفَّارٌ﴾. وهذان التفسيران تعقبا بأتهما يقتضيان أن تبقى حالة الفاسق المصر غير مبينة كما

يأتي عن الثعالبي⁶، وقال الثعالبي: "ومن لم يتب حتى حضره الموت، فليس في حكم التائبين،

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص183.

² يونس، 90، 91.

³ غافر، 85. الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص359.

⁴ لم أعثر على القول.

⁵ لم أعثر على القول.

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص426.

فإن كان كافراً فيخلد في النار، وإن كان مؤمناً فهو عاص في المشيئة، لكن يغلب عليه الخوف، ويقوى الظن في تعذيبه ويقطع من جهة السمع أن في هذه الصنعة من يغفر الله تعالى له تفضلاً منه ولا يعذبه"¹. انتهى. وقال الثعالبي: "قال ابن عطية: "والعقيدة في هذه الآية أن من تاب من قريب فله حكم التائب، فيغلب الظن عليه أنه ينعم ولا يعذب، هذا مذهب أبي المعالي وغيره. وقال غيرهم: بل هو مغفور له قطعاً، لخبر الله تعالى بذلك، وأبو المعالي لم² يجعل تلك الأخبار ظواهر مشروطة بالمشيئة"³. ﴿وَلَا الَّذِينَ﴾ عطف على قوله: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ ، ﴿يَمُوتُونَ﴾ أن ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ بالإثبات، يقول الله عز وجل لا توبة للكفار إذا ماتوا على كفرهم، وإنما لم تقبل توبتهم في الآخرة لرفع التكليف في الآخرة ومعاناة ما وعدوا من العذاب. قال في الضياء: "وقد سوى الله بين من سَوَّف⁴ التوبة من الفسقة والكفار على حضور الموت، وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداء بها في تلك الحالة"⁵. انتهى. والحاصل أن المؤمن إذا تاب من قريب، ولو قربه الموت، فإن توبته مقبولة، إما قطعاً وإما ظناً، بمعنى أنه يغلب على الظن أن ينعم ولا يعذب، وهذا القول يقول صاحبه بأنه من أهل المشيئة، لكن يغلب على الظن أنه مغفور به، وأن المؤمن إذا لم يتب من قريب بأن تاب عند الغرغرة أو لم يتب فهو من أهل المشيئة، لكن يغلب عليه الخوف، ويقوى الظن في تعذيبه، ويقطع بأن منهم من يغفر الله تعالى له تفضلاً منه ولا يعذبه، ويقطع بأن منهم من ينفذ الوعيد فيه، وأن الكافر إذا تاب من قريب قبلت توبته قطعاً، وإن تاب من بعيد بأن تاب بعد معاناة الموت كالغرغرة ومشاهدة ملك الموت، أو تاب بعد الموت، فإن هذا مخلص في النار بإجماع المسلمين ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ،

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص425، 426.

² قوله: "لم" غير موجود في تفسير الثعالبي، وكذا في تفسير ابن عطية.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص425. ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص25.

⁴ "سَوَّف: كلمة معناها التنفيس والتأخير". ابن منظور، لسان العرب، مادة س و ف، ج9، ص164.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص171.

والإشارة إلى قوله: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ والخبر ﴿أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا، يقال: أعتد الشيء أو أعدده هيأه، وأتى بـ **نا** لما عليه من نعوت الجلال وعلو صفات الكمال ﴿لَهُمْ﴾ يظهر أن اللام متعلقة بـ ﴿أَعْتَدْنَا﴾ ويمكن أن تكون هي ومدخوله حالاً مما بعد، وحينئذ تكون للاختصاص أو لشبه التمليك، والله تعالى أعلم. ﴿عَذَابًا﴾ بالإثبات، عقاباً ونكالاً من العذاب، وهو المنع، لأنه يمنع الراحة ﴿أَلِيمًا﴾ مؤلماً، أي وجيعاً، فاصلة الآية الثامنة. وقال الثعالبي: "إن كانت الإشارة إلى ﴿الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ فقط، فالعذاب عذاب خلود مؤبد، وإن كانت الإشارة إليهم وإلى من ينفذ عليه الوعيد أو من¹ لا يتوب إلا مع حضور الموت أو لم يتب²، فهو في جهة هؤلاء عذاب لا خلود معه"³. انتهى بزيادة قليلة جداً، وهذا الذي فسرت به قوله: ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ هو الجواب الذي وعدت به عند قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَبْتُ الْكَفَّارَ﴾ وقد مر قول سعيد بن جبير أن قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ في المنافقين. قال الثعالبي: "وهو مردود باقتضائه أن تبقى حالة الفاسق المصر غير مبينة"⁴. انتهى. ولما أخبرهم بأن من لم يتب من المعاصي من قريب ليست له توبة، بيّن لهم ما هو من المعاصي ليجتنبوه وليتوبوا منه من قريب إن كان قد وقع فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿لَا يَحِلُّ﴾ لا يجوز ﴿لَكُمْ﴾ الظاهر أن اللام لشبه التمليك أو للتعدية، نحو: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾⁵ يرثني، ﴿أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾ أي ذواتهن، كالشيء الذي ترثونه عن ميتكم ﴿كَرْهًا﴾ يعني وهن كارهات. قال السيوطي: "﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ

¹ في تفسير الثعالبي: "الوعيد ممن لا يتوب".

² في تفسير الثعالبي: غير موجود لفظ "أو لم يتب".

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص426.

⁴ لم أعثر على قوله هذا.

⁵ مريم، 5.

لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ ﴿١﴾ أي ذواتهن كُرْهًا بالضم والفتح لغتان، أي مكرهيهن على ذلك؛ كانوا في الجاهلية يرثون نساء أقربائهم، فإن شاءوا تزوجوهن بلا صداق، أو زوجوهن وأخذوا صداقهن، أو عضلوهن حتى تفتدين بما ورثه أو تموتن فيرثوهن، فنهوا عن ذلك¹. انتهى.

وقال في الباب: "نزلت في أهل المدينة، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام، إذا مات الرجل وخلف امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من ذوي عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة أو على خبائها، فيكون أحق بها من نفسه ومن غيره، فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول الذي أصدق الميت، وإن شاء زوجها غيره وأخذ هو صداقها، وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج يضارها بذلك لتفتدي منه بما ورثت من الميت أو تموت هي فيرثها، فإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل أن يلقي عليها ولي زوجها ثوبه، كانت أحق بنفسها، وكانوا على ذلك حتى توفي أبو قيس بن الأسلت الأنصاري²، وترك امرأته كبيشة بنت معن الأنصارية³، فقام، أي ابن له من غيرها، يقال له: حصن، وقيل اسمه: قيس بن أبي قيس⁴، فطرح ثوبه عليها، فورث نكاحها، ثم تركها ولم ينفق عليها، يضارها بذلك لتفتدي منه، فأتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن أبا قيس ورث نكاحي ابنه، فلا هو ينفق عليّ، ولا هو يدخل بي، ولا هو يخلي سبيلي؟ فقال: >اقعدي في بيتك حتى يأتي أمر

¹ السيوطي، تفسير الجلالين، ص101، 102.

² صيفي بن عامر الأسلت بن جشم بن وائل الأوسي الأنصاري، أبو قيس. شاعر جاهلي، من حكمائهم. كان رأس الأوس وشاعرهم وخطيبهم، وقائدهم في حروبهم. وكان يكره الأوثان، ولما ظهر الإسلام، اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم وترث في قبول الدعوة، فمات بالمدينة، قبل أن يسلم. الزركلي، الأعلام، ج3، ص211. بتصرف.

³ كبيشة بنت معن بن عاصم الأنصارية. كانت زوج أبي قيس بن الأسلت، ويقال لها: كبيشة. قال ابن جريج عن عكرمة: نزلت فيها فيها: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كُرْهًا﴾. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص98. بتصرف.

⁴ قيس بن صيفي بن الأسلت، واسم الأسلت عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري، وصيفي وهو أبو قيس بن الأسلت مشهور بكنيته. وعند أبي الفرج الأصبهاني ما يوهم أن قيسًا قتل في الجاهلية. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، ص480. بتصرف.

الله فيك>، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾¹ يعني ميراث نكاحهن¹. وقيل: معناه أن ترثوا أموالهن كرهاً، يعني وهن كارهات². انتهى. وفسرت الآية أيضاً بأن الخطاب للأزواج، والمعنى: لا يحل لكم أن ترثوا أموال النساء، أي زوجاتكم، كرهاً؛ كان الرجل في الجاهلية يمسك المرأة، ولا غرض له فيها لكي تموت عنده فيرثها أو تفتدي بمالها إن لم تمت. وقال في الضياء: "﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾ أي ذواتهن أو أموالهن ﴿كَرْهًا﴾ بالفتح والضم لغتان، أو بالفتح الإكراه والإجبار، وبالضم المشقة أي مكروهات أو كارهات، و﴿أَنْ تَرِثُوا﴾ في موضع رفع على الفاعلية، و﴿النِّسَاءَ﴾ مفعول به، إما على حذف مضاف، أي كان الخطاب للأزواج، أي أن ترثوا أموال النساء؛ كان الرجل في الجاهلية إلخ، أو بلا حذف إن كان الخطاب لأولياء الميت؛ كانوا في الجاهلية يرثون نساء أقربائهم، أي ذواتهن³ إلخ. وقال الثعالبي: "قال بعض المتأولين: معنى الآية: لا يحل لكم عضل النساء اللاتي أنتم أولياؤهن وإمساكنهن دون تزويج حتى يمتن فتورث أموالهن. قال ابن عطية: "فعلى هذا القول، فالموروث مالها لا هي، وروي نحو هذا عن ابن عباس⁴. انتهى. قوله: ﴿كَرْهًا﴾ قال في النشر: "قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿كَرْهًا﴾ هنا، وفي التوبة⁵ بضم الكاف، والباقون بفتحها⁶. انتهى. وقال ابن القاصح: "على السبعة قرأ حمزة والكسائي ﴿كَرْهًا﴾ بهذه السورة، وبالتوبة⁷: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ

¹ الواحدي، أسباب النزول، ص 107، 108.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 360.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 171.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 426. ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب

العزير، ج 2، ص 26. لم أعثر على قول ابن عباس.

⁵ التوبة، 53.

⁶ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 3، ص 27.

⁷ التوبة، 53.

﴿كَرَّهَا﴾ بضم الكاف فيهما، وقرأ الكوفيون وابن ذكوان¹ ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، كَرَّهَا وَوَضَعَتْهُ كَرَّهَا﴾² بضم الكاف فيهما في الأحقاف، والباقون بفتح الكاف في الكل³. انتهى. ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خطاب للأزواج، أي لا تجسوهن في العصم مضار بهن حتى يضجرن فيفتدين ببعض ما هن كما قال: ﴿لِتَذْهَبُوا﴾ أيها الأزواج ﴿بِبَعْضٍ﴾ الباء للتعدية ﴿مَا﴾ أي الذي ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ أعطيتموهن. قال في اللباب: "﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ تمنعهن من الزواج بجسكم لهن في العصم⁴، لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن، يعني لتضجر فتفتدي ببعض ما لها. قال ابن عباس: هذا في الرجل، تكون له امرأة، وهو كاره لها ولصحبته، ولها عليه مهر، فيضارها لتفتدي به وترد إليه ما ساق إليها من المهر، فنهى الله عن ذلك. وقيل: كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها ثم يطلقها، يضارها، فنهوا عن ذلك⁵. انتهى.

وقال في الضياء: "﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ حزم بلا الناهية أو نصب عطفاً على ﴿أَنْ تَرْتُوا﴾ ولا لتأكيد النفي⁶. وأما القول بأن هذا خطاب بعض الأولياء الميت فنهاهم الله عن عضل امرأة ميتهم، فإرداه قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ بالإثبات، يجئن ﴿بِفَحِشَةٍ﴾

¹ ابن ذكوان، أحمد بن عبد الله بن ذكوان، أبو العباس. قاضي القضاة بالأندلس. ولاة القضاء المنصور بن أبي عامر، بقرطبة. وكان من خاصته يلزمه في رحلاته وغزواته، ومحلّه منه فوق محل الوزراء، يفاوضه المنصور في تدبير الملك وسائر شؤونه. وكذلك كانت حال المظفر والمأمون ابني المنصور معه بعد وفاة أبيهما. وعزل في أيام المظفر ثم أعيد، وتوفي المظفر، فزاد أخوه المأمون عبد الرحمن في رفع منزلة ابن ذكوان وولاه الوزارة مجموعة إلى قضاء القضاة. ولما انقرضت دولة بني عامر وقامت الفتن في قرطبة نفى ابن ذكوان وأهله إلى المربة فوهران. ثم أعيدوا، فاعتزل الناس إلى أن توفي. ولبعض الشعراء رثاء فيه. مجهول الولادة، وتوفي سنة 413هـ. الزركلي، الأعلام، ج1، ص156. بتصرف.

² الأحقاف، 15.

³ ابن القاصح، سراج القارئ المبتدي، ص190.

⁴ قوله: "بجسكم لهن في العصم" غير موجود في لباب التأويل.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص360.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص171.

بالحذف، نشوزًا وزنى من ﴿مُبَيِّنَةٍ﴾ واضحة ظاهرة، والباء للتعدية أو للمصاحبة. قال صاحب هذا التفسير: أفاد بقوله: ﴿مُبَيِّنَةٍ﴾ أنه لا بد من ثبوت هذه الفاحشة، يعني: أن المرأة إذا أتت بفاحشة مبينة، فإنه يحل للزوج أن يضارها حتى تفتدى منه. وقال الثعالبي: "واختلف في معنى الفاحشة هنا، فقال الحسن بن أبي الحسن: هي الزنى، قال أبو قلابة¹: إذا زنت امرأة الرجل فلا بأس أن يضارها، ويشق عليها حتى تفتدى منه. وقال السدي: إذا فعلن ذلك، فخذوا مهورهن، قلت: وحديث المتلاعنين يضعف هذا القول، لقوله صلى الله عليه وسلم: <فذلك بما استحلت من فرجها>². انتهى. وقال في الضياء: ﴿يَفْحِشَةُ

مُبَيِّنَةٍ﴾ هي الزنى والنشوز، أو السلاطة وعدم التعفف، وبغض الزوج، فإذا فعلتها حل لكم أخذ ما هن بالإضرار حتى يفتدى. قال ابن عطية: "الزنى أصعب على الزوج من النشوز والأذى، وكل ذلك فاحشة تحل أخذ المال"³. انتهى. و قال في اللباب: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ يَفْحِشَةُ مُبَيِّنَةٍ﴾ أي فحينئذ يحل لكم إضرارهن ليفتدين منكم. واختلفوا في الفاحشة المبينة، فقيل: هي النشوز، وسوء الخلق، وإيذاء الزوج وأهله. وقيل: الفاحشة هي الزنى، يعني: أن المرأة إذا نشزت أو زنت، حل للزوج أن يسألها الخلع. وقيل: كانت المرأة إذا أصابت

¹ أبو قلابة، عبد الله بن زيد بن عمرو بن عامر، الإمام، شيخ الإسلام، الجُزْمِيّ، البصريّ، وحُزْم، بطن من الحاف بن قضاعة، حدّث عن: ثابت بن الضحّاك في الكتب كلها، وعن أنس كذلك، ومالك بن الحويرث، وعن حذيفة في "سنن أبي داود"، وسمرة بن جندب في "سنن النسائي"، وغيرهم، وهو من أئمة الهدى، حدّث عنه: مولاه، أبو رجاء سلمان، ويحيى بن أبي كثير، وثابت البنّانيّ، وقتادة، وعمران بن حُدَيْر وحلق سواهم، قال ابن سعد: كان ثقة، كثير الحديث، وكان ديوانه بالشام، وقال أبو حاتم: لا يُعرف لأبي قلابة تدليس، توفي سنة 104هـ، وقيل 105هـ. الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج4، ص582، رقم الترجمة 681. بتصرف.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 68 الطلاق، باب 53 المتعة التي لم يفرض لها، ج9، ص496، رقم 5350. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص427.

³ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص28. عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص172.

فاحشة، أخذ فيها زوجها ما ساق إليها وأخرجها، فنسخ الله ذلك بالحدود¹. انتهى. ونحوه في البغوي². وقال ابن جزى: "قيل: الفاحشة هنا الزنى، وقيل: نشوز المرأة وبغضها في زوجها، فإذا نشزت جاز له أن يأخذ ما أتاها من صداق وغير ذلك من مالها، وهذا جار على مذهب مالك في جواز الخلع، إذا كان الضرر من المرأة، والزنى أصعب على الزوج من النشوز، فيجوز له أخذ الفدية معه"³. انتهى. واعلم أن الولي إذا زنت المرأة، فليس له حبسها، حتى يذهب بمالها إجماعاً من الأمة. وقوله: ﴿مُبَيَّنَةٌ﴾ قال في النشر على العشر: "في ابن كثير وأبي بكر ﴿بِفَحْشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ﴾ هنا في الأحزاب، وفي الطلاق، بفتح الياء، والباقون بكسرها فيهن"⁴. انتهى. وقال ابن القاصح: "كل ما جاء من لفظ ﴿مُبَيَّنَةٌ﴾ مفرداً، قرأه ابن كثير وأبو بكر بالفتح، والباقون بالكسر"⁵. انتهى. ثم قال ابن القاصح: "وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كل ما جاء من لفظ مبينات بالجمع بالفتح، والباقون بالكسر"⁶. انتهى. ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ﴾ بالإثبات، خطاب للأزواج في أزواجهن، أي وصاحبوهن، أيها الأزواج، النساء ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالإجمال في القول والميت والنفقة، والباء للمصاحبة. قال في الباب: "قيل: هو راجع إلى الكلام الذي قبله، والمعنى: وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ والمعاشرة بالمعروف هي الإجمال في القول والميت والنفقة. وقيل: هو أن تصنع لها كما يجب أن تصنع لك"⁷. انتهى. وقال الثعالبي: "﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ في بعض الأزواج والأولياء، ولكن التلبس في الأغلب بهذا الأمر للأزواج، والعشرة المخالطة والممازجة"⁸.

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص360.

² البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص34.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص184.

⁴ ابن الجزري، النشر، ج3، ص27.

⁵ ابن القاصح، سراج القارئ المبتدي، ص190.

⁶ ابن القاصح، سراج القارئ المبتدي، ص190.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص360، 361.

⁸ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص427.

انتهى. ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ يعني: فإن كرهتم عشرتن وصحبتهن، وآثرتم فراقهن ﴿فَعَسَىٰ﴾ على المترجي في المحبوب، وللإشفاق في المكروه، وقد اجتمعا في قوله تعالى، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم، وهي هنا في المحبوب ﴿أَنْ تَكْرَهُوا﴾ كرهه ضد أحبه، في موضع رفع على الفاعلية، ﴿فَعَسَىٰ﴾ تامة، فهي فاعل صريح، أو هي ناسخة، واستغنت بما بعدها عن الثاني من الجزأين، فإن تكرهوا على هذا ساد مسد الجزأين ﴿شَيْئًا﴾ مفعول ﴿تَكْرَهُوا﴾. قال الثعالبي: "قال ابن عطية: من فصاحة القرآن أن العموم الذي في لفظة شيء، لأنه يطرد في كل شيء مما يكرهه المرء مما يحمل الصبر عليه، ويحسن إذ عاقبة إلى الخير، إذا أريد به وجه الله" ¹. انتهى. ﴿وَيَجْعَلُ اللَّهُ﴾ إما منصوب عطفاً على ﴿تَكْرَهُوا﴾ أو منصوب على أن الواو بمعنى مع واقعة بعد الطلب على حده والواو كالفا إن تفد مفهوم مع كلا تكن جلدًا وتضمير الجزع، ويظهر أن يجعل بمعنى يوجد أو يضع أو يصير، والمفعول الثاني علي ﴿فِيهِ﴾ أي في الشيء الذي كرهتموه، والأول ﴿خَيْرًا﴾ الخير كل ملائم ﴿كَثِيرًا﴾ أي يصير الله خيراً كثيراً كائناً في الشيء الذي تكرهونه، وعلى المعنيين الأولين يحتمل أن يكون فيه لغوًا متعلقًا بـ يجعل، وأن يكون مستقراً حالاً مما بعده. وقوله: ﴿كَثِيرًا﴾ فاصلة الآية التاسعة. والمعنى: إن كرهتم النساء لوجه فاصبروا عليه، فعسى الله أن يجعل الخير في وجه آخر، والخير الكثير منه الولد الصالح. ومنه الحديث: > لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن سخط منها خلقاً، رضي منها خلقاً آخر< ². انظر: ابن جزي ³. وقوله: ﴿وَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١٩) قال في اللباب: "قال ابن عباس: ربما رزق منها ولداً صالحاً، فجعل الله له في ولده خيراً كثيراً، فتقلب

¹ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص29. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص427.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب 17 الرضاع، باب 18 الوصية بالنساء، ج2، ص1091، رقم 1469.

³ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص184.

تلك الكراهة محبة، والنفرة رغبة. وقيل: في الآية ندب إلى إمساك المرأة، مع الموافقة لها، والكراهة لها، لأنه إذا كره صحبتها، وتحمل ذلك المكروه، طلبًا للشواب، وأنفق عليها وأحسن صحبتها، استحق الثناء الجميل في الدنيا، والشواب الجزيل في العقبى. وقيل في معنى الآية: إن كرهتموهن ورغبتم في فراقهن، فربما جعل الله في تلك لفارقة لهن خيرًا كثيرًا، وذلك بأن تخلص من هذا الزوج الكاره لها، وتتزوج غيره خيرًا منه¹.

ذلك إذا لم تأت بفاحشة مبينة فقال: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿أَسْتَبْدَالَ﴾ بالإثبات، نكاح ﴿زَوْجٍ﴾ أي زوجة، سماها زوجًا باعتبار المال يجعلونها ﴿مَكَاتٍ﴾ بالإثبات، موضع متعلق بـ ﴿أَسْتَبْدَالَ﴾، ﴿زَوْجٍ﴾ أي زوجة في العصمة يطلقها ويجعل أجنبية تحته مكانها، فالأولى مأخوذة، وهذه متروكة. قال في الباب: "قال المفسرون: لما ذكر الله في الآية الأولى مضارة الزوجات إذا أتت بفاحشة، وهي إما النشوز أو الزنى، بيّن في هذه الآية تحريم المضارة إذا لم يكن من قبلها نشوز ولا زنى، ونهى عن بخس الرجل حق المرأة إذا أراد طلاقها واستبدال غيرها"². انتهى. والحال أنكم ﴿وَأَتَيْتُمْ﴾ أعطيتهم ﴿إِحْدَنَهُنَّ﴾ بالياء مكان الألف، أي الزوجات، قاله غير واحد³ ﴿قِنْطَارًا﴾ بالإثبات، مالا كثيرًا صدقة لها. قال في الضياء: "فيه جواز تكثير الصداق، ولكن المندوب تقليله، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقلله، ويقول: <خير النكاح أيسره>"⁴، والقنطار المال الكثير، قاله غير واحد⁵. انتهى. وقال في الباب: "في الآية دليل على جواز المغالاة في المهور. وروي: "أن عمر قال على المنبر: ألا لا تغالوا في مهور نسائكم، فقامت امرأة فقالت: يا ابن الخطاب، الله

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص361. (مع تغيير لبعض حروفه).

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص360.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص102. النسفي، تفسير النسفي، ج1، ص216.

⁴ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 6 النكاح، باب 32 في من تزوج ولم يسم صداقًا حتى مات، ج1، ص644، رقم 2117.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص172.

يعطينا، وأنت تمنعنا، وتلت الآية، فقال: كل الناس أفقه من عمر"¹. وفي رواية: امرأة أصابت، وأمير أخطأ، ورجع عن كراهة المغالاة. وقد تغالى الناس في صدقات النساء حتى بلغوا الألوف. وقيل: إن خير المهور أيسرها وأسهلها"². انتهى. ﴿فَلَا تَأْخُذُوا﴾ بالإثبات، أي أيها الأزواج، أي لا تقبضوا ﴿مِنْهُ﴾ أي من القنطار ﴿شَيْئًا﴾ قلَّ أو كثر، والحاصل: أن النشوز سوء العشرة، إما أن يكون من قبل الزوج، أو من قبل الزوجة، فإن كان من قبل الزوج وأراد طلاق المرأة فلا يحل له أن يأخذ شيئًا من صداقها ولا غيره، كما في هذه الآية، وإن كان من قبل الزوجة جاز له كما في الآية الأولى، ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾، ﴿أَتَأْخُذُونَهُ﴾ بالإثبات، والضمير يعود على ﴿شَيْئًا﴾ والاستفهام للإنكار ﴿بُهِتْنَا﴾ بالحذف، ظلمًا ﴿وَإِثْمًا﴾ ذنبًا ﴿مُبِينًا﴾ بينًا ظاهرًا، فاصلة الآية المكملة للعشرين من سورة النساء. قوله: ﴿بُهِتْنَا﴾ حال أو مفعول لأجله، وكذلك قوله: ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ صفة لـ ﴿إِثْمًا﴾، ﴿أَتَأْخُذُونَهُ﴾ ظالمين آثمين، أي لا تفعلوا هذا الفعل مع ظهور قبحه في الشرع، والبهتان في الأصل: الكذب الذي يبهت به المكذوب عليه، أي يتحير فيه، واستعمل في كل باطل، ولذا فسر هنا بالظلم، والفرق بين قوله: ﴿بُهِتْنَا﴾ و﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ أن الأول أفاد به أنه ظلم أي جناية على الغير، وأفاد بالثاني أنه ذنب واضح يستحق مرتكبه العقوبة؛ "وكان الرجل إذا كره امرأته رماها ببهتان من الفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها، ليصرفه إلى تزوج الجديدة، فهوا عن ذلك، والكلام في ﴿وَأَتَيْتُمْ﴾ أنه خرج مخرج الغالب لحرمة الأخذ وإن لم يؤتم المسمى، بل كان في ذمته أو في يده، أو المراد بإثباته التزامه، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءً آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾³، والجمع بين البهتان وبين الإثم مبالغة"¹، قاله في الضياء. وقال في

¹ البيهقي، السنن الكبرى، ج7، ص233.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص360.

³ البقرة، 233.

الباب: " ﴿أَتَأْخُذُونَهُ﴾ استفهام بمعنى التوبيخ ﴿بُهِتْنَا﴾ يعني ظلمًا، وقيل: باطلاً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ يعني أتأخذونه مباحتين آثمين، فلا تفعل مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه في الشرع والعقل"². انتهى. ولما بين تحريم ما ذكر بين دناءة مروءة فاعله فقال: ﴿وَكَيْفَ﴾ كلمة تعجب، نائب عن مصدر من الفعل الذي بعده، أو حال من فاعله ﴿تَأْخُذُونَهُ﴾ بالإثبات، والضمير يعود على ﴿شَيْئًا﴾: "والمعنى: لأي شيء تفعلون هذا الفعل؟ وكيف يليق بالعاقل أن يسترد شيئًا بذله لزوجته عن طيب نفس؟ وقيل: هو استفهام وتوبيخ وتعظيم لأخذ المهر بغير حله"³، قاله في الباب. ﴿وَقَدْ﴾ والحال أنه قد ﴿أَفْضَى﴾ وصل ﴿بَعْضُكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿إِلَى بَعْضٍ﴾ علم أن الضمير شامل للأزواج والزوجات، ولذا فسرته بلفظ يعمهما. قال الثعالبي: "﴿أَفْضَى﴾ باشر، وقال مجاهد وغيره: الإفضاء في هذه الآية الجماع، ولكن الله كريم يكني"⁴. انتهى. وقال في الباب: "وأصل الإفضاء في اللغة الوصول، يقال: أفضى إليه أي وصل إليه، وللمفسرين في معنى الإفضاء في هذه الآية قولان، أحدهما: أنه كناية عن الجماع، وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدي واختيار الزجاج⁵ وابن قتيبة⁶ ومذهب الشافعي، لأن عنده أن الزوج إذا طلق قبل المسيس، فله أن يرجع بنصف المهر، وإن خلا بها. والقول الثاني: في معنى الإفضاء، هو أن يخلو بها وإن لم يجامعها. قال الكلبي: الإفضاء أن يكون معها في لحاف واحد، جامعها أو لم يجامعها. وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب أبي حنيفة، لأن الخلوة الصحيحة عنده تقرير للمهر"⁷. انتهى.

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص172.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص361.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص361.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص428.

⁵ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص31.

⁶ ابن قتيبة في الأعلام كثير، ولا يوجد علامة فارقة.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص361.

﴿وَأَخَذْتَ﴾ بنون الإناث، فاعل أخذ ﴿مِنْكُمْ﴾ أيها الأزواج، قال صاحب هذا التفسير: إما أن يكون لغواً متعلقاً بأخذ، وإما أن يكون مستقراً حال مما بعده، وعلى كل ف من ابتدائية ﴿مِيثَقًا﴾ بالحذف ﴿غَلِيظًا﴾ شديداً متيناً، فاصلة الآية الأولى بعد العشرين من سورة النساء. قال الثعالبي: "واختلف في المراد بالميثاق الغليظ، فقال الحسن وغيره: هو قوله جلت قدرته: ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ﴾¹، وقال مجاهد وابن زيد: الميثاق الغليظ عقدة النكاح، وقول الرجل: نكحت وملكك النكاح، فهذه التي تستحل بها الفروج"². انتهى، ونحوه في اللباب³، وزاد: "ويدل على ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: >اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله<⁴. انتهى. وفي رواية الثعالبي⁵ عنه صلى الله عليه وسلم: >استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان⁶ عندكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله<⁷. ولما بين لهم ما يفعلن مع النساء، بين لهم ما يجب اجتنابه من النساء وما تباح مناهجته منهن بقوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾ لا تتزوجوا ﴿مَا﴾ أي التي ﴿نَكَحَ﴾ ها تزوجها ﴿ءَابَاؤُكُمْ﴾ أي يحرم ذلك عليكم، وهذا الجمع يشمل من له ولادة عليك من الذكور وإن علوا من جهة الآباء أو من جهة الأمهات، ومعنى من ﴿مِّنَ﴾ بيانية ﴿النِّسَاءِ﴾ قوله: ﴿مِّنَ النِّسَاءِ﴾ يظهر أنه في موضع الحال من ﴿مَا﴾. قال صاحب هذا التفسير: يظهر أنه أتى بقوله: ﴿مِّنَ النِّسَاءِ﴾ ليفيد التنصيص على التعميم إلخ للتعميم، فكأنه قال: امرأة

¹ البقرة، 229.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص428.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص361.

⁴ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 19 حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ج2، ص889، 890، رقم1218.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص428.

⁶ "عَوَانٌ أَي أُسْرَى أَوْ كَالْأُسْرَى". ابن منظور، لسان العرب، مادة ع ن ا، ج15، ص101.

⁷ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج5، ص72.

أي امرأة حرة أو أمة منكوحة بالملك أو لعقد النكاح، وعلى هذا فالنكاح هنا مستعمل في العقد وفي الوطاء، والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه على حد يطير بجناحيه. قال في الباب: "قال المفسرون: كان أهل الجاهلية يتزوجون أزواج آبائهم، فنهى الله تعالى عن ذلك بهذه الآية؛" روي أنه لما توفي أبو قيس، وكان من صالح الأنصار، خطب ابنه قيس امرأة أبيه، فقالت: إني اتخذتك ولدًا، وأنت من صالح قومي، ولكني آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمره، فأنته فأخبرته، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ﴾¹ انتهى. وقال ابن جزى: "﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ كان بعض العرب يتزوج امرأة أبيه بعده، فنزلت الآية تحريمًا لذلك، فكل امرأة تزوجها رجل حرمت على أولاده ما سفلوا، سواء دخل بها أو لم يدخل، فالنكاح في الآية بمعنى العقد، فإن زنى الرجل بامرأة، فاختلف هل يحرم تزوجها على أولاده أم لا؟ فحرمها أبو حنيفة، وأجازها الشافعي، وفي المذهب قولان، واحتج من حرم بهذه الآية، وحمل النكاح فيها على الوطاء، وقال من أجازها: إن الآية تتناوله، إذ النكاح فيها بمعنى العقد"³. انتهى. وقال في الضياء: "﴿مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ ولو بالعقد فقط لو فاسدًا إن لم يتفق على فساده، والنكاح الوطاء، فيشمل السراري أو العقد، فتقاس السرية على المنكوحة"⁴. انتهى. ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي إلا ما مضى في الجاهلية قبل نزول التحريم، فإنه مغفوع عنه. قال ابن جزى: "﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي إلا ما فعلتم في الجاهلية من ذلك وانقطع بالإسلام، فقد عفى عنه، فلا تؤاخذون به، ويدل على هذا قوله: ﴿إِنِ ابْنُ اللَّهِ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ بعد قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجمع بين الأختين. قال ابن عباس: كانت العرب تحرم كل ما حرّمته الشريعة، إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين. وقيل: المعنى:

¹ البيهقي، السنن الكبرى، ج 17، ص 163.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 362.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 184، 185.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 173.

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فدعوه¹. انتهى. وقوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ استثناء منقطع. انظر الضياء². وقال الثعالبي: "قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ معناه: ولكن ما قد سلف فدعوه، وقال بعضهم: المعنى لكن ما قد سلف فهو معفو عنه لمن كان واقعه³". انتهى. قال صاحب هذا التفسير: علم مما قدمت من التفسير أن ﴿مَا﴾ واقعة على النكاح، ويظهر أن المستثنى منه مفهوم من معنى الكلام، أي لا توقعوا نكاحًا فيما نكح آباؤكم من النساء، لكن نكاح من ذلك مضى في الجاهلية معفو عنه أو دعوه فلا تقيموا عليه ولا تفعلوا نظيره في المستقبل، والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه. ﴿إِنَّهُ﴾ أي نكاح الأبناء، أي أزواج الآباء ﴿كَانَ﴾ بالإثبات، قال ابن جزى: "﴿كَانَ﴾ في هذه الآية تقتضي الدوام، كقوله: ﴿كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ وشبه ذلك. وقال المبرد⁴: هي زائدة، وذلك خطأ لوجود خبرها منصوبًا، وزاد هنا المقت على ما وصف به الزنى في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ دلالة على أن هذا أقبح من الزنى⁵. ﴿فَاحِشَةً﴾ بالحذف، أمرًا قبيحًا. قال في اللباب: "إنما سماه فاحشة، لأن زوجة الأب بمنزلة الأم، ونكاح الأمهات حرام، فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة، لأنه من أقبح المعاصي ﴿وَمَقْتًا﴾ يعني يورث المقت من الله تعالى، وهو أشد البغض، وغاية الحزى والخسارة⁶"، قاله في اللباب. وقال في الضياء:

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص186.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص173.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص428.

⁴ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، البصري، النحوي، الأخباري، إمام النحو، صاحب "الكامل"، كان إمامًا، علامة، مفوهًا، موثقًا، قال ابن حماد النحوي: كان ثعلب أعلم باللغة، وبنفس النحو من المبرد، وكان المبرد أكثر تفننًا في جميع العلوم من ثعلب، مات في أول سنة 286هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، ص320، رقم الترجمة 2655. بتصرف.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص185.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص362.

"وكانوا يسمونه في الجاهلية نكاح المقت قبل النهي"¹. ﴿وَسَاءَ﴾ ببئس تزوج الأبناء ما تزوج آباؤهم ﴿سَكِيلًا﴾ فاصلة الآية الثانية، طريقًا، لأنه طريق موصل إلى مقت الله تعالى. قال الثعالبي: "المقت: البغض والاحتقار بسبب رذيلة يفعلها الممقوت ﴿وَسَاءَ سَكِيلًا﴾ أي ببئس الطريق والمنهج لمن يسلكه إذا عاقبته إلى عذاب الله، وساء للمبالغة في الذم، كبئس، و﴿سَكِيلًا﴾ تفسير لضمير الفاعل، والمخصوص بالذم محذوف، أي سبيل هذا النكاح، كقوله تعالى: ﴿يَبْسُ الشَّرَابُ﴾² أي ذلك الماء"³. انتهى. وقال في الباب: "﴿وَسَاءَ سَكِيلًا﴾ أي وبئس لك طريقًا، لأنه يؤدي إلى مقت الله، والعرب تسمي ولد الرجل من امرأة أبيه مقيتًا، وكان منهم الأشعث بن قيس⁴ وأبو معيط ابن أبي عمير⁵ وابن أبي أمية⁶. روى البغوي⁷ بسنده عن البراء بن عازب¹ قال: "مر بي خالي، ومعه لواء، فقلت: أين تذهب؟ قال:

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص173.

² الكهف، 29.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص429.

⁴ الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبل الكندي، له صحبة ورواية، كانت إقامته في حضرموت، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ظهور الإسلام في جمع من قومه فأسلم وشهد اليرموك فأصيب عينه. ولما ولي أبو بكر الخلافة امتنع الأشعث وبعض بطون كندة من تأدية الزكاة، فتنحى والي حضرموت بمن بقي على الطاعة من كندة، وجاءته النجدة فحاصر حضرموت، فاستسلم الأشعث وفتح حضرموت عنوة، وأرسل الأشعث موثقًا إلى أبي بكر في المدينة ليرى فيه رأيه، فأطلقه أبو بكر وزوجه أخته أم فروة، فأقام في المدينة وشهد الوقائع وأبلى البلاء الحسن، حدث عنه الشعبي وقيس بن أبي حازم وأبو وائل وأرسل عنه النخعي، كان من أكبر أمراء عليّ يوم صفين، توفي بالكوفة سنة أربعين للهجرة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص87. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص4337. الزركلي، الأعلام، ج1، ص332. بتصرف.

⁵ في الباب: "عمرو". ولم أعثر على ترجمة له.

⁶ يوجد أكثر من ابن أبي أمية، ولا يوجد علامة فارقة.

⁷ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص36.

بعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه برأسه²3. انتهى. وقال الثعالبي: "وقال ابن زيد: معنى الآية النهي عن أن يوطأ الرجل امرأة وطئها أبوه إلا ما قد سلف من الآباء في الجاهلية من الزنى بالنساء، لا على وجه المناكحة، فذلك جائز لكم، لأنه أي ما سلف من الزنى كان فاحشة ومقنناً وساء سبيلاً"⁴. انتهى. ولما نهاهم عن النساء اللاتي هن في منزلة الأمهات، وبالغ في ذم نكاحهن، صرح لهم بمنع نكاح الأم وتالياها، فقال جلّت قدرته: ﴿حُرِّمَتْ أَيُّ مَنْعَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾ بالحذف، والأمهات جمع أم، وهي كل من لها عليك ولادة، فيحرم نكاحها على الذكور من أولادها، كانوا من جهة الذكور أو الإناث، وقد يقال: أمهة. قال الشاعر⁵: [الرجز]

أُمَّهَاتِي خَنَدُفُ وَالْيَاسُ أَبِي ~

ومعنى الآية: تحريم من ذكر من النساء، والنساء المحرمات على التأييد ثلاثة أصناف: صنف يحرم بالنسب، وصنف يحرم بالرضاع، وصنف محرم بالصهر، فأما المحرم بالنسب فتحريره أنه سبعة أصناف، وهي المذكورة في هذه الآية، وضابطها أنه يحرم على الرجل ما سفلت أصوله وما علت، وفصول أبويه ما سفلت، وأول فصل من كل أصل متقدم على أبويه، وسبعة أصناف النسب هو قوله عز وجل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ وهن كل امرأة رجع النسب إليها من جهة الأب ومن جهة الأم بدرجة أو درجات، وهن جميع الجدات وإن علون، فالأم لا تختص بالوالدة القريبة، قال ابن جزي: "﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾ يدخل فيه الوالدة

¹ البراء بن عازب بن الحارث، الفقيه الكبير، أبو عُمارة الأنصاري، الحارثي، المدني، نزيل الكوفة، من أعيان الصحابة، روى حديثاً كثيراً، وشهد غزوات كثيرة مع النبي صلى الله عليه وسلم، وله في الصحيحين اثنان وعشرون حديثاً وغيرها في بقية الكتب. توفي سنة 72هـ عن بضع وثمانين سنة. العسقلاني، الإصابة، ج1، ص278. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص102، 103، رقم الترجمة 397. بتصرف.

² البيهقي، السنن الكبرى، ج6، ص153.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص362.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص429.

⁵ قاله قصي بن كلاب. السهيلي، الروض الأنف، ج1، ص28.

والجدات من الأم ومن الأب ما علون"¹. انتهى. ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ بالإثبات، قال ابن جزى: "يدخل فيه البنت وبنت الابن وبنت البنت ما سفلن"². انتهى. وقال في اللباب: "والبنت عبارة عن كل أنثى رجع نسبها إليك بالولادة بدرجة أو درجات، من جهة الابن أو من جهة البنت"³. ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ بالحذف، جمع أخت، وهي عبارة عن كل امرأة شاركتك في أصلك، فيدخل فيه الأخوات من الأب والأم، والأخوات من الأب فقط، والأخوات من الأم فقط ﴿وَعَمَّتُكُمْ﴾ بالحذف، جمع عمة، وهي كل امرأة شاركت أباك في أصله، وهي جميع أخوات الأب وأخوات آبائه وإن علون. وقال ابن جزى: "﴿وَعَمَّتُكُمْ﴾ يدخل فيه أخت الوالدة"⁴ وأخت الجد ما علا، سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم"⁵. انتهى. وحقيقتها أن تقول: هي كل امرأة شاركت أباك في أصله، لو من جهة الأم. انتهى. ﴿وَحَلَّتُكُمْ﴾ بالحذف: "جمع خالة، وهي كل امرأة شاركت الأم في أصلها، فيدخل جميع أخوات الأم وأخوات أمهاتها، وقد تكون الخالة من جهة الأب أيضاً، وهي أخت أم الأب"⁶، قاله في اللباب. وقال ابن جزى: "﴿وَحَلَّتُكُمْ﴾ يدخل فيه أخت الأم وأخت الجدة"⁷ ما علت، سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم ﴿وَبَنَاتُ﴾ بالإثبات ﴿الْأَخَ﴾ وهي عبارة عن كل امرأة لأخيك عليها ولادة شقيقة أو لأب أو لأم"⁸ ﴿وَبَنَاتُ﴾ بالإثبات ﴿الْأُخْتِ﴾ كل من تناسل من الأخت شقيقة أو لأب أو لأم، وهنا انتهت الأصناف السبعة المحرمة بالكتاب من النسب، فهذه هي الأصول والفصول وفصول أول الأصول، وأول فصل من كل

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص185.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص185.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص362.

⁴ في ابن جزى: "الوالد".

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص185.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص362.

⁷ في ابن جزى: "الجد".

⁸ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص185.

أصل بعده أصل، فالأصول هن الأمهات والجدات، والفصول من البنات وبنات الأولاد، وفصول أول أصوله هن: الأخوات وبنات الأخوة وبنات الأخوات، وأول فصل من كل أصل بعده أصل هن: العمات والخالات وإن علون، قال العلماء: كل امرأة حرم الله نكاحها بالنسب محرمة مؤبدة، لا تحل بوجه من الوجوه. الصنف الثاني هو المحرم بسبب الرضاع، وهو قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمْ﴾ بالحذف ﴿الَّتِي﴾ بالحذف اسم مؤنث صيغ لوصف المعارف بالجرم ﴿أَرْضَعْنَكُمْ﴾ أتى بهمزة التعدية، يقال: رضع ثلاثيًا إذا امتص اللبن ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ بالحذف ﴿مِّنْ﴾ ابتدائية ﴿الرَّضْعَةِ﴾ بالحذف، قال في اللباب: "كل أنثى انتسبت إليها باللبن فهي أمك، وبناتها أختك، وإنما نص الله عز وجل على ذكر الأم والأخت، ليدل بذلك على جميع الأصول والفروع، فنبه بذلك على أنه تعالى أجرى الرضاع مجرى النسب، ويدل على ذلك ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: <يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة>. أخرجاه في الصحيحين¹. وروى البخاري² ومسلم³ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنت حمزة <إنها لا تحل، يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، وإنها ابنة أخي من الرضاعة>، فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاع، وإنما سمى الله المرضعات أمهات لأجل الحرمة، فيحرم عليه نكاحها، ويحل له النظر إليها، والخلوة بها، والسفر معها، ولا يترتب عليه جميع أحكام الأمومة من كل وجه، فلا يتوارثان، ولا يجب على كل واحد منهما نفقة الآخر، وغير ذلك من الأحكام، وإنما يثبت حرمة بشرط أن يكون في الحولين، أو بزيادة شهرين، هذا إن لم يستغن، فإن استغنى عن الرضاع، ولو في

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 67 النكاح، باب 117 ما يحل من الدخول والنظر إلى النساء في الرضاع، ج 9، ص 338، رقم 5239. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 17 الرضاع، باب 1 يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة، ج 2، ص 1068، رقم 1444.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 52 الشهادات، باب 7 الشهادة على الأنساب والرضاع والمستفيض والموت القديم، ج 5، ص 253، رقم 2645.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 17 الرضاع، باب 3 تحريم ابنة الأخ من الرضاعة، ج 2، ص 1071، رقم 1447.

الحولين، لم يحرم. واعلم أن الرضاع ينشر الحرمه، ولو مصة واحدة، فقليل الرضاع وكثيره سواء في التحريم، وهذا هو مذهب جمهور العلماء، وهو قول ابن عباس وابن عمر، وإليه ذهب الثوري والأوزاعي ومالك وابن المبارك¹ وأبو حنيفة وأحمد² في إحدى الروايتين عنه، والرواية الأخرى كمذهب الشافعي أنه يشترط أن يؤخذ خمس رضعات متفرقات، روي ذلك عن عائشة، وبه قال عبد الله بن الزبير، ويدل على ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **< لا تحرم المصّة ولا المصتان >**³. أخرجه مسلم. وروي مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: "كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم، ثم نسخ بخمس معلومات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن"⁴. قولها: "فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن"

¹ عبد الله بن المبارك بن واضح، الإمام شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن الحنظلي، مولاهم، التركي ثم المروزي، الحافظ، الغازي، ولد سنة 118هـ، صنف التصانيف النافعة الكثيرة، وحديثه حجة بالإجماع وهو في المسانيد والأصول، وروي عن علي بن المديني أنه قال: انتهى العلم إلى رجلين: إلى ابن المبارك، ثم إلى ابن معين. له كتاب في الجهاد، وهو أول من صنف فيه، و"الرقائق". توفي في العاشر من رمضان سنة 181هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص510.489، رقم الترجمة 1419. بتصرف.

² أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي البغدادي صاحب المذهب، أصله من مرو، ولد ببغداد سنة أربع وستين ومائة للهجرة، سمع من إبراهيم بن سعد ومعتز ابن سليمان وسفيان بن عيينة ووكيع وخلق كثير، حدث عنه: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وجماعات، سافر في سبيل طلب العلم إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام وغيرها، وفي أيامه دعا الخليفة المأمون إلى القول بخلق القرآن ومات قبل أن يناظر ابن حنبل، وتولي المعتصم فسجن ابن حنبل ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن، وأطلق سنة 220هـ، ولم يصبه شرّ في زمن الواثق بالله. بعد المعتصم. ولما توفي الواثق وولي أخوه المتوكل ابن المعتصم أكرم الإمام ابن حنبل وقدمه. من مؤلفاته: المسند. مات سنة إحدى وأربعين ومائتين. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص177. الزركلي، الأعلام، ج، ص203. بتصرف.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 17 الرضاع، باب 5 في المصّة والمصتان، ج2، ص1074، رقم1450.
⁴ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 17 الرضاع، باب 6 التحريم بخمس رضعات، ج2، ص1075، رقم1451.

يحتمل أنه لم يبلغها نسخ ذلك. وأجمعوا على أن هذا لا يتلى فهو مما نسخ تلاوته"¹. قال في اللباب: "وبقي حكمه"². وروى مسلم عن أم الفضل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: >لا تحرم الإملاجة ولا الإملاجتان<³. قال في القاموس: "ملج الصبي أمه، كنصر وسمع، تناول ثديها بأدنى مجه، واحتلج اللبن مصه، وأملجه أرضعه"⁴. انتهى. واحتج مذهب الجمهور بعموم القرآن وظاهره، ولم يذكر عددًا، وأجاب الشافعي ومن وافقه في هذه المسألة بأن السنة مبينة للقرآن ومفسرة له، وهذه أربع عشرة امرأة محرمة مؤبدة التحريم، السبع اللاتي في النسب، والسبع من الرضاعة التي نص الله تعالى عليها في كتابه على اثنين منها، ليدل بذلك على بقيتها، وبَيَّنَّها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: >يحرم من الرضاع ما يحرم بالولادة<⁵، وهي الأمهات من الرضاعة، والبنات منها، والأخوات منها، والعلمات منها، والخالات منها، وبنات الأخ، وبنات الأخت منها. والصنف المحرم بالصهر قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمْ﴾ بالحذف ﴿نِسَائِكُمْ﴾ أي زوجاتكم، بالإثبات، يعني أن الرجل إذا تزوج امرأة، فإنه تحرم عليه أمهاتها، فتحرم أمها القريبة وجميع جداتها من قبل الأب أو الأم، كما في النسب والرضاع أيضًا، وتحقيق هذا أن تقول: كل من عقد النكاح على امرأة، يحرم على الناكح أم المنكوحه وجداتها، وإن علون من النسب أو من الرضاع، بنفس العقد، وسواء في ذلك ما كان من قبل الأب أو من قبل الأم، وهذا مذهب أكثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلماء: أن كل من تزوج امرأة، حرمت عليه أمها بنفس العقد، سواء دخل بها أو لم يدخل. وذهب جمع من الصحابة إلى أن أم المرأة إنما تحرم بالدخول بابنتها، وهو قول علي وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر وأظهر الروايات عن ابن عباس. والعمل اليوم على القول الأول: "ويدل على

¹ الخازن (بنحوه)، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 362، 363.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 363.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 17 الرضاع، باب 5 في المصّة والمصتان، ج 2، ص 1074، رقم 1451.

⁴ الفيروزبادي، القاموس المحيط، باب الجيم، فصل الميم، ص 263.

⁵ لقد تم تخريبه قبل.

ذلك ما روي عن عمرو بن شعيب¹ عن أبيه² عن جده³ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: >أيما رجل نكح امرأة، فلا يحل له نكاح ابنتها، وإن لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها، وأيما رجل نكح امرأة، فلا يحل له أن ينكح أمها، دخل بها أو لم يدخل<⁴.

أخرجه الترمذي⁵، قاله في اللباب. ﴿وَرَبَّيْكُمُ﴾ بالحذف، جمع ربيبة، وهي بنت زوجة الرجل من غيره، سميت ربيبة لتربيتها في حجر زوج أمها، يعني أن الله تعالى حرم على الرجل نكاح بنت زوجته، ووصف الرائب بقوله: ﴿أَلَّتِي﴾ بحذف الألف وإحدى اللامين جمع ﴿أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ المعنى: في تربيتكم وصيانتكم وحفظكم، جمع حجر، وهو في الأصل الحضن، ثم نقل إلى التربية والصيانة والحفظ، فهي محرمة، كانت في الحجر أم لا، إلا ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه أجاز نكاحها إن لم تكن في حجره. قال في القاموس: "الحجر مثلثة المنع كالحجران بالضم والكسر وحضن الإنسان"⁶. انتهى. ثم قال: "الحضن بالكسر ما دون الإبط إلى الكشح أو الصدر والعضدان وما بينهما، وجانب الشيء وناحيته، جمعه أحضان"⁷. انتهى. وعلم مما فسرت أن الربيبة فعيلة بمعنى مفعولة، يقال:

¹ عمرو بن شعيب بن محمد السهمي القرشي، أبو إبراهيم. من بني عمرو بن العاص، من رجال الحديث. كان يسكن مكة وتوفي بالطائف. مجهول الولادة، وتوفي سنة 118هـ. الزركلي، الأعلام، ج5، ص79. بتصرف.

² "شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص. يروي عن أبي، لا يصح له سماع من عبد الله بن عمرو. وروى عنه ابنه عمرو بن شعيب". ابن حبان، الثقات، ج6، ص437.

³ "محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص. يروي عن أبيه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن عمرو، ولا أعلم بهذا الإسناد إلا حديثاً واحداً من حديث بن الهاد عن عمرو بن شعيب". ابن حبان، الثقات، ج5، ص335.

⁴ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 9 النكاح، باب 24 ما جاء فيمن تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها، ج3، ص425، رقم1117. وقال: "هذا الحديث لا يصح من قبل إسناده".

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص363.

⁶ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب الرء، فصل الحاء، ص475.

⁷ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب النون، فصل الحاء، ص1536.

ربه يربه ربًا، ورببه تربيئًا، وربته تربيئًا، وربته ربئًا، ورباه تربية، بمعنى بلغه إلى كماله شيئًا فشيئًا، قال الشاعر¹: [البسيط]

بيض مرارضة غلب أساوره ~ أسد ترب في الغيضات أشبالا
وقالت امرأة²: [الطويل]

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة ~ بجمهور حزوى حيث ربتني أهلي

﴿مَنْ﴾ ابتدائية، هي ومدخولها حال من ربائبكم، ﴿فَسَايَكُمْ﴾ بالإثبات، زوجاتكم
﴿الَّتِي﴾ بحذف الألف وإحدى اللامين جمع التي ﴿دَخَلْتُمْ﴾ تلذتم ﴿بِهِنَّ﴾
يظهر أن الباء للإصاق أو للآلة. قال الثعالبي: "قال ابن عباس وغيره: الدخول هنا الجماع.
وجمهور العلماء يقولون: إن جميع التلذذ بالأم يحرم البنت، كما يحرمها الجماع"³. انتهى. قال
صاحب هذا التفسير: فإن قلت: ما الحكمة في الإتيان بقوله: ﴿مَنْ فَسَايَكُمْ﴾ فإن
الريبة هي بنت الزوجة؟ فالجواب: أنه أتى بقوله: ﴿مَنْ فَسَايَكُمْ﴾ لأجل قوله: ﴿الَّتِي
دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ فهو المقصود، والأول وصلة له، نحو⁴: [الخفيف]

إنما الميث من يعيش كئيًّا ~

قال ابن جزي: "اشتراط الدخول في تحريم بنت الزوجة خاصة، ولم يشترطه في تحريم غيرها، على
ذلك جمهور العلماء، إلا ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه من اشتراط

¹ قاله أمية بن أبي الصلت. الأصبهاني، الأغاني، ج17، ص313.

² قائله غير معروف.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص430.

⁴ والشطر الثاني: كاسفًا بأله قليل الرجاء. والقائل مجهول. ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، ج1،
ص601.

الدخول في تحريم الجميع، وقد انعقد الإجماع بعده على خلاف¹ ذلك². انتهى. يشير إلى ما مر عند قوله أمهات نسائكم. وقال في الباب: "فلو فارق زوجته قبل الدخول بها، أو ماتت قبل الدخول، جاز له أن يتزوج ابنتها، ولا يجوز له أن يتزوج أمها، لأن الله تعالى أطلق تحريم الأمهات، وعلق تحريم البنات بالدخول بالأم"³. وقوله: ﴿وَرَبَّيْكُمُ﴾ إلخ، تحقيقه أن تقول: يحرم على الرجل بنات امرأته وبنات أولادها ذكورا أو إناثا، وإن سفلن، من النسب والرضاع، بعد الدخول بالزوجة، ثم صرح بمفهوم قوله: ﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ فقال: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَلْقَ الْفَصْلَ حَيْثُ وَقَعَ، وَكَذَا لَوْ فَتَحْتَ الْهَمْزَةَ نَحْوَ ذَلِكَ، ﴿إِنْ لَّمْ يَكُنْ هَا﴾ ﴿أَيْحَسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾⁴، واستثنوا من ذلك قوله عز وجل في سورة هود: ﴿فَالِئِمَّا يَسْتَحْيِبُوا لَكُمْ فَاَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾⁵ فإنه مكتوب في كل المصاحف بغير نون بخلاف، فإن لم يستحيوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، فإنه يكتب بالنون كغيره من النظائر ﴿تَكُونُوا﴾ أيها الأزواج ﴿دَخَلْتُم﴾ تلذتم ﴿بِهِنَّ﴾ أي بأمهاتهن، يظهر أن الباء للإلصاق أو للالة ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ بالإثبات، أي لا إثم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ في تزوجهن، وعلى للاستعلاء المعنوي، وحرمت عليكم ﴿وَحَلَّيْلُ﴾ بالحذف، زوجات ﴿أَبْنَائِكُمُ﴾ بالإثبات، يعني أنه يحرم على الرجل زوجات أبنائه وأبناء أولاده وإن سفلوا من النسب أو الرضاة، وذلك بنفس العقد، وسواء كانت الأولاد ذكورا أو إناثا، وقوله: حلائل جمع حليلة، والرجل حليل، سميا بذلك لأن كل واحد منهما يحل لصاحبه الاستمتاع به، وقال: لأن كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه في إزار واحد. وقيل: لأن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه من الحلية أو الحلول أو الحل بفتح الحاء ﴿الَّذِينَ مِنْ

¹ قوله: "على خلاف" غير موجودة في التسهيل لعلوم التنزيل.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص186.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص363، 364.

⁴ البلد، 7.

⁵ هود، 14.

أَصْلَابِكُمْ ﴿ اسم صيغ ليتوصل به إلى وصف المعارف بالجمع ﴿ مِنْ ﴾ ابتدائية ﴿أَصْلَابِكُمْ﴾ بالحذف، جمع صلب، والصلب هو الظهر، و﴿ مِنْ ﴾ ومدخولها صلة الموصول، وجعل الأبناء من الأصلاب، لأن مني الرجل يخرج من الصلب، وإنما قال: ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ احترازًا من المتبني، ليعلم أن زوجة المتبني لا تحرم على الرجل الذي تبناه، لأنه كان في صدر الإسلام بمنزلة الابن، فنسخ الله تعالى ذلك، وقال: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾¹ وتزوج رسول الله² صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة³، وكان قد تبناه، فقال المشركون: تزوج محمد زوجة ابنه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾⁴. قال الثعالبي: "وحرمت حليلة الابن من الرضاع، وإن لم يكن للصلب بالإجماع المستند إلى قوله صلى الله عليه وسلم: <يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب>"⁵. انتهى. ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾ يقول الله تعالى لا تجمعوا بين أختين في عصمة، فإن ذلك مما حرم عليكم، سواء كانتا من نسب أو رضاع. قال ابن جزى: "﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ يقتضي تحريم الجمع بين الأختين، سواء كانتا شقيقتين أو لأب أو لأم،

¹ الأحزاب، 5.

² ابن سعد، طبقات ابن سعد، ج 8، ص 8280.

³ زيد بن حارثة بن شراحيل أو شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن يزيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان، الأمير الشهيد النبوي، المسمى في سورة الأحزاب، أبو أسامة الكلبي، ثم المحمدي، سيد الموالي، وأسبقهم إلى الإسلام، وحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأبو حبه، ولم يسم الله تعالى في كتابه صحابيًّا باسمه إلا زيد بن حارثة. كان النبي صلى الله عليه وسلم أكبر من زيد بعشر سنين. استشهد في مؤتة، وكان أمير الجيش، وكانت مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان، وهو ابن خمس وخمسين سنة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 1، ص 220 وما بعدها، رقم الترجمة 36. بتصرف.

⁴ الأحزاب، 4.

⁵ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 52 الشهادات، باب 7 الشهادة على الأنساب، ج 5، ص 253، رقم 2645. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 430.

وذلك في الزوجتين، وأما الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطء، فمنعه مالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم، ورووا أنه داخل في عموم لفظ الأختين، وأجازته الظاهرية لأنهم قصروا الآية على الجمع بالنكاح، وأما الجمع بين الأختين في الملك دون الوطء، فجائز باتفاق، وله أن يوطأ واحدة منهما، ولا يوطأ الأخرى إلا بعد تحريم الموطوءة بعق أو بيع أو نكاح أو نحو ذلك. واعلم أن الجمع بين الأختين يقع على ثلاثة أوجه: أحدها: أن يجمع بينهما بنكاح، فإن كانتا بعقد واحد، فهذا العقد فاسد، لا يصح، فلو تزوج إحدى الأختين، ثم تزوج الأخرى بعدها فسخ نكاح الثانية، ولو طلق الأخت طلاقاً بائناً لحل له نكاح أختها. الوجه الثاني: من صور الجمع بين الأختين، هو أن يجمع بينهما بملك اليمين، فلا يجوز له أن يجمع بينهما بالوطء، فإذا وطئ إحداهما، حرمت عليه الأخرى، حتى يحرم الأولى ببيع أو هبة أو عتق أو كتابة. الوجه الثالث: من صور الجمع بين الأختين، وهو أن يتزوج إحداهما، ويملك الأخرى، فمذهبن جواز ذلك، فتلك زوجة، وهذه أمة، فلا يحال بينه وبين زوجه إن لم يوطئ المملوكة، وإلا وقف عنهما ليحرم إحداهما، وذهب بعض العلماء إلى أن ذلك لا يجوز". انتهى. **﴿إِلَّا**

مَا قَدْ سَكَفَ﴾ استثناء منقطع، وإما واقعة على الجمع، أي إلا الجمع الذي قد سلف في الجاهلية، وإيضاح المعنى أن تقول: يحرم الجمع بين الأختين، لكن الجمع بين الأختين الذي مضى في الجاهلية معفو عنه"¹. قال الثعالبي: "لكن ما قد سلف من ذلك ووقع وأزاله الإسلام، فإن الله تعالى يغفره، والإسلام يجبه"². انتهى. وهذا هو الأرجح وقيل: لكن ما قد سلف من الجمع بين الأختين دعوه، فلا تقيموا عليه، ولا تفعلوه. روى الضحاك بن فيروز عن أبيه³ قال: قلت: يا رسول الله، إني أسلمت، وتحتي أختان؟ قال: **<طلق أيهما شيء>**.

أخرجه أبو داود⁴. وقوله: **﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾** فيه تنبيه على أنه لا يجوز الجمع بين المرأة ومحرمها، كالمرأة وعمتها، والمرأة وخالتها. والدليل على ذلك ما روي عن أبي

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 186.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 430.

³ لم أعثر على ترجمة له.

⁴ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 7 الطلاق، باب 25 في من أسلم وعنده نساء أكثر من أربع أو أختان، ج 1، ص 681، رقم 2242.

هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: <لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها>¹. وقال الثعالبي: "وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه نهي أن يجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، واجتمعت الأمة على ذلك"². انتهى. والضابط أن تقول: وحرم جمع اثنتين لو قدرت أية ذكرا حرم. واعلم أن المحرمات بالمصاهرة سبع: زوجة الأب، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ وحليلة الابن، وأم المرأة، والربائب على التفصيل المتقدم، والجمع بين الأختين، والمرأة وعمتها، والمرأة وخالتها. والتحریم بالمصاهرة إنما يكون بالعقد الصحيح، أو المختلف فيه، فلا فرق بين المختلف فيه، والمتفق على صحته، فيحرم العقد فيهما في اللواتي يحرم بالعقد، والتي لا تحرم إلا بالدخول في الصحيح المتفق عليه، لا تحرم في المختلف فيه إلا بالدخول، وأما النكاح الجمع على فساد، فلا يحرم فيه إلا الدخول إن درأ الحد، وإلا فزني، وفي الزنى خلاف، والراجح فيه أنه لا ينشر الحرمة. وقوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ قد علمت أن الراجح فيه التفسير الأول، كما مر، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ أكد بـ ﴿إِنَّ﴾ المكسورة، والجملة الاسمية والاستئناف ﴿كَانَ﴾ بالإثبات، أي لم يزل ﴿غَفُورًا﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك، فاصلة الآية الثالثة. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ بالحذف، عطف على ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ من قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ يعني: أن الله تعالى حرم علينا نكاح المحصنات، يعني المتزوجات ﴿مِنَ﴾ تبعية ﴿النِّسَاءِ﴾ بإثبات الألف. قال السيوطي: "وحرمت عليكم المحصنات أي ذوات الأزواج من النساء أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن لهن، حرائر مسلمات كن أو

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 67 النكاح، باب 27 لا تنكح المرأة على عمتها، ج 9، ص 160، رقم 5109. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 16 النكاح، باب 4 تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح، ج 2، ص 1028، رقم 1408.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 430.

لا"1. انتهى. وقال في اللباب: "وأصل الإحصان في اللغة المنع، والإحصان بالفتح المرأة العفيفة، ويطلق على المرأة ذات الزوج والمرأة المسلمة، والمراد من الإحصان في قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ ذوات الأزواج من النساء، فلا يحل لأحد نكاحهن قبل مفارقة أزواجهن لهن. قال أبو سعيد الخدري: نزلت هذه الآية في نساء كن هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج، فتزوجن ببعض المسلمين، ثم قدم أزواجهن مهاجرين، فنهى الله المسلمين عن نكاحهن"2. قال في النشر: "في الكسائي: والمحصنات ومحصنات حيث وقعا بكسر الصاد ما خلا الحرف الأول من هذه السورة: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ والباقون بالفتح"3. ﴿إِلَّا مَا﴾ أي إلا النساء التي ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ بالحذف، "يعني أن الكافرة إذا كان لها زوج ثم سبيت جاز لمن ملكها من المسلمين أن يطأها، وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً إلى أوطاس4 فأصابوا سبايا من العدو لهن أزواج من المشركين، فتأثم5 المسلمون من غشيانهم، فنزلت الآية مبيحة لذلك6. ومذهب مالك أن السبي يهدم النكاح، سواء سبي الزوجان الكافران معاً أو سبي أحدهما قبل الآخر، وقال ابن المواز7: لا يهدم السبي النكاح"1. انتهى. قاله ابن جزى. وتحصل من هذا أن

1 السيوطي، تفسير الجلالين، ص103.

2 الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص365.

3 ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص28.

4 "أوطاس: وادي ديار هوازن فيه اجتمعت هوازن وثقيف، إذ أجمعوا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالتقوا بجنين". الحميري، الروض المعطار، ج1، ص62.

5 "تأثم فلان إذا فعل فعلاً خرج به من الإثم، كما يقال: تخرج إذا فعل ما يخرج به عن الحرج". ابن منظور، لسان العرب، مادة أ ث م، ج1، ص23.

6 مسلم، صحيح مسلم، كتاب 17 الرضاع، باب 9 جواز المسيية بعد الاستبراء وإن كان لها زوج انفسخ نكاحها بالسبي، ج2، ص1079، 1080، رقم 1456.

7 ابن المواز، عبد الواحد بن محمد، أبو الفضل ابن المواز السليماني. قاض مالكي، من أهل فاس، تولى القضاء بمراكش سنة 1297هـ، وقام بعدة وظائف مخزنية حكومية. له: "رحلة" مع السلطان الحسن

المرأة إذا سبيت من العدو انهدم نكاحها وإذا انهدم فلا تحل إلا بنكاح أو ملك، والله تعالى أعلم. وقال في الباب: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ يعني السبايا اللاتي سبين ولهن أزواج في دار الحرب، فتحل لمالكهن فيطوئن بعد الاستبراء، لأن السبي يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها. قال أبو سعيد الخدري: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين² جيشاً إلى أوطاس، فأصابوا سبايا لهن أزواج من المشركين، فكرهوا غشيانهن، فأنزل الله هذه الآية"³. وقال ابن مسعود: أراد أنه إذا باع الجارية المتزوجة تقع الفرقة بينها وبين زوجها، ويكون بيعها طلاقاً، فيحل للمشتري وطؤها. وقال عطاء: أراد بقوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ أن تكون أمتة في نكاح عبده، فيجوز له أن ينتزعها منه"⁴. انتهى. وقيل: المحصنات الحرائر، وأراد في الجمع ما فوق الأربع، يعني أن ما فوق الأربع حرام ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ فإنه لا عدد عليكم في الجوارى ولا حصر. انتهى. وقال في الضياء: "﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ بالسبي، فلکم وطوئن، وإن كن لهن أزواج في دائر⁵ الحرب بعد الاستبراء، لأن النكاح ارتفع بالسبي، وقيده أبو حنيفة بما إذا لم يسب معها زوجها"⁶. انتهى. وقوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ

الأول إلى الصحراء، كتبها في مجلد، وكتاب في "الرجال السبعة بمراكش". خ في الخزانة الملكية بفاس. وتوفي بها. مجهول الولادة، وتوفي سنة 1318هـ. الزركلي، الأعلام، ج4، ص177. بتصرف.

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص186، 187.

² غزوة حنين، واد بينه وبين مكة ثلاث ليال، ولما فتحت مكة تجمعت هوزان لحربه، وانضمت إليهم ثقيف وأهل الطائف وبنو سعد بن بكر الذي رضع فيهم، وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج من مكة لست من شوال سنة ثمان للهجرة، وخرج معه اثنا عشر ألفاً من مكة وعشرة آلاف كانت معه، والتقوا فانكشف المسلمون وانحاز ذات اليمين في نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من تراب، فرمى بها في وجه المشركين فهزموا واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص125. بتصرف.

³ صحيح مسلم، تقدم تخريجه قبل قليل.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص365.

⁵ في الضياء: "دار". يوجد في العربية لفظ دائر. ابن منظور، لسان العرب، مادة د و ر، ج4، ص295.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص174.

أَيَّمَنُكُمْ ۖ قد علمت أنه لا يطاء إلا بعد الاستبراء، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم في سبي أوطاس: < لا توطأ حامل حتى تضع، ولا حائل حتى تحيض >¹. ﴿كَتَبَ﴾ بالحذف، مصدر أضيف إلى فاعله، وهو الله ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي كتَبَ الله ذلك ﴿عَلَيْكُمْ﴾ كتابًا، أي فرضه عليكم فرضًا وأوجبه إيجابًا، يعني أن الله تعالى كتب عليكم تحريم هؤلاء المحرمات، وجميع هؤلاء مؤبدات التحريم إلا المحصنات، وممنوعات الجمع، ومن المؤبد الملاعنة والمنكوحة في العدة، خلأًا للشافعي والحنفي، والمحرمات غير المؤبدات الكافرة، غير الكتانية والخامسة والمعتدة والمبتوتة والأمة لواجد الطول والمحرمات بالمحج والمريضة والمحصنات وممنوعات الجمع، وأعرب ﴿كَتَبَ﴾ بأنه منصوب على الإغراء. قال صاحب هذا التفسير: وعلى هذا يكون ﴿عَلَيْكُمْ﴾ مفسرًا للعامل المحذوف، لقول صاحب الألفية²: [الرجز]

وما لما تنوب عنه من عمل ~ لها وأخر ما الذي فيه العمل

وهو العامل نفسه، كما للكسائي، ونقله بعضهم عن الكوفيين، ومثل الآية قول الراجز³:
[الرجز]

يا أيها المائح دلوي دونكا ~

¹ المستدرك (بنحوه)، وقال: "هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه". وسكت عليه الذهبي في تلخيص المستدرك ج2، ص195.

² ابن مالك، ألفية ابن مالك، ص54.

³ أَنشَدْتُ أَسْلَمَ أَبْيَاتًا مِنْ شِعْرِ قَالَهَا نَاجِيَةٌ قَدْ ظَنَّنَا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي نَزَلَ بِالسَّهْمِ، فَرَعَمَتْ أَسْلَمَ أَنَّ جَارِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ أَقْبَلَتْ بِدَلْوِهَا، وَنَاجِيَةٌ فِي الْقَلْبِ يَمِيحُ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَتْ: [الرجز]
يَا أَيُّهَا الْمَائِحُ دَلْوِي دُونَكَا إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا
يُنْتُونُ خَيْرًا وَبُجْدُونَكَا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُرْوَى: إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَمْدَحُونَكَا". ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج2، ص311.

وقال في الضياء: "وقرئ¹ ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ بالجمع والرفع، أي هذه فرائض الله عليكم، و﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ بلفظ الفعل"². انتهى. ﴿وَأَحَلَّ﴾: "أباح، عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله، أي كَتَبَ الله ذلك وأحل"³، قاله ابن جزى. ﴿لَكُمْ﴾ يظهر أن اللام لشبه التمليك ﴿مَا﴾ أي نكاح من ﴿وَرَاءَ﴾ أي سوى ﴿ذَلِكَ﴾ بالحذف، يعني المذكور من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ إلخ، والخطاب بـ كم إلى الرجال، وأشار بذا إلى جماعة النسوة المتقدمة. قال في النشر على العشر: "قرأ حمزة والكسائي وحفص⁴ وأبو جعفر وخلف⁵ ﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ﴾ بضم الهمزة وكسر الحاء، والباقون بفتحها"⁶. انتهى.

وقال في اللباب: "﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ يعني: وأحل لكم ما سوى ذلكم الذي ذكر من المحرمات. وظاهر هذه الآية يقتضي حل كل من سوى المذكورات من الأصناف المحرمات، لكن قد دل دليل السنة على تحريم أصناف آخر سوى ما ذكر، ومن ذلك أنه: "يحرم

¹ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج3، ص223.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص174.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص186، 187.

⁴ حفص (المقرئ)، أبو عمر حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي مولاهم الكوفي الغاضري البزاز، ثقة ثبت ضابط للقراءة، أخذ القراءة عرضاً وتلقيها عن عاصم، وكان ربيبه ابن زوجته، روى القراءة عنه عرضاً وسماعاً عبيد بن الصباح وعمرو بن الصباح وهبيرة التمار وسواهم، توفي سنة ثمانين ومائة للهجرة على الصحيح. الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ج1، ص140، 141. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص254، 255.

⁵ خلف بن هشام بن ثعلب، أبو محمد، ويقال: هشام بن طالب بن غراب البزار المقرئ. سمع مالك بن أنس وحماد بن زيد وأبا عوانة وغيرهم؛ روى عنه عباس الدوري ومحمد بن الجهم وأحمد بن أبي خيثمة وغيرهم. وكانت وفاته يوم السبت السابع عشر من جمادى الآخرة، سنة تسع وعشرين ومائتين. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص241، 243. بتصرف.

⁶ ابن الجزري، النشر، ج3، ص28.

الجمع بين المرأة وخالتها، والمرأة وعمتها"¹، ومن ذلك: المطلقة ثلاثاً، فلا تحل لزوجها الأول حتى تنكح زوجاً غيره²، ومن ذلك: نكاح المعتدة حتى تنقضي عدتها³، ومن ذلك: أن القادر على طول للحرية لم يجز له أن يتزوج بأمة على ما قرر⁴، ومنها: أن من كان عنده أربع نسوة حرم عليه أن يتزوج بخامسة⁵، ومن ذلك: الملاعنة فإنها محرمة على الملاعن بالتأييد⁶، فهذه أصناف محرمات سوى ما ذكر في الآية، فعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾ ورد بلفظ عام، لكن العموم دخله التخصيص، فيكون عامّاً مخصوصاً⁷. انتهى

كلام صاحب اللباب. وقال الثعالبي: "قوله سبحانه: ﴿وَأَحَلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾ قال عطاء وغيره: المعنى: وأحل لكم ما وراء ما حرم، قلت: أي على ما علم تفصيله من الشريعة"⁸. انتهى. ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ تطلبوا، بدل مما، أو مفعول من أجله، وحذف مفعول ﴿تَبْتَغُوا﴾ وهو ضمير يعود على ﴿مَّا﴾ أي النساء ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ بالحذف، والباء للآلة، يعني بصدقات تتزوجون به، أو بثمان تشترون به الإماء للوطء ﴿مُحْصِنِينَ﴾ متزوجين

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 67 النكاح، باب 27 لا تنكح المرأة على عمتها، ج 9، ص 160، رقم 5109.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 68 الطلاق، باب 4 من جوز الطلاق الثالث في العدة، ج 9، ص 361، رقم 5259.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 18 الطلاق، باب 6 المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، ج 2، ص 1114، رقم 1480.

⁴ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 5، ص 17، عن الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً. وانظر: السنن الكبرى، البيهقي، ج 7، ص 175.

⁵ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 9، باب 32 ما جاء في الرجل يسلم وعنده عشرة نسوة، ج 3، ص 435، رقم 1128. قال الترمذي: "وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: "هذا حديث غير محفوظ"، والعمل على حديث غيلان بن سلمة عند أصحابنا، منهم: الشافعي وأحمد وإسحاق". اهـ.

⁶ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 18 الطلاق، ج 2، ص 1130، 1131، رقم 1493.

⁷ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 365.

⁸ الثعالبي، الجواهر الحسان، ج 1، ص 432.

يعني أو متسرين ﴿غَيْرَ مُسْلِفِينَ﴾ بالحذف، زانين، والسفاح الفجور، وأصله من السفح وهو الصب، وإنما سمي الزنى سفاحاً لأن الزاني لا غرض له منه إلا صب النطفة فقط، بخلاف الناكح فإن له غرضاً سوى ذلك، وهو الولد. وقيل: ﴿مُحْصِنِينَ﴾ متعفين، أي تحصنون أنفسكم بذلك النكاح أو التسري، فـ ﴿مُحْصِنِينَ﴾ على هذا يتناول التسري والنكاح، يقول الله تعالى أحللت لكم أيها الرجال أن تطلبوا سوى ما حرمت عليكم من النساء بأموالكم على جهة التزويج أو التسري، لا على جهة الزنى، فيكون المال صداقاً وثمناً لمن توطأ ولا يكون سحتاً. قال صاحب هذا التفسير: قوله جلت قدرته: ﴿غَيْرَ مُسْلِفِينَ﴾ فيه معنى التوكيد لـ ﴿مُحْصِنِينَ﴾ لأنهم إذا كانوا محصنين لم يكونوا زانين، فهو من قبيل قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قِيَمًا ۖ﴾¹ فإن قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ﴾² حال، ومعناه مستقيم، ثم أكد بعد ذلك بقوله: ﴿قِيَمًا ۖ﴾³ والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه. انتهى. ودلت الآية الكريمة على وجوب الصداق في النكاح، ولا بد من كونه بما يسمى مالاً شرعاً، وحد المالكية أقل الصداق برع دينار، وقال الحنفية: أقله عشرة دراهم، وأجازه الشافعي وأحمد لكل قليل وكثير بعموم إطلاق الأموال، وبحديث: >التمس ولو خاتماً من حديد<، ورُدد بأنه قد يترين من الحديد"⁴، ما قيمته أكثر من ربع دينار"⁵، قاله في الضياء. وقال في الباب: "في الآية دليل على أن الصداق لا يتقدر بشئ، فيجوز على القليل والكثير، لإطلاق قوله تعالى: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ﴾"⁶. انتهى. ثم ذكر

¹ الكهف، 1، 2.

² الكهف، 1.

³ الكهف، 2.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 67 النكاح، باب 4 السلطان ولي لقول النبي صلى الله عليه وسلم: >زوجناكها بما معك من قرآن<، ج 9، ص 190، رقم 5135.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 174.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 365.

أن الصداق يتقرر بالوطء، وإن لم يكن مسمى، فقال: ﴿فَمَا﴾ أي فمن ﴿أَسْتَمْتَعُمْ بِهِ﴾ أي تلذذتم به، الضمير يعود على ﴿مَا﴾، والمراد تلذذ الجماع، والباء يظهر أنها للإلصاق أو للآلة ﴿مِنْهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى ﴿مَا﴾ من قوله: ﴿مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾، ومن بيانية أو تبعيضية، وهو الجلي، وما في ﴿فَمَا أَسْتَمْتَعُمْ﴾ إما شرطية أو موصولة، وهي مبتدأ، والخبر ﴿فَعَاثُوهُنَّ﴾ أعطوهن ﴿أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن، هذا على أن ما موصولة، وأما على أنها شرطية، فالجزء هو قوله: ﴿فَعَاثُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾، وروعي في هن في المواضع الثلاثة معنى ما الأولى للأولى والثانية والثالثة للثانية، وفي ﴿بِهِ﴾ لفظ ما الثانية، والأجور جمع أجر، وإنما سمي المهر أجراً لأنه بذل في المنافع، ولم يبذل في الأعيان، كما سمي البذل في منافع الدار والدابة أجراً. "يقول الله تعالى إذا استمتعتم بالزوجة بأن وقع الوطء فقد وجب إعطاء الأجر كاملاً، وهو الصداق"¹، قاله ابن جزى. وقال في الضياء: "وهذا يدل على أن الصداق إذا لم يسم في العقد يجب بالدخول"². انتهى. وقال ابن جزى: "وقيل: إن هذا في نكاح المتعة، وهو النكاح إلى أجل من غير ميراث، وكان جائزاً في صدر الإسلام، فنزلت هذه الآية في وجوب الصداق فيه، ثم حرم عند جمهور العلماء، فالآية على هذا منسوخة بالخبر الثابت في نكاح المتعة، وقيل: نسختها آية الفرائض، لأن نكاح المتعة لا ميراث فيه، وقيل: نسختها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَفِظُونَ﴾³. وروي عن ابن عباس جواز نكاح المتعة⁴، وروي أنه رجع عنه⁵. انتهى⁶. وقال في اللباب: "وقال قوم: المراد من حكم الآية هو نكاح المتعة، وهو أن ينكح امرأة إلى مدة معلومة بشيء معلوم، فإذا انقضت المدة بانت بغير

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص186.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص175.

³ المؤمنون، 5. المعارج، 29.

⁴ البيهقي، السنن الكبرى، ج7، ص205.

⁵ البيهقي، السنن الكبرى، ج7، ص205.

⁶ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص187.

طلاق، وتستبرئ رحمها¹، وليس بينهما ميراث، وكان هذا في ابتداء الإسلام، ثم نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة وحرّمها. روى مسلم عن سبرة بن معبد الجهني² أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: >يا أيها الناس، إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع بالنساء، وأن الله عز وجل قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً<³. وإلى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة ومن بعدهم، أن نكاح المتعة حرام، والآية منسوخة، واختلفوا في ناسخها، فقيل: نسختها السنة، وهو ما تقدم من حديث سبرة الجهني. وروى البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الإنسية"⁴. وهذا على مذهب من يقول: إن السنة تنسخ القرآن، ومذهب الشافعي أن السنة لا تنسخ القرآن، فعلى هذا قيل: إن ناسخ هذه الآية: قوله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾⁵، والمنكوحه في المتعة ليست بزوجة ولا ملك بيمين، واختلفت الروايات في المتعة عن ابن عباس رضي الله عنهما، فروي عنه أن الآية محكمة، وكان يرخص في

¹ هذه الزيادة من اللباب.

² سبرة بن معبد بن عوسجة بن حرملة بن سبرة الجهني أبو ثرية، وقيل: مصغر. صحابي نزل المدينة وأقام بذي المروة. وروى عنه: ابنه الربيع، وذكر ابن سعد أنه شهد الخندق وما بعدها، ومات أيام معاوية، وقد علق له البخاري، وروى له مسلم وأصحاب السنن. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص31. بتصرف.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 16، باب 3 نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة، ج2، ص1022، رقم 21/1406.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 64 المغازي، باب 38 غزوة خيبر، ج27، ص48، رقم 4216. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 16 النكاح، باب 3 نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة، ج2، ص1027، رقم 1407.

⁵ المؤمنون، 5، 6.

المتعة. وقال عماره¹: " سألت ابن عباس عن المتعة، أسفاح هي أم نكاح؟ فقال: لا سفاح ولا نكاح، قلت: فما هي؟ قال: متعة، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ﴾ قلت: هل لها عدة؟ قال: نعم، حيضة، قلت: هل يتوارثان؟ قال: لا"². وروى أن الناس لما ذكروا الأشعار في فتيا ابن عباس في المتعة، قال: قاتلهم الله، ما أفيتت بإباحتها على الإطلاق، قلت: إنها تحل للمضطر كما تحل الميتة له. وروى أنه رجع عنه فقال بتحريمها. روى عطاء الخراساني³ عن ابن عباس في قوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ أنها صارت منسوخة بقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾⁴. وروى سالم بن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب⁵ رضي الله عنه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام ينكحون هذه المتعة، وقد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، لا أجد رجلاً نكحها إلا رجته بحجارة، وقال: هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث. وقال الشافعي: لا أعلم في الإسلام شيئاً

¹ في الدر المنثور: "عمار". عمار بن الوليد أخو خالد بن الوليد المخزومي، مات كافراً لأن قريشاً بعثوه إلى النجاشي فجرت له معه قصة فأصيب بعقله وهام مع الوحش، وقد كان ممن دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم من قريش لما وضع عقبة بن أبي معيط الجزور على ظهره وهو يصلي. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص171. بتصرف.

² السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور، ج2، ص487، 488، عزاه لابن المنذر.

³ عطاء الخراساني، عطاء بن أبي مسلم. المحدث، الواعظ، نزيل دمشق والقدس. أرسل عن أبي الدرداء، وابن عباس، والمغيرة بن شعبة وطائفة. وروى عن: ابن المسيب، وعروة، وعطاء بن أبي رباح، وابن بريدة، ونافع، وعمرو بن شعيب، وعدة. روى عنه: معمر، وشعبة، وسفيان، ومالك، وحماد بن سلمة، وإسماعيل بن عياش، وعدد كثير. حتى إن شيخه عطاء حدث عنه. وثقه ابن معين، وقال الدارقطني: هو في نفسه ثقة، لكن لم يلق ابن عباس، يعني أنه يدللس. وقال أحمد: ثقة. قيل: مولده سنة خمسين. وتوفي بأريحا ودفن ببيت المقدس. وقال ابنه عثمان: مات أبي سنة خمس وثلاثين ومائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص140.142، رقم الترجمة 52. بتصرف.

⁴ الطلاق، 1.

⁵ سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي المدني، كنيته أبو عمر، أمه أم ولد، كان يشبه أباه في السمات والهدى، وكان يخضب بالحناء. يروي عن أبيه. روى عنه الزهري. مات سنة ست ومائة. ابن حبان، ثقات ابن حبان، ج4، ص305. بتصرف.

أحل ثم حرم، وأحل ثم حرم، غير المتعة. وقال أبو عبيد السلمي¹: القوم مجمعون على أن متعة النساء قد نسخت بالتحريم، نسخها الكتاب والسنة، هذا قول أهل العلم جميعاً من أهل الحجاز² والشام³ والعراق⁴ من أصحاب الأثر والرأي، وأنه لا رخصة فيها للمضطر ولا لغيره. قال ابن الجوزي⁵ في تفسيره: "قد تكلف قوم من مفسري القرآن فقالوا: المراد بهذه الآية نكاح المتعة، ثم نسخت ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن متعة النساء"⁶، وهذا تكلف لا يحتاج إليه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز المتعة ثم منع منها وحرّمها، فكان قوله منسوخاً بقوله، وأما الآية فإنها لم تتضمن جواز المتعة، لأنه تعالى قال فيها: ﴿لَا أَن تَبْتَغُوا

¹ لم أعثر على ترجمة له.

² الحجاز: سمي الحجاز حجازاً لأنه حجز بين الغور والشام، وقيل: حجز بين نجد والسرّة، وهو أعظم جبال العرب حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازاً. الحميري، الروض المعطار، ص 188. بتصرف.

³ الشام: بلاد كثيرة وكُور عظيمة وممالك، وقسم الأوائل الشام خمسة أقسام: الأول فلسطين وفيها غزة والرملة، والشام الثانية مدينتها العظمى طبرية والغور واليرموك، والثالثة الغوطة ومدينتها العظمى دمشق، ومن سواحلها طرابلس الشام، والرابعة أرض حمص وقنسرين مدينتها العظمى حلب وساحلها إنطاكية. والشام اسم لجميع ذلك من البلاد والكور، وأول طول الشام من ملطية إلى رفح. الروض المعطار، ص 335.

⁴ العراق المشهور فهي بلاد، والعراقان الكوفة والبصرة، سميت بذلك من عراق القرية، وهو الخرز المثني الذي في أسفلها، أي أنها أسفل أرض العرب. وقال أبو القاسم الزجاجي: قال ابن الأعرابي: سمي عراقاً لأنه سفل عن نجد، ودنا من البحر، أخذ من عراق القرية، وهو الخرز الذي في أسفلها. الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 93. بتصرف.

⁵ ابن الجوزي، الشيخ، الإمام، العلامة، الحافظ، المفسر، شيخ الإسلام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ويصل نسبه إلى الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، القرشي، التيمي، البكري، البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف الكثيرة. من تصانيفه: "المغني"، و"زاد المسير"، و"تذكرة الأريب"، و"الوجوه والنظائر"، و"جامع المسانيد"، و"المنتظم في التاريخ"، عشرة مجلدات، وغيرها كثير. ولد سنة 509هـ، وتوفي في 13 رمضان سنة 597هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء ج 21، ص 379365، رقم الترجمة 192. الزركلي، الأعلام، ج 3، ص 316، 317. بتصرف.

⁶ تقدم تخريجه.

بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ﴿١﴾ ، فدل ذلك على النكاح الصحيح. قال الزجاج¹:
ومعنى قوله: ﴿فَمَا أَسْتَمْتَعُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ ﴿٢﴾ مما نكحتموه على الشريطة التي جازت، وهي
قوله: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾ ﴿٣﴾ أي عاقدين التزويج². وقال ابن جرير الطبري³:
"أولى التأويلين بالصواب تأويل من تأوله: فما نكحتموه منهن فجامعتموهن فآتوهن أجورهن،
لقيام الحرج بتحريم الله تعالى متعة النساء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم"⁴.
﴿فَرِيضَةً﴾ يعني لازمة واجبة، وهي صفة لمصدر من آتوهن، أو حال من الأجور، أي
آتوهن مهورهن حال كونهن لازمات لكم ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ بالإثبات، أي لا حرج ولا إثم
﴿عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿فِيمَا﴾ بالوصل، يتعلق بالكون في الخبر الذي هو عليكم، أي
في الذي ﴿تَرْضَيْتُمْ﴾ بالحذف ﴿بِهِ﴾ الضمير عائد على ما، ومعنى تراضيتم به أنقذتم
له وقبله كل منكم، ويظهر أن الباء للإلصاق أو بمعنى على ﴿مِنْ﴾ ابتدائية، متعلقة بـ
﴿تَرْضَيْتُمْ﴾، ﴿بَعْدَ﴾ استقرار ﴿الْفَرِيضَةِ﴾ الصداق الذي فرض، يقول الله تعالى
إذا عقدتم النكاح الصحيح المفروض فيه الصداق، فلا إثم عليكم بعد تقرر المفروض فيما
تراضيتم عليه أيها الأزواج من حط الصداق عن الزوج بأن تهب له المرأة، ومن هبته هو لها
نصف المسمى الذي لم يجب عليه حيث فارقتها قبل الدخول، بأن يهب لها جميع الصداق

¹ لم أعثر على القول.

² ابن جزي، زاد المسير في علم التفسير، ج2، ص53، 54.

³ ابن جرير، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري،
صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان. ولد 224هـ، كان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة
تصانيف، له الكتاب المشهور: أخبار الأمم وتاريخهم، وله كتاب التفسير، وكتاب سماء تهذيب الآثار، قرأ
القرآن ببغداد على العباس بن الوليد، وتوفي عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة 310هـ. الذهبي،
سير أعلام النبلاء، ج14، ص282267، رقم الترجمة 175. بتصرف.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص365. ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي
القرآن، ج5، ص13. أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 6 النكاح، باب 29 الصداق، ج1، ص640،
رقم2106.

هذا، على أن قوله: ﴿فَمَا أَسْتَمْتَعُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ في النكاح الصحيح، وهو الراجح، كما مر. قال في اللباب: "من حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال: المراد بقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ﴾ يعني من الإبراء من المهر والافتداء والاعتياض. وقال الزجاج¹: معناه: لا جناح عليكم أن تهب المرأة للزوج مهرها، وأن يهب الرجل للمرأة التي يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه"². انتهى. ومن حملها على نكاح المتعة، فمعنى هذا عنده جواز ما يتراضون به من زيادة في مدة المتعة، وزيادة في الأجر، قاله ابن جزى³. وقال في اللباب: "اختلفوا فيمن فيه، فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة قال⁴: أراد أنهما إذا عقد الرجل على مال، فإذا تمَّ الأجل، فإن شاءت المرأة زادت في الأجل، وزاد الرجل في الأجر، وإن لم يتراضيا فارقها، وقد تقدم أن ذلك كان جائزاً ثم نسخ وحرم"⁵، ونحو هذا في الثعالي⁶. وقال السيوطي: "﴿فَمَا أَسْتَمْتَعُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ بالوطء ﴿فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن التي فرضت لهن ﴿فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ﴾ أنتم وهن ﴿بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ من حطها أو بعضها أو زيادة عليها"⁷. انتهى. فلم يفسر إلا بالنكاح الصحيح، وهو الظاهر، والله تعالى أعلم. ثم ذكر سبحانه ما يفيد الحث لهم على طاعته، فيما أمرهم به، وفيما نهاهم عنه، ومن ذلك إيتاء النساء مهورهن، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ أكد بـ ﴿إِنَّ﴾ المكسورة وبالجملة الاسمية والاستئناف ﴿كَانَ﴾ بالإثبات، لم يزل ﴿عَلِيماً﴾ "يعني بما يصلحكم، أيها الناس، في مناكحكم وغيرها من سائر أموركم"⁸، قاله

¹ لم أعثر عليه.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص366، 367.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص187.

⁴ في الأصل: "قاله"، وفي اللباب: "قال".

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص366.

⁶ الثعالي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص430.

⁷ السيوطي، تفسير الجلالين، ص103.

⁸ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص366.

في اللباب. ﴿حَكِيمًا﴾ فاصلة الآية الرابعة"، يعني فيما دبر لكم، وفيما يأمركم به، وينهاكم عنه، ولا يدخل حكمه خلل ولا زلل¹، قاله في اللباب، ثم قال: "اعلم أنه لا تقدير لأكثر الصداق، لقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾، والمستحب أنه لا يغالى فيه، قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: "ألا لا تغالوا في صدقات النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوي عند الله لكان أولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم، ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئاً من نسائه، ولا أنكح شيئاً من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية"، أخرجه الترمذي². ولأبي داود³ نحوه. وروى مسلم عن أبي سلمة⁴ قال: "سألت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشأ⁶، قالت: أتدري ما النش؟ قلت: لا، قالت: نصف أوقية، فذلك خمسمائة درهم"⁷. واختلف العلماء

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص366.

² الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 9 النكاح، باب منه، ج3، ص422، 423، رقم1114. قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

³ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 6 النكاح، باب 29 الصداق، ج1، ص640، رقم2106.

⁴ هذه الزيادة في صحيح مسلم، وهي مذكورة في اللباب.

⁵ أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب. السيد الكبير أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، وابن عمته برة بنت عبد المطلب، وأحد السابقين الأولين، هاجر إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا، ومات بعدها بأشهر، وله أولاد صحابة، كعمر وزينب وغيرهما، ولما انقضت عدة زوجته أم سلمة تزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم، وروت عن زوجها أبي سلمة القول عند المصيبة، وكانت تقول: من خير من أبي سلمة، وما ظنت أن الله يخلفها في مصابها به بنظيره، فلما فتح عليها بسيد البشر، اغتبطت أبما اغتباط. مات كهلاً في سنة ثلاث من الهجرة رضي الله عنه. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص153.150، رقم الترجمة 8. بتصرف.

⁶ قال ابن الأعرابي: "النش: النصف من كل شيء". ابن منظور، لسان العرب، مادة ن ش ش، ج6، ص352.

⁷ مسلم، صحيح مسلم، كتاب16 النكاح، باب 13 الصداق جواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد وغير ذلك من قليل وكثير، ج2، ص1042، رقم1426.

في أقل الصداق، فذهب جماعة إلى أنه لا تقدير لأقله، بل ما جاز أن يكون مبيعاً أو ثمنًا جاز أن يكون صداقاً، وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق. وقال قوم: يتقدر الصداق بنصاب الصدقة، وهو قول مالك وأبي حنيفة، غير أن نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم، وعند أبي حنيفة عشرة دراهم. والدليل على أن الصداق لا يتقدر ما روي عن سهل بن سعد الساعدي قال: "جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، قد وهبت نفسي لك، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصعد النظر فيها وصوبه، ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض بها شيئاً، فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله، إن لم تكن لك بها حاجة، فزوجنيها، فقال: <هل عندك من شيء؟> قال: لا، والله، يا رسول الله، قال: <اذهب إلى أهلك، فانظر هل تجد شيئاً>، فذهب، ثم رجع فقال: لا، والله، ما وجدت شيئاً، ولكن إزاري هذا، فقال سهل: ماله رداء، فلها نصفه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <ما تصنع بإزارك؟ إن لبسته لم يكن عليها، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء>، فجلس الرجل، حتى إذا طال مجلسه قام، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم مولياً، فأمر به فدعي، قال: <ما معك من القرآن؟> قال: معي سورة كذا، وسورة كذا. عددها. قال: <تقرؤهن عن ظهر قلبك؟> قال: نعم، قال: <فاذهب، فقد ملكتكها بما معك من القرآن>، وفي رواية: <فقد زوجتكها، تعلمها من القرآن>، وفي رواية: <فقد أنكحناكها بما معك من القرآن>، أخرجاه في الصحيحين¹، وهذا لفظ الحميدي². ففي هذا الحديث دليل على أنه لا تقدير

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 66 فضائل القرآن، باب 22 القرآن في ظهر القلب، ج9، ص78، رقم5030. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 16 النكاح، باب 13 الصداق جواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد وغير ذلك من قليل وكثير، ج2، ص1040، 1041، رقم1425.

² الحميدي، الجمع بين الصحيحين، ج1، ص430، رقم900. الحميدي، عبد الله بن الزبير بن عبيد الله بن أسامة بن عبد الله بن حميد بن زهير، الإمام، الحافظ، الفقيه، شيخ الحرم، أبو بكر القرشي، الأسدي، المكي، صاحب المسند، حدث عن إبراهيم بن سعد، وفُضَيْل بن عياض، وسفيان ابن عُيَيْنَةَ، ومروان بن معاوية وغيرهم، وحدث عنه: البخاري، والدُّهْلِي، وهارون الحَمَّال، وأحمد بن الأزهر، وسلمة بن شبيب وآخرون، قال أحمد: الحميدي عندنا إمام، وقال الشافعي عنه: إنه كان يحفظ لسفيان بن عُيَيْنَةَ

لأقل الصداق، لأنه قال: <التمس شيئاً>، فهذا يدل على جواز أي شيء كان من المال، ثم قال: <ولو خاتماً من حديد>، والقيمة له إلا القليل التافه، وفيه دليل على أن يجعل تعليم القرآن صداقاً، وهو قول الشافعي، ومنعه أصحاب الرأي. وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: <من أعطى في صداق امرأة ملء كفه سويقاً أو تمرّاً فقد استحل>، أخرجه أبو داود¹. وعن عبد الله بن عامر² عن أبيه، أن امرأة من بني فزارة³ تزوجت على نعلين، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: <أرضيت من نفسك ومالك بنعلين؟> قالت: نعم، فأجازه. أخرجه الترمذي⁴. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ثلاث قبضات من زيب مهر⁵. انتهى. ثم أخبر سبحانه أن من لم يستطع للحرائر طولاً، يجوز له أن ينكح من الإماء المؤمنات، فقال: ﴿وَمَنْ﴾ تحتل أن تكون شرطية، وأن تكون استفهامية ﴿لَمْ﴾ حرف نفي تجزم المضارع وتختص به ﴿يَسْتَطِعْ﴾ أي يطق، أي يقدر ﴿مِنْكُمْ﴾ أيها الرجال، تحتل من أن تكون تبيضية، وهو الظاهر، وأن تكون تبيينية، والله تعالى أعلم. ﴿طَوَّلاً﴾ سعة، أي غنى، مفعول يستطع ﴿أَنْ يَنْكِحَ﴾ يتزوج، بدل من ﴿طَوَّلاً﴾ أو ﴿طَوَّلاً﴾ نصب على المصدر، والعامل فيه ﴿يَسْتَطِعْ﴾

10،000 حديث. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، ص616 وما بعدها، رقم الترجمة 212. بتصرف.

¹ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 6 النكاح، باب 30 قلة المهر، ج1، ص641، 642، رقم 2110.
² لم أعثر على ترجمة له.

³ فزارة بن ذبيان بن بغيض، من غطفان، من العدنانية، جد جاهلي. تفرع نسله عن خمسة من أبنائه: مازن، وسعد، وعدي، وظالم، وشمخ. وتفرقت بطونهم في نجد ووادي القرى ثم بإفريقية والمغرب الأقصى. قال المقرئ: منهم جماعة بالصعيد، وجماعة بضواحي القاهرة، في قلوب وما حولها، وبهم عرفت البلدة المسماة بخراب فزارة. القلقشندي، نهاية الأرب، ج1، ص129. الزركلي، الأعلام، ج5، ص145. بتصرف.

⁴ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 9 النكاح، باب 21 ما جاء في مهر النساء، ج3، ص420، رقم 1113. قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

⁵ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص367.

لأنهما بمعنى متقارب، و﴿أَنْ يَنْكِحَ﴾ على هذا مفعول ﴿يَسْتَطِيعَ﴾ أو مفعول
﴿طَوَّلاً﴾، والله تعالى أعلم. ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ بالحذف، الحرائر، بفتح الصاد وكسرهما،
كما مر تبينه عند رأس الحزب ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالحذف، المصدقات بالله تعالى ورسله
﴿فَمِنْ مَّا﴾ بالفصل، ومن تبعيضية، أي فلينسح بعض اللواتي ﴿مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾
بالحذف، أي ملكتم، والمملك هو احتواؤك على الشيء والاستبداد به، قادرًا على التصرف فيه،
وأضاف الملك لليمين، والمراد هم أنفسهم، كما نبهت عليه، ويظهر أن ذلك لأن اليمين هي
التي لها القوة، وبسببها يحصل التصرف الذي ينشأ عنه الملك، والله تعالى أعلم. ﴿مِنْ﴾
يظهر أن ﴿مِنْ﴾ تيسينية ﴿فَنَيْتِكُمْ﴾ بالحذف، إمائكم و﴿مِنْ﴾ ومدخولها في موضع
الحال من ما أو من العائد ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله ورسوله، بالحذف، يقول الله تعالى من لم
يقدر منكم أيها الرجال على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج الأمة المؤمنة. قال ابن جزري: "معناها:
إباحة تزوج الفتيات، وهن الإماء للرجال إذا لم يجدوا طولاً للمحصنات، والطول هنا السعة في
الحال¹، والمحصنات هنا يراد بها الحرائر. ومذهب مالك وأكثر أصحابه أنه لا يجوز للحر نكاح
الأمة إلا بشرطين، أحدهما: عدم الطول، وهو أن لا يجد ما يتزوج به حرة، والآخر: خوف
العنت، وهو الزنى، لقوله بعد ذلك: ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾، وأجاز ابن القاسم
نكاحهن دون الشرطين، واتفقوا على اشتراط الإسلام في الأمة التي تتزوج، لقوله: ﴿مِنْ
فَنَيْتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلا أهل العراق فلم يشترطوه². انتهى. وقال في اللباب: "﴿وَمَنْ
لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً﴾ يعني فضلاً وسعة، وإنما سمي الغنى طولاً لأنه ينال به من المراد³ ما
لا ينال مع الفقر، والطول هنا كناية عما انصرف⁴ إلى المهر والنفقة ﴿أَنْ يَنْكِحَ

¹ في تفسير ابن جزري: "المال".

² ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص187.

³ في الأصل: "المواد"، وفي اللباب: "المراد".

⁴ في اللباب: "يصرف".

أَلْمُحْصَنَتِ ﴿﴾ يعني الحرائر المؤمنات، المعنى: من لم يقدر على مهر الحرة فليتزوج الأمة المؤمنة، والفتيات الجوارى المملوكات جمع فتاة، يقال للأمة فتاة، وللعبد فتى، ففي الآية دليل على أنه لا يجوز للحر نكاح الأمة إلا بشرطين، أحدهما: أن لا يجد مهر حرة، لأنه جرت العادة في الإماء بتخفيف مهورهن ونفقتهن، وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن. الشرط الثاني: هو خوف العنت على نفسه، وهو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾. قال ابن عباس: العنت هو الزنى، وهذا قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبيرة وطاووس ومسروق¹ ومكحول² وعمرو بن دينار³، وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد. وروي عن علي والحسن البصري وابن المسيب ومجاهد والزهري أنه يجوز للحر الأمة، وإن كان موسراً، وهو مذهب أبي حنيفة، إلا أن تكون في نكاحه حرة، والسبب في منع نكاح الحر الأمة إلا عند خوف العنت، أن الولد يتبع الأم في الرق والحرية، فلهذا السبب منع الله من نكاح الأمة إلا

¹ مسروق بن الأجدع بن مالك الوداعي الهمداني، الإمام، القدوة، العلم، العلامة، قال أبو بكر الخطيب: يقال إنه سُرق وهو صغير ثم وُجد، فسُمي مسروقاً، وأسلم أبوه الأجدع، حدث عن أبي بن كعب، وعمر، والصدّيق، وعن أم رومان وجمّع كبير، وحدث عنه الشعبي، وإبراهيم النخعي، وأبو وائل، وأنس بن سيرين وغيرهم. وعداده في كبار التابعين، وروى عبد الملك بن أبجر عن الشعبي: كان مسروق أعلم بالفتوى من شريح، وكان شريح أعلم منه بالقضاء، وقال ابن سعد: كان ثقة، له أحاديث صالحة، مات سنة 92 هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص334.337، رقم الترجمة 520. بتصرف.

² مكحول الشامي، مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل، أبو عبد الله، الهذليّ بالولاء، فقيه الشام في عصره، من حفاظ الحديث، أصله من فارس، ومولده بكابول، ترعرع بها وشي، وصار مولى لامرأة بمصر، من هذيل، فنُسب إليها، وأُعتق، وتفقه، ورحل في طلب الحديث إلى العراق، فالمدينة، وطاف كثيراً من البلدان، واستقرّ في دمشق، وتوفي بها، قال الزُّهري: لم يكن في زمانه أبصر منه بالفتيا. توفي سنة 112 هـ. الزركلي، الأعلام، ج7، ص284. بتصرف.

³ عمرو بن دينار، الإمام الكبير، الحافظ، أبو محمد الجُمحيّ مولاهم، المكيّ، الأثرم، أحد الأعلام، وشيخ الحرم في زمانه، ولد سنة خمس أو ست وأربعين، سمع من ابن عباس، وجابر بن عبد الله، وابن عمر، وغيرهم من الصحابة. ذكره الحاكم في كتاب "مُزَكِّي الأخبار" فقال: هو من كبار الحفاظ بين التابعين، وحدث عنه: ابن أبي مليكة، وهو أكبر منه، وقتادة بن دعامة، والزهري، وغيرهم. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص192.188، رقم الترجمة 894. بتصرف.

على سبيل الرخصة والاضطرار، ويجوز للعبد نكاح الأمة، وإن كان في نكاحه حرة. وعند أبي حنيفة لا يجوز إذا كانت تحت حرة، وفي الآية دليل على أنه لا يجوز للمسلم، حرًا كان أو عبدًا، نكاح الأمة المؤمنة دون الكتابية، لقوله تعالى: ﴿مَنْ فَنَيْتَكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ﴾¹ ففيه جواز نكاح الأمة المؤمنة دون الكتابية، لأن فيها الرق والكفر، بخلاف الأمة المسلمة، لأن فيها نقصًا واحدًا، وهو الرق، وهذا قول مجاهد والحسن، وإليه ذهب مالك والشافعي. وقال أبو حنيفة: يجوز التزويج بالأمة الكتابية، وباتفاق يجوز وطء الأمة بملك اليمين². انتهى. "ومن الدليل على ما ذهب إليه مالك والشافعي: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾³ أي الحرائر، جوز نكاح الكتابية بشرط أن تكون حرة⁴، قاله البغوي. وقال الثعالبي: "قال ابن عباس وغيره: الطول هنا السعة في المال، وقاله مالك في المدونة⁵، فعلى هذا التأويل لا يصح للحر أن يتزوج الأمة إلا باجتماع شرطين: عدم السعة في المال، وخوفه العنت، وهو نص مالك في المدونة⁶. قال مالك في المدونة: "وليست الحرة تحت بطول إن خشي العنت، وقال في كتاب محمد ما يقتضي أن الحرة بمثابة الطول. قال الشيخ أبو الحسن اللخمي⁷: وهو ظاهر القرآن، ونحوه عن ابن حبيب⁸. وقال أبو حنيفة: وجود الحرة تحت لا يجوز معه نكاح الأمة. وقال⁹ الطبري: وقوله: ﴿طَوَّلًا﴾ تقول: طال الرجل طولًا إذا تفضل

¹ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص367، 368.

² المائة، 5.

³ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص46.

⁴ مالك بن أنس، المدونة، ج2، ص164.

⁵ مالك بن أنس، المدونة، ج2، ص164.

⁶ لم أعثر على ترجمة له.

⁷ ابن حبيب، العلامة، أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب النيسابوري، المفسر، الواعظ، صاحب كتاب "عقلاء الجاهل". صنف في التفسير والآداب، توفي في ذي الحجة سنة 406هـ. الذهبي،

سير أعلام النبلاء، ج11، ص122، رقم الترجمة 3909. بتصرف.

⁸ في تفسير الثعالبي: "مقاله".

ووجد واتسع، وطُولا بالضم في ضد القصر"¹. انتهى. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ بالحذف، أي تصديقكم لله ورسله. قال ابن جزى: "معناه: أنه تعالى عليم ببواطن الأمور، ولكم ظواهرها، فإذا كانت الأمة ظاهرة الإيمان، فنكاحها صحيح، وعلم باطنها إلى الله"². انتهى. وقال السيوطي: "﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فاكشفوا بظاهره وكلوا السرائر إلى الله، فإنه العالم بتفاصيلها، ورب أمة تفضل الحرة فيه، وهذا تأنيس بنكاح الأمة"³. ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ قال السيوطي: "أي أنتم وهم سواء في الدين، ولا تستنكحوا من نكاحهن"⁴. انتهى. وقال الثعالبي: "قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ معناه: والله أعلم ببواطن الأمور، وذكر لكم ظواهرها، فإذا كانت الفتاة ظاهرها الإيمان، فنكاحها صحيح، وفي اللفظ أيضاً تنبيه على أنه ربما كان إيمان الأمة أفضل من إيمان بعض الحرائر، فلا تعجبوا بمعنى الحرية، والمقصود بهذا الكلام أن الناس سواء، بنو الحرائر وبنو الإماء، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾⁵ فهذا توطين لنفوس العرب التي كانت تستهجن ولد الأمة"⁶. انتهى. وقال ابن جزى: "بعضكم من بعض، أي إماءكم منكم، وهذا تأنيس بنكاح الإماء، لأن بعض العرب كان يتأنف من ذلك"⁷. انتهى. وقال البغوي: "﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ قيل: أخوة لبعض، وقيل: كلكم من نفس واحدة، فلا تستكبروا"⁸ عن نكاح الإماء"⁹. انتهى. والفرق بينهما أن الأول راعى أخوة الإيمان، والأخير راعى أخوة النسب. وقال في اللباب: "﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ

¹ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص16.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص187، 188.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص103.

⁴ السيوطي، تفسير الجلالين، ص103.

⁵ الحجرات، 13.

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص433.

⁷ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص188.

⁸ في معالم التنزيل: "تستنكفوا".

⁹ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص46.

بَعْضٍ ۞ يعني أن كلكم من نفس واحدة، فلا تستنكفوا من نكاح الإمام عند الضرورة، وإنما قيل لهم ذلك، لأن العرب كانت تفتخر بالأنساب¹، ويسمون ابن الأمة: المهجين، والله تعالى يعلم أن ذلك أمر لا يلتفت إليه، فلا يداخلنكم شموخ ولا أنفة من التزوج بالإماء، فإنكم متساوون في النسب إلى آدم. وقيل: معناه: أن دينكم واحد، وهو الإيمان، وأنتم مشتركون فيه، فمتى وقع لأحدكم الضرر جاز له أن يتزوج بالأمة عند خوف العنت. وقال ابن عباس: يريد أن المؤمنين بعضهم أكفاء لبعض². انتهى. وقال في الضياء: "بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۞" أي أنتم وهن سواء في الدين، وأنتم جميعاً أولاد آدم، فلا فخر إلا بالإيمان والتقوى، فلا تستنكفوا عن نكاحهن³. انتهى. يعني عند الضرورة، كما هو موضوع الآية، ثم اشترط في نكاحهن أن يكون بإذن أهلهن، فقال: ﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ﴾ ﴿بِإِذْنِ﴾ الباء للآلة، بشرط أن يكون ذلك بإذن، أي إباحة ﴿أَهْلِهِنَّ﴾ ساداتهن، ورضاهن، فعلم منه أن نكاح الأمة بغير إذن سيدها باطل مردود، فإذا عقد عليها بغير إذن فلا يصح تقريره، ولو قرره السيد لصدوره فاسداً. قال في اللباب: "أي اخطبوا الإمام إلى ساداتهن. واتفق العلماء على أن نكاح الأمة بغير إذن سيدها باطل، لأن الله تعالى جعل إذن السيد شرطاً في جواز نكاح الأمة"⁴. انتهى. وقال الثعالبي: "﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ﴾ بإذن أهلهن، معناه: بولاية أربابهن المالكين"⁵. انتهى. وقال ابن جزى: "أي بإذن ساداتهن المالكين لهن"⁶. انتهى. واعلم أنه لا يجوز نكاح ذي الرق بغير إذن سيده، فإن وقع بغير إذن سيده، فللسيد الإجازة والرد في العبد، ونكاح الأمة باطل على المشهور، ومقابل المشهور للسيد أن يجيز نكاح الأمة إذا وقع بغير إذن، والله تعالى الموفق.

﴿وَأَتَوْهُنَّ﴾ أعطوهن، أيها الأزواج ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ يظهر

¹ في اللباب: "بالأنساب والأحساب".

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص368.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص175.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص368.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص433.

⁶ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص180.

أن الباء للمصاحبة، والمعروف اسم مفعول من عرفه ضد جهله، يعني المعروف في الشرع، ويحتمل قوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي يكون متعلقاً بـ آتوهن، ويحتمل أنه حال من ﴿أَجُورَهُنَّ﴾. قال الثعالبي: "﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ معناه بالشرع على ما تقتضيه السنة"¹. انتهى. ومعنى ذلك: لا يكون منه مطل للصدّاق، ولا نقص، ولا يكون هناك ممنوع شرعاً من كونه خمرًا، وذلك مما هو ممنوع. وقال في الباب: "﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ يعني مهورهن بالمعروف، يعني من غير مطل ولا إضرار، وأجمعوا على أن مهر الأمة لسيدتها²، وإنما أضيف إتياء المهر للإماء، لأنه ثمن بضعهن". انتهى. وقال ابن جزى: "﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ صدقاتهن، وهذا يقتضي أنهن أحق بصدقاتهن من ساداتهن، وهو مذهب مالك"³. انتهى. واعلم أن صاحب اللباب شافعي، وابن جزى مالكي، وإيضاح ما قال هو ما في الضياء، وهو: "﴿وَأَتَوْهُنَّ﴾ أعطوهن ﴿أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن، فيه دليل على وجوب المهر للأمة، ثم يكون للسيد إن أراد، فقال الشافعي: لا يكون لها، بل للسيد، لأنه عوض منفعة، كالإجارة، قلنا: هذا العقد لها لا له، فعوضه لها، بخلاف منافع الرقبة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً، من غير مطل ولا نقص ولا إضرار"⁴. انتهى. ﴿مُحْصَنَتٍ﴾ بالحذف، عفاف، حال، والعامل فيه فانكحوهن بكسر الصاد وفتحها كما مر، ومقتضاه أنهم لا يتزوجوهن إن لم يكن عفاف ﴿غَيْرَ مُسَفِّحَتٍ﴾ بالحذف، زانيات ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتٍ﴾ بالحذف، متناولات ومستعملات ﴿أَخْدَانٍ﴾ بالإثبات، جمع خدن. قال في الباب: "وهو الصاحب الذي يكون معك في كل أمر ظاهر وباطن، وأكثر ما يستعمل في من يصاحب بشهوة، وقالوا: خدن المرأة وخدينها يعني حبها الذي يزني بها بالسر. قال الحسن: المسافحة هي التي كل من دعاها تبعته، وذات الأخدان هي التي تختص بواحد ولا تزني بغيره. وكانت العرب في الجاهلية

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص433.

² في الباب: "المهر للسيد لأنه ملكه".

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص180.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص175.

تحرم الأولى، وتجوز الثانية، فلما كان هذا الفرق معتبراً عندهم، أفرد الله كل واحد من هذين القسمين بالذكر، ونص على تحريمهما معاً¹. انتهى. وقال الثعالبي: "والمسافحات الزواني المبتذلات اللواتي هن سوق للزنى، ومتخذات الأخدان هن المستترات اللواتي يصحبن واحداً واحداً، ويزنين خفية، وهذان كانا نوعين في زنى الجاهلية، قاله ابن عباس وغيره"². انتهى. وقال السيوطي: "﴿غَيْرَ مُسْفِحَةٍ﴾ زانيات جهراً ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتٍ﴾ أحشاء يزنين بهن سرّاً"³. انتهى. ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ﴾ أي الإماء، وبالبناء للمفعول، أي زوجن، بالبناء للفاعل، أي تزوجن. قال في النشر: "قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف: ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ﴾ بفتح الهمزة والصاد، والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد"⁴. انتهى. ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ﴾ جئن ﴿بِفَحْشَةٍ﴾ أي زنى، بالحذف، والباء للمصاحبة أو للإلصاق ﴿فَعَلِيْنَهُنَّ﴾ يحتمل أن يكون خبراً، والمبتدأ قوله: ﴿نِصْفُ﴾ ويحتمل أن يكون متعلّقاً بمبتدأ محذوف، أي فالواجب عليهن، والخبر قوله: ﴿نِصْفُ﴾ النصف: أحد شقي الشيء، وكذلك النصف ﴿مَا عَلَى﴾ أي الذي ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ بالحذف، بكسر الصاد وفتحها، كما مر، أي الحرائر الأبكار ﴿مِنْ﴾ بيانية ﴿الْعَذَابِ﴾ بالإثبات، فالظاهر أن ﴿مِنْ﴾ ومدخولها حال من الضمير المستكن في الصلة، والعامل في الحال هو العامل في صاحبها، والذي على المحصنات الحرائر الأبكار مائة جلدة، فنصفها خمسون، فعلى الأمة إن زنت خمسون جلدة. قال في اللباب: "على الإماء التي زنين نصف ما على الحرائر الأبكار إذا زنين من الجلد، فيجلد العبد إذا زنى خمسين جلدة، ولا فرق بين المملوك المتزوج وغيره، فإنه يجلد خمسين، ولا رجم عليه، هذا قول أكثر العلماء، ويروى عن ابن عباس، وبه قال طاووس: أنه لا حدّ على من لم يتزوج من المماليك إذا زنى، لأن الله تعالى قال: ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ﴾ والذي لم يتزوج فليس

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص368.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص433، 434.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص104.

⁴ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص28.

بمحض¹. انتهى. وأجيب بأنه ليس المراد أن التزويج شرط لوجوب الحد عليه، بل المراد منه التنبيه على أن المملوك وإن كان محصناً لا رجم عليه، إنما حده الجلد، بخلاف الحر، فحد الأمة ثبت بهذه الآية، وبيان أنه بالجلد ثابت بالحديث. روى البغوي² بسنده: "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: <إذا زنت أمة أحدكم فتيين زناها، فليجلدها الحد، ولا يشرب عليها، ثم إن زنت فليجلدها ولا يشرب عليها، ثم إن زنت الثالثة فتيين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر>. انتهى. قال في اللباب: "أخرجاه في الصحيحين³. قوله: <ولا يشرب عليها> أي لا يعيرها، والتثريب: التأنيب⁴ والتعيير والاستقصاء في اللوم. قال الشيخ محيي الدين النووي⁵: "وهذا البيع مستحب ليس بواجب عندنا وعند الجمهور، وقال داود وأهل الظاهر: هو واجب، وفيه جواز بيع الشيء النفيس⁶ بالثمن الحقيق، وهذا البيع المأمور به يلزم صاحبها أن يبين حالها للمشتري، لأنه عيب، والإخبار بالعيب واجب، فإن قيل: كيف يكره شيئاً، ويرتضيه لأخيه المسلم؟ فالجواب: لعلها تستعف عند المشتري بأن يعفها بنفسه، أو بصونها لهيبته، وبالإحسان إليها، أو بتزويجها، أو

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص368.

² البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص47.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 34 البيوع، باب 66 بيع العبد الزاني، ج4، ص369، رقم2152. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 29 الحدود، باب 6 رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، ج3، ص1328، رقم1703.

⁴ في الخازن: "التأين".

⁵ النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن حزام الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، القدوة، الحافظ، الزاهد، العابد، الفقيه المجتهد الرباني، شيخ الإسلام، صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان، واشتهرت بأقاصي البلدان، ولد في المحرم سنة 631هـ بنوى، من تصانيفه: "شرح مسلم"، و"رياض الصالحين"، و"الأذكار"، و"مختصر علوم الحديث"، وهو "الإرشاد"، ثم اختصره وسمّاه "التقريب"، وتحرير ألفاظ التنبيه". توفي سنة 676هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص411.415، رقم الترجمة 6618. بتصرف.

⁶ هذه الزيادة في شرح صحيح مسلم.

بغير ذلك، والله تعالى أعلم¹. وقال ابن جزري: "فاقتضت الآية حد الأمة إن تزوجت، ويؤخذ حد غير المتزوجة من السنة، وهو مثل حد المتزوجة، هذا على قراءة ﴿أُحْصِنَ﴾ بضم الهمزة وكسر الصاد، وقرئ بفتحها²، ومعناه: أسلمن، وقيل: تزوجن، والعذاب هنا الحد"³. ﴿ذَلِكَ﴾ بالحذف حيث وقع، والإشارة إذا تزوج الإمام عند عدم الطول مبتدأ، خبره ﴿لِمَنْ﴾ أي الذي، واللام للاختصاص ﴿خَشِيَ﴾ خاف ﴿أَلْعَنَتَ﴾ الزنى ﴿مِنْكُمْ﴾ أيها الرجال، ومن تبعيضية، يقول الله تعالى إذا لم يستطع الحر طولاً، لأن ينكح الحرة، فإنه يباح له نكاح الإمام، بشرط خوف الزنى. قال في اللباب: "والمعنى: ذلك لمن خاف أن يحمله شدة الشبق والغلمة⁴ وشدة الشهوة على الزنى، وإنما سمي الزنى بالعت للمشقة بغلبة الشهوة التي ينشأ عنها. وتحصل مما مر أن نكاح الأمة يجوز بثلاثة شروط: عدم القدرة على نكاح الحرة، وخوف العنت، وكون الأمة مؤمنة"⁵. ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ أيها الرجال، عن نكاح الإمام متعفين مبتدأ، خبره ﴿خَيْرٌ﴾ أفضل ﴿لَكُمْ﴾ وهذا ندب إلى تركه، وعلته ما يؤدي إليه من استرقاق الولد، ويظهر أن اللام لشبه التمليك. وقال في الضياء: "﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ عن نكاح الإمام متعفين خير لكم، لئلا يصير الولد رقيقاً، ولقوله عليه الصلاة والسلام: <الحرائر صلاح البيت، والإمام هلاكه>⁶، ولأنها خراجة ولاجة ممتحنة مبتدلة، وذلك كله نقصان ومهانة، ولهذا كان مكروهاً، وللشافعي رحمه الله تعالى: [الطويل]

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص368. النووي، شرح صحيح مسلم، ج11، ص212.

² أحمد البنا الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ج1، ص509.

³ ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص188.

⁴ "الغلمة". بالضم. شهوة الضَّرَاب". ابن منظور، لسان العرب، مادة غ ل م، ج12، ص439.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص368.

⁶ أبو شجاع الدبلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، ج2، ص161، رقم2820.

إذا لم تكن في منزل المرء حرة ~ تدبره ضاعَت مصالح داره¹.

انتهى. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن لا يصبر عن نكاح الإماء ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم، حيث وسع لكم في ذلك. قال في الباب: "وهذا كالتوكيد لما تقدم، يعني أنه تعالى غفر لكم ورحمكم، حيث أباح لكم ما أنتم محتاجون إليه"². انتهى. وقوله: ﴿رَحِيمٌ﴾ فاصلة الآية الخامسة. ﴿يُرِيدُ﴾ يحب ﴿اللَّهُ لِيُبَيِّنَ﴾ "والسلام مصدرية، مثل" أن، قاله ابن جزى عن الكوفيين³. وقيل: زائدة مؤكدة، وقيل: للتعليل، والمفعول محذوف، أي يريد الله إنزال هذه الآية لأجل أن يبين ﴿لَكُمْ﴾ دينكم، ويوضح لكم شرعكم، ومصالح أموركم، يعني من الرزق والمال، فالآية إذاً في المؤمنين، وأما الكافرون فأعدَّ لهم عذاباً مهيناً. انتهى. وقال في الضياء: "﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ العلم والغنى، بالتفاخر⁴ للناس، ليس عندنا، ليس معنا، وهي حرام، لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾⁵ وهم اليهود وكل من اتصف بذلك"⁶. انتهى. وقاله السيوطي: "﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من العلم والمال، وهم اليهود، وخبر المبتدأ لهم وعيد شديد"⁷. انتهى. ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ يقال: اعتد الشيء وأعدّه إذا هيأه، والضمير لله سبحانه، أخبر عن نفسه بالعظمة التي ليست لغيره، إيذاناً بأن العذاب الذي هيأه لهم، ليس كما يهيئ الملوك في الدنيا من العذاب، فهو خارج عما في مألوف العادة من العذاب ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ الجاحدين نعم

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص176.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص369.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص188.

⁴ في ضياء التأويل: "بالتفاخر".

⁵ الضحى، 11.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص181.

⁷ السيوطي، تفسير الجلالين، ص106.

الله عليهم، إما على أن ما قبله في المؤمنين، فالأمر ظاهر، وإما على أن ما قبله في الكفار، فالذي يظهر أنه عدل عن الضمير، ليفيد أن هذا العذاب ليس خاصاً بهؤلاء الكفار، بل هو لهم ولغيرهم من سائر الكفار. وقوله: ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ يحتمل عندي أن يكون لغواً متعلقاً بـ «أعتدنا»، وأن يكون مستقراً حال مما بعده، واللام الأول للاختصاص، وكذا على الثاني، والله تعالى أعلم. ﴿عَذَابًا﴾ بالإثبات، عقاباً من العذاب، وهو المنع، لأنه يمنع الراحة. قال في اللباب: "وحقيقة العذاب هو ما يؤلم الإنسان ويعيبه ويشق عليه، وقيل: هو الإيذاء¹ الشديد، وقيل: هو ما يمنع الإنسان من مراده، ومنه الماء العذب، لأنه يمنع العطش"². انتهى.

﴿مُهِينًا﴾ فاصلة الآية السابعة، أي ذا إهانة، أي خزي وحقنٌ للقدر. وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: >خصلتان لا يجتمعان في قلب مؤمن: البخل، وسوء الخلق<. أخرجه الترمذي³، وقال: "حديث غريب". انتهى. وقال السيوطي: "﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ بذلك ولغيره"⁴ ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾⁵. انتهى.

ولما ذكر. جلت قدرته. البخل وما له من الإهانة، ذكر المنفق المشاكل له بقوله: ﴿وَالَّذِينَ عَظِفَ عَلَى﴾ الذين قبله، قاله غير واحد، فهما جزء من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾، ﴿يُنْفِقُونَ﴾ يعطون ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ بالخذف ﴿رِثَاءَ﴾ وصورة الهمزة الأولى ياء ﴿النَّاسِ﴾ بالإثبات حيث وقع، مفعول له، أو مفعول في موضع الحال، أي مرأين بها، أي أروا الناس خلاف ما هم عليه، فهم ينفقون في الظاهر بوجه حسن، وهم في الحقيقة ليسوا كذلك، وإنما أنفقوها ليقال: إنهم أهل جود وكرم، وليسمع

¹ "التألم: التوجع، والإيلام الإيذاء". ابن منظور، لسان العرب، مادة أ ل م، ج12، ص22.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص379.

³ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 28، باب 41 ما جاء في البخل، ج4، ص302، رقم1962. قال الترمذي: "هذا حديث غريب".

⁴ في تفسير الجلالين: "وبغيره".

⁵ السيوطي، تفسير الجلالين، ص106.

عنهم ذلك، وليس من ذلك شيء لوجه الله تعالى. قال في القاموس: "رأيتُه مرآة ورئاء رأيتُه على خلاف ما أنا عليه، كُريتُه تريئة"¹. انتهى. وقال في اللباب: "﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ يعني للفخار والسمعة، وليقال: ما أسخاهم! وما أجودهم! وهم لا يريدون بما أنفقوا وجه الله تعالى. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: > قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه"². نزلت هذه الآية في اليهود، وقيل: في المنافقين، لأن الرياء ضرب من النفاق، وقيل: نزلت في المشركين المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم"³. انتهى. وقال ابن جزى: "﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ عطف على ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ وقيل: عطف على الكافرين، والآية في المنافقين الذين ينفقون في الزكاة والجهد رياء وممانعة، وقيل: في اليهود، وقيل: في مشركي مكة الذين أنفقوا أموالهم في حرب المسلمين"⁴. انتهى. ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدقون، عطف على ﴿يُنْفِقُونَ﴾، ﴿بِاللَّهِ وَلَا﴾ يؤمنون ﴿بِالْيَوْمِ﴾ يظهر أن الباء في ﴿بِالْيَوْمِ﴾ للإلصاق ﴿الْآخِرِ﴾ قوله: ﴿وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بباء الجر، ولا قبلها، ولم يقع في القرآن: لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إلا في موضعين، هذا أحدهما، والآخر في التوبة، وهو قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ الْأَظْهَارُ الَّتِي لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾⁵ وما عدا هذين، واليوم الآخر بدون لا وباء الجر. قال في اللباب: "﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يعني: ولا يصدقون بتوحيد الله تعالى ولا بالمعاد الذي فيه

¹ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب الواو الياء، فصل الرءاء، ص 1609.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب 53 الزهد الرقائق، باب 5 من أشرك في عمله غير الله، ج 4، ص 2289، رقم 2985.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 379.

⁴ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 191.

⁵ التوبة، 29.

جزء الأعمال أنه كائن"¹. انتهى. وقوله: ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هو كالعلة فيما قبله، يعني: أنهم لم يحصل منهم الإيمان، حتى يكون باعثاً لهم على الحذر مما يحبط العمل كالرياء. وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: > أول من يدخل النار: مسلم صرف ماله في وجوه البر، لا إخلاصاً، بل ليقال، فذلك حظه². نقله في الضياء³. وقال الثعالبي: "قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ إلخ، الصحيح أنه في المنافقين، والذين في موضع رفع بالابتداء، والخبر محذوف، تقديره: بعد اليوم الآخر معذبون"⁴. انتهى. ثم بيّن المضل لهؤلاء وغيرهم بقوله: ﴿وَمَنْ﴾ شرط جازم للفعل بعده ﴿يَكُنْ﴾ كسرت النون لالتقاء الساكنين ﴿الشَّيْطَانُ﴾ بالحذف ﴿لَهُ﴾ الضمير عائد على مَنْ، ويظهر أنها هي ومدخولها مستقر حال مما بعده، واللام لشبه التمليك، ويحتمل أن يكون مستقراً خبر يكن، والله تعالى أعلم. ﴿قَرِينًا﴾ خبر ﴿يَكُنْ﴾ أي خليلاً ملازماً على الأول، حال مؤكدة على الثاني ﴿فَسَاءَ﴾ بئس هو، أي الشيطان ﴿قَرِينًا﴾ صاحباً ملازماً، تمييز مفسر للضمير في ساء، والمخصوص محذوف تقديره: هو كما فسرت. قال في اللباب: "﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ يعني: من يكن الشيطان خليله وصاحبه، فبئس صاحب، وبئس الشيطان. والمعنى: من يكن عمله مما سؤل له الشيطان، فبئس العمل عمله. وقيل: هذه في الآخرة، يجعل الله الشياطين قراءهم في النار، يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة. ثم وبخهم الله تعالى على ترك الإيمان"⁵ فقال: ﴿وَمَاذَا﴾ استفهامية، يحتمل عندي أن يكون ماذا اسماً واحداً مستفهماً به، أي وأي شيء؟ ويحتمل أن تكون ذا بمعنى الذي، خبر ما وصلتها ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وقوله: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ، أي أي

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص379.

² لم أعثر عليه في صحيح مسلم.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص182.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص444.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص379.

ضرر ووبال عليهم؟ أي لا ضرر يلحقهم ﴿لَوْ﴾ مصدرية، كما صرح به غير واحد، والمصدر في موضع نصب بنزع الخافض متعلق بالكون في الخبر ﴿ءَامَنُوا﴾ صدقوا ﴿بِاللَّهِ﴾ أي بأنه واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، وأنه متصف بصفات الجلال والكمال ﴿وَالْيَوْمِ﴾ أي وماذا عليهم لو آمنوا باليوم الآخر وما فيه من حشر ونشر وصراط وميزان وغير ذلك، قوله: ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فيه أنه هو آخر الأيام. قال في اللباب: "يعني: وأي شيء عليهم؟ وأي وبال وتبعة يلحقهم في الإيمان بالله واليوم الآخر والإنفاق في سبيله وابتغاء مرضاته؟"¹. انتهى.

وكون ﴿لَوْ﴾ مصدرية، كما هنا على غير الغالب، والغالب أنها لا تكون مصدرية إلا إذا تلت ما يفهم. انتهى. نحو: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾²، ﴿وَأَنْفَقُوا﴾ أعطوا، عطف على ﴿ءَامَنُوا﴾ فهو من مدخول ﴿لَوْ﴾، "وأصل الإنفاق الإخراج عن اليد والملك، ومنه نفاق السوق، لأنه تخرج فيه السلعة عن اليد، ومنه: نفقت الدابة إذا خرجت روحها"³، قاله البغوي. ﴿مِمَّا﴾ من تبعيضية، وما موصولة، ويظهر أن من ومدخولها في محل الصفة لموصوف محذوف، أي شيئاً أو بعضاً من الذي ﴿رَزَقَهُمُ﴾ أعطاهم ﴿اللَّهُ﴾ في سبيله، لا رياء، وفي هذا الكلام تقبيح لما هم عليه، واستدعاؤهم إلى ما يفلحون به، وبيان لأن الذي هم عليه هو الضرر والوبال. "والعاقل يسارع إلى ما فيه احتمال نفع، فكيف والمدعو إليه منبع كل سعادة"⁴، قاله في الضياء. ﴿وَكَانَ﴾ بالإثبات، أي لم يزل ﴿اللَّهُ﴾ ولا خلاف بين الأئمة في حذف الألف من "الله" و"اللهم" ﴿بِهِمُ﴾ الضمير عائد على الذين ينفقون رثاء ولا يؤمنون، والعامل فيه قوله: ﴿عَلِيمًا﴾ قدم المعمول للفاصلة التاسعة، يعني: إن الله تعالى مطلع على جميع أعمالهم، فيجازيهم بها، وفيه توعدهم. قال في الضياء: ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص379.

² البقرة، 96.

³ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج1، ص38.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص182.

بِهِمْ عَلِيمًا ﴿١﴾ فيجازيهم بما عملوا، و﴿٢﴾ عَلِيمًا ﴿٣﴾ بأنهم لا يؤمنون، فلذا لا تجري فيهم الآيات" ¹. انتهى. وقال في الباب: "يعني: لا يخفى عليه شيء من أعمال هؤلاء الذين ينفقون أموالهم لأجل الرياء والسمعة" ². ففيه وعيد شديد، ثم بين لهم أنهم ينالون الجزاء الأوفر، بحيث لا ينقصون من ثواب أعمالهم الحسنة لو حصلت، ولا يزداد في سيئاتهم أدنى أدنى جزء، بقوله: ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ ﴿٥﴾ أَكَدَ بِالْجُمْلَةِ الْأَسْمِيَّةِ، وَ﴿٦﴾ إِنَّ ﴿٧﴾ الْمَكْسُورَةَ وَالْإِسْتِنَافَ ﴿٨﴾ لَا يَظْلِمُ ﴿٩﴾ أَيُّ لَا ينقص من الحسنات، ولا يزيد في السيئات ﴿١٠﴾ مَثْقَالَ ﴿١١﴾ بِالْإِثْبَاتِ، مِنْ الثَّقَلِ، أَيُّ وزن ذرة. قال السيوطي: "أصغر نملة" ³. انتهى. ظاهره حمراء وسوداء. وقال ابن جزى: "والذرة: النملة الصغيرة" ⁴. انتهى. وظاهره كذلك. وقال في القاموس: "الذر: صغار النمل، ومائة منها زنة حبة شعير، الواحدة ذرة" ⁵. انتهى. وظاهره أيضًا كذلك. وقال الثعالبي: "الذرة الصغيرة الحمراء من النمل" ⁶. وقال البغوي: "والذرة: هي النملة الحمراء الصغيرة" ⁷. انتهى. "وهذا مثل ضربه الله لأقل الأشياء، والمعنى: أن الله لا يظلم أحدًا شيئًا من قليل ولا كثير، فخرج الكلام على أصغر شيء تعرفه ⁸ الناس" ⁹، قاله في الباب. وقال البغوي: "وهذا مثل يريد أن الله لا يظلم شيئًا، كما قال في آية أخرى: ﴿١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا ﴿١١﴾". انتهى. وقال في الباب: "قال ابن عباس: الذرة رأس نملة حمراء. وقيل: الذرة كل جزء من أجزاء الهباء الذي

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص182.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص380.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص107.

⁴ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص192.

⁵ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الرء، فصل الذال، ص506.

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص444.

⁷ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص66.

⁸ في الخازن: "يعرفه".

⁹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص380.

¹⁰ يونس، ص44.

¹¹ انظر: معالم التنزيل في المصدر السابق.

يكون في الكوة إذا كان فيها ضوء الشمس، ولا وزن لها، وهذا مثل ضربه الله لأقل الأشياء"¹. إلخ. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾. قال في اللباب: "نظم الكلام: وماذا عليهم لو آمنوا وأنفقوا، فإن الله لا يظلم مثقال ذرة، أي لا يبخس أحداً ولا ينقص من ثواب عمله وزن ذرة"². انتهى. وقال في الضياء: "﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة، بأن ينقصها من حسناته، أو يزيدها في سيئاته. وعن ابن عباس أنه أدخل يده في التراب وأخرجها وقال: كل هذا ذرات. والمثقال مفعال من الثقل"³. انتهى. وقال الثعالبي: "وقرأ ابن عباس: مثقال نملة. وقال قتادة⁴: عن نفسه، ورواه عن بعض العلماء: لأن تفضل حسناتي (على سيئاتي)⁵ بمثقال ذرة، أحب إلي من الدنيا جميعاً"⁶. انتهى. وروى البغوي⁷ بسنده "عن أنس رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: <إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزي بها في الآخرة>، قال: <وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا، حتى إذا أفضى على الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيراً>⁸. انتهى. وروى البغوي⁹ بسنده أيضاً: "عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص380.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص380.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص182.

⁴ قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر، الأمير، المجاهد، أبو عمر الأنصاري، الظفري، البصري، من كبار الصحابة، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه، وهو الذي وقعت عينه على خدّه يوم أُخِذَ فأتى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فغمزها رسول الله عليه الصلاة والسلام بيده الشريفة، فردّها، فكانت أصحّ عينيه، وكان من الرماة المعدودين، وله أحاديث، توفي سنة 23هـ بالمدينة، ونزل عمر يومئذ في قبره. العسقلاني، الإصابة، ج5، ص416، 417. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص395، 396، رقم الترجمة 298. بتصرف.

⁵ هذه الزيادة في تفسير الثعالبي.

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص444.

⁷ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج1، ص66.

⁸ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج3، ص125.

⁹ انظر: معالم التنزيل في المصدر السابق.

عليه وسلم: >إذا خلاص المؤمنون من النار وأمّنوا، فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا بأشد من مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار<، وقال: >يقولون: ربنا، إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويحجون معنا، فأدخلتهم النار، فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم، فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم، لا تأكل النار صورهم، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه، فيخرجونهم فيقولون: يا ربنا، قد أخرجنا من أمرتنا<، قال: >ثم يقول: أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة<. قال أبو سعيد: فمن لم يصدق بهذا، فليقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّمُ مَثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. قال: >فيقولون: ربنا، قد أخرجنا من أمرتنا، فلم يبق في النار أحد فيه خير، ثم يقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفعت الأنبياء، وشفعت المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين<، قال: >فيقبض قبضة من النار<، أو قال: >قبضتين، فيخرج ناسًا لم يعملوا لله خيرًا قط، قد احترقوا حتى صاروا حممًا، فيؤتى بهم إلى ماء يقال له: ماء الحياة، فيصب عليهم، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل<، قال: >فتخرج أجسادهم مثل اللؤلؤ في أعناقهم الخاتم عتقاء الله، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فما عاينتم أو رأيتم من شيء فهو لكم<، قال: >فيقولون: ربنا، أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين<، قال: >فيقول: فإن لكم عندي أفضل منه، فيقولون: ربنا، وما أفضل من ذلك، فيقول: رضائي عنكم، فلا أسخط عليكم أبدًا<¹. وروى بسنده أيضًا: "عن عبد الله بن المبارك عن أبي عبد الرحمن المغافري² ثم الحبلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص³ يقول: قال

¹ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج3، ص94.

² لم أعر على ترجمة له.

³ عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سَعِيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن حصيص ابن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام، الحنّ، العابد، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن صاحبه، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل أبو نُصَيْر القرشي، له مناقب وفضائل. ومقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علمًا جمًّا، يبلغ ما أسند: 700 حديث، وله منها في

رسول الله صلى الله عليه وسلم: >إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً ظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، يا رب، فيقول: أفلك عذر أو حسنة؟ فبهت الرجل، قال: لا، يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة، فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، وثقلت البطاقة فلا يثقل على اسم الله شيء¹. وقال قوم: الآية واردة في الخصوم. وروي عن عبد الله بن مسعود قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، ثم نادى مناد: ألا من كان يطلب مظلمة فليجأ إلى حقه، فليأخذ، فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده وولده أو زوجته أو أخيه، فيأخذ منه، وإن كان صغيراً، ومصدق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾² الآية، ويؤتى بالعبد، وينادي مناد على رؤوس الأولين والآخرين: هذا فلان بن فلان، من كان له عليه حق، فليأت إلى حقه، ثم يقال: آت هؤلاء حقوقهم، فيقول: يا رب، من أين، وقد ذهب الدنيا؟ فيقول الله عز وجل للملائكة: انظروا في أعماله الصالحة، فأعطوهم منها، فإن بقي من حسناته مثقال ذرة، قالت الملائكة: بقي له مثقال ذرة من حسنة، فيقول: ضعفوه لعبدي، وأدخلوه بفضل رحمتي الجنة، ومصدق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا﴾³، وإن كان عبداً شقياً، قالت الملائكة: إلهنا، ففيت حسناته، وبقي طالبون، فيقول الله عز وجل: خذوا من سيئاتهم، فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صكوا له صكاً إلى النار. أي اكتبوا له كتاباً إلى النار، كما في رواية، فمعنى الآية على هذا التأويل أن الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم، بل يأخذ له منه،

الصحيحين، مات ليالي الحرّة سنة 63هـ. العسقلاني، الإصابة، ج4، ص192، 193. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص79 وما بعدها، رقم الترجمة 17. بتصرف.

¹ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 41، باب 17 ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، ج5، ص25، رقم 2639. قال الترمذي: "حديث حسن".

² المؤمنون، 101.

ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له، بل يشبه عليها ويضعفها له"¹. ﴿وَإِنْ﴾ تحصل فهي تامة
﴿حَسَنَةً﴾ بالرفع، فاعل ﴿تَكُ﴾ بذلك قرأ الحرمين² وأبو جعفر والسبعة الباقيون
بالنصب، قاله في النشر³، وعلى قراءة النصب فـ ﴿تَكُ﴾ ناقصة، واسمها ضمير يعود على زنة
الذرة، أي: "وإن تك زنة الذرة حسنة"⁴. انتهى، قاله البغوي. ومعنى كلام هذا المفسر: أن
الضمير عائد على ﴿مِثْقَالٍ﴾، وأنت لأنه بمعنى الزنة، هذا ما ظهر لي في معنى كلامه، وقد
يقال: أنه لأنه مضاف إلى مؤنث، وقد يقال أيضاً: إن الضمير يعود على الذرة، والله تعالى
أعلم بمrade وأسرار كتابه. قال في الضياء: "وإن تك الذرة أو مثقال الذرة، أنت الضمير لتأنيث
الخبر، أو لإضافة المثلث إلى المؤنث"⁵. انتهى. ﴿يُضَعِّفُهَا﴾ بالحذف، أي يجعلها أضعافاً
كثيرة، وقد مر الكلام على القراءة في البقرة ﴿وَيُؤْتِ﴾ بحذف الآخر للجزم، يعط
﴿مِنْ﴾ ابتدائية ﴿لَدُنْهُ﴾ يحتمل عندي أن يكون لغواً متعلقاً بـ يؤت، وأن يكون مستقراً في
موضع الحال من قوله: ﴿أَجْرًا﴾ ثواباً، مفعول يؤت الثاني، والأول محذوف تقديره: العامل
المحسن ﴿عَظِيمًا﴾ كبيراً، فاصلة الآية المكملة للأربعين من سورة النساء، والأجر العظيم
هو الجنة. قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: إذا قال تعالى: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فمن يقدر
قدره؟ والمعنى: ويعطي الله مع المضاعفة من عنده أجراً عظيماً. قال بعض المتأولين: هذه الآية
خُص بها المهاجرون، لأن الله تعالى أعلم في كتابه أن الحسنة لكل مؤمن مضاعفة عشر مرات،
وأعلم في هذه الآية أنها مضاعفة مراراً كثيرة حسب ما روى أبو هريرة رضي الله عنه من أنها
تضاعف ألفي مرة، وروى غيره ألف ألف مرة، وقال بعضهم: بل وعد بذلك جميع المؤمنين.
قال ابن عطية: "والآية تعم المؤمنين والكافرين، فأما المؤمنون فيجازون في الآخرة على مثاقيل

¹ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص68، 69.

² نافع وابن كثير.

³ ابن الجزري، النشر للقرآت العشر، ج3، ص30.

⁴ انظر: معالم التنزيل في المصدر السابق.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص182.

الذر فما زاد¹، وأما الكافرون فما يفعلون من خير، فإنه يقع عليه المكافأة بنعم الدنيا، ويأتون يوم القيامة ولا حسنة لهم². ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: <إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على الأرض من حجر و شجر>³. وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: <ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم، سلم سلم>. وفيه: <فيمر المؤمنون كطرف العين⁴ وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم ومخدوش ومرسل ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خلاص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده، ما أنتم بأشد مناشدة في الحق، قد بين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار، إذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم، فيقولون: ربنا، إنهم كانوا يصومون ويصلون ويحجون> إلخ. وفيه: قيل: يا رسول الله، ما الجسر؟ قال: <دحض مزلة، فيها خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين> إلخ. ولما أعلم الله عز وجل بتحقيق الأحكام يوم القيامة في هذه الآية التي انقضت، حسن بعد ذلك التنبيه على الحالة التي يحصر ذلك فيها ويحاء فيها بالشهداء على الأمم، فلذلك قال جل وعلا: ﴿فَكَيْفَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي فكيف حال الكفار أو مطيعيهم؟ أو التقدير: فكيف يطيعون؟ انظر: الضياء، وغيره. وعلى هذا الأخير: ﴿فَكَيْفَ﴾ أما في محل نصب على أنها مفعول مطلق، والناصب له يصنعون، أو حال من الواو، وفي يصنعون، وفي هذا الاستفهام الواقع منه سبحانه وتعالى من الدلالة على عظم الهول الواقع بهم ما تحار فيه العقول، والاستفهام للتوبيخ ﴿إِذَا﴾ إما متعلق بـ يصنعون

¹ في الأصل: "فأما المؤمن فيجازى في الآخرة على مثقال الذر فما زاد"، وفي تفسير ابن عطية: "فأما المؤمنون فيجازون في الآخرة على مثاقيل الذر فما زاد".

² ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص54.

³ البزار، مسند البزار، انظر: الهيتمي، كشف الأستار عن زوائد البزار، ج3، ص424، 425، رقم2620، قال الحافظ الهيتمي في مجمع الزوائد (9/171): "رواه البزار، فيه من لم أعرفه".

⁴ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 1 الإيمان، باب 81 معرفة طريق الرؤية، ج1، ص169، رقم183.

المقدّر، و إما بالكون على تقدير حال أو صنيع ﴿جِئْنَا﴾ الضمير لله تعالى ﴿مِنْ﴾ الظاهر أنها تبعية، وأنها هي ومدخولها في موضع نصب على الحال من شهيد ﴿كُلِّ أُمَّةٍ﴾ جماعة من الناس ﴿بِشَهِيدٍ﴾ أي شاهد، أي مخبر بتصديقهم وتكذيبهم، فهو يشهد لهم وعليهم، وهو نبيهم المبعوث إليهم، يقول الله تعالى كيف يكون حال هؤلاء المنافقين والمشركين يوم القيامة إذا جئنا من كل أمة بشهيد يشهد عليها ولها، وهو نبيهم المبعوث إليهم؟ قال في الباب: "والمعنى: أنه يؤتى نبي كل أمة بشهيد¹ يشهد عليها ولها"²، وهو نبيهم المبعوث إليهم. وقال الثعالبي: "ومعنى الآية: أن الله سبحانه يأتي بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب"³. انتهى. وقال في الضياء: "والعامل في ﴿إِذَا﴾ مضمون الجملة، أي عظم الأمر، أو هو المبتدأ المقدّر، أو الفعل المحذوف"⁴. انتهى. ﴿وَجِئْنَا﴾ عطف على ﴿جِئْنَا﴾ قبله ﴿بِكَ عَلَى﴾ يا محمد، والباء في الموضعين للتعدي أو المصاحبة المعنوية على متعلق ﴿بِشَهِيدٍ﴾، ﴿هَؤُلَاءِ﴾ يعني بهم أمة الدعوة، فيعم المؤمنين والكافرين ﴿شَهِيدًا﴾ أي شاهداً، فاصلة الآية الأولى بعد الأربعين من سورة النساء، وقوله ﴿شَهِيدًا﴾ أي مخبراً بما وقع من المشهود عليه، وقدم المعمول للفاصلة، فإن قيل: قوله تعالى على هؤلاء شامل للمؤمنين والكافرين، ف ﴿عَلَى﴾ في حق الكفار والتعبير بها في غاية الوضوح، فما وجه التعبير بها بالنسبة للمؤمنين؟ فالجواب: أن الرسول كالقريب على أمته، فلذا عدى ﴿شَهِيدًا﴾ بـ ﴿عَلَى﴾ لما فيه من معنى الرقيب، انظر: ما مر في البقرة عند قوله تعالى: ﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾⁵، وقوله عزّ

¹ كلمة "بشهاد" غير موجودة في الباب.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص381.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص446.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص182.

⁵ البقرة، 143.

وجلّ: ﴿شَهِيدًا﴾ يعني تشهد عليهم ما دمت فيهم، كما قال تعالى حكاية عن السيد عيسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾¹. قال في اللباب: "﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ يعني تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن وخوطبوا. روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <اقرأ علي القرآن>، فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك، وعليك أنزل! قال: <إني أحب أن أسمعه من غيري>، قال: فقرأت عليه سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال: <حسبك الآن>، قال: فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان"². زاد مسلم³: <شهيدي ما دمت فيهم>، أو قال: <ما كنت فيهم>، شك أحد رواته"⁴. انتهى. وفي البخاري أيضًا عن عقبة بن عامر⁵ قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <إني بين يديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها>، قال عقبة: فكانت آخر

¹ المائدة، 117.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 66 فضائل القرآن، باب 33 قول المقرئ للقارئ حسبك، ج 9، ص 94، رقم 5050. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 6 صلاة المسافرين وقصرها، باب 40 فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع، ج 1، ص 551، رقم 800.

³ انظر: صحيح مسلم في المصدر السابق.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 381.

⁵ عقبة بن عامر بن عيس بن مالك الجهني. أمير من الصحابة، كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد صفين مع معاوية، وحضر فتح مصر مع عمرو بن العاص، وولي مصر سنة 44هـ، ثم عُزل عنها سنة 47هـ، وولي غزو البحر، كان شجاعاً فقيهاً، شاعراً قارئاً، له 55 حديثاً، وفي القاهرة مسجد "عقبة بن عامر" بجوار قبره. توفي سنة 58هـ. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 4، ص 522. الزركلي، الأعلام، ج 4، ص 241. بتصرف.

نظرة نظرَها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم¹. ولما استفهم عن حالهم بما يقتضي شدة التهويل بيّن طرفاً من ذلك بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم المحيى بالشهداء، وهو يوم القيامة، نصب بقوله: ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى، أو به ويكتمون ﴿الَّذِينَ﴾ اسم صيغ ليتوصل به إلى وصف المعرفة بالجملة ﴿كَفَرُوا﴾ يعني جحدوا وحدانية الله تعالى ﴿وَعَصَوْا﴾ عطف على ﴿كَفَرُوا﴾ فهو من الصلة ﴿الرَّسُولَ﴾ الظاهر أن المراد به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن يراد به الجنس، وهو الذي في الضياء²، ونظيره: أو الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴿لَوْ﴾ مصدرية ﴿تُسَوَّى﴾ تنطبق ﴿بِهِمْ﴾ يظهر أنها بمعنى عليهم، يعني الذين كفروا وعصوا الرسول ﴿الْأَرْضُ﴾ قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر ﴿لَوْ تَسَوَّى﴾ بفتح التاء وتشديد السين، وحمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين، والباقون بضم التاء وتخفيف السين، قاله في النشر³، وعلى القراءة الأولى ففيها إدغام التاء في الأصل في السين، وعلى الثانية ففيها حذف إحدى التاءين إن كان مضارعاً، وهو الظاهر بدليل القراءتين، وتحتمل أن تكون ماضياً، وعلى القراءة الثالثة فالفعل مضارع مبني للمفعول، فالأرض نائب على الأخيرة وفاعل على الأولين، وهنا تأويلات ثلاث: أحدها: أن المعنى: يتمنون حينئذ أن يصيروا في الأرض فتسوى عليهم، ويظهر على هذا التأويل أن الباء بمعنى على. ثانيها: أن المعنى: أنهم يودون أنهم لم يبعثوا فيكونون في الأرض وهي مسواة عليهم، ويظهر على هذا التأويل أيضاً أن الباء بمعنى على. ثالثها: يودون أنهم يكونون تراباً، ويقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً. قال الكلبي: يقول الله تعالى للبهائم والوحوش والطيور والسباع كوني تراباً فتسوى بهم الأرض، فعند ذلك يتمنى الكافر لو كان تراباً⁴، قاله⁴ في اللباب⁵. وقوله في التأويل الأول:

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 64 المغازي، باب 17 غزوة أحد، ج 7، ص 348، 349، رقم 4042.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 183.

³ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 3، ص 30.

⁴ في الأصل: "قال"، والصواب: "قاله".

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 381.

أن يصيروا في الأرض فتسوى عليهم، معناه: أنهم تمنوا الموت والدفن. انظر: الضياء¹، أو معناه: تنشق الأرض فيحصلون في جوفها، ثم تسوى هي في نفسها عليهم، كما يفيدته الثعالبي²، والله تعالى أعلم. ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ﴾ لا يخفون، عطف على ﴿تُسَوَّى﴾ فهو داخل في حيز التمني، كما يفيدته الباب³. ﴿اللَّهُ﴾ إما مفعول ﴿يَكْفُرُونَ﴾ الأول، ويكون قوله: ﴿حَدِيثًا﴾ مفعولاً ثانياً، ونظيره⁴: [الطويل]

كتمتك ليلاً بالجموحين ساهراً ~ وهمين همماً مستكنّاً و ظاهراً

وإما منصوب بنزع الخافض، أي عن الله، و قوله: ﴿حَدِيثًا﴾ فاصلة الآية الثانية بعد الأربعين، يعني ما حدثوا به في التوراة والإنجيل من أمر محمد صلى الله عليه وسلم. قال في الباب: "قال ابن عباس في رواية عطاء: ودوا لو تسوى بهم الأرض، وأنهم لم يكونوا كتموا⁵ أمر محمد صلى الله عليه وسلم، ولا كفروا به، ولا نافقوه، فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتموا في الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبعثه، وهو كلام متصل بما قبله، يعني لو تسوى بهم الأرض. وقيل: بل هو كلام مستأنف. قال سعيد بن جبير: سأل رجل ابن عباس فقال: إني أجد أشياء في القرآن تختلف عليّ؟ قال: هات ما يختلف عليك، قال: منها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾، ومنها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾⁶، رجاء أن يغفر لهم فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، فعند ذلك عرفوا أن الله لا يكتهم حديثاً، وعنده: ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلاً من عند الله. وقال الحسن: إنها مواطن، ففي موطن لا

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص183.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص447.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص381.

⁴ لم أعثر على قائله.

⁵ في الأصل: "اكتبسوا"، وفي الباب: "كتموا".

⁶ الأنعام، 23.

يتكلمون، ولا تسمع إلا همساً، وفي موضع يتكلمون ويتحدثون ويقولون: ﴿وَاللَّهُ رَئِيَّا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾¹ وما كنا نعمل من سوء، وفي موضع يعترفون على أنفسهم، وهو قوله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾²، وفي موضع لا يتساءلون: ﴿فَلَا أُنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾³، وفي موطن يتساءلون: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾⁴، وفي موطن يسألون الرجعة، وآخر المواطن يختم الله على أفواههم وتكلم جوارحهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْنُتُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾⁵. انتهى بزيادة. وقال ابن جزى: "﴿وَلَا يَكْنُتُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ استئناف، فإن قيل: كيف هذا مع قولهم: ﴿وَاللَّهُ رَئِيَّا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾⁶؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أن الكتم لا ينفعهم، لأنهم إذا كتموا تنطق جوارحهم. والآخر: أنهم طوائف مختلفة"⁷. انتهى. قال في الضياء: "ولما ذكر أهوال القيامة أردفها بالمحافظة على أشرف الرسائل⁸ في ذلك اليوم، وهو الصلاة، فقال"⁹ مخاطباً للمؤمنين: ﴿يَتَأْتِيهَا﴾ بالحذف حيث وقع، وقد مر الكلام على تفسيرها غير ما مرة، فليراجع، ﴿الَّذِينَ﴾ موصول مبني، وهو جمع الذي، و﴿الَّذِينَ﴾ هنا في موضع رفع، نحو: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾، ﴿ءَامَنُوا﴾ صدّقوا بالله ورسوله ﴿لَا تَقْرَبُوا﴾ قال صاحب هذا التفسير: يظهر أنه مضمن معنى لا تفعلوا على تفسير الصلاة بالقربة المعروفة ﴿الصَّلَاةُ﴾ بالواو

¹ الأنعام، 23.

² الملك، 11.

³ المؤمنون، 101.

⁴ الصافات، 27. الطور، 25.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص381، 382.

⁶ الأنعام، 23.

⁷ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص192.

⁸ في ضياء التأويل: "الوسائل".

⁹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص183.

مكان الألف، والمراد بالصلاة هنا الصلاة المعروفة. وقالت طائفة: المراد بالصلاة هنا موضع الصلاة والصلاة معاً ﴿وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ بضم السين كحفارى، وبالحذف جملة حالية، أي لا تقربوا الصلاة في حال كونكم سكارى من الخمر ﴿حَتَّى﴾ غائبة للنهي عن الصلاة ﴿تَعْلَمُوا﴾ تعرفوا ﴿مَا نَقُولُونَ﴾ المعنى: حتى تعود إليكم عقولكم، فتعلموا ما تقولون. والآية نزلت قبل تحريم الخمر، وجمهور المفسرين على أن المراد سكر أي الخمر. وقال الضحاك: سكر النوم. وهذا قول ضعيف. قال ابن العربي: "في الأحكام" روي في سبب نزول هذه الآية عن علي رضي الله عنه أنه قال: "صنع لنا عبد الرحمن بن عوف¹ طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر، يعني بذلك قبل تحريمها، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدموني وقرأت: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ١ ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾² ونحن نعبد ما تعبدون، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا نَقُولُونَ﴾³. خرجه الترمذي وصححه⁴. انتهى. وقال في الضياء: "لا تقربوا الصلاة نفسها أو مواضعها، ورد بأنه يقال في اللغة: لا تقرب كذا بفتح الراء، أي لا تلبس بالفعل، وإن كان معناه لا تدن من الموضع، فهو بضم الراء⁵". انتهى. وقال ابن جزى: "سببها جماعة من الصحابة شربوا الخمر قبل تحريمها، ثم قاموا إلى الصلاة، وأمهم أحدهم، فخلط في القراءة، فمعناها النهي عن

¹ عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو محمد. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذي أخبر عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه توفي وهو عنهم راض. مات سنة إحدى وثلاثين، وقيل: سنة اثنتين، وهو الأشهر. وعاش اثنتين وسبعين سنة، وقيل: ثمانياً وسبعين، والأول أثبت، ودفن بالبقيع، وصلى عليه عثمان، ويقال: الزبير بن العوام. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص346. بتصرف.

² الكافرون، 1، 2.

³ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 48 التفسير، باب 5 ومن سورة النساء، ج5، ص222، رقم3026. قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

⁴ ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص433.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص183.

الصلاة في حال السكر. قال بعض الناس: هي منسوخة بتحريم الخمر، وذلك لا يلزم، لأنها ليس فيها ما يقتضي إباحة الخمر، إنما هي عن الصلاة في حال السكر، وذلك الحكم ثابت في¹ إباحة الخمر، وفي حين تحريمها. وقال بعضهم: معناها: لا يكن منكم سكر يمنع قرب الصلاة، إذ المرء مأمور بالصلاة، فكأنها تقتضي النهي عن السكر وعن سببه، وهو الشراب، وهذا بعيد من مقتضى اللفظ². وقال في الباب: "سبب نزول هذه الآية ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: "صنع لنا ابن عوف طعاماً فدعانا فأكلنا وسقانا خمراً قبل أن يحرم³ الخمر، فأخذت منا، وحضرت الصلاة، فقدموني فقرأت: ﴿قُلْ يَتَائِبَهَا الْكَافِرُونَ﴾ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ⁴ ونحن نعبد ما تعبدون، قال: فخلطت، فنزلت: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾. أخرجه الترمذي⁵، وقال: "حديث حسن صحيح". وأخرجه أبو داود⁶. وسكاري جمع سكران. وروى ابن جرير الطبري⁷ أن رجالاً كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى قبل أن يحرم⁸ الخمر، فقال الله عز وجل: ﴿يَتَائِبَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ الآية، فعلى هذا ففي المراد بالصلاة قولان: أحدهما: أنه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود، وهو قول الأكثرين، والمعنى: لا تصلوا وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون. والقول الثاني: أن المراد بالصلاة موضع الصلاة، وهو المسجد، وإطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل، فيكون من باب حذف المضاف، والمعنى: لا تقربوا مواضع الصلاة وأنتم سكارى، وحذف المضاف سائغ، ويدل عليه قوله

¹ في التسهيل لعلوم التنزيل: "في حين إباحة".

² ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 192.

³ في الباب: "تحرم".

⁴ الكافرون، 1، 2.

⁵ تقدم تخريجه قبل قليل.

⁶ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 20 الأشربة، باب 1 في تحريم الخمر، ج 2، ص 350، رقم 3671.

⁷ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 5، ص 75، 76.

⁸ في الباب: "تحرم".

تعالى: ﴿لَهَدَمْتُ صَوَامِعُ وَيَبْعُ وَصَلَوْتُ وَمَسَجِدُ﴾¹. والمراد بالصلاة مواضعها، فثبت أن إطلاق لفظ الصلاة، والمراد موضعها، جائز. واعلم أن هذا النهي عن قرب الصلاة في حال السكر إنما كان قبل تحريم الخمر، فكانوا يشربون في غير أوقات الصلاة، ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك، ونسخت هذه الآية. وقال الضحاك: المراد بالسكر سكر النوم، يعني لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم، ويدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: >إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه<. أخرجاه في الصحيحين"².

انتهى. وقوله: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ قال ابن جزى: "يظهر من هذا أن السكران لا يعلم ما يقول، فأخذ بعض الناس من ذلك أن السكران لا يلزمه طلاقه ولا إقراره"³. انتهى. ﴿وَلَا﴾ أي ولا تقربوا الصلاة حال كونكم ﴿جُنُبًا﴾ فهو معطوف على جملة الحال قبله. وقوله: ﴿جُنُبًا﴾ يستوي فيه الجمع وغيره. قال في اللباب: "وَلَا جُنُبًا" يعني: ولا تقربوا الصلاة، وأنتم جنب، والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر، لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجنب، وأصل الجنابة البعد، سمي الذي أصابته الجنابة جنبًا، لأنه يجنب الصلاة والمسجد والمجانبة وقيل لمجانبة الناس حتى يغتسل"⁴. انتهى. وقال ابن جزى: "والجنب هنا غير الطاهر بإنزال وإيلاج، وهو واقع على جماعة، بدليل استثناء الجمع منه"⁵. انتهى. وبدليل ما قبله ﴿إِلَّا عَابِرِي﴾ بالإثبات مجتازي ﴿سَبِيلٍ﴾ طريق. قال ابن جزى: "واختلف في عابري السبيل، فقليل: إنه المسافر، ومعنى الآية على هذا نهي أن يقرب

¹ الحج، 40.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 4 الوضوء، باب 53 الوضوء من النوم، ج 1، ص 313، رقم 212. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 6 صلاة المسافرين وقصرها، باب 31 أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، ج 1، ص 542، 543، رقم 786.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 192.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 382.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 192، 193.

الصلاة وهو جنب إلا في السفر، فيصلّي بالتيّم دون اغتسال، فمقتضى الآية إباحة التيمم للجنب في السفر، ويؤخذ إباحة التيمم للجنب في الحضر من الحديث¹، فالصلاة على هذا الركوع والسجود. وقيل: عابر السبيل المار في المسجد، والصلاة هنا يراد بها المسجد، لأنه موضع الصلاة، فمعنى الآية على هذا النهي: أن لا يقرب المسجد إلا خاطراً عليه، أي ماراً، وعلى هذا أخذ الشافعي الآية، لأنه يميز للجنب أن يمر في المسجد، ولا يميز له أن يقعد فيه، ومنع مالك المرور والقعود فيه، وأجازهما داود². انتهى. ﴿حَتَّى﴾ غاية للنهي، أي إلى أن ﴿تَغْتَسِلُوا﴾ ولا يكون الغسل إلا مع النية خلافاً لأبي حنيفة. قال في الضياء: "ومن قدر مع الصلاة في المساجد جَوَزَ للجنب عبورها من غير مكث، وبه قال الشافعي، وقال أبو حنيفة: لا يجوز له المرور في المسجد إلا إذا كان فيه الماء أو الطريق، ومنعه المالكية مطلقاً في المشهور. وإذا احتلم في المسجد يجوز له الخروج من غير تيمم وسقفه وصحته كهو بخلاف فئاته"³. انتهى المراد منه. والقول بأن المراد بالصلاة المسجد، وبالعبور المرور في المسجد، هو قول ابن مسعود وأنس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراساني والنخعي والزهري، وإليه ذهب الشافعي وأحمد، والقول بأن المراد بالصلاة ذات الركوع والسجود، هو قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة، فمن جعل عابري سبيل المسافرين، منع الجنب من العبور في المسجد، وهو مذهب أبي حنيفة، قاله في اللباب⁴. وفي المختصر⁵: ولو مجتازاً، قال في اللباب⁶: "وصحح ابن جرير الطبري⁷ القول بأن المراد بالصلاة هنا المسجد، وبالعبور المرور في المسجد. ويدل على صحته وجهان: أحدهما: أن المسافر

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 7 التيمم، باب 3 التيمم في الحضر إذا لم يجد الماء، ج1، ص441، رقم 337.

² ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص193.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص183.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص382، 383.

⁵ لم أعرف ما هو هذا الكتاب.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص382، 383.

⁷ في الأصل: "ابن جزي"، وفي اللباب: "ابن جرير الطبري". الطبري، جامع البيان، ج5، ص100.

الجنب لا تصح صلاته بدون التيمم، ولم يذكر التيمم هنا، فيحتاج إلى إضمار شيئين: عوز الماء، وذكر التيمم، وعلى هذا القول المصحح لا يحتاج إلى إضمار شيء. الوجه الثاني: أن الله تعالى ذكر حكم السفر، وعدم الماء، وجواز التيمم بعد هذا، فلا يحمل هذا معنى معادًا في الآية، ويدل عليه أن جميع القراء استحسنوا الوقف على قوله: ﴿تَغْتَسِلُوا﴾ وفيه دليل على أن حكم الجنابة باق على جنب إلى غاية هي الاغتسال". انتهى. والله تعالى أعلم. وقال في الضياء: "وفائدة ﴿إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ﴾ مع جعله مسافرًا، قال: ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ إعلام عدم ارتفاع الحدث بالتيمم مع إباحة الصلاة، وما يأتي لا يفيد إلا جواز التيمم عند عدم الماء، فافهم"¹. انتهى. وقوله: ﴿إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ﴾ حال علمها الفعل المقيد بالحال، كأنه قال لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة إلا ومعكم حال أخرى تقدر فيها، وهي كونكم مسافرين، وفيه إحاء إلى أن سائر الأعذار، مثل السفر، وذكره لأنه الغالب، فلا ينافي هذا الحصر ما يذكر بعد من الموجبات، ويجوز أن يكون وصفًا للحال، أي جنبًا عابري سبيل". انتهى. وقال في الباب: "منع أكثر أهل العلم المكث في المسجد بشرط الوضوء، وبه قال المزني² من أصحاب الشافعي، واستدل أحمد لمذهبه بما روى عن عطاء بن يسار³، قال¹:

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص183.

² خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد، الحافظ، الإمام، الثبت، أبو الهيثم، ويقال: أبو محمد المزني مولاهم، الواسطي، الطحان، حدث عن حصين بن عبد الرحمن، وبيان بن بشر، وأبي طولة، وسهيل بن أبي صالح، وخلق كثير، وعنه: يحيى القطان، ووكيع، وابن مهدي، ومسدد، ويحيى بن يحيى، وأبو عمر الحوطي، وغيرهم، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال أبي: كان خالد الطحان ثقة، صالحًا في دينه، وقال الترمذي: ثقة، حافظ، ولد سنة 110هـ. وتوفي سنة 182هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص426، 427، رقم الترجمة 1377. بتصرف.

الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص384، 385.

³ عطاء بن يسار، كان كأخيه سليمان إمامًا، فقيهاً، واعظاً، مذكراً، ثبّتاً، حجة، كبير القدر، حدث عن أبي أيوب، وزيد، وعائشة، وأبي هريرة، وعِدَّة، وروى عنه زيد بن أسلم، وصفوان بن سليم، وغيرهما، روى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، أن أبا حازم قال: ما رأيت رجلاً كان ألزم لمسجد رسول الله صلى الله عليه

رأيت رجالاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنونون إذا توضؤوا وضوء الصلاة². انتهى. ويحرم على الجنب الطواف وقراءة القرآن، كما يحرم عليه فعل الصلاة، ويجب الغسل بالإيلاج وإن لم ينزل، وبوجود البلل وإن لم يذكر احتلاماً، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاماً؟ قال: <يغتسل>، وعن الرجل يرى أنه احتلم ولا يجد بللاً؟ قال: <لا غسل عليه>، قالت أم سلمة³: والمرأة ترى ذلك، عليها غسل؟ قال: <نعم>. أخرجه أبو داود⁴ والترمذي⁵. وروى البخاري⁶ ومسلم⁷ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: <إذا جلس بين شعبها ثم جهد فقد وجب الغسل، وإن لم ينزل>.

وسلم من عطاء بن يسار، ويقال: إنه مات سنة 10هـ، وقيل: مات قبل 100هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص573، رقم الترجمة 677. بتصرف.

¹ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج2، ص296.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص383.

³ أم سلمة أم المؤمنين، هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة، المخزومية، بنت عمّ خالد بن الوليد، وبنت عمّ أبي جهل، السيدة الطاهرة. كانت من أجمل النساء وأشرفهن نسباً، تزوّجها الرسول صلى الله عليه وسلم سنة أربع من الهجرة، وكانت آخر من مات من أمّهات المؤمنين، عُمرت حتى بلغها مقتل الحسين، فوجمت لذلك وغشي عليها، وحزنت عليه حزناً كثيراً، لم تلبث بعده إلا يسيراً، وكانت تُعدّ من فقهاء الصحابييات، توفيت سنة 59هـ في ذي القعدة. العسقلاني، الإصابة، ج8، ص150. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص334، رقم الترجمة 252. بتصرف.

⁴ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 1 الطهارة، باب 95 في الرجل يجد البلة في منامه، ج1، ص111، رقم 236.

⁵ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 1 الطهارة، باب 82 ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللاً ولا يذكر احتلاماً، ج1، ص189، 190، رقم 113.

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 5 الغسل، باب 28 إذا التقى الختانان، ج1، ص395، رقم 291.

⁷ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 3 الحيض، باب 22 نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين، ج1، ص271، رقم 348.

انتهى. واعلم أنه كان في أول الإسلام من جامع امرأته فكسل لم يجب عليه الغسل، ثم نسخ ذلك بحديث أنه يجب عليه الغسل عليه وإن لم ينزل ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ أيها المؤمنون ﴿مَرْضَى﴾ جمع مريض، أي مرضًا يضر معه الماء، بأن خاف الموت أو المرض أو زيادته عندنا. قال ابن جزى: "وعند الشافعي خوف الموت فقط لا غير"¹. انتهى. وما ذكره عن الشافعي مخالف لما ذكره هؤلاء الذين أذكر كلامهم من الشافعية. قال السيوطي رحمه الله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ مرضًا يضره الماء"². انتهى. فتأمل قوله: يضره الماء. وقال في اللباب: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ جمع مريض، وأراد به المرض الذي يضر معه إمساس الماء، مثل: الجدرى، وإحراق النار، ونحو ذلك، إن كان على بعض أعضائه جراحة، أو به قروح، يخاف من استعمال الماء التلف، أو زيادة الوجع، فإنه يتيمم ويصلي مع وجود الماء بهن، فعامل قوله: أو زيادة الوجع، فإنه موافق لمذهبنا. وقال البغوي: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ جمع مريض، وأراد به مرضًا يضر به إمساس الماء، أو كان على موضع طهارته جراح، يخاف من استعمال الماء فيه التلف أو زيادة الوجع، فإنه يصلي بالتيمم، وإن كان الماء موجودًا"³. انتهى. وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ يقول الله تعالى من كان منكم أيها المؤمنون مريضًا يضر معه الماء، بأن يخاف من استعمال الماء أو زيادته أو تأخر براء، فإنه يتيمم مع وجود الماء. وجعل ابن جزى⁴ قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ راجعًا لمسألة المرض، فمقتضى كلامه أن قوله مرض شامل لما يضر معه الماء وما لا يضر معه، وجعله السيوطي⁵ راجعًا لما عدا قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ والله تعالى أعلم بقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ جوابه: قوله: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، ﴿مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ عطف على ﴿مَرْضَى﴾ يقول الله تعالى إن كنتم أيها المؤمنون مسافرين ولم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا،

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص193.

² التفسير الجلالين، ص107.

³ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص73.

⁴ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص193.

⁵ السيوطي، تفسير الجلالين، ص107.

فلم يبح التيمم للمسافر إلا مع عدم الماء. قال ابن جزى: "الآية سببها عدم الصحابة الماء في غزوة المريسع¹، فأبيح لهم التيمم في عدم الماء، ثم إن عدم الماء على ثلاثة أوجه: أحدها: عدمه في السفر. الثاني: عدمه بمرض، فيجوز التيمم في هذين الوجهين بإجماع، لأن الآية نص في المرض والسفر، إذا عدم الماء فيهما، لقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ثم قال: ﴿فَلَمْ تَحْدُوا مَاءً﴾. الوجه الثالث: عدم الماء في الحضر دون مرض، فاختلف الفقهاء فيه، فمذهب أبي حنيفة أنه لا يجوز فيه التيمم، لأن ظاهر الآية أن عدم الماء إنما يغتفر مع المرض أو السفر، ومذهب مالك والشافعي أنه يجوز فيه التيمم، فإن قلنا: إن الآية لا تقتضيه، فيأخذ جوازه من السنة، وإن قلنا: إن الآية تقتضيه، فيأخذ جوازه منها، وهذا هو الأرجح، إن شاء الله، وذلك أنه ذكر في أول الآية المرض والسفر، ثم ذكر الأحداث دون مرض ولا سفر، ثم قال بعد ذلك كله: ﴿فَلَمْ تَحْدُوا مَاءً﴾ فيرجع قوله: ﴿فَلَمْ تَحْدُوا مَاءً﴾ إلى المرضى وإلى السفر وإلى من أحدث في غير مرض ولا سفر، فيجوز التيمم على هذا لمن عدم الماء في غير مرض ولا سفر، فيكون حجة لمالك والشافعي، ويجوز التيمم أيضاً في مذهب مالك للمريض إذا وجد الماء ولم يقدر على استعماله لضرر بدنه. فإن قلنا: إن الآية لا تقتضيه، فيؤخذ جوازه من السنة، وإن قلنا: الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها، على أن يتأول قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ﴾ على أن معناه مرض لا تقدرين معه على مس الماء، وحد المرض الذي يجوز فيه التيمم عند مالك هو أن يخاف الموت أو زيادة المرض أو تأخر البرء، وحد السفر الغيبة عن الحضر، كان السفر مما تقصر فيه الصلاة أم لا². انتهى. وقال في الباب: "

¹ غزوة بني المصطلق كانت في شعبان من سنة ست هجرية، وقيل: سنة خمس، كان قائد بني المصطلق الحارث بن أبي ضرار، ولقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماء لهم، يقال له: المريسع، واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، فقتل وسبي وغنم، ووقعت جويرية بنت قائدهم الحارث في سهم ثابت بن قيس، فكاتبته على نفسها، فأدى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابتها، وتزوجها، فقال الناس: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعتق بتزويجه إياها مائة من أهل بيت بني المصطلق، فكانت عظيمة البركة على قومها. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص117. بتصرف.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص193.

﴿مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ يعني: أو كنتم مسافرين، وأراد به السفر الطويل والقصير وعدم الماء، فإنه يتيمم ويصلي، ولا إعادة عليه، أما إذا لم يكن الرجل مريضاً ولا على سفر وعدم الماء في موضع لا يعدم فيه غالباً، فإنه يتيمم ويصلي ثم يعيد إذا وجد الماء وقدر عليه، وبه قال الشافعي، وقال مالك والأوزاعي: لا إعادة عليه، وقال أبو حنيفة: يؤخر الصلاة حتى يجد الماء¹. انتهى. وقال في الضياء: "﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين وأنتم جنب أو محدثون، ولم تجدوا ماء"²، فتييمموا صعيداً طيباً ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ بالإثبات من الأولى، تبعيضية، والثانية ابتدائية. والغائط، قال السيوطي: "هو المكان المعد لقضاء الحاجة"³. يقول الله تعالى من أحدث منكم وعدم الماء فليتييمم. وقال في اللباب: "الغائط: المكان المظلم من الأرض، وجمعه الغيطان، وكانت عادة العرب إتيان الغائط للحدث، فكفوا به عن الحدث، وذلك أن الرجل منهم كان إذا أراد قضاء الحاجة طلب غائطاً من الأرض، يعني مكاناً منخفضاً من الأرض يحجبه عن أعين الناس، فسمي الحدث بهذا الاسم، فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه"⁴. انتهى. وهو كالصریح في أن الغائط يشمل العذرة والبول والريح، وصرح بذلك ابن جزري، فقال: "والغائط أصله المكان المنخفض، وهو هنا كناية عن الحدث الخارج من المخرجين، وهو العذرة والريح والبول، لأن من ذهب إلى الغائط تكون منه هذه الأحداث الثلاثة، وقيل: إنما هو كناية عن العذرة، وأما البول والريح فيؤخذ وجوب الوضوء لهما. قاله⁵ ابن جزري⁶. في ﴿أَوْ﴾ هنا تأويلان: أحدهما: أن تكون للتفصيل أو للتنويع على بابها. والآخر: أنها بمعنى الواو، فعلى القول بأنها على بابها، يكون قوله: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾ راجعاً إلى المريض والمسافر وإلى من جاء من الغائط وإلى من لامس، سواء كانا مريضين أو

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص384.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص184.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص107.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص384.

⁵ في الأصل: "قال"، والصواب: "قاله".

⁶ ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص193. (قاله بالمعنى).

مسافرين أو لا، فيقتضي ذلك جواز التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، وهو مذهب مالك والشافعي، فيكون في الآية حجة لهما، وعلى القول بأنها بمعنى الواو يكون قوله: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾ راجع إلى المريض والمسافر، فيقتضي ذلك أنه لا يجوز التيمم إلا في المرض والسفر مع عدم الماء، وأنه لا يجوز للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، ولكن يؤخذ جواز التيمم له من موضع آخر، والراجح أن تكون على بابها لوجهين: أحدهما: أن جعلها بمعنى الواو إخراج لها عن أصلها، وذلك ضعيف. والآخر: أنها إذا كانت على بابها، كان فيها فائدة إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، على ما ظهر لنا فيها، وإذا كانت بمعنى الواو، لم تفد هذه الفائدة، وحجة من جعلها بمعنى الواو أنه لو جعلها على بابها لاقتضى المعنى أن المرض والسفر حدث يوجب الوضوء كالغائط لعطفه عليهما، وهذا لا يلزم، لأن العطف بأو هنا للتنويع والتفصيل، ومعنى الآية: أنه قال يجوز لكم التيمم إذا لم تجدوا ماء إن كنتم مرضى أو على سفر أو أحدثتم في غير مرض ولا سفر ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ﴾ بالحذف ﴿النِّسَاءُ﴾ أي جمع امرأة، قرأ حمزة والكسائي وخلق ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ هنا وفي المائدة¹ بغير ألف، والباقون بالألف، قاله في النشر²، "ومعناها الجنس باليد، وكذا بباقي البشرية، إن قصد اللذة أو وجدها، وينقض الوضوء مطلقاً عند الشافعي، ولا ينقض عند أبي حنيفة مطلقاً. وعن ابن عباس: اللمس هنا هو الجماع، وينقض بلمس الذكر، وإن بلا لذة على المشهور وفقاً للشافعي، ولا ينقض عند أبي حنيفة مطلقاً، ومس الدبر لا ينقض خلافاً للشافعي، وكذا مس ذكر الصبي والبهيمة، وفي مس المرأة فرجها النقض مطلقاً وفقاً للشافعي، وعدمه مطلقاً وفقاً لأبي حنيفة³، وإن ألطفت وإلا فلا"⁴، قاله في الضياء. وقال ابن جزى: "﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ يختلف في المراد بالملامسة هنا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الجماع وما دونه من التقبيل واللمس باليد وغيرها، وهو قول مالك، وعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس الذي هو دون الجماع على

¹ المائدة، 6.

² ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 3، ص 30، 31.

³ في ضياء التأويل: "لأبي حنيفة أو إن".

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 184.

تفصيل في المذهب، ويجب معه التيمم إذا عدم الماء، ويكون الجنب من أهل التيمم. والقول الثاني: أنها ما دون الجماع، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس، ولا يجوز التيمم للجنب، وقد قال بذلك عمر بن الخطاب، ويؤخذ جوازه عند من أجازوه من الحديث. والثالث: أنها الجماع لا غير، فعلى هذا يجوز التيمم للجنب، ولا يكون ما دون الجماع ناقضاً للوضوء، وهو مذهب أبي حنيفة¹. انتهى. وقال في الباب: "واختلف العلماء في معنى الملامسة على قولين: أحدهما: أنها الجماع، وهو قول علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، ووجه هذا القول أن الله كنى باللمس عن الجماع، لأن اللمس يوصل إليه، قال ابن عباس: الله حي كريم يكتفي عن الجماع باللامسة. والقول الثاني: أن المراد باللمس التقاء البشريتين، سواء كان بجماع أو بغير جماع، وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي، ووجه هذا القول أن اللمس حقيقة في اللمس باليد، والأصل حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز، واللمس بلا حائل ينقض الوضوء ولو بلا شهوة عند ابن مسعود وابن عمر، وبه قال الزهري والأوزاعي والشافعي. روى الشافعي² بسنده عن ابن عمر أنه قبلة الرجل امرأته، أو جسها بيده من الملامسة، فمن قبّل امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء، وأخرجه مالك في الموطأ³، وقال مالك والليث بن سعد⁴ وأحمد: إذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضوء، وإن لم يكن بشهوة فلا. ويدل عليه ما روي⁵ عن عائشة رضي الله عنها، "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبّل امرأة من نسائه ثم خرج

¹ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 184.

² الشافعي، الأم، ج 1، ص 12.

³ مالك بن أنس، الموطأ، ص 54.

⁴ الليث بن سعد بن عبد الرحمن، الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية، أبو الحارث الفهمي، مولى خالد بن ثابت بن طاعن، ولد بقرمَشْنَدَة (قرية من أسفل أعمال مصر) سنة 94هـ، وروي عن الربيع بن سليمان أنه قال: قال ابن وهب: لولا مالك، والليث، لضلّ الناس، وقال الفضل بن زياد: قال أحمد: ليث كثير العلم، صحيح الحديث، توفي ليلة النصف من شعبان، سنة 175هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، 6، ص 342.355، رقم الترجمة 1317. بتصرف.

⁵ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 1 الطهارة، باب 63 ما جاء في ترك الوضوء من القبلة، ج 1، ص 133، 134، رقم 86.

إلى الصلاة ولم يتوضأ". وأجيب من هذا الحديث بأنه غير ثابت. وقال الترمذي¹: "لا يصح إسناده بحال"، وإنما المحفوظ عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم، كذا رواه الثقة عن عائشة. وقال أبو حنيفة: لا ينقض الوضوء للمس إلا أن يحدث². انتهى. ومذهبنا في القبلة النقض، ولولم يقصد لذة، ولا وجد، كما قال في "المختصر"³: لا انتفيا إلا القبلة بفم. قال في اللباب: "أما خروج النجاسة من غير السبيلين، كالفصد والحجامة والرعاف والقيء ونحوها، فذهب قوم إلى أنه لا وضوء من خروج هذا، يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس، وبه قال طاووس وعطاء والحسن وابن المسيب، وإليه ذهب مالك والشافعي، لما روي عن أنس رضي الله عنه قال: "احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتوضأ، ولم يزد على غسل محاجمه". أخرجه الدارقطني⁴. وذهب قوم إلى إيجاب الوضوء من ذلك، منهم سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وأحمد وإسحاق، واتفق هؤلاء على أن خروج القليل منه لا ينقض الوضوء، ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الأشياء ما روي عن سعدان بن أبي طلحة⁵ عن أبي الدرداء⁶ رضي الله تعالى عنه "أن النبي صلى الله عليه

¹ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 1 الطهارة، باب 63 ما جاء في ترك الوضوء من القبلة، ج 1، ص 133، 134، رقم 86.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 384.

³ خليل بن إسحاق الجندي، مختصر، ج 1، ص 21.

⁴ الدارقطني، سنن الدارقطني، كتاب الطهارة، باب في الوضوء من الخارج من البدن والرعاف والقيء والحجامة ونحوه، ج 1، ص 151، 152، رقم 2.

⁵ لم أعثر على ترجمة له.

⁶ أبو الدرداء، الإمام القدوة، قاضي دمشق وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عويمر بن زيد ابن قيس، ويقال: عويمر بن عامر، الأنصاري، الخزرجي. حكيم هذه الأمة، وسيد القراء بدمشق؛ روي عنه 179 حديثاً، وكان الصحابة يقولون: أَتَبَعْنَا للعلم والعمل أبو الدرداء، وَمِنْ أقواله: مَنْ أَكْثَرَ ذِكْر الموت، قَلَّ مزحه، وَقَلَّ حسده. توفّي سنة 32هـ. العسقلاني، الإصابة، ج 4، ص 747. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 405.397، رقم الترجمة 300. بتصرف.

وسلم قاء فتوضأ، قال سعدان: فلقيت ثوبان¹ في مسجد دمشق، فذكرت له ذلك، فقال: صدق، أنا صببت له وضوءه². أخرجه الترمذي³، وقال: "هو أصح شيء في هذا الباب". ومن نواقض الوضوء زوال العقل بجنون أو إغماء أو نوم، لما روي عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <العين وكاء السه، فمن نام فليتوضأ>. أخرجه أبو داود⁴ وابن ماجه⁴. وذهب قوم إلى أن النوم لا ينقض الوضوء بكل حال، وهو قول أبي هريرة وعائشة، وبه قال الحسن وإسحاق والمزني". انتهى المراد منه. ﴿فَلَمْ تَحْدُوا﴾ أي تصادفوا ﴿مَاءً﴾ مفعول ﴿تَحْدُوا﴾ أي إذا طلبتم الماء فلم تجدوه بضمن ولا بغيره، فتيمموا، وهو عطف على ما قبله. وقوله: ﴿فَلَمْ تَحْدُوا مَاءً﴾ اختلف فيه أهل التفسير، فمنهم من رجعه إلى ما عدى مسألة المرض، ومنهم من رجعه إلى الجميع، فيكون راجعاً إلى المسائل الأربع. قال ابن جزى: "هذا يفيد وجوب طلب الماء، وهو مذهب مالك، خلافاً لأبي حنيفة، فإن وجده بضمن، فاختلف هل يجوز له التيمم أم لا؟ وإن وهب له اختلف هل يلزمه قبوله أم لا؟"⁵. انتهى. وقال في الضياء: "﴿فَلَمْ تَحْدُوا مَاءً﴾ تطهرون به للصلاة بعد طلبه طلباً لا يشوبه عند المالكية، ومطلقاً عند الشافعية، ولا يلزمه الطلب عند الحنفية، وهو راجع إلى ما عدى

¹ ثوبان، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، سُيِّ من أرض الحجاز، فاشتراه النبي عليه الصلاة والسلام، وأعتقه، فلزم نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحبه، وحفظ عنه كثيراً من العلم، وطال عمره واشتهر ذكره، يُكْنَى: أبا عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: يمانى، حدث عنه: شداد ابن أوس، وجبیر بن نُفَيْر، ومعدان بن طلحة، وغيرهم، نزل حمص، وتوفي بها سنة 54هـ. العسقلاني، الإصابة، ج 1، ص 413. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 109، رقم الترجمة 363. بتصرف.

² الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 1 الطهارة، باب 64 ما جاء في الوضوء من القيئ والرعاف، ج 1، ص 142. 146، رقم 87.

³ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 1 الطهارة، باب 80 في الوضوء من النوم، ج 1، ص 102، رقم 203.

⁴ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب 1 الطهارة وسنتها، باب 62 الوضوء من النوم، ص 161، رقم 477.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 194.

المرض¹. ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ اقصدوا جواب الشرط، فهو راجع للمسائل الأربع ﴿صَعِيدًا﴾ مفعول تيمموا، والصعيد عند مالك هو وجه الأرض، كان ترابًا أو رملًا أو حجارة أو غير ذلك من أجزاء الأرض، فيتيمم بالمعدن غير الذهب والفضة والجواهر، وعند الشافعي أنه لا يتيمم إلا بالتراب خاصة، وهو المنبت. ابن جزي: "واختلف في التيمم بالمعادن كالذهب، واختلف في التراب المنقول كالجعول في طبق"². ﴿طَيِّبًا﴾ الطيب هنا الطاهر، وأخذوا من قوله عز وجل: ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أنه لا بد من قصد الصعيد، فمن كانت يده في الأرض من غير قصد، فلا يرفعهما ويمسح بهما. قال الثعالبي: "ومعنى قوله سبحانه: ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ اقصدوا، والصعيد في اللغة وجه الأرض، قاله الخليل³ وغيره⁴، واختلف العلماء فيه فقالت طائفة: يتيمم بوجه الأرض، ترابًا كان أو رملًا أو حجارة أو معدنًا أو سبخة⁵، وجعلت الطيب بمعنى الطاهر، وهذا مذهب مالك، وقالت طائفة: الطيب بمعنى المنبت، كما قال عز وجل: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾⁶. فالصعيد عندهم هو التراب، وهذه الطائفة لا تجيز التيمم بغير التراب، فمكان الإجماع أن يتيمم بتراب، أي منبت طاهر غير منقول ولا مغصوب"⁷. انتهى. وقال ابن جزي: "واختلف في التيمم بالمعادن كالذهب، وبالملاح والتراب المنقول كالجعول في طبق، وبالأجر والحص والمطبوخ وبالجدار وبالنبات الذي على وجه الأرض، وذلك كله على الاختلاف في معنى الصعيد"⁸. انتهى. وقال في الباب: "واختلفوا في

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص184.

² ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص194.

³ الفراهيدي، كتاب العين، ج1، ص290.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، مادة ص ع د، ج3، ص251.

⁵ "السبخة: الأرض المالحة". ابن منظور، لسان العرب، مادة س ب خ، ج3، ص33.

⁶ الأعراف، 58.

⁷ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص448، 449.

⁸ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص194.

الصعيد الطيب، فقال قتادة: الصعيد الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات، ونقل الربيع¹ عن الشافعي في تفسير الصعيد: أنه لا يقع اسم الصعيد إلا على تراب في غبار، وأما البطحاء الغليظة والدقيق فلا يقع عليه اسم الصعيد، فإن خالطه تراب أو مدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو الصعيد، قال: ولا يتيمم بنورة² ولا كحل ولا زرينخ³، كل هذا حجارة على هذا كلام الشافعي في تفسير الصعيد، وهو العزوة في اللغة⁴، ثم قال: "واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم، فذهب الشافعي إلى أنه يختص بما يقع عليه اسم التراب محاله غبار يعلق بالوجه واليدين، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: <جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً>⁵، فخص التراب بالطهور، ولأن الله تعالى وصف الصعيد بالطيب، والطيب من الأرض هو الذي ينبت، بدليل قوله: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ﴾⁶. ويقال للغبار: صعيد، وذهب أبو حنيفة ومالك إلى أنه يجوز التيمم بكل ما هو من جنس الأرض، كالرمل والنورة والزرنيخ ونحو ذلك، حتى لو ضرب يده على صخرة ملساء لا غبار عليها صح تيممه عندهم، واحتج أبو حنيفة ومن وافقه بظاهر الآية، وأجيب بما تقدم من الدليل: <جعلت لي الأرض> إلخ، وإن لفظ من في سورة المائدة، ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾

¹ الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني، المروزي، بصري، سمع أنس بن مالك، وأبا العالية الرياحي وأكثر عنه وعن الحسن البصري، كان عالم مرو في زمانه، قال أبو حاتم عنه: صدوق، حديثه في السنن الأربعة، توفي سنة 139 هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص407، رقم الترجمة 1045. بتصرف.

² النورة: حجر الكلس، ثم غلبت على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرينخ وغيره، وتستعمل لإزالة الشعر وتَنَوَّرَ أَطْلَى بِالنُّورَةِ، وَتَوَزَّيْتُ طَلَيْتُهُ بِهَا، قيل: عربية، وقيل: معربة. الفيومي، المصباح المنير، مادة ج2، ص630. التَّوَزُّ: الزهر الأبيض والزهر الأصفر، وذلك أنه يبيضُ ثم يصفر. ابن منظور، لسان العرب، مادة ن و ر، ج5، ص240.

³ الزَّرينخُ: حَجَرٌ. وله أنواع كثيرة، مِنْهُ أَبْيَضُ، وَمِنْهُ أَحْمَرُ، وَمِنْهُ أَصْفَرُ. ابن منظور، لسان العرب، مادة ز ل خ، ج7، ص263.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص387.

⁵ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 5 المساجد ومواضع الصلاة، ج1، ص371، رقم 522.

⁶ الأعراف، 58.

وَأَيِّدِيكُمْ ﴿ منه للتبويض، وأجابوا عن حديث: < جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً >، بأنه يفسره الحديث: < جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً >¹، وجوّز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالأرض، من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك². انتهى. البغوي: "والقصد إلى التراب شرط في صحة التيمم، لأن الله تعالى قال: ﴿ فَتَيَمَّمُوا ﴾ والتيمم القصد، حتى لو وقف في مهب الريح، فأصاب الغبار وجهه، ونوى لم يصح"³. انتهى. ﴿ فَأَمْسَحُوا ﴾ أي أمروا أيديكم. قال في القاموس: "المسح كالمنع إمرار اليد على الشيء السائل والمتلطخ لإذهابه كالتييمم والتمسح"⁴. انتهى. وقد علمت أن مذهبنا أنه يمسح، وإن لم يكن بيديه شيء، كما لو ضرب بيديه صخرة صماء ﴿ يُوْجُوْهُكُمْ ﴾ أيها المؤمنون. قال صاحب هذا التفسير: يظهر لي أن الباء بمعنى على، أو للإصاق، والوجوه جمع وجه، وهو طولاً من نبات شعر الرأس المعتاد، إلى الذقن بإدخاله في التيمم، وعرضاً ما بين الأذنين، وهما خارجتان ﴿ وَأَيِّدِيكُمْ ﴾ عطف على وجوهكم، ويقال في الباء فيه ما قيل فيها فيما قبله. قوله: ﴿ وَأَيِّدِيكُمْ ﴾ قيل: يجب إلى الكوعين بإدخالهما. وقيل: المرفقين. وقيل: إلى الإبطين والمنكبين، لمالك والشافعي مع أبي حنيفة والزهري. قال ابن جزى: "لا يكون التيمم إلا في هذين العضوين، ويقدم الوجه على اليدين لظاهر الآية، وذلك على الندب عند مالك، ويستوعب الوجه بالمسح، وأما اليدان فاختلف هل يمسحهما إلى الكوعين أو إلى المرفقين؟ ولفظ الآية يحتمل، لأنه لم يحد، وقد احتج من قال: إلى المرفقين، بأن هذا مطلق، فيحمل على المقيد، وهو تحديدهما في الوضوء بالمرفقين"⁵. انتهى. وقال في الباب: "واختلف العلماء فيما يجب مسحه من اليد، فذهب أكثر أهل العلم، منهم ابن عمر وابنه سالم⁶ والحسن، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي: أنه

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 7 التيمم، باب 1 التيمم، ج 1، ص 436، رقم 335.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 387.

³ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج 2، ص 79.

⁴ الفيروزابادي، القاموس، باب الحاء، فصل الميم، ص 308.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 194.

⁶ لم أعثر على ترجمة له.

يمسح الوجه واليدين إلى المرفقين بضربتين، وصورة ذلك أن يضرب بكفيه على التراب، ويمسح بهما وجهه، ولا يجب إيصال التراب إلى ما تحت الشعر، ثم يضرب ضربة أخرى، ويفرق أصابعه، فيمسح يديه إلى المرفقين. ويدل عليه ما روي عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم: <التيمة ضربة للوجه، وضربة لليدين إلى المرفقين>. رواه البيهقي¹، ولم يضعفه. وذهب الزهري إلى أنه يمسح اليدين إلى المنكبين. ويدل عليه ما روي عن عمار بن ياسر² قال: مسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر، فضربوا بأكفهم الصعيد، ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة، ثم عادوا فضربوا بأكفهم الصعيد مرة أخرى، فمسحوا بأيديهم كلها إلى المناكب والإباط، ثم بطون أيديهم. أخرجه أبو داود³. وذهب جماعة إلى أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين، وهو قول علي وابن عباس، وبه قال الشعبي وعطاء ومكحول، وإليه ذهب الأوزاعي⁴ ومالك وأحمد وإسحاق وداود، واحتجوا بما روي عن عمار بن ياسر قال: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة، فأجنت، فلم أجد الماء، فتمرغت في الصعيد، كما تتمرغ الدابة، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت له ذلك، فقال: <إنما يكفيك أن تقول بيدك هكذا>، وضرب بيديه الأرض، فنفض يديه، فمسح

¹ البيهقي، السنن الكبرى، ج1، ص207.

² عمار بن ياسر بن عامر الكنايني المذحجي العنسي القحطاني، أبو اليقظان، صحابي كبير، من الولاة الشجعان ذوي الرأي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام والداعين إليه هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق وبيعة الرضوان، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقبه "الطيب المطيب"، ولده عمر الكوفة، أقام زمانًا ثم عزله عنها، وشهد الجمل وصفين مع علي، وقُتِلَ في الثانية، وعمره ثلاث وتسعون سنة، له 62 حديثًا، توفي سنة 37هـ 657م. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص575. الزركلي، الأعلام، ج5، ص36. بتصرف.

³ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 1 الطهارة، باب 123 التيمم، ج1، ص138، رقم 318.

⁴ الأوزاعي، عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو، كان مولده بعلبك في حياة الصحابة سنة 88هـ، روى عن كثير من التابعين، كان خبيرًا فاضلاً، مأمونًا، كثير العلم والحديث والفقه، حُجَّة، قال عبد الرزاق: أول من صنّف ابن جُرَيْج، وصنّف الأوزاعي، وقال إسماعيل بن عيَّاش: سمعت الناس في سنة 140هـ يقولون: الأوزاعي اليوم عالم الأمة، توفي الأوزاعي سنة 151هـ في صفر. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص75.62، رقم الترجمة 1184. بتصرف.

وجهه وكفيه. أخرجاه في الصحيحين"¹. انتهى. ولا بد من نية استباحة الصلاة، ونية أكبر إن كان أو الفرض عندنا، ولو نوى بالتيمم رفع الحدث لم يصح. وقال الخازن الشافعي: "ولو نوى رفع الحدث لم يصح، ولا يصح التيمم لصلاة إلا بعد دخول وقتها، ولا يجوز الجمع بين صلاتي فرض بتيمم واحد، وهو قول علي وابن عباس وابن عمر، وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة، وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق، وذهب جماعة إلى أن التيمم كالوضوء، يجوز تقديمه على الوقت، ويجوز أن يصلى به ما شاء من الفرائض ما لم يحدث، وهو قول سعيد ابن المسيب والحسن والزهري والثوري وأصحاب الرأي، واتفقوا على أنه يجوز أن يصلي بتيمم واحد ما شاء من النوافل قبل الفرض وبعده، إلى أن يدخل وقت الصلاة الأخرى، وأن يقرأ القرآن إن كان جنبًا، ويشترط طلب الماء طلبًا لا يشق به، ولا يشترط طلب الماء عند أبي حنيفة، فإن رأى الماء ولا يقدر عليه لمانع من عدو أو سبع يمنعه من الذهاب إليه، أو كان الماء في بئر، وليس معه آلة الاستسقاء، فهو كالعادم للماء، فيتيمم ويصلي"². "وقوله تعالى:

﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾ فيه دليل على الطلب، كما مر، لأنه لا يقال: لم يجد، إلا لمن طلب. واعلم أن التيمم من خصائص هذه الأمة. روي عن حذيفة³ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: >فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا، وجعلت تربتها لنا طهورًا، إذا لم نجد الماء<. أخرجه مسلم⁴.

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 7 التيمم، باب 8 التيمم ضربة، ج1، ص456، رقم 347. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 3 الحيض، باب 28 التيمم، ج1، ص280، رقم 368. الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص387، 388.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص388.

³ حذيفة بن اليمان، من نجباء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو صاحب السر، واسم اليمان، حنبل، ويقال حسيل، ابن جابر العبسي، اليماني، أبو عبد الله، حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين، له في "الصحيحين" عشرات الأحاديث، وكان النبي عليه الصلاة والسلام قد أسرَّ إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة، وقد ناشده عمر: أأنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أركي أحداً بعدك. مات بالمدائن سنة 36 هـ وقد شاخ. العسقلاني، الإصابة، ج2، ص44. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص413.409، رقم الترجمة 308. بتصرف.

⁴ تقدم تخرجه.

وسبب بدء التيمم ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش، انقطع عقد لي، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، قالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي، فلا يمنعي من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله عز وجل آية التيمم، فقال أسيد بن حضير¹. وهو أحد النقباء: ما هي بأول بركاتكم يا آل أبي بكر، قالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فوجدنا العقد تحته. أخرجاه في الصحيحين². قولها: بالبيداء هي المفازة، وذات الجيش اسم موضع، وهو على برید من المدينة. وقوله: فبعثنا البعير، أي أثرناه. وأجمعوا على أنه لو وجد الماء، لكنه يحتاج إليه لعطشه أو عطش حيوان محترم، فإنه يجوز له التيمم مع وجود الماء. وأصل التيمم في اللغة القصد، وهو في الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة عند عدم الماء لتأدية الصلاة³. انتهى. قوله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ يظهر لي أن الفاء عاطفة مفصلاً على مجمل. قال

¹ أسيد بن الحضير بن سمالك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي، يكنى أبا يحيى، وأبا عتيك، وكان أبوه حضير فارس الأوس ورئيسهم يوم بعث، وكان أسيد من السابقين إلى الإسلام، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، وكان إسلامه على يد مصعب بن عمير قبل سعد ابن معاذ، واختلف في شهوده بدرًا، قال ابن سعد: كان شريفًا كاملاً، وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن حارثة، وكان ممن ثبت يوم أحد وجرح حينئذ سبع جراحات. وأرخ البغوي وغيره وفاته سنة عشرين، وقال المدائني: سنة إحدى وعشرين. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص83. بتصرف.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 7 التيمم، باب 1 التيمم، ج1، ص431، رقم 334. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 3 الحيض، باب 28 التيمم، ج1، ص379، رقم 367.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص386، 387.

في القاموس: "وترد الفاء عاطفة، وتفيد الترتيب، وهو نوعان: معنوي: كقام زيد فعمره وذكره، وهو عطف مفصل على مجمل، نحو: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾¹. انتهى. واعلم أن التيمم يبطل بكل ما يبطل به الوضوء، وبوجود الماء قبل الصلاة، لا فيها، وبوجود من يجب سؤاله قبل الصلاة. ثم ذكر ما هو كالعلة مما قبله فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ بالإثبات حيث وقع، أي لم يزل ﴿عَفُوًّا﴾ يعني: متجاوزًا عن ذنوب عباده، يعفو عنهم ويصفح ﴿عَفُوًّا﴾ فاصلة الآية الثالثة، ستورًا على عباده، يغفر الذنوب ويستترها، وفيه تنبيه على أن الله رخص لعباده أمر العبادة، ويسرها عليهم، لأن من كان من عادته أن يغفر الذنوب ويعفو عنها، فهو أولى أن يرخص للعاجزين أمر العبادة". انظر: اللباب². وقال في الضياء: "﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ ولذا رخص لكم، وخفف عليكم"³. انتهى. وتحصل مما مر أن المعنى: لا تصلوا وأنتم جنب، إلا إذا كنتم مسافرين، فصلوا بالتيمم إن لم تجدوا ماء، وهنا حذف شيئين، دل عليهما ما يذكر قريبًا، وهما: عوز الماء، والتيمم، ومن هنا اختلفوا في الحاضر الصحيح للعادم للماء، هل يتيممون؟ وهو مأخوذ من الحديث ومن القرآن على ما يأتي، ولا يتيمم إلى أن يجد الماء فيغتسل، كما لأبي حنيفة. والمعنى: لا تقربوا المساجد وأنتم جنب، إلا مجتازين، أي مارين غير ماكثين فيها، ثم تقول: من كان مريضًا أو مسافرًا جنبًا أو غير جنب، بل هو محدث أو محدث حدًا غير الجنابة، وطلب الماء فلم يجده، فإنه يتيمم ويصلي، وكذا من أحدث أو لامس النساء بجماع أو غيره، وهو غير مسافر، فطلب الماء فلم يجده فيتيمم ويصلي، وهذا يفيد أن الحاضر الصحيح إذا عدم الماء فطلبه ولم يجده يتيمم ويصلي. ف ﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسَ مِنْ النِّسَاءِ﴾ على بابها، فإن قلت: قوله: ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ بعد قوله: ﴿إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ﴾ على أن عابر السبيل هو المسافر فيه تكرار؟ فالجواب: أن الأول خاص بالجن، وهذا في الجنب وغيره، أو

¹ البقرة، 36. الفيروزبادي، القاموس باب الألف اللينة، ص 1741.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 389.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 184.

تقول: وإن كنتم مرضى أو على سفر، وقد جاء أحد منكم من الغائط، أو لمستم النساء، وعدمتم الماء، فتيمموا وصلوا. ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو. وحجة صاحب هذا التأويل أنه لو جعلها على بابها لاقتضى المعنى أن المرض والسفر حدث يوجب الوضوء، كالغائط، لعطفه عليهما، وهذا لا يلزم، لأن المعنى: يجوز لكم التيمم إذا لم تجدوا ماء، إن كنتم مرضى، أو على سفر، أو أحدثتم، أو لمستم النساء في غير مرض ولا سفر، والله تعالى أعلم. "نصف". قال صاحب هذا التفسير: ولما منَّ عليهم بهذا الدين السهل، وأخبرهم بأنه عفو عنهم غفور لهم، بيَّن لهم أن اليهود حسدوهم على هذا الفضل العظيم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده، أي ألم ينته علمك ﴿إِلَى الَّذِينَ﴾ فهو من رؤية القلب، يقول هل رأيت مثل هؤلاء ﴿أُتُوا﴾ أعطوا ﴿نَصِيبًا﴾ حظًا ﴿مِّنْ﴾ تبعيضية، علم ﴿الْكِتَابِ﴾ بالحذف، التوراة، يقول الله تعالى ألم ينته علمك، يا محمد، إلى هؤلاء الذين أعطوا حظًا من علم التوراة، يفعلون هذه الأفاعيل القبيحة، من اجترائهم على الله تعالى، حيث يشتركون الضلالة، مع علمهم بقبح ما ارتكبوا، وهذا لا يصنعه عاقل، لما يقع فيه من الهلاك الأبدي. وهذه الآية نزلت في يهود المدينة، نزلت في رفاعه بن زيد ومالك بن دحشم¹ اليهوديين، كانا إذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا ألسنتهما وعاباه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ وهذا التفسير صريح في أنهم يعرفون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. قال الثعالبي: "﴿أَلَمْ تَرَ﴾ من رؤية القلب، وهي العلم بالشئ، والمراد بـ ﴿الَّذِينَ أُتُوا﴾ اليهود، قاله قتادة وغيره، ثم اللفظ يتناول معهم النصارى، وقال ابن زيد²: نزلت في رفاعه بن التابوت³ اليهودي، والكتاب: التوراة والإنجيل⁴. انتهى.

¹ لم أعثر على ترجمة له.

² في الثعالبي: "قال عباس".

³ لم أعثر على ترجمة له.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص449.

وقال في الضياء: "عزى رأى بأل لتضمنه معنى انتهى"¹. انتهى. يعني: ألم ينته علمك إلى الذين، كما مر ﴿يَشْتَرُونَ﴾ يأخذون بالهدى ﴿الضَّلَالَةَ﴾ بالحذف، وهي تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم، يعني: أنهم أخذوا الضلالة، وبذلوا فيها الهدى، وهو اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لأنهم كانوا متمكنين منه، فأعرضوا عنه، وأخذوا بدله الضلالة التي هي العدول عن الحق، فسلكوا الطريق الموصل لهم إلى النار المؤبدة عليهم. وعلم ما فسرت أنه هنا حذف تقديره: يشترون الضلالة بالهدى، وعلى هذا فالشراء على جهة المجاز. وقال الثعالبي: "قالت فرقة: أراد الذين كانوا يعطون أموالهم للأخبار على إقامة شرعهم، فهو شراء حقيقة"².

انتهى. وقال في الضياء: "﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ بالهدى مع ذلك العلم، فأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأخذوا الرشا، وحرفوا التوراة"³ ﴿وَيُرِيدُونَ﴾ يتمنون ويحبون ﴿أَن تَضِلُّوا﴾ يا معشر المسلمين، أن تحيدوا ﴿السَّبِيلَ﴾ أي عن الطريق المستقيم الذي هو دين الإسلام. قال الثعالبي: "﴿أَن تَضِلُّوا﴾ السَّبِيلَ﴾ معناه: أن تكفروا"⁴. وقال في الباب: "﴿وَيُرِيدُونَ﴾ يعني: اليهود أن تضلوا السبيل، يعني: عن السبيل. والمعنى: أنهم يتوسلون إلى إضلال المؤمنين، والتلبيس عليهم، لكي يجنبوا عن الإسلام"⁵. انتهى. ونظير هذه الآية: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾⁶ حسداً ﴿وَاللَّهُ﴾ الذي أحاط علمه بكل شيء ﴿أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ منكم بهم، وهذا فيه تحذير لهم من مناصحتهم، فإنه تعالى يعلم من

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص184.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص449.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص184.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص449.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص389.

⁶ البقرة، 109.

حقيقة أمرهم ما لا تعلمون. قال الثعالبي: "خبر في ضمنه التحذير"¹. انتهى. وقال في الباب:

"﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾" يعني: أنه سبحانه وتعالى أعلم بكنهه² ما في قلوب اليهود من العداوة والبغضاء لكم، يا معشر المسلمين، فلا تستنصحوهم، فإنهم أعداؤكم"³. وظهر من هذا أن هذه الآية سبقت لمنازمة اليهود، واتخاذهم أعداء، وعدم إسلامهم. ولما أخبرهم بعداوة اليهود، وحذرهم منهم، أخبرهم بأنه هو الحافظ لهم من اليهود، وأنه ينصرهم على اليهود، فقال: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ﴾ فاعل كفى، مجرور بالباء الزائدة للتوكيد، والكافي في الأمور هو الذي يقوم بها على التمام، بحيث لا يحتاج إلى من يعينه فيها ﴿وَلِيًّا﴾ تمييز، أي متوليًا لأموركم، وقائمًا بها. والمعنى: أن الله تعالى هو المتولي لأموركم، والقائم بها، فيكميكم، ولا تضركم عداوتهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ﴾ يقال فيها ما قيل فيما قبلها ﴿نَصِيرًا﴾ معينًا، أن الله تعالى هو الناصر المعين الذي لا يحتاج إلى من يعينه، فينصركم عليهم، فثقوا بولايته ونصره، فلا تحتاجون معه إلى ناصر. قال ابن جزى: "وفي تكرار قوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ﴾ مبالغة"⁴. انتهى. وقوله:

﴿نَصِيرًا﴾ فاصلة الآية الرابعة ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ بالإثبات، وهنا تأويلات: أحدها: أنه بيان لـ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ والتقدير: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب من الذين هادوا، ذكر هذا التأويل غير واحد. قال صاحب هذا التفسير: وعلى هذا فهو حال. ثانيها: أنه راجع إلى أعدائكم، يعني: فيكون حالًا من أعدائكم. ثالثها: أنه متعلق بقوله: ﴿نَصِيرًا﴾ أي مانعًا لكم من الذين هادوا، وناصرًا لكم. رابعها: هو ابتداء كلام، وفي الكلام حذف تقديره: من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم إلخ، وعلى هذا التأويل يوفق على قوله: ﴿نَصِيرًا﴾، ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يغيرون ﴿الْكَلِمَ﴾ أي كلم التوراة ﴿عَنْ﴾ تجاوزية ﴿مَوَاضِعِهِ﴾ أي يحرفون اللفظ في التوراة عن الصيغ التي وضع عليها،

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص449.

² "كُنْهُ كُلِّ شَيْءٍ قَدْرُهُ وَنَهَائِيَّتُهُ وَغَايَتُهُ". ابن منظور، لسان العرب، مادة ك ن ه، ج13، ص563.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص389.

⁴ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص195.

أو يغيرونه عن معانيه، بأن يأولوه ويحرفونه. وقيل: يغيرون كلم القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم بالتأويل الفاسد. قال في الضياء: "و﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يغيرون ﴿الْكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة عن مواضعه التي وضع عليها، بتغيير اللفظ، وقد فعلوا ذلك في الأقل، أو بتغيير التأويل بما يشتهونه، وقد فعلوا هذا في الأكثر، وإليه ذهب الطبري¹، وهذا كله في التوراة على قول الجمهور. وقالت طائفة: هو كلم القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم بالتأويل². انتهى. وقال في اللباب: "يعني: يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة. وقال ابن عباس: كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الأمر فيخبرهم به، فيرى أنهم يأخذون بقوله، فإذا خرجوا من عنده، حرفوا كلامه. وقيل: المراد بالتحريف إلقاء الشبهة الباطلة، والتأويلات الفاسدة، وهو تحريف اللفظ عن معناه الحق إلى الباطل³. انتهى. وقال ابن جزى: "﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ يحتمل تحريف اللفظ أو المعنى، و﴿الْكَلِمَ﴾ هنا التوراة. وقيل: كلام النبي صلى الله عليه وسلم⁴ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عطف على ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يعني: بقول اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم بشيء ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمر، كفرًا منهم وطغيانًا. قال الثعالبي: "عبارة عن كفرهم وطغيانهم فيه"⁵. انتهى. وقال في اللباب: "يعني: سمعنا قولك وعصينا أمر، وذلك أنهم كانوا إذا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بشيء قالوا في الظاهر: سمعنا، وقالوا في الباطن: عصينا. وقيل: إنهم كانوا يظهرون ذلك القول عداً واستخفافاً"⁶. ﴿وَأَسْمَعَ عَيْرَ مُسَمِّعٍ﴾ قال في الضياء: "حال بمعنى الدعاء عليه صلى الله عليه وسلم بالصمم أو الموت أو أنت غير مسمع جواباً لترضاه"⁷. انتهى. وهذه أوجه

¹ الطبري، جامع البيان، ج5، ص118.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص185.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص389.

⁴ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص195.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص450.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص389.

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص185.

ثلاثة في الدم، قالوا ذلك طغياناً وكفرًا لعنهم الله. ثم قال في الضياء: "وله وجه مدح يورى به، أي غير مسمع مكروهاً من قولهم، أسمع فلان إذا سبه، قالوه نفاقاً"¹. انتهى. وقال في الباب: "هذه كلمة تحتل المدح والذم، فأما معناها في المدح: اسمع غير مسمع مكروهاً، وأما معناها في الذم: فإنهم كانوا يقولون: اسمع منا، ولا نسمع منك. وقيل: إنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: اسمع، ثم يقولون في أنفسهم: لا سمعت. وقيل: معناه: غير مقبول منك ما تدعو إليه. وقيل: معناه: غير مسمع جواباً يوافقك، ولا كلاماً ترتضيه"². انتهى. ﴿وَرَاعَنَا﴾ بالحذف، عطف على ﴿سَمِعْنَا﴾ أي ويقولون: راعنا، يريدون بذلك نسبته صلى الله عليه وسلم إلى الرعونة، وهي الحق، وكذبوا. لعنهم الله.، قاله في الباب³. وتحقيق هذا أن تقول: كانت الصحابة رضوان الله عليهم يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: راعنا، أمر من المراجعة، ومرادهم. رضوان الله عليهم. راقبنا وتأنّ بنا فيما تلقننا حتى نفهمه، فسمع اليهود الكلمة منهم، فسروا بذلك، وقالوا: كنا نسب محمداً سرّاً، فالآن أعلنوه، فكانوا يقولونه للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم يضحكون، فنهى المؤمنون عنها، وكانت هذه اللفظة سبّاً قبيحاً بلغة اليهود من الرعونة إذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً قالوا له: راعنا، يعنون أحمق، وسمعا سعد بن معاذ⁴، فظن لها، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: لأن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأضربن عنقه، فقالوا: أولست تقولها؟ فنهى الله المسلمين عنها بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص185.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص389، 390.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص390.

⁴ سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، السيد الكبير، الشهيد، أبو عمرو الأنصاري، الأوسي، الأشهلي، البدري، الذي اهتزّ العرش لموته، ومناقبه مشهورة في الصحاح، وفي السيرة وغير ذلك، وقال ابن شهاب: وشهد بدرًا سعد بن معاذ، ورمي يوم الخندق، فعاش شهرًا، ثم انتقض جرحه، فمات، وعاش سبعمائة وثلاثين سنة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص84. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص129.121، رقم الترجمة 197. بتصرف.

الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا ¹ وذم اليهود بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ إلى ﴿وَرَاعِنَا﴾، ﴿لَيَّا﴾ أصله لوى، فأبدلت الواو ياء وأدغمت، مصدر لواه إذا ثناه وصرفه، وهو حال من الضمير في يقولون، أي ويقولون راعنا حال كونهم صارفين لها، أي لراعنا عن معناها الحق الذي هو المراقبة إلى الباطل الذي هو السب للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿بِالْسِّنِّهِمْ﴾ جمع لسان، والباء للآلة. قال في الباب: "والمعنى: أنهم يقتلون الحق، فيجعلونه باطلاً، لأن راعنا من المراعاة، فيجعلونه من الرعونة، وكانوا يقولون لأصحابهم: إنما نشتمه، ولا يعرف، ولو كان نبياً لعرف ذلك، فأظهره الله تعالى على خبث ضمائرهم، وما في قلوبهم من العداوة والبغضاء" ². انتهى. ﴿وَطَعْنَا﴾ قدحاً، أي عيباً ﴿فِي الدِّينِ﴾ أي دين الإسلام الذي أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله: ﴿وَطَعْنَا﴾ عطف على ﴿لَيَّا﴾ والمعنى: أنهم يقولون: راعنا صارفين لها إلى الباطل، وطاعنين في الدين، أي قادحين فيه، ومستهزئين به، لأن سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم قدح في دينه، واستهزاء بشريعته. ثم أخبر تعالى بأنهم لو جعلوا الطاعة مكان المعصية، لربحوا ولصادفوا الصواب، فقال: ﴿وَلَوْ﴾ ثبت وحصل ﴿أَنَّهُمْ﴾ يعني: اليهود ﴿قَالُوا﴾ بالإثبات، بدل ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي سمعنا قولك، وأطعنا أمرك ﴿وَأَسْمَعَ﴾ أي ولو ثبت أنهم قالوا اسمع فقط دون غير مسمع ﴿وَأَنْظُرْنَا﴾ أي ولو ثبت أنهم قالوا: انظرونا، مكان راعنا ﴿لَكَانَ﴾ ذلك القول ﴿حَيْرًا لَهُمْ﴾ عند الله من الذي قالوه، ف ﴿حَيْرًا﴾ هنا اسم تفضيل، ويظهر أن اللام للتعدية ﴿وَأَقْوَمَ﴾ أعدل وأصوب، وإنما كان هذا أقوم وأصوب، لأن القويم المستقيم هو الموصل للمطلوب، بحيث لا ينحرف عنه، وهو الجنة، والقول الأول هو الطريق المعوج الذي ينحرف عن الوجه المطلوب، ويميل بصاحبه إلى الهلاك والنار، فظهر أن هذا القول

¹ البقرة، 104.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص390.

خير من الأول، وأعدل منه وأصوب ﴿وَلَكِنْ﴾ بالحذف، حرف ابتداء بمجرد إفادة الاستدراك، وهو أن تثبت لما بعدها حكمًا مخالفًا لما قبلها ﴿لَعَنَهُمْ﴾ طردهم وأبعدهم ﴿اللَّهُ﴾ عن هداه ورحمته ﴿يَكْفُرُهُمْ﴾ يعني: بسبب كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فاللعنة تسببت عن الكفر ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ فاصلة الآية الخامسة، استثناء من الواو، أي لا يؤمن منهم إلا نفر قليل، كعبد الله بن سلام وأصحاب، أو المعنى: "لا يؤمنون إلا إيمانًا قليلًا، وهو الإيمان ببعض، والكفر ببعض، أو الإيمان باللسان دون القلب"، قاله في الضياء¹. وقال في اللباب: "يعني: فلا يؤمن إلا نفر قليل، مثل عبد الله بن سلام وأصحابه. وقيل: أراد بذلك القليل اعترافهم بأن الله خلقهم ورزقهم"². انتهى. ثم خاطب أهل الكتاب بأن أمرهم بالإيمان من قبل أن يحل بهم أمر يغمهم، فقال: ﴿يَتَأَيَّهَا﴾ اسم مبهم يتوصل به إلى نداء المعرفة، وقد مر تفسيره مرارًا ﴿الَّذِينَ أُوتُوا﴾ أعطوا ﴿الْكِتَابَ﴾ بالحذف، "الخطاب لليهود والنصارى"، قاله الثعالبي³، فالمراد بالكتاب الجنس، أي التوراة والإنجيل ﴿ءَامِنُوا﴾ صدقوا ﴿بِمَا﴾ أي بالقرآن الذي ﴿نَزَّلْنَا﴾ على محمد صلى الله عليه وسلم، والتنزيل هو الإتيان بالشئ من علو إلى سفلى، والمراد هنا إتيان جبريل بالوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ﴿لِمَا﴾ أي للكتاب الذي هو كائن ﴿مَعَكُمْ﴾ وهو التوراة والإنجيل. قال ابن جزى: "وتصديق القرآن للتوراة وغيرها، وتصديق محمد صلى الله عليه وسلم للأنبياء المتقدمين، له ثلاثة معان: أحدها: أنهم أخبروا به، ثم ظهر كما قالوا، فتبين صدقهم في الإخبار به. والآخر: أنه أخبر صلى الله عليه وسلم أنهم أنبياء، وأن الله أنزل عليهم الكتب، فهو مصدق لهم، أي شاهد بصدقهم. والثالث: أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد، وذكر الدار الآخرة، وغير ذلك من عقائد الشرائع، فهو مصدق لهم،

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص185.

² الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص390.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص451.

لاتفاقه معهم في الإيمان بذلك"¹. انتهى. واللام في ﴿لَمَّا﴾ لتقوية ما ضعف عمله بالفرعية، نحو: ﴿فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ﴾²، والله تعالى أعلم. ﴿مَنْ﴾ ابتدائية متعلقة بـ ﴿ءَامِنُوا﴾، ﴿قَبْلَ أَنْ نَطْمَسَ﴾ قال في الباب: "أصل الطمس إزالة الأمر بالمح، وذكروا في المراد بالطمس ها هنا وجهين: أحدهما: أن يحمل على حقيقته. الثاني: أن يحمل على مجازة"³. وسبب هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم أحبار اليهود: عبد الله بن صوريا، وكعب بن الأشرف⁴، فقال: >يا معشر اليهود، اتقوا الله، وأسلموا، فوالله، إنكم تعلمون أن الذي جئكم به الحق<، قالوا: ما نعرف ذلك! فأصروا على الكفر، فأنزل الله عز وجل هذه الآية⁵، وأمرهم بالإيمان، وقرن بهذا الأمر الوعيد الشديد، فقال تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمَسَ وَجُوهَهَا﴾ أما من حمله على الحقيقة، فهو تحويل صور الوجوه. قال في الباب: "عن ابن عباس: نجعلها كخف البعير. وقيل: نعميها، فيكون المراد بالوجه العين، أو المعنى: نزيل محاسنها من العيون والأنوف والحواس"⁶. الثعالبي: "الطامس الدائر المغير الأعلام، قالت طائفة: طمس الوجوه هنا هو خلوها عن الحواس وزوال الخلقة"⁷، وأما من حمله على المجاز فيقول: المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة. ﴿فَنَرُدُّهَا﴾ أي نصيرها ﴿عَلَى﴾ هيئة

¹ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص87.

² هود، 107. البروج، 17.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص390.

⁴ كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان، شاعر جاهلي، كانت أمه من "بني النضير" فدان باليهودية، وكان سيداً في أخواله، يقيم في حصن له قريب من المدينة، أدرك الإسلام ولم يسلم، وأكثر من هجو النبي وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، والتشبيب بنسائهم، وخرج إلى مكة بعد وقعة بدر فندب قتلى قريش فيها، وعاد إلى المدينة، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام بقتله، فقتله خمسة من الأنصار، مات السنة الثالثة للهجرة. الزركلي، الأعلام، ج5، ص225. بتصرف.

⁵ الطبري، جامع البيان، ج5، ص124.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص390.

⁷ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص451.

﴿أَدْبَارَهَا﴾ بالحذف، أي نجعل الوجوه على هيئة أدبارها، وهي الأقفاء. وقيل: نديرها، فنجعل الوجوه إلى خلف، والأقفاء إلى قدام، وإنما جعل الله هذا عقوبة لهم، لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة، وعند هذا يحصل لهم الهم والغم، وتكثر المسرات. فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصاً بيوم القيامة، وهذا على أن الطمس على حقيقته، وأما من حمله على مجازة، فيقول: نطمسها عن الهدى، فنردّها على أدبارها، أي على ضلالتها، أو نردّها على أدبارها، تتغير أحوالهم، فيلبسهم الصغار والذلة بعد العز. وقيل: المراد بالطمس محو آثارهم من المدينة، وردهم إلى أذرع¹ وأرجح² من أرض الشام، من حيث جاءوا، وهو إجلاء بني النضير³، وقد فسرت الطمس بأنه على حقيقته، أو على مجازة، ولا إشكال في ذلك على الوجهين، أما على المجاز فظاهر، وأما على الحقيقة، فإن ذلك واقع يوم القيامة، كما قررت. وقيل: إن ذلك وعيد في الدنيا، وإنه مشروط بعدم الإيمان، وقد آمن منهم ناس، فرفع عن الباقين. روي أن عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله، فأسلم،

¹ أذرعاً كأنه جمع أذعة جمع ذراع جمع قلة، وهو بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان، ينسب إليه الخمر، وقال الحافظ أبو القاسم: أذرعاً مدينة باللقاء. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص130. بتصرف.

² أرجحاً، رواه بعضهم بالخاء المعجمة، لغة عبرانية، وهي مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفراس، في جبال صعبة المسلك، سميت فيما قيل بأرجحاً بن مالك ابن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص165. بتصرف.

³ بنو النضير حي من اليهود سكن المدينة. القلقشندي، نهاية الأرب، ج1، ص150. حصلت غزوة بني النضير في شهر ربيع الأول سنة أربع هجرية، وسببها محاولتهم قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحاصروهم صلى الله عليه وسلم ست ليال، فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها، وقد كان رهط من بني عوف ابن الخزرج منهم عدو الله عبد الله ابن أبي سلول ووديعة ومالك بن أبي قوقل وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فإننا لن نسلمكم، إن قوتلتهم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم، ففعل. ابن هشام، السيرة النبوية، ج4، ص144 وما بعدها. بتصرف.

وقال: يا رسول الله، ما كنت أرى أن أصل إليك، حتى يحول وجهي إلى قفائي. وكذلك روي عن كعب الأحبار أنه لما سمع هذه الآية في خلافة عمر بن الخطاب أسلم، وقال: يا رب، أسلمت مخافة أن يصيبني وعيد هذه الآية. وقيل: إن الطمس باق في اليهود، فيكون فيهم طمس ومسح قبل يوم القيامة. وقيل: إنه تعالى جعل الوعيد بأحد شيئين: إما بالطمس، أو باللعنة، كما قال تعالى: ﴿أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ انظر: الباب. وقال الثعالبي: "قال مالك رحمه الله: كان أول إسلام كعب الأحبار أنه مرَّ برجل من الليل، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا﴾ الآية، فوضع كفيه على وجهه، ورجع القهقري إلى بيته، فأسلم مكانه، وقال: والله، لقد خفت ألا أبلغ بيتي، حتى يطمس وجهي"¹. انتهى. "ونطمس قد يتعدى، كما هنا، وقد يلزم، يقال: ليل طامس، وطريق طامس"، قاله في الضياء². وقال ابن جزى في قوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ طمسها أن تزال العينان منها، وتردَّ في القفا، فيكون ذلك ردًّا على الدبر. وقيل: طمسها محو تخطيط صورها من أنف وعين وحاجب، حتى تصير كالآدبار في خلوها عن الحواس"³. انتهى. وقال السيوطي: "﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ فنجعلها كالأقفاء لوحًا واحدًا"⁴. انتهى. وقال البغوي: "وقيل: معناه: نجعل عينيه على القفاء، فيمشي القهقري"⁵. انتهى. ﴿أَوْ نَلْعَنُهُمْ﴾ فسر بأنه على ظاهره، وفسر أيضًا بأن معنى ﴿نَلْعَنُهُمْ﴾ نجعلهم مردة، والضمير يعود على الوجوه، والمراد أصحابها، أو يعود على الذين أوتوا الكتاب من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ على طريق الالتفات، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص451.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص195.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص87.

⁴ السيوطي، تفسير الجلالين، ص108.

⁵ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص84.

فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ¹، ﴿كَمَا لَعَنَّآ﴾ مسميًا على الثاني، أو طردنا وأبعدنا عن الرحمة على الأول ﴿أَصْحَابَ﴾ بالحذف ﴿السَّبْتِ﴾ وهم الذين اعتدوا بصيد السمك في السبت، فمسحوا قردة وخنازير. وقد فسر الوجوه بالرؤساء، فتعود الكتابة على الوجوه بلا تأويل، والله تعالى أعلم. قال صاحب هذا التفسير: ﴿السَّبْتِ﴾ هنا يحتمل عندي أن يكون مصدر سبت اليهودي عظم يوم السبت، وأن يكون المراد به نفس اليوم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي موقعًا لا بد من ذلك، فاصلة الآية السادسة. قال الثعالبي: "أمر الله في هذه الآية واحد الأمور دال على جنسها، إلا واحد الأوامر، فهو عبارة عن المخلوقات، كالعذاب واللعة هنا، أو ما اقتضاه كل موضع مما يختص به" ². انتهى. وقال في الباب: "﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ يعني: لا بد أن يقع بهم ذلك إن لم يؤمنوا، فلا راد لحكمه، ولا ناقض لأمره، والأمر هنا في موضع الأمور، وسمي أمرًا لأنه عن أمره" ³. انتهى. وقال في الضياء: "﴿مَفْعُولًا﴾ نافذًا كائنًا، فيقع ما وعدتم به لا محالة إن لم تؤمنوا، وهذا وعيد متوقع في بني إسرائيل سيقع. وقيل: كان مشروطًا بعدم إيمان جميعهم، فلما أسلم بعضهم رفع، كعبد الله بن سلام، لما سمع الآية أسلم مكانه" ⁴. انتهى. ثم أخبر الكافرين بأن الكفر لا يغفر، وأنه يغفر ما دون الكفر لمن يشاء المغفرة له، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ الباء إما بمعنى مع، أو للإلصاق، يعني: إن الله لا يعفو ولا يرحم من كفر به، ولا يتجاوز عنه، إن لم يتب من كفره قبل الغرغرة، بل هو مخلد في العذاب الأليم، والخزي المقيم. فالمراد بالإشراك الكفر بأي وجه كان. قال في الضياء: "والمراد بالشرك الكفر مطلقًا ﴿يُؤْمِرُ مَا﴾ أي الذنب الذي هو ﴿دُونُ﴾ معناه عندي تحت أو سوى ﴿ذَلِكَ﴾ أي الشرك، أي الكفر من الذنوب

¹ يونس، 22.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص451.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص391.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص185.

﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي لمن يريد المغفرة له، اللام عندي للتعدية. قال الثعالبي. ونحوه في الضياء¹: "وتلخيص الكلام في هذا أن تقول: الناس أربعة أصناف: كافر مات على كفره، فهذا مخلد في النار بإجماع من الأمة. ومؤمن محسن لم يذنب قط، ومات على ذلك، فهو في الجنة بإجماع. وتائب مات على توبته، فهو عند جمهور أهل السنة في الجنة، ومن المتكلمين من قال: هو في المشيئة. ومذنب مات قبل التوبة، قال أهل السنة: في المشيئة، وقالت المعتزلة: في النار إن كان صاحب كبيرة، وقال الخوارج²: مخلد في النار مطلقاً، إذ كل ذنب عندهم كبيرة، وقالت المرجئة³: هو في الجنة بإيمانه، لا يضره ذنب. والآية نصر في موضع النزاع، إذ قوله: ﴿لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ مجمع عليه، وقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ رد على المعتزلة والخوارج، وقوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ رد على المرجئة، لبيانه أن غفران ما دون الشرك إنما هو لقوم دون قوم، بخلاف ما زعموه من أنه مغفور لكل⁴. انتهى. جعل صاحب الصغائر الذي لم يتب صائراً

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص186.

² الخوارج: خرج معاوية بن أبي سفيان على سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فسار إليه سيدنا علي كرم الله وجهه، والتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين للهجرة، ودام القتال بما أياماً، فرجع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها، مكيدة من عمرو بن العاص فكَرَّهَ الناس الحرب وتَدَاعَوْا إلى الصلح، وحَكَّمُوا الحكمين، فخرجت على سيدنا علي بن أبي طالب الخوارج من أصحابه ومن كان معه وقالوا: "لا حكم إلا لله"، وعسكروا بحروراء وهو موضع بالكوفة، وبعث إليهم ابن عباس، فخاصمهم وحجهم، فرجع منهم قوم كثير، وثبت قوم، وساروا إلى النهروان فعرضوا للسبيل، فسار إليهم علي فقتلهم بالنهروان وتشقت الباقون وتوزعوا إلى عشرين فرقة، يجمعهم إكفار سيدنا علي وسيدنا عثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بالتحكيم وصوب الحكمين أو أحدهما ووجوب الخروج على السلطان الجائر. البغدادي، الفرق بين الفرق، الفصل 2، الباب 3 في بيان مقالات الخوارج، ص54، 55. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص138. بتصرف.

³ المرجئة: جملة المرجئة ثلاث فرق، والإرجاء في اللغة هو التأخير وإنما سموا مرجئة لأنهم يؤخرون العمل من الإيمان على معنى أنهم يقولون: "لا تضر المعصية مع الإيمان، كما لا تنفع الطاعة مع الكفر"، وقولهم بالإرجاء خلاف قول المسلمين قبلهم، وهؤلاء اختلفوا خمس فرق: اليونسية، الغسانية، التومنية، الثوبانية، والمريسية. الأسفراييني، التبصير في الدين، ص997. بتصرف.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص451، 452.

إلى المشيئة، وهو ظاهر الآية، وقد نص غيره على أنه في الجنة، وفي نظم عقيدة السنوسي الكبرى للشيخ طاهر رحمه الله تعالى¹: [الرجز]

والحق فيه أنهم قسمان ~ مؤمنهم وكافر فالثان
مخلد في النار بالإجماع ~ وذاك ضربان بلا نزاع
محفوظ عمره من المعاص ~ في جنة والخلق عنه قاص
وغيره قسمان ذي الصغائر ~ لا غيرها وصاحب الكبائر
إن تاب في الجنة قل هذان ~ والغير في مشيئة الرحمن

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ قال في اللباب: "قال الطبري: "معناه: يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"، فعلى هذا يكون في الآية دلالة على أن اليهودي يسمى مشركاً في عرف الشرع. وقيل: الآية نزلت في وحشي² وأصحابه، قاله الكلبي³. وذلك لما قتل حمزة⁴

¹ لم أعثر عليه.

² وحشي بن حرب الحبشي مولى بني نوفل. قيل: كان مولى طعيمة بن عدي. وقيل: مولى أخيه مطعم، وهو قاتل حمزة، قتله يوم أحد، وقصة قتله له ساقها البخاري في صحيحه مطولة، فيها قصة إسلامه، وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يغيب وجهه عنه، وكان قدومه عليه مع وفد أهل الطائف، وذكر في آخرها أنه شارك في قتل مسيلمة، يكنى أبا سلمة، وقيل: أبا حرب، وشهد وحشي اليرموك ثم سكن حمص ومات بها. روى عنه: ابنه حرب وعبد الله بن عدي بن الخيار وجعفر بن عمرو الضمري، وعاش وحشي إلى خلافة عثمان. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص601.

³ لم أعثر على القول.

⁴ حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الإمام البطل الضرغام، أسد الله، أبو عمارة، وأبو يعلى القرشي الهاشمي المكي ثم المدني البصري الشهيد، عم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأخوه من الرضاعة. قال ابن إسحاق: لما أسلم حمزة، علمت قريش أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قد امتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه. استشهد يوم أحد، فكان سيد

رضي الله عنه، ورجع إلى مكة، ندم على صنعه هو وأصحابه، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا قد ندمنا على ما صنعنا، وأنه ليس يمنعنا من الإسلام إلا أننا سمعناك تقول وأنت بمكة: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾¹ الآية، وقد دعونا مع الله إلهاً آخر، وقتلنا النفس التي حرم الله، وزيننا، فلولا هذه الآيات لاتبعناك. فنزلت: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾² الآية. فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فلما قرؤوها كتبوا إليه: إن هذا شرط شديد، نخاف أن لا نعمل عملاً صالحاً، فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فبعث بها إليهم، فبعثوا إليه: إننا نخاف أن لا نكون من أهل المشيئة، فنزل: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا﴾³ الآية. فبعث بها إليهم، فدخلوا الإسلام، ورجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقبل منهم، ثم قال لوحشي: أخبرني، كيف قتلت حمزة؟ فلما أخبره، قال: <ويحك، غيب وجهك عني>⁴، فلحق بالشام، فكان به إلى أن مات. وقيل: لما نزلت: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾⁵، قام رجل فقال: يا رسول الله، والشرك؟ فسكت، ثم قام إليه مرتين أو ثلاثاً، فنزلت هذه الآية، ومعناها: إن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، يعني: ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء من أصحاب الذنوب والآثام. ففي الآية دليل على أن صاحب الكبيرة إذا مات من غير توبة، فإنه في خطر المشيئة،

الشهداء. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص121، 122. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص171 وما بعدها، رقم الترجمة 15. بتصرف.

¹ الفرقان، 68.

² الفرقان، 70.

³ الزمر، 53.

⁴ البيهقي، السنن الكبرى، ج9، ص96، 97.

⁵ الزمر، 53.

إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة بفضلته وكرمه، وإن شاء عذبه بالنار، ثم يدخله الجنة برحمته وإحسانه، لأن الله تعالى وعد المغفرة بما دون الشرك. وفي الآية رد على المعتزلة والقدرية¹، حيث قالوا: لا يجوز أن يغفر لصاحب كبيرة. وعند أهل السنة: إن الله تعالى يفعل ما يشاء، لا مكره له، ولا حرج عليه. ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر قال: كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات الرجل على كبيرة، شهدنا أنه من أهل النار، حتى نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فأمسكنا عن الشهادة. وعن جابر قال: جاء أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ما الموجب؟ قال: <من مات لا يشرك بالله شيئاً، دخل الجنة، ومن مات يشرك به، دخل النار>². "واعلم أنه قد ورد في القرآن آيات كثيرة في الوعيد، فحملها المعتزلة على العصاة، وحملها المرجئة على الكفار، وحملها أهل السنة على الكفار، وعلى من لا يغفر الله له من العصاة، كما حملوا آيات الوعد على المؤمنين الذين لم يذنبوا، وعلى المذنبين التائبين، وعلى من يغفر الله له من العصاة، كما حملوا آيات الوعد على المؤمنين الذين لم يذنبوا، وعلى المذنبين التائبين، وعلى من يغفر الله له من العصاة غير التائبين. فعلى مذهب أهل السنة لا تعارض بين الآيات، بخلاف قول غيرهم"، قاله ابن جزى³. وروى البغوي بسنده⁴، عن محمد بن إسماعيل⁵، عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة>، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: <وإن زنى وإن سرق>، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: <وإن زنى وإن سرق>، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: <وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر>. وكان أبو

¹ هم المعتزلة.

² أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج3، ص345. الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص391، 392.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص196.

⁴ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص86.

⁵ أي البخاري.

ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر¹. ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ يعني: يجعل معه شريكاً غيره ﴿فَقَدْ أَفْتَرَى﴾ قال الثعالبي: "الفرية أشد مراتب الكذب قبحاً، وهو الاختلاق"². انتهى. ونحوه بغيره. قال صاحب هذا التفسير: ويظهر أن افتري هنا مضمن معنى ارتكب ﴿إِثْمًا﴾ ذنباً ﴿عَظِيمًا﴾ تستحقر دونه الآثام، فاصلة الآية السابعة. قال في الضياء: "﴿أَفْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ارتكب، استحقق³ دونه الآثام، وهو إشارة إلى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب"⁴. انتهى. وقال في اللباب: "يعني: ذنباً عظيماً غير مغفور إن مات عليه"⁵. انتهى. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ﴿إِلَى الَّذِينَ﴾ استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده، أي ألم ينته علمك إلى الذين؟ قال في اللباب: "﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي ألم تعلم، كما تقول: ألم تر صنيع فلان"⁶ ﴿يُزَكُّونَ﴾ يمدحون ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ قال في اللباب: "ومعنى ﴿يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ النفس حقيقة، يزعمون أنهم أذكىء، لأنهم برئوا من الذنوب"⁷. انتهى. والتزكية فعل ما يستقبح فعلاً وقولاً. وقال ابن جزى: "هم اليهود، وتزكيتهم قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّائُهُ﴾"⁸. انتهى. وقال في الضياء: "هم اليهود حيث قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّائُهُ﴾"⁹ ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾¹، وغير هذا من مخلفاتهم، وفي

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 77 اللباس، باب 24 الثياب البيض، ج 10، ص 283، رقم 5827.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 452.

³ في اللباب: "ما يستحقر".

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 186.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 392.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 392.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 392.

⁸ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 196. المائة، 18.

⁹ المائة، 18.

معناهم كل من زكى نفسه وأثنى عليها، أليس بتزكيتهم أنفسهم" ². انتهى. وقال في الباب: "نزلت ³ في رجال من اليهود، أتوا بأطفالهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد، هل على هؤلاء من ذنب؟ قال: <لا>، قالوا: ما نحن إلا كهيتهم، ما عملناه بالنهار، يكفر عنا بالليل، وما عملناه بالليل، يكفر عنا بالنهار. فأنزل الله هذه الآية. وقيل: نزلت في اليهود والنصارى، حين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانِي﴾ ⁴، والتزكية هنا عبارة عن مدح الإنسان نفسه بالصالح والدين، ومنه تزكية الشاهد حين يصير عدلاً، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ⁵، وذلك لأن التزكية متعلقة بالتقوى، وهي صفة في الباطن، فلا يعلم حقيقتها إلا الله، ولا تصلح التزكية إلا من عند الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ ويدخل في هذا المعنى كل من زكى نفسه بصلاح، أو وصفها بذكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى، وبزيادة الزلفى عند الله، وهذه الأشياء لا يعلمها إلا الله تعالى، فلهذا قال: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ⁶ قال تعالى ردّاً عليهم ⁷ ﴿بَلِ﴾ للإضراب، ومعنى الإضراب هنا إبطال ما قبلها من تزكيتهم أنفسهم، وتثبيت ما بعدها ﴿بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ أن يزكيه، أي يجعله زكياً، قاله في الباب. وقال في الضياء: "﴿بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّي﴾ يطهر من يشاء بالإيمان والطاعة، وهذا تنبيه على أن تزكية الله تعالى هي المعتد بها دون تزكية غيره، لأنه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حسن وقبح، وقد ذمهم، وأصل التزكية نفى ما يستقبح فعلاً أو

¹ البقرة، 111.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص186.

³ الواحدي، أسباب النزول، ص114.

⁴ البقرة، 111.

⁵ النجم، 32.

⁶ النجم، 32.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص392.

قولاً"¹. انتهى. وقال الثعالبي: "لا خلاف بين المتأولين أن المراد بالآية اليهود، وإنما اختلفوا في المعنى الذي به زكوا أنفسهم، فقال الحسن وقتادة: ذلك قولهم: ﴿لَا يَحْزَنُ أَتَيْنَا اللَّهَ وَأَحْبَبْنَاهُ﴾"²، وقولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾"³ إلى غير ذلك من غرورهم. قال ابن عطية: "فتقتضي هذه الآية الغض من المزكي لنفسه بلسانه، وأن الزاكي المزكي من حسنت أفعاله، وزكاه الله عز وجل"⁴. انتهى. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ يعني: ينقصون، يعني: المزكين أنفسهم، أو الذين زكاهم الله تعالى على الخلاف الآتي ﴿فَتِيلاً﴾ فاصلة الآية الثامنة، أي شيئاً قليلاً. قال البغوي: "هو اسم لما في شق النواة، والقطمير اسم للقشرة التي على النواة، والنقير اسم للنقطة التي تكون على ظهر النواة. وقيل: الفتيل من الفتل، وهو ما يحصل بين الإصبعين من الوسخ عند الفتل"⁵. انتهى. قال ابن جزى: "وهو تمثيل وعبرة عن أقل الأشياء، فيدل على الأكثر بطريق الأولى"⁶. انتهى. وقال في الباب: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ يعني: إن الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تلك التزكية من غير ظلم. وقيل: معناه: أن الذين زكاهم الله لا ينقصون من ثواب طاعتهم شيئاً. والفتيل المفتول يسمى ما يكون في شق النواة فتية، لكونه على هيئته، ويضرب به المثل في الشيء الحقير الذي لا قيمة له"⁷. انتهى. وقال الثعالبي: "وذلك راجع إلى الكناية عن تحقير الشيء وتصغيره، وأن الله لا يظلمه ولا شيئاً دونه في الصغر، فكيف ما فوقه؟"⁸ ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، أي انظر،

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص186.

² المائة، 18.

³ البقرة، 111.

⁴ ابن عطية، الخرج الوجيز، ج2، ص65، 66. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص452، 453.

⁵ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص87.

⁶ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص196.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص392.

⁸ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص453.

يا محمد، إلى هؤلاء اليهود. ﴿كَيْفَ﴾ يظهر لي أنها في محل نصب على الحال من فاعل
﴿يَفْتَرُونَ﴾ يختلفون، أي على أن حالة من أحوالهم، أي باقين على عقولهم يفترون ﴿عَلَى﴾
الله الكذب ﴿منصوب على المصدرية أو المفعولية. قال الثعالبي: "بيِّن أن تركيتهم لأنفسهم
كانت بالباطل والكذب، وهو يقوي القول بأن تركيتهم لأنفسهم كانت بقولهم: ﴿لَحْنُ آبَتُونَا﴾
الله وأحببوه. ¹، وأن الافتراء أعظم في هذه المقالة" ² ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ الباء زائدة داخله على
فاعل كفى، والضمير عائد على الافتراء. وقيل: على الكذب ﴿إِثْمًا﴾ ذنبًا ﴿مُبِينًا﴾ بينًا
ظاهرًا، فاصلة الآية التاسعة. قال الثعالبي: "خبر في ضمنه تعجيب وتعجيب من أمرهم" ³،
يقول الله تعالى تناهى هذا الافتراء في العظم المبين حتى تقاصر عنه كل ذنب بين العظم
والقبح، ثم انتقل إلى تعجيبيهم بنوع آخر من الأباطيل فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يقال فيه ما قيل في
ما قبله ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا﴾ أعطوا ﴿نَصِيبًا﴾ حظًا ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾. قال
الثعالبي: "أجمع المتأولون على أن المراد بهذا طائفة من اليهود، والقصص يبيِّن ذلك" ⁴
﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون ﴿بِالْحَبِيبِ وَالطَّلْعُوتِ﴾ بالحذف، هما صنمان. وقال الثعالبي:
"ومجموع ما ذكره المفسرون في تفسير الحبث والطاغوت، أنه كل ما عبد وأطيع من دون الله
تعالى" ⁵. انتهى. وقال في الباب: "نزلت في كعب بن الأشرف وسبعين راكبًا من اليهود، قدموا
مكة بعد وقعة أحد، ليحالفوا قريشًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقضوا العهد الذي
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل ابن الأشرف على أبي سفيان ⁶، فأحسن

¹ المائدة، 18.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 453.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 453.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 453.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 453.

⁶ أبو سفيان، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، صحابي، من سادات قريش في
الجاهلية، وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية، كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره: قاد

مثواه، ونزل باقي اليهود على قريش في دورهم، فقال لهم أهل مكة: أنتم أهل كتاب، ومحمد صاحب كتاب، ولا نأمن أن يكون هذا مكرًا منكم، فإن أردتم أن نخرج معكم، فاسجدوا لهذين الصنمين، ففعلوا ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ ثم قال كعب بن الأشرف لأهل مكة: ليحج منكم ثلاثون رجلاً، ومنا ثلاثون رجلاً، فنلزم أكبادنا بالكعبة، فنعاهد رب هذا البيت، لنجهدين على قتال محمد، ففعلوا، ثم قال أبو سفيان لكعب بن الأشرف: إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم، ونحن أميون لا نعلم، فأيتنا أهدي سبيلاً، نحن أم محمد؟ فقال كعب: اعرض علي دينكم، فقال أبو سفيان: نحن ننحر للحجيج الكوماء¹، ونسقيهم الماء، ونقري الضيف، ونفك العاني²، ونصل الرحم، ونعمر بيت ربنا، ونطوف به، ونحن أهل الحرم، ومحمد فارق دين آبائه، وقطع الرحم، وفارق الحرم وديننا القديم، ودين محمد الحديث. فقال كعب: أنتم، والله، أهدي سبيلاً مما عليه محمد، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يعني: يا محمد ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ يعني: كعب بن الأشرف وأصحابه الذين يؤمنون بالجبوت والطاغوت، يعني به: سجودهم للصنمين. واختلف العلماء فيهما، فقيل: الجبوت والطاغوت كل معبود دون الله عز وجل. وقيل: هما صنمان كانا لقريش، وهما اللذان سجد اليهود لهما طلباً لمرضاة قريش. وقيل: الجبوت اسم للأصنام، والطاغوت شياطين الأصنام، ولكل صنم شيطان، يعبر فيها، ويكلم الناس، ليغترون بذلك. وقيل: الجبوت الكاهن، والطاغوت الساحر، الأول لعكرمة. وقيل: الجبوت كل ما حرم الله تعالى، والطاغوت كل ما

قريشاً وكنانة يوم أُحد ويوم الخندق لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسلم يوم فتح مكة سنة 8هـ، وأبلى بعد إسلامه البلاء الحسن، وشهد حُنيئاً والطائف، ففقت عينه يوم الطائف ثم فقت الأخرى يوم اليرموك، فعمي، توفي بالمدينة وقيل بالشام، ولد سنة 57 قبل الهجرة وتوفي سنة 31 بعدها. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص412، 413. الزركلي، الأعلام، ج3، ص201. بتصرف.

¹ الناقة الكوماء: هي الطويلة السنم، والكوم: عظم في السنم. ابن منظور، لسان العرب، مادة ك م ي، ج15، ص231.

² قال أبو الهيثم: العاني الخاضع، والعاني العبد. ابن منظور، لسان العرب، مادة ع ن ا، ج15، ص101.

يطغي الإنسان. وقيل: الجبت حبي بن أخطب¹، والطاغوت كعب بن الأشرف اليهوديان. وروى البغوي بسنده²، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: >العيافة والطرق والطيرة من الجبت<. وأخرجه أبو داود³، وقال: والطرف الزجر، والعيافة الخط، وقيل: العيافة هي زجر الطير، وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا خرج لأمر زجر طيرًا، فإن أخذ ذات اليمين مضى في حاجته، وإن أخذ ذات الشمال رجع، فنهوا عن ذلك. والطرق هو ضرب الحجارة والمضي على طريق الكهانة، فنهوا عنه. والطيرة هي أن يطير بشئ، فيرى الشؤم فيه، والشر منه. وقيل: هو من التطير، وهو زجر الطائر⁴. انتهى. ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني: كعب بن الأشرف وأصحابه ﴿لِلَّذِينَ﴾ اللام للتبليغ ﴿كَفَرُوا﴾ يعني: كفار قريش ﴿هَؤُلَاءِ﴾ يعني: أنتم يا هؤلاء ﴿أَهْدَى﴾ أرشد وأقوم ﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: محمدًا صلى الله عليه وسلم وأمثه ﴿سَبِيلًا﴾ فاصلة الآية المكملة للخمسين، طريقًا، أي دينًا، تمييز، وما فسرت به هؤلاء من أنه منادى، و﴿أَهْدَى﴾ خبر أنتم مضمرة هو. الباب⁵. ومقتضى كلام السيوطي⁶ وغيره أن ﴿هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ بمعنى أنتم، و﴿أَهْدَى﴾ خبره، وقد مر أن سبب الآية سجود كعب بن الأشرف وأصحابه لصنمي قريش، وقول كعب لأبي سفيان: أنتم، والله، أهدى سبيلًا مما عليه محمد ﴿أُولَئِكَ﴾ قال في الباب: "يعني: كعب بن الأشرف

¹ حبي بن أخطب النضري، جاهلي، من الأشداء العتاة، كان ينعت بسيد الحاضر والبادي، أدرك الإسلام وآذى المسلمين، فأسروه يوم قريظة ثم قتلوه سنة 5 هجرية. الزركلي، الأعلام، ج2، ص292. بتصرف.

² البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص88.

³ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 22 الطب، باب 23 في الخط وزجر الطير، ج2، ص409، رقم 3907.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص392، 393.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص393.

⁶ السيوطي، تفسير الجلالين، ص109.

وأصحابه¹. انتهى. ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أي طردهم وأبعدهم عن رحمته ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ﴾ أي يبعده ويطرده عن رحمته ﴿فَلَنْ يَجِدَ﴾ تصادف ﴿لَهُ﴾ أي فمن لعنه الله متعلق بما بعده، أو حال منه ﴿نَصِيرًا﴾ فاصلة الآية الأولى بعد الخمسين من سورة النساء، ومعنى ﴿نَصِيرًا﴾ مانعًا من عذاب الله تعالى، ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾². قال في الضياء: "و﴿نَصِيرًا﴾ مانعًا من عذابه، بشفاعة أو غيرها"³ ﴿أَمْ﴾ أي بل ﴿هَلُمَّ﴾ أي للذين أوتوا نصيبًا من الكتاب ﴿نَصِيبٌ﴾ حظٌّ ﴿مِّنَ الْمُلْكِ﴾ هو الاحتواء على الشيء مع القدرة على التصرف فيه، والاستبداد به. قال الثعالبي: "عرف ﴿أَمْ﴾ أن تعطف بعد استفهام متقدم، كقولك: أقام زيد وعمرو، فإذا وردت ولم يتقدمها استفهام كما هنا فمذهب سيبويه أنها مضمنة معنى الإضراب عن الكلام الأول والقطع عنه، وهي متضمنة مع ذلك معنى استفهام، فهي بمعنى بل مع همزة الاستفهام، كقول العرب إنها لا بل أم شاء التقدير عند سيبويه أنها لا بل هي شاء، وكذلك هذا الموضع"⁴. انتهى. وقال ابن جزي: "الهمزة للاستفهام مع الإنكار"⁵. انتهى. وقال البغوي: "﴿أَمْ هَلُمَّ﴾ يعني: ألهم، والميم صلة"⁶. انتهى. وقال في الضياء: "أي ليس لهم شيء من الملك"⁷. انتهى. وقال في اللباب: "هذا استفهام إنكار، يعني: ليس لهم من الملك شيء البتة، وذلك أن اليهود كانوا يقولون: نحن أولى بالملك والنبوة، فكيف نتبع العرب؟ فأكذبهم الله تعالى وأبطل دعواهم"⁸ ﴿فَإِذَا﴾ بالألف، أي فلو كانوا

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص393.

² المدثر، 48.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص187.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص454.

⁵ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص187.

⁶ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص88.

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص196.

⁸ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص393.

ملوكًا ﴿لَا يُؤْتُونَ﴾ يعطون ﴿النَّاسَ﴾ بالإثبات ﴿نَقِيرًا﴾ فاصلة الآية الثانية، أي شيئًا تافهًا قدر النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم. قال في الضياء: "وهو إشارة إلى أنهم غير أحقّاء بالملك، وفيه مبالغة في بيان شحهم لبخلهم بالنكير، وهم ملوك، فما ظنك بهم فقراء؟"¹. انتهى. وقال في اللباب: "وصفهم بالبخل في هذه الآية، ووصفهم بالجهل في الآية المتقدمة، ووصفهم بالحسد في الآية الآتية، وهذه الخصال كلها مذمومة، فكيف يدعون الملك، وهي حاصلة فيهم، والنكير هي النقطة التي تكون على ظهر النواة، ومنها تنبت النخلة، ويضرب به المثل في الشيء الحقير التافه الذي لا قيمة له"². انتهى. ﴿أَمَّ﴾ معادلة أو منفصلة بمعنى بل والهمزة ﴿يَحْسُدُونَ﴾ يعني: اليهود. قال في اللباب: "أصل الحسد تمنى زوال النعمة عن من هو مستحق لها، وربما يكون ذلك مع سعي في زوالها. وصف الله اليهود بشر خصلة، وهي الحسد"³. ﴿النَّاسَ﴾ قال في اللباب: "والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده، وإنما جاز أن يقع عليه اسم لفظ الجمع وهو واحد، لأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة، ومن هذا القبيل يقال: فلان أمة وحده، يعني: أنه يقوم مقام أمة. وقيل: المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لأن لفظ الناس جمع، وحمله على الجمع أولى"⁴. انتهى. وقال الثعالبي: "﴿أَمَّ﴾ هذه على بابها من العطف بعد الاستفهام. وقيل: هي منقطعة، تتقدر بـ بل والهمزة"⁵. انتهى. وقال في الضياء: "﴿النَّاسَ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم، أو هو وأصحابه، أو العرب، أو الناس جميعًا، وهو إضراب عن الإضراب، والحسد أشنع من البخل، إذ هو بخل واعتراض على الله وعدم الرضى بما قسم، فكان بينهما تلازمًا وتجاوزًا"⁶ ﴿عَلَى﴾ يظهر أنها تعليلية ﴿مَا﴾ أي لأجل الذي

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص196.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص393.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص393.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص393.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص455.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص196.

﴿ءَاتَهُمُ﴾ بالياء بدل الألف ﴿اللَّهُ﴾ إياه ﴿مِنْ﴾ بيانية أو تبعيضية ﴿فَضْلِهِ﴾ على أن المراد بالناس العرب، يكون المراد بالفضل النبي صلى الله عليه وسلم، لكونه منهم. وقال في اللباب: "والمراد بالفضل النبوة، لأنها أعظم المناصب وأشرف المراتب، وهذا يأتي على أن المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم، أو هو وأمته. وقيل: حسدوه على ما أحل الله له من النساء، وكان له يومئذ تسع نسوة، فقالت اليهود: لو كان نبياً لشغله أمر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء"¹. وقال ابن جزى: "الناس هنا يراد به النبي وأمته، والفضل النبوة، وقيل: النصر والعزة"². انتهى. ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿ءَالَ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني: أولاد إبراهيم، بالحذف، جدّ النبي صلى الله عليه وسلم، كموسى وعيسى وداود وسليمان وإبراهيم ﴿الْكِتَابَ﴾ يظهر أنه أراد بالكتاب ما أنزل على أولاد إبراهيم من الكتب، فيكون المراد الجنس ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوة. وقال في اللباب: "يعني: أنه قد حصل في أولاد إبراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون، جمعوا بين الملك والنبوة، مثل: داود وسليمان عليهما السلام، فلم يشغلهم الملك عن أمر النبوة، والمعنى: كيف تحسدون محمداً صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله، وقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة، وأنتم لا تحسدونهم؟ والمراد بالكتاب التوراة، وبالحكمة النبوة"³. انتهى. وقال الثعالبي: "والمعنى: فلم يخصصونه بالحسد، ولا يحسدون آل إبراهيم في جميع ما آتاهم من هذا وغيره؟"⁴. انتهى. وهذا يأتي على أن المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم، وبالفضل النبوة فقط، والله تعالى أعلم. وقال ابن جزى: "والقصد بالآية الرد على اليهود في حسدهم للنبي صلى الله عليه وسلم، ومعناها إلزامهم بما عرفوه من فضل الله على إبراهيم، فلا شيء يخصصون محمداً صلى الله عليه وسلم بالحسد دون غيره، ممن أنعم الله عليه؟"⁵. انتهى. وقال الثعالبي: "قال أبو عمر بن عبد البر: "قد ذم الله قومًا على

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص393.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص196.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص393.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص455.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص197.

حسد، فقال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾¹، ثم حدث بسنده²، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: >إن الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب الرقيق<³. وذكر عبد الرزاق⁴ عن معمر⁵ عن إسماعيل بن أمية⁶ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: >ثلاث لا يسلم منهن أحد: الطيرة والظن والحسد<، قيل: فما المخرج منهن، يا رسول الله؟ قال: >إذا تطيرت فلا ترفع، وإذا ظننت فلا تحقد، وإذا حسدت فلا تبغي<⁷. وحدث أبو عمر في سنده⁸، عن عمر بن سيويه⁹ قال¹⁰: لما رفع الله موسى، رأى رجلاً متعلقاً بالعرش، فقال: يا رب، من هذا؟ قال: هذا عبد من عبادي صالح، إن شئت أخبرتك بعمله؟ قال: يا رب، أخبرني،

¹ ابن عبد البر، التمهيد، ج3، ص16.

² ابن عبد البر، التمهيد، ج3، ص17.

³ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب 37 الزهد، باب 22 الحسد، ج2، ص1408.

⁴ عبد الرزاق بن همام بن نافع، الحافظ الكبير، عالم اليمن، أبو بكر الحميري مولا، الصنعاني، الثقة، حدث عن هشام بن حسان، وعُبَيْدُ اللَّهِ بن عمر، وغيرهم، وقد ولد سنة 126هـ، قال أحمد العجلي: عبد الرزاق: ثقة. وقد روى عبد الرزاق قرابة مائة وثيِّف وثلاثين حديثاً، أكثرها في الصحيحين. توفي في شوال، سنة 211هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص331323، رقم الترجمة 1669. بتصرف.

⁵ معمر بن راشد، الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، أبو عروة بن أبي عمرو الأزدي مولا، البصري، نزيل اليمن، مولده سنة خمسٍ أو ستٍ وتسعين، وشهد جنازة الحسن البصري، وطلب العلم وهو حدث، حدث عن: قتادة، والزهرى، وطبقتهما، وكان من أوعية العلم، مع الصدق، والتحري، والورع، والجلالة، وحسن التصنيف، وحدث عنه: أيوب، وأبو إسحاق، والسفيانان، وابن المبارك، وخلق سواهم، قال أبو حفص الفلاس: معمر من أصدق الناس. مات في شهر رمضان سنة 152هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص93، رقم الترجمة 1137. بتصرف.

⁶ إسماعيل بن أمية عن سعيد المقبري هو الأموي الشامي نزيل مكة وأبوه أمية هو ابن عمرو الأشدق بن سعيد بن أمية. ثقة مشهور في التهذيب. العسقلاني، الإيثار بمعرفة رواة الآثار، ج1، ص41.

⁷ عبد الرزاق الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، ج10، ص403، رقم 19504.

⁸ ابن عبد البر، التمهيد، ج3، ص230.

⁹ لم أعثر على ترجمة له.

¹⁰ ابن أبي شيبة، المصنف، ج5، ص330.

قال: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله"¹. انتهى. ﴿وَأَتَيْنَهُمْ﴾ بالحذف، أعطيناهم، يعني: آل إبراهيم ﴿مُلْكًا عَظِيمًا﴾ كبيراً، فاصلة الآية الثالثة، "يعني: فلم يشغلهم عن أمر النبوة. فمن فسّر الفضل بكثرة النساء، فسّر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكثرة النساء، فإنه كان لداود مائة، وسليمان ألف امرأة، ثلاثمائة حرة، وسبعمائة سرية، ولما لم يكن مستبعداً في حقهم، ولا نقصاً في نبوتهم، لا يكون مستبعداً في حق محمد صلى الله عليه وسلم، ولا نقصاً في نبوته"، قاله في الباب². وقال ابن جزى: "الملك في آل إبراهيم هو ملك يوسف وداود وسليمان"³. انتهى. وقال في الضياء: "﴿وَأَتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ فلا يبعد أن يؤتي الله هؤلاء، يعني: محمداً وأصحابه مثل ما آتاهم، أي إن كان حسدهم على ما أوتي هؤلاء، فقد عرفوا أن أسلافهم أوتوا مثل ذلك، فلا بدع أن يخول الله محمداً مثل ما خول غيره، وهو أفضل الرسل. روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: <خَيْرَنِي اللَّهُ بَيْنَ أَنْ أَكُونَ نَبِيًّا مُلْكًا، وَأَنْ أَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا، فَاخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا، فَأَنَا أَكُلُ مَا يَأْكُلُ الْعَبِيدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبِيدُ>⁴. انتهى. قلت: معناه: امتناعه من صفات الملوك، ورضاه بصفات العبيد والفقراء، فجملة <أَكُلُ> إلخ مفسرة له، والله أعلم"⁵. انتهى. وقال البغوي: "﴿وَأَتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ فإنه كان لسليمان ألف امرأة، ثلاثمائة حرة، وسبعمائة سرية، وكان لداود مائة امرأة، ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تسع نسوة، فلما قال لهم ذلك سكتوا"⁶، قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ﴾ يعني: اليهود، ومن تبعيضية ﴿مَنْ أَمَنَ﴾ صدق ﴿بِهِ﴾ يعني: بالنبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله، كعبد الله بن سلام وأصحابه

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص455.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص393، 394.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص197.

⁴ أبو يعلى، مسند أبي يعلى ج8، ص318. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (19/9): "رواه أبو يعلى وإسناده حسن".

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص188.

⁶ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص90.

﴿وَمِنْهُمْ﴾ يعني: من اليهود، ومن تبعيضية ﴿مَنْ﴾ بمعنى الذي، أو فريق ﴿صَدَّ﴾ أعرض ﴿عَنْهُ﴾ أي عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يؤمن به¹. قال البغوي: "﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ أي بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه"² إلخ. ونحوه لغيره. وقال في الضياء: "﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ بمحمد أو بما ذكر من حديث آل إبراهيم، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ﴾ أعرض عنه ولم يؤمن به. وقيل: معناه: من آل إبراهيم من آمن به، ومنهم من كفر، ولم يكن في ذلك توهين أمره، فكذا لا يوهن كفر هؤلاء أمرك"³. انتهى. وقال الثعالبي: "﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ اختلف في الضمير في ﴿بِهِ﴾ فقال الجمهور: هو عائذ على القرآن الذي في قوله: ﴿ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ فأعلم الله أن منهم من آمن كما أمر، فلذلك ارتفع الوعيد بالطمس، ولم يقع، وصد قوم ثبت الوعيد عليهم في الآخرة. وقيل: هو عائذ على الفضل الذي آتاه الله النبي صلى الله عليه وسلم والعرب على ما تقدم. وقيل: هو عائذ على إبراهيم"⁴. انتهى. وقال ابن جزى: "قيل: المراد من اليهود من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، أو بالقرآن، أو بما ذكر من حديث إبراهيم، فهذه ثلاثة أوجه في ضمير ﴿بِهِ﴾. وقيل: منهم أي من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم، ومنهم من كفر، كقوله: ﴿فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾⁵، ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ﴾ فاعل كفى جر بالباء الزائدة ﴿سَعِيرًا﴾ نَارًا مسعرة موقدة، فاصلة الآية الرابعة، يعني: أن من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم كفر في عذابه جهنم التي أسعرت إسماعيرًا يقصر كل إسماعار دونه، ولما توعد الفريق المعرض من اليهود بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ

¹ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص90.

² البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص90.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص188.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص455، 456.

⁵ الحديد، 26. البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص197.

سَعِيرًا ﴿ أَخَذَ يَبَيِّنُ مَا لِكُلِّ كَافِرٍ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، وَمَا لِلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ جَلَّتْ قَدْرَتُهُ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ﴾ إلخ. وقال تعالى: "لما تقدم في الآية وصف المرأة من بني إسرائيل، وذكر أفعالهم وذنوبهم، جاءت هذه الآية بالوعيد النص لهم بلفظ جلي عام لهم ولغيرهم ممن فعل فعلهم من الكفرة"¹. انتهى. يعني قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ﴾ جمع الذي، وهو اسم موصول، صيغ ليتوصل به إلى وصل المعارف بالجمل ﴿ كَفَرُوا ﴾ جحدوا وكذبوا ﴿ بِآيَاتِنَا ﴾ بال حذف، يظهر أن المراد بها هنا جميع الكتب السماوية، ومعجزات الأنبياء، والظاهر أن الباء للملاحقة، والله تعالى أعلم. ﴿ سَوْفَ ﴾ قال في القاموس: "وسوف ويقال سف وسَوْ وسَيّ، حرف معناه الاشتياق، أو كلمة تنفيس في ما لم يكن بعد، وتستعمل في التهديد والوعيد والوعد"². انتهى. ﴿ نُصَلِّهِمْ ﴾ ندخلهم ﴿ نَارًا ﴾ قال في اللباب: "هذا وعيد من الله عزَّ وجلَّ للذين أقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم، من اليهود وغيرهم من سائر الكفار. والمعنى: إن الذين جحدوا ما أنزل على رسولي محمد، من آياتي الدالة على توحيدي وصدق رسولي محمد صلى الله عليه وسلم، سوف نصليهم نارا، نشويهم فيها"³. انتهى. ﴿ كَلَّمَ ﴾ بالوصل، مضمن معنى الشرط، والعامل فيه الجواب، وهو ﴿ بَدَّلْنَاهُمْ ﴾، وما مصدرية، أو ظرف زمان، وعلى كلا القولين ف كل منصوب على الظرفية، كما سأبيته قريبا إن شاء الله تعالى. ﴿ نَضِجَتْ ﴾ احترقت ﴿ جُلُودُهُمْ ﴾ بَدَّلْنَاهُمْ ﴿ بِالْحَدَفِ ﴾ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴿ أَي غَيْرِ الْمُحْتَرَقَةِ. قال ابن عباس: تبدل جلودا بيضا، كأمثال القراضين⁴. والمراد بتبديل الجلود تغيير صفاتها، لا أنه تعاد حقيقته جلد غير حقيقة

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص456.

² الفيروزآبادي، القاموس، باب الفاء، فصل السين، ص1062.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص394.

⁴ لم أتعرف معنى الكلمة، ولعلها خطأ مطبعي.

الجلد الأول. "وقيل: الجلود السراويل، وهو بعيد"، قاله ابن جزى¹. وقال في الباب: "روي أن هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فقال عمر للقارئ: أعدّها، فأعادها، وكان عنده معاذ بن جبل²، فقال له: يا معاذ، عندي تفسيرها، تبدل في كل ساعة مائة مرة، فقال عمر: هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم³. قال البغوي: قال الحسن: "تأكلهم النار في كل يوم سبعين ألف مرة"⁴، وعن أبي هريرة: يرفعه ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: <ضرس الكافر. أو. قاب⁵ الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام>⁶. قال في الباب: <فإن قلت: كيف يعذب جلودًا لم تكن في الدنيا ولم تعص؟ قلت: التبديل، يعاد الجلد الأول في كل مرة، وإنما قال: ﴿جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ لتبديل صفتها، كما تقول: صنعت من خاتم

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص197.

² معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عديّ بن كعب الخزرجيّ، السيد، الإمام، أبو عبد الرحمن الأنصاريّ، المدنيّ، البصريّ، شهد العقبة شابًا أمرد، وله عدة أحاديث. هو أحد الذين أخذ منهم القرآن بأمر من النبيّ صلى الله عليه وسلم، وروي أن عمر قال: من أراد الفقه، فليأت معاذ بن جبل. توفي سنة 17هـ، وكان عمره 33 سنة أو أزيد قليلاً. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص136. الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج3، ص204.196، رقم الترجمة 227. بتصرف.

³ لم أعثر عليه.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 81 الرقاق، باب 51 صفة الجنة والنار، ج11، ص415، رقم 6551.

⁵ الْقَوْبُ أَنْ تُقَوَّبَ أَرْضًا أَوْ حُفْرَةً شَبَهَ التَّقْوِيرَ، قُبْتُ الْأَرْضَ أَقْوَمُهَا إِذَا حَفَرْتَ فِيهَا حُفْرَةً مُقَوَّرَةً فَانْقَابَتْ هي، ابن سيده: قاب الأرض قَوْبًا وَقَوَّبَهَا تَقْوِيًا حَفَرْتُ فِيهَا شَبَهَ التَّقْوِيرَ، وقد انْقَابَتْ وَتَقَوَّبَتْ وَتَقَوَّبَ من رأسه مواضع أي تَقَشَّرَ، وَالْأَسْوَدُ الْمَتَقَوَّبُ هو الذي سَلَخَ جِلْدَهُ من الْحَيَّاتِ. ابن منظور، لسان العرب، مادة ق و ب، ج1، ص692.

⁶ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 51 الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب 13 النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ج4، ص2189، رقم 2851. الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص394.

خاتماً غيره، فالثاني هو الأول، غير أن الصياغة بدلت الصفة¹. انتهى. وهذا كما يقال: جاءكم فلان بغير الوجه الذي ذهب به، وكقول ابن الرومي: [الطويل]

هنالك تلقى جعفرًا غير جعفر ~ وقد بدلت يمناه من لينها عنفا

قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ يقال فيها ما قيل في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا﴾² ونظيرهما كثير في القرآن، نحو: ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾³، ﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾⁴، ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا﴾ إلى غير ذلك، قال في المعنى كل في نحو: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾⁵ منصوبة على الظرفية باتفاق، وناصبها الفعل الذي هو جواب للمعنى، مثل: ﴿قَالُوا﴾⁶ في الآية، وجاءتها الظرفية من جهة ما، فإنها محصلة لوجهين: أحدهما: أن تكون حرفًا مصدرًا، والجملة بعده صلة له، فلا محل لها، والأصل كل رزق، ثم عبر عن معنى المصدر بما والفعل ثم أنيب عن الزمان، أي كل وقت رزق، كما أنيب عنه المصدر الصريح في جئتكم خفوق النجم. والثاني: أن تكون اسمًا نكرة بمعنى وقت، فلا يحتاج على هذا إلى تقدير وقت، والجملة بعده في موضع خفض على الصفة، فيحتاج إلى تقدير عائد منها، أي كل وقت رزقوا فيه، إلى آخر كلامه.

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص394.

² البقرة، 25.

³ المؤمنون، 44.

⁴ الملك، 8.

⁵ البقرة، 25، 25.

⁶ البقرة، 25.

وقال في الضياء: "روى الإمام أحمد مرفوعاً: > ما بين شحمة أذن الكافر وعاتقه مسيرة سبعمائة عام، وغلظ جلده سبعون ذراعاً¹. انتهى². ﴿لِيَذُوقُوا﴾ متعلق بـ بدلنا، ﴿الْعَذَابُ﴾ قال في اللباب: "أي إنما فعلنا بهم ذلك ليجدوا ألم العذاب وكرهه وشدته، وإنما أتى بلفظ الذوق مع ما يناله من عظم العذاب الذي نالوه إخباراً بأن إحساسهم به في كل حال كإحساس الذائق في تحديد وجدان الذوق من غير نقصان في الإحساس"³. انتهى. وقال في الضياء: "﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابُ﴾ على الدوام"⁴. انتهى. وقال السيوطي: "ليقاسوا شدته"⁵. انتهى. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ أي لم يزل ﴿عَزِيزًا﴾ أي غالباً "في انتقامه ممن ينتقم منه، لا يغلبه شيء، ولا يمتنع عليه أحد"⁶. انتهى. انظر: اللباب. ﴿حَكِيمًا﴾ فاصلة الآية الخامسة. قال في اللباب: "يعني في تدييره وقضائه، وأنه لا يفعل إلا ما هو الصواب"⁷. انتهى. وقال في الضياء: "﴿عَزِيزًا﴾ لا يعزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه في ما أعد من العذاب لمن خالفه"⁸، وذكر ما لمن آمن ببني إسرائيل وغيرهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ صدقوا بالله ورسله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بالحذف، بامثال ما أمر به الشارع، مفعول، لأن العمل بمعنى المعمول ﴿سَنَدْخُلُهُمُ﴾ السين للتنفيس، يعني في الآخرة ﴿جَنَّاتٍ﴾ بالحذف، مفعول ندخل، أو منصوب على نزع الخافض ﴿تَجْرَى﴾ تضطرب وتطرد ﴿مِنْ﴾ ابتداءية ﴿تَحِبَّهَا﴾ أي الجنات ﴿الْأَنْهَارُ﴾ بالحذف، جمع نهر، والمراد نهر اللبن ونهر الماء ونهر

¹ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج2، ص26.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص188.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص394.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص188.

⁵ السيوطي، تفسير الجلالين، ص110.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص394.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص394.

⁸ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص188.

العسل إلى غير ذلك، وهي تجري على غير أخدود ﴿خَالِدِينَ﴾ يعني مقيمين باقين ﴿فِيهَا﴾ أي في الجنات المذكورة ﴿أَبَدًا﴾ أي إلى ما لا نهاية له، وهو منصوب على الظرفية، ومن عجيب أمر الجنات أنها تتسع وتزايد أبدًا¹. قال الطبري¹: لما خلق الله عز وجل الجنة قال لها: امتدي²، فقالت: يا رب، كم وإلى كم؟ فقال لها: امتدي مائة ألف سنة، فامتدت، ثم قال لها: امتدي، فقالت: يا رب، كم وإلى كم؟ فقال لها: امتدي مقدار رحمتي، فهي تمتد أبد الآبدين. فليس للجنة طرف. انتهى. وهذا لا يعلم إلا من جهة السمع، فهو من ما اطلع عليه الطبري، وهو إمام حافظ محدث ثقة، قاله الخطيب³ أحمد بن علي بن ثابت⁴، قاله الثعالبي. قال صاحب هذا التفسير: وهذا يخالف ما قاله⁵ الشيخ العارف بالله تعالى سيدي عبد العزيز الدباغ⁶ أن الملائكة الذين هم في حافات الجنة، يلهجون بالصلاة على سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا سمعت الجنة ذكره اتبعته، وهم لا يفترقون عن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، وهي لا تفتر عن الاتساع، حتى يتجلى الحق لهم إذا دخل أهل الجنة الجنة، فإذا تجلّى⁷ الحق سبحانه أخذوا في التسبيح وقطعوا الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، فحيث لا تتسع ﴿لَهُمْ﴾ أي للذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿فِيهَا﴾ متعلق

¹ لم أعثر عليه.

² من قوله: "امتدي" إلى قوله: "فامتدت"، ثم قال: "غير موجود في تفسير الثعالبي".

³ أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج2، ص163. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب. أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين. مولده في غزوة بصيغة التصغير، منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، ومنشؤه ووفاته ببغداد. ولما مرض مرضه الأخير وقف كتبه، وفرّق جميع ماله في وجوه البر وعلى أهل العلم والحديث. وكان فصيح اللهجة عارفاً بالأدب، يقول الشعر، ولوعاً بالمطالعة والتأليف، ذكر ياقوت أسماء 56 كتاباً من مصنفاته، من أفضلها: "تاريخ بغداد". ولد سنة 392هـ، وتوفي سنة 463هـ. الزركلي، الأعلام، ج1، ص172. بتصرف.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص456.

⁵ لم أعثر عليه.

⁶ لم أعثر على ترجمة له.

⁷ يرى أهل الجنة ربه من غير كيف ولا مكان.

بالكون في لهم يعني في الجنات ﴿أَزْوَاجٌ﴾ بالحذف ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض والنفاس وسائر أقدار الدنيا التي لا تختص بالنساء، كالبول والغائط والمخاط وغير ذلك، ويمكن أن يراد طهارة الطباع وطيب الأخلاق، ومن عجيب أمرهن أن فيهن لو بزقت في البحر الملح الأجاج¹ لَعَذِبَ ماؤه، فقد روى أبو الليث السمرقندي² عن ابن عباس رضي الله عنهما قال³: في الجنة حوراء يقال لها: لعبة، لو بزقت في البحر لعذب ماء البحر، مكتوب على نحرها: من أراد أن يكون له مثلي، فليعمل بطاعة ربي. ومن عجيب أمرهن أن الإنزال لهن برشح المسك يعم الواطئ من الرأس إلى القدمين، فسبحان الله ذي الفضل العظيم. ﴿وَنُدْخِلُهُمْ﴾ أي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ظِلًّا﴾ الظل يطلق على معنيين: أحدهما: حقيقته. والثاني: اللذادة وعدم المتعصر ﴿ظِلِيلًا﴾ فاصلة الآية السادسة. قال في اللباب: "يعني كنيئاً⁴ ذلك الظل، لا تنسخه الشمس، ولا يؤذيهم فيه حر ولا برد. فإن قلت: إذا لم يكن في الجنة شمس يؤذي حرها، فما فائدة وصفها بالظل الظليل؟ قلت: إنما خاطبهم بما يعقلون ويعرفون، وذلك لأن بلاد العرب في غاية الحرارة، فكان الظل عندهم من أسباب اللذادة"⁵. انتهى. وقال في الضياء: "وهو إشارة إلى النعمة الدائمة"⁶. انتهى. وقال ابن جزري: "صفة من لفظ الظل للتأكيد، أي دائماً لا تنسخه الشمس"⁷. قال في الضياء: "ولما ذكر الكفار بالخيانة وتحريف

¹ "الأجاج بالضم الماء الملح الشديد الملوحة". ابن منظور، لسان العرب، مادة أ ج ج، ج 2، ص 205.
² أبو الليث السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، الملقب بإمام الهدى. علامة، من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين. له تصانيف نفيسة، منها: "تفسير القرآن". خ، أجزاء متفرقة منه، و"عمدة العقائد". خ، و"تنبيه الغافلين". ط. مجهول الولادة، وتوفي سنة 373 هـ. الزركلي، الأعلام، ج 8، ص 27. بتصرف.

³ لم أعثر عليه.

⁴ كنيئاً: ضيقاً. ابن منظور، لسان العرب، مادة ل ح ح، ج 2، ص 577.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 394.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 188.

⁷ ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 197.

الكلم، أرففه بأمر المؤمنين كافة بأداء الأمانات فقال¹: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ بالإثبات ﴿أَنْ تُؤَدُّوا﴾ تسلموا ﴿الْأَمْنَتِ﴾ بالحذف، أي ما أئتمنتم عليه من الحقوق، أي استحفظتموه ﴿إِلَى أَهْلِهَا﴾ أي أهل الأمانات. قال ابن جزى: "قيل: إن الآية خطاب للولادة. وقيل: للنبي صلى الله عليه وسلم، حين أخذ مفتاح الكعبة من عثمان ابن طلحة²، ولفظها عام، وكذلك حكمها"³. انتهى. وقال الثعالبي: "قال ابن جريج⁴ وغيره: الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في أمر مفتاح الكعبة، حين أخذه من عثمان بن طلحة ومن ابن عمه شيبه⁵، فطلبه العباس بن عبد المطلب ليضيف السدانة إلى السقاية، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة، وكسر ما كان فيها من الأوثان، وأخرج مقام إبراهيم، ونزل عليه جبريل عليه السلام بهذه الآية، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وخرج النبي صلى الله عليه وسلم

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص188.

² عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي، العبدري، الحنفي، حاجب البيت الحرام، وأحد المهاجرين، هاجر مع خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص إلى المدينة، له رواية خمسة أحاديث، منها واحد في صحيح مسلم، ثم دفع إليه النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة يوم الفتح. حدث عنه: ابن عمر، وعروة بن الزبير، وابن عمه، شيبه بن عثمان الحجاب، وقد قُتل أبوه طلحة يوم أحد مشركاً، وتوفي سنة 42هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج، ص5، 6، رقم الترجمة 360. بتصرف.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص197.

⁴ ابن جريج، عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد. فقيه الحرم المكي. كان إمام أهل الحجاز في عصره، وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة. رومي الأصل، من موالي قریش، مكّي المولد والوفاة. ولد سنة 80هـ، وتوفي سنة 150هـ. الزركلي، الأعلام، ج4، ص160. بتصرف.

⁵ شيبه بن عثمان، وهو الأوقص بن أبي طلحة بن عبد الله بن عبد العزى بن عبد الدار القرشي العبدري الحنفي، أبو عثمان. قال ابن السكن: أمه أم جميل هند بنت عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار أخت مصعب بن عمير. قال البخاري وغير واحد: له صحبة، أسلم يوم الفتح، وكان أبوه ممن قتل بأحد كافرًا، ولبنته صفية بنت شيبه صحبة، وكان شيبه ممن ثبت يوم حنين، بعد أن كان أراد أن يغتال النبي صلى الله عليه وسلم، فقذف الله في قلبه الرعب، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على صدره، فثبت الإيمان في قلبه، وقاتل بين يديه. العسقلاني، الإصابة، ج3، ص370، 371.

وهو يقرأ هذه الآية، وما كنت سمعتها منه قبل، فدعا عثمان وشيبة، وقال لهما: <خذها خالدة تالدة¹، لا ينزعها منكم إلا ظالم²>. ثم الآية بعد تتناول الولاية فيما لديهم من الأمانات، في قسمة الأموال، ورد الظلامات، وعدل الحكومات، وتتناول من دونهم من الناس، في حفظ الودائع، والتحرز في الشهادة، وغير ذلك، كالرجل يحكم في نازلة ما ونحوه، والصلاة، والزكاة، والصيام، وسائر العبادات، أمانات لله عز وجل. قال ابن العربي في "أحكامه": "هذه الآية في أداء الأمانة، والحكم بين الناس عامة، في الولاية والخلق؛ لأن كل مسلم عالم، بل كل مسلم حاكم ووال. قال النبي صلى الله عليه وسلم: <المقسطون يوم القيامة على منابر من نور، عن يمين الرحمن³، وكلتا يديه يمين، وهم الذين يعدلون في أنفسهم وأموالهم وأهليهم وما ولوا>⁴. انتهى⁵. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: <كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع في أهل بيته، وهو مسئول عن رعيته⁶، والمرأة راعية في مال زوجها، وهي مسئولة عن رعيته، والعبد راع في مال سيده، وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته>. فهذه الأحاديث الصحيحة تدل على ما مر⁷. وقال في الباب: "قال البغوي: "نزلت في عثمان بن طلحة الجمحي⁸ من بني عبد الدار، وكان سادن⁹ الكعبة، فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح¹، أغلق عثمان باب

¹ التالدة: القديم. ابن منظور، لسان العرب، مادة ب ل د، ج3، ص94.

² الواحددي، أسباب النزول، ص117.

³ المعنى قريبون من رحمة الله تعالى.

⁴ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 33 الإمارة، باب 11 فضيلة الإمام العادل، ج3، ص1458، رقم1827.

⁵ ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص450، 451.

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 11 الجمعة، باب 11 الجمعة في القرى، ج2، ص380، رقم893.

⁷ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص457.

⁸ في معالم التنزيل: "الحجبي"، وكذلك في الباب.

⁹ "رجل سادن من قوم سَدَنَة، وهم الخَدَم، والسَدَنُ السَّتْرُ، والجمع أسَدَانٌ". ابن منظور، لسان العرب، مادة س د ن، ج13، ص207.

الكعبة، وصعد السطح، ففقد رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح، ف قيل له: إنه مع عثمان، فطلبه منه، فأبى، وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح، فلوى علي بن أبي طالب يده، وأخذ منه المفتاح، وفتح الباب، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت، وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح، ويجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله هذه الآية، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان، ويعتذر إليه، ففعل ذلك، فقال له عثمان: أكرهت، ثم حببت برفق²، فقال علي: لقد أنزل الله عز وجل في شأنك قرآناً، وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فأسلم، فكان المفتاح معه إلى أن مات، فدفعه إلى أخيه شيبه، فالمفتاح والسدانة باقية في أولادهم إلى يوم القيامة³، قلت: وفيما ذكره البغوي من إسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح، ومنعه المفتاح، وقوله: لو أعلم أنه رسول الله، لم أمنعه المفتاح، نظر، والصحيح ما حكاه أبو عمر ابن عبد البر⁴ وابن مندة⁵ وابن الأثير⁶ أن عثمان بن طلحة هاجر إلى المدينة

¹ فتح مكة: كان في العاشر من رمضان، عام ثمان للهجرة، وذلك أن بني بكر التي كانت في حلف قريش عدت على خزاعة التي كانت في حلف النبي صلى الله عليه وسلم، وبذلك نقضت قريش صلح الحديبية. وقد شهد فتح مكة عشرة آلاف صحابي. ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج2، ص389 وما بعدها. بتصرف.

² في اللباب: "جئت برفق".

³ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص92، 93.

⁴ ابن عبد البر، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، ج3، ص92.

⁵ عزاه له ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج3، ص475. ابن منده، محمد بن يحيى بن منده، العبدى، أبو عبد الله. مؤرخ، من حفاظ الحديث الثقات، من أهل أصبهان. ومنده لقب جده، واسمه إبراهيم بن الوليد. مجهول الولادة، وتوفي سنة 301هـ. الزركلي، الأعلام، ج7، ص135. بتصرف.

⁶ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج3، ص475. ابن الأثير، الشيخ، الإمام، العلامة، المحدث، الأديب، النسابة، عز الدين، أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري، الشيباني، ابن الشيخ الأثير أبي الكرم، مصنف التاريخ الكبير الملقب بـ "الكامل"، مصنف كتاب "معرفة الصحابة". ولد سنة 555هـ، سمع من: الخطيب أبي الفضل الطوسي، ويحيى بن محمود الثقفي، ومسلم بن علي السيجي، وعبد الوهاب بن سكين، حدث عنه: ابن الدُبَيْثي، والقوصي، ومجد الدين بن

في هدنة الحديبية¹ سنة ثمان، مع خالد بن الوليد²، ولقيهما عمرو بن العاص³ مقبلاً من عند النجاشي⁴، فرافقهما، وهاجر معهما، فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال: <رمتكم مكة بأفلاذ كبدها>⁵، يعني أنهم وجوه أهل مكة، فأسلموا، وسلم عثمان بن طلحة المفتاح

العدم، توفي في الخامس والعشرين من شعبان، سنة 630هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، ص6361، رقم الترجمة 5805. بتصرف.

¹ الحديبية: صلح الحديبية جرى في السنة السادسة للهجرة حيث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرًا في ذي القعدة لا يريد حربًا ومعه المهاجرين والأنصار زهاء ألف وأربعمائة إنسان، وجاءت وفود متتابعة من قريش إلى النبي عليه الصلاة والسلام للمهادنة وتمت هناك البيعة تحت الشجرة، وحصل عهد و صلح بين الطرفين، حيث أمن الناس كلهم مدخل في الإسلام في سنتين عدد كبير من أهل الجزيرة العربية وكان فتحًا كبيرًا للمسلمين. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد الثاني، ذكر عمرة الحديبية، ص200.

² خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعب، سيف الله تعالى، وفارس الإسلام، وليث المشاهد، السيد، الإمام، الأمير الكبير، أبو سليمان القرشي، وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، هاجر مسلمًا في صفر، سنة ثمان، ثم سار غازيًا، فشهد غزوة مؤتة، وشهد الفتح، وحنينًا، وحارب أهل الردة، ومسيلمة، وغزا العراق، وشهد حروب الشام، ومناقبه غزيرة، ومشهده على باب حمص، وعليه جلالة. حدث عنه ابن خالته عبد الله بن عباس، وقيس بن أبي حازم والمقدام بن معدي كرب وآخرون، وله في الصحيحين حديثان وفي "مسند بقي" واحد وسبعون. عاش ستين سنة وتوفي بحمص سنة 21هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص168.161، رقم الترجمة 219. بتصرف.

³ عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبد الله، فاتح مصر، وأحد دهاة العرب، كان من الأشراف على الإسلام في الجاهلية، أسلم يوم الحديبية، ولده النبي صلى الله عليه وسلم إمرة جيش ذات السلاسل، ثم استعمله في عمان، ويوم الفتنة مع علي كان مع معاوية، له 39 حديثًا. ولد سنة 50 ق هـ، توفي سنة 43هـ. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص650. الزركلي، الأعلام، ج5، ص79. بتصرف.

⁴ أصحمة بن أبحر النجاشي ملك الحبشة، واسمه بالعربية عطية، والنجاشي لقب له، أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يهاجر إليه، وكان ردًا للمسلمين نافعًا، وقصته مشهورة في المغازي في إحسانه إلى المسلمين الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام، وأخرج أصحاب الصحيح قصة صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب من طرق. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص205.

⁵ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج16، ص212، ج46، ص129.

إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، فردّه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: <خذوها، يا بني طلحة، خالدة مخلدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم>¹. ولم يذكروا سؤال العباس السدانة، والله تعالى أعلم. وثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر قال: "أقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح، وهو يردف أسامة² على القصواء، بالفتح والمد والفتح، كما في ابن حجر³، ومعه بلال⁴ وعثمان، حتى أناخ عند البيت، ثم قال لعثمان: <إيتنا بالمفتاح>، فجاءه

¹ لم أعثر عليه.

² أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد الغزى بن امرئ القيس المولى، الأمير الكبير، حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاه، وابن مولاه، استعمله النبي عليه الصلاة والسلام على جيش لغزو الشام، وفي الجيش عمر والكبار، فلم يسر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبادر الصديق بيعتهم، فأغاروا على أُبَيّ، من ناحية البلقاء، وقد سكن المزة مدّة، ثم رجع إلى المدينة فمات بها، وقيل: مات بوادي القرى، حدّث عنه: أبو هريرة، وابن عباس، وعدّة، وله في "مسند بقي": مائة وثمانية عشر حديثًا، منها في البخاري ومسلم، ومات في آخر أيام معاوية. العسقلاني، الإصابة، ج1، ص49. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص476.472، رقم الترجمة 336. بتصرف.

³ العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج5، ص335. ونص عبارته: "القصواء بفتح القاف بعدها مهملة ومد". أحمد بن علي بن محمد الكناي العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة، علت شهرته فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: "انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر"، ومنها: "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"، و"لسان الميزان"، و"الإحكام لبيان ما في القرآن من أحكام"، و"الإصابة في تمييز الصحابة"، و"القول المسدّد في الذبّ عن مسند الإمام أحمد"، وغيرها كثير. ولد 773هـ، وتوفي 852هـ. الزركلي، الأعلام، ج1، ص178. بتصرف.

⁴ بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق، وأمه جمامة، وهو مؤدّن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من السابقين الأولين الذين غدّبوا في الله، شهد بدرًا، وشهد له النبي عليه الصلاة والسلام على التعيين بالجنة، وحديثه في الكتب، حدّث عنه: ابن عمر، وأبو عثمان النهدي، والأسود، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وجماعة، ومناقبه جمّة، استوفاه الحافظ ابن عساكر، ولما احتضر قال: غداً نلقى الأحبة محمدًا وحزبه. توفي سنة 20هـ، ودفن بباب الصغير بدمشق، وجاء عنه 44 حديثًا، منها في "الصحيحين". العسقلاني، الإصابة، ج1، ص326. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص153.158، رقم الترجمة 217. بتصرف.

بالمفتاح، ففتح الباب" ¹، وذكر الحديث، وذكره ابن أبي صالح ²، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قال النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة: <اطلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة>، فذهب ليعطيه إياه، فقال العباس: بأبي أنت وأمي، اجمعه لي مع السقاية؛ فكف عثمان يده، مخافة أن يعطيه العباس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: <هات المفتاح>، فأعاد العباس قوله، وكف عثمان يده، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: <هات المفتاح>، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر<، فقال: هاك، يا رسول الله، بأمانة الله؛ فأخذ المفتاح، ففتح البيت، ونزل جبريل بهذه الآية، فدعا عثمان ودفعه إليه" ³. ففي هذه الرواية أيضًا ما يدل على تقدم إسلام عثمان بن طلحة قبل فتح مكة، لأن قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن طلحة: <إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر> يدل على ذل، فعلى هذا القول يكون الخطاب في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ للنبي صلى الله عليه وسلم، لأن الله عز وجل أمره أن يرد مفتاح البيت إلى عثمان بن طلحة. وقيل: الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ لولاة أمور المسلمين من الأمراء والحكام وغيرهم، ويدل عليه سياق الآية، وهو قوله: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ ومعنى الآية: أن الله أمركم، يا ولاة الأمور، أن تؤدوا ما أئتمنكم عليه من أمور دينكم، وأن توفوهم حقوقهم، وأن تعدلوا بينهم. وقيل: إن الآية عامة في جميع الأمانات، ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم، فيدخل في ذلك جميع الأمانات التي يحملها الإنسان، وينقسم ذلك إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: رعاية الأمانة في عبادة الله عز وجل، وهي فعل المأمورات، وترك المنهيات. قال ابن مسعود: الأمانة لازمة في كل شيء، حتى في الوضوء، والغسل من الجنابات، والصلاة، والزكاة، والصوم، وسائر أنواع العبادات. القسم الثاني: هو رعاية الأمانة مع نفسه،

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 65 المغازي، باب 77 حج الوداع، ج 8، ص 105، 106، رقم 4400. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 10 الحج، باب 68 استجاب دخول الكعبة للحاج وغيره، ج 2، ص 966، 967، رقم 1329.

² اسمه في الأعلام كثير، ولا يوجد علامة فارقة.

³ لم أعثر على هذه الرواية.

وما أنعم الله به عليه من سائر أعضائه، كأمانة اللسان، حفظه من الكذب والغيبة ونحو ذلك، وأمانة العين، غضها عن المحارم، وأمانة السمع، أن لا يشغله بسماع شيء من اللهو والفحش والأكاذيب ونحوه، ثم سائر الأعضاء على نحو ذلك. القسم الثالث: هو رعاية أمانة العبد مع سائر عباد الله تعالى، فيجب عليه رد الودائع والعواري إلى أربابها الذين أئتموه عليها، ولا يخونهم فيها. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: >أدّ الأمانة إلى من أئتمنك، ولا تخن من خانك<¹. أخرجه أبو داود والترمذي، وقال: "حديث حسن غريب"، ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان، فلا تطفف فيهما، ويدخل في ذلك أيضاً عدل الأمراء الملوك في الرعية، ونصح العلماء للعامة، فكل هذه الأشياء هي التي أمر الله عز وجل بأدائها إلى أهلها. وروى البغوي² بسنده عن "أنس قال: قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال: >لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له<³". انتهى.

﴿وَإِذَا﴾ ويأمركم ﴿حَكَمْتُمْ﴾ إذا حكمتهم، قال صاحب هذا التفسير: يظهر أن معناه إذا أردتم أن تحكموا ﴿بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا﴾ عطف على ﴿أَنْ تَوَدُّوا﴾ فصل بين العاطف والمعطوف بالظرف المضاف إلى جملة ﴿بِالْعَدْلِ﴾ نقيض الجور، بأن يحكم لكل بحقه الذي أعطاه الله. قال في اللباب: "يعني: إن الله يأمركم أن تحكموا بين الناس بالعدل، فيجب على الحاكم أن يأخذ الحق ممن وجب عليه، وأصل العدل المساواة في الأشياء، فكل ما خرج عن الظلم والاعتداء يسمى عدلاً. قال بعض العلماء: ينبغي للقاضي أن يسوي بين الخصمين في خمسة أشياء: في الدخول عليه، والجلوس بين يديه، والإقبال عليهما، والاستماع منهما، والحكم فيما لهما وعليهما. وحاصل الأمر فيه أن يكون مقصود العالم بحكمه إيصال

¹ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 17 البيوع، باب 81 في الرجل يأخذ من تحت يده، ج2، ص312، رقم3535. الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 12 البيوع، باب 38، ج3، ص564، رقم1264. قال الترمذي: "حديث حسن غريب".

² البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص93.

³ هنا انتهى كلام الخازن في تفسيره اللباب، ج1، ص394، 395. والمراد لا يكون مؤمناً كاملاً من خان الأمانة والعهد.

الحق على مستحقه، وأن لا يمتزج ذلك بغرض آخر. روى مسلم¹ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: >إن المقسطين عند الله على منابر من نور يوم القيامة< إلخ. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: >أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم² عنده مجلسًا: إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم³ منه مجلسًا: إمام جائر<. أخرجه الترمذي⁴. ﴿إِنَّ اللَّهَ

نِعَمًا﴾ "أصله "نعم ما" بسكون العين وفتح الميم الأولى، سكنت وأدغمت في الثانية وحركت العين لالتقاء الساكنين"⁵، قاله الثعالبي. وقال في الضياء: "بكسر النون والعين، من غير إخفاء في رواية⁶ ورش عن نافع، وحفص عن عاصم، وقراءة ابن كثير، وبفتح النون وكسر العين من غير إخفاء لابن عامر وحمزة، والكسائي وبكسر النون وإخفاء كسر العين لأبي عمرو وقالون عن نافع وأبي بكر عن عاصم"⁷. انتهى. وقد مر الكلام على "نعم" و"بئس" إذا اقترنا بـ "يا"، فراجع إن شئت⁸. وقوله: ﴿نِعَمًا﴾ أي نعم شيئًا، أو نعم الشيء الذي ﴿يَعْظُمُ﴾ يذكرهم ﴿بِهِ﴾ الضمير عائد على "ما". قال في القاموس⁹: "وعظه يعظه وعظًا وعظة وموعظة ذكره ما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ". انتهى. قال في اللباب: "أي نعم

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 33 الإمارة، باب 5 فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، ج3، ص1458، رقم1827.

² المراد القرب المعنوي.

³ المراد البعد المعنوي.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص395، 396. الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 13، باب 4 ما جاء في الإمام العادل، ج3، ص617، رقم1329. قال الترمذي: "حديث حسن".

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص457.

⁶ أحمد بن محمد البناء، إتحاف فضلاء البشر بالقرآت الأربعة عشر، ج1، ص514، 515.

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص457.

⁸ يعني فيما سبق من "الريان".

⁹ الفيروزبادي، القاموس المحيط، باب الظاء، فصل الواو، ص903.

الشيء الذي يعظكم به، وهو أداء الأمانة والحكم بالعدل¹. ونحوه لغيره. وهذا الذي مدحه الله جدير بالحمد، لأنه يرضي الله، ويجلب الفوز بخير الدارين، وينجي من كل سوء ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ لم يزل ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ فاصلة الآية السابعة. قال في الباب: "يعني أنه تعالى سميع لما تقولون، بصير بما تفعلون، فإذا حكمتكم فهو يسمع حكمكم، وإذا أدبتم الأمانة فهو يبصر فعلكم"². انتهى. وقال في الضياء: "إن الله كان سميعاً لأقوالكم في الأحكام، بصيراً بأحوالكم في الميل إلى الحق والباطل وما تفعلون في الأمانات"³. قال في الضياء: "ولما أمر الأمراء بالعدل، عقبه بالأمر بطاعتهم، تنبيهاً على وجوب طاعتهم، ما داموا على الحق، فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾"⁴ صدّقوا بالله ورسوله ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أي انقادوا لما أمركم به الله والرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وَأُولَى﴾ بالواو بعد الألف خطأ، أصحاب ﴿الْأَمْرِ﴾ أي الولاية ﴿مِنْكُمْ﴾ أيها المؤمنون، "إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله"⁵، قاله السيوطي. ومن تبعضية، والأمر هنا بمعنى الطلب، فهو واحد الأوامر، لأن من ذكر يأمر الناس. وقال ابن جزى: "من هم الولاية والعلماء، ونزلت في عبد الله بن حذافة"⁶، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية"⁷. انتهى. وقال في الباب: "قاله ابن عباس. نزل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾"

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص396.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص396.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص189.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص189.

⁵ السيوطي، تفسير الجلالين، ص110.

⁶ عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي، أبو حذافة السهمي، أحد السابقين، هاجر إلى الحبشة، ونقّذه النبي صلى الله عليه وسلم رسولاً إلى كِسْرَى، وله رواية يسيرة، حدّث عنه: سليمان بن يسار، وأبو وائل، ومسعود بن الحكم، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، قال البخاري: حديثه مرسل، وروي أنه شهد بدرًا، ومات في خلافة عثمان رضي الله عنهما. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص253251، رقم الترجمة 234. بتصرف.

⁷ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص197.

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴿١٠٠﴾ في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي، إذ بعثه رسول الله في سرية. وقال السدي: نزلت في خالد بن الوليد، وذلك أنه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية، وفيها عمار بن ياسر، فلما قربوا من القوم، هربوا منهم، وجاء رجل إلى عمار، قد أسلم، فأمنه عمار، فرجع الرجل، فجاء خالد، فأخذ مال الرجل، فقال عمار: إني قد أمنتته، وقد أسلم، فقال خالد: أتجبر علي، وأنا الأمير، فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجاز أمان عمار، ونهاه أن يجبر الثانية على أمير، فأنزل الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وأصل الطاعة الانقياد، وهو امتثال الأمر، وطاعة الله عزَّ وجلَّ إمساك أمره فيما أمر، والانقياد لذلك، وطاعة الله واجبة على كافة الخلق، وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة أيضًا لقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، فأوجب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم على الخلق، واختلف العلماء في أولي الأمر الذين أوجب الله طاعتهم بقوله: ﴿وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، يعني: وأطيعوا أولي الأمر منكم، فقال ابن عباس وجابر: هم الفقهاء الذين يعلمون الناس مصالح دينهم، وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد، وقال أبو هريرة: هم الأمراء والولاة، وهي رواية عن ابن عباس أيضًا، قال ابن عباس: حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله، ويؤدي الأمانة، فإن فعل ذلك، فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: >من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني<¹. وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: >على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة<². وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: >اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كان رأس زبيبة، ما أقام

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 56 الجهاد والسيد، باب 109 يقاتل من وراء الإمام ويتقي به، ج6، ص116، رقم 2957.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 93 الأحكام، باب 4 السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ج13، ص121، 122، رقم 7144.

فيكم كتاب الله>. وقال ميمون بن مهران¹: هم أمراء السرايا والبعوث، وهي رواية عن ابن عباس أيضًا، ووجه هذا القول أن الآية نازلة فيهم، وقال عكرمة: أراد بأولي الأمر أبا بكر وعمر، لما روي عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <إني لا أدري ما بقاءه² فيكم، فاقتدوا بالذين من بعد³ أبي بكر وعمر>⁴. أخرجه الترمذي. وقيل: هم جميع الصحابة، لما روي عن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم>⁵. أخرجه رزين⁶ في كتابه. وروى البغوي بسنده: "عن الحسن عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح>⁷. قال الحسن: فقد ذهب ملحنا، فكيف نصلح"⁸. قال الطبري: "وأولي الأقوال بالصواب، قول من قال: هم الأمراء والولاة، فصحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان (لله) عز وجل فيه"⁹ طاعة وللمسلمين مصلحة"¹⁰. وقال الزجاج¹: "وجملة أولي الأمر من يقوم

¹ ميمون بن مهران الرقي، أبو أيوب. فقيه من القضاة. كان مولى لامرأة بالكوفة، وأعتقته، فنشأ فيها. ثم استوطن الرقة، من بلاد الجزيرة الفراتية، فكان عالم الجزيرة وسيدها. واستعمله عمر بن عبد العزيز على خراجها وقضاها. وكان على مقدمة الجند الشامي، مع معاوية بن هشام بن عبد الملك، لما عبر البحر غازيًا إلى قبرس، سنة 108هـ. وكان ثقة في الحديث، كثير العبادة. ولد سنة 37هـ، وتوفي سنة 117هـ. الزركلي، الأعلام، ج 7، ص 342. بتصرف.

² في اللباب: "بقائي".

³ في اللباب: "بعدي".

⁴ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب 16 في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ج 5، ص 570، رقم 3663. وسكت عليه الترمذي.

⁵ ابن الأثير، جامع الأصول، ج 8، ص 556، رقم 6369.

⁶ اسمه في الأعلام كثير.

⁷ أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ج 5، ص 151، رقم 2762. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (18/10): "فيه إسماعيل بن مسلم، وهو ضعيف".

⁸ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج 2، ص 96.

⁹ غير موجودة في تفسير الطبري.

¹⁰ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 5، ص 150.

بشأن المسلمين في أمر دينهم، وجميع ما أدى إليه صلاحهم". قال العلماء: طاعة الإمام واجبة على الرعية ما دام على الطاعة، فإذا زلَّ² عن الكتاب والسنة، فلا طاعة له، وإنما تجب طاعته فيما وافق الحق³. انتهى. وقال الثعالبي: "لما تقدم إلى الولاية في الآية المتقدمة، تقدم في هذه إلى الرعية، فأمر بطاعته عزَّ وجلَّ، وهي امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وطاعة رسوله، وطاعة الأمراء، على قول الجمهور، وقول ابن عباس وغيره، فالأمر على هذا التأويل هو ضد النهي، ومنه لفظ "الأمير". وقال جابر: وجماعة أولي الأمر أهل القرآن والعلم. قال عطاء: طاعة الرسول اتباع سنته بعد موته. ولفظ ابن العربي في أحكامه⁴: "قال: قوله تعالى: ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، فيها قولان، قال ميمون بن مهران: هم أصحاب السرايا. الثاني: هم العلماء، وبه قال أكثر التابعين، واختاره مالك والطبري⁵، والصحيح عندي أنهم الأمراء والعلماء، أما الأمراء فإن الأمر لهم⁶، والحكم إليهم، وأما العلماء فإن سؤلهم متعين على الخلق، وجوابهم لازم، وامتثال فتواهم واجب، ويدخل فيه تأمر الزوج على الزوجة، لأنه حاكم عليها. انتهى. ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ﴾ بالحذف، قال في اللباب⁷: "يعني اختلفتم ﴿فِي شَيْءٍ﴾ من أمر دينكم، والتنازع اختلاف الآراء، وأصله من انتزاع الحجة، لأن كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة بنفسه". انتهى. يعني: ويذهب ما عن صاحبه. وقال في الضياء⁸: "﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ﴾ اختلفتم أنتم وأولو الأمر في شيء من أمر الدين ﴿فَرُدُّوهُ﴾ أرجعوه ﴿إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾". قال ابن جزى: "الرد إلى الله هو النظر في كتابه، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو سؤاله في

¹ لم أعثر على القول.

² في اللباب: "زال".

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص396، 397.

⁴ ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص451، 452.

⁵ الذي اختاره ابن جرير الطبري أنهم الولاة والأمراء، وقد تقدم قبل قليل تخريجه.

⁶ في ابن العربي: "منهم"، وكذلك في الثعالبي.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص397.

⁸ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص189.

حياته، والنظر في سنته بعد وفاته". انتهى. ونحوه للثعالبي، وزاد: "وهذا قول مجاهد وغيره، وهو الصحيح". انتهى. وقال في الباب: "أي ردوا ذلك الأمر الذي تنازعتم فيه إلى كتاب الله عز وجل، وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما دام حيًّا، وبعد وفاته فردوه إلى سنته. والرد إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب، فإذا وجد ذلك الحكم في كتاب الله أخذ به، فإن لم يوجد في كتاب الله، ففي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن لم يوجد في السنة، فسبيله الاجتهاد، وقيل: الرد إلى الله ورسوله أن يقول لما لا يعلم: الله ورسوله أعلم"¹. انتهى. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قال ابن جزى: "يحتمل أن يكون هذا الشرط راجعاً إلى قوله فردوه أو إلى قوله أطيعوا والأول أظهر لأنه أقرب إليه"² انتهى وقال الثعالبي: "وفي قوله سبحانه إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وعيد"³ انتهى. وقال في الباب: "يعني: افعلوا ذلك الأمر الذي أمرتكم به، إن كنتم تؤمنون بالله، وإن طاعته واجبة عليكم، وتؤمنون بالمعاد الذي فيه جزاء الأعمال. قال العلماء: في الآية دليل على أن من لا يعتقد وجوب طاعة الله، وطاعة الرسول، ومتابعة الرسول، ومتابعة السنة، والحكم بالأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمناً بالله واليوم الآخر"⁴. انتهى. ﴿ذَلِكَ﴾ بالحذف، حيث وقع، أي الرد إلى الله ورسوله ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي. انتهى. ﴿وَأَحْسَنُ﴾ أجمل ﴿تَأْوِيلًا﴾ "أي عاقبة، وقيل: أحسن تاويلاً منكم له وأعظم أجراً"⁵، قاله في الباب. وقال ابن جزى: ﴿تَأْوِيلًا﴾ "أي مآلاً وعاقبة، وقيل: أحسن نظراً منكم"⁶. انتهى. وقال في الضياء: "فيه أن طاعة الأمراء لا تجب إلا إن وافقوا الشرع"⁷.

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص397.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص197.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص458.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص397.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص397.

⁶ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص197.

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص189.

انتهى. وقوله: ﴿تَأْوِيلًا﴾ فاصلة الآية الثامنة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ﴾ استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده، أي ألم ينته علمك إلى الذين؟ قال في اللباب: "ألم تر أي ألم تعلم يا محمد، وهو من رؤية القلب. قال أهل المعاني: هو تعجب له، يقول: هل رأيت مثل هؤلاء؟ كما تقول: ألم تر صنيع فلان؟"¹. انتهى المراد منه. ﴿يَزْعُمُونَ﴾ يقولون: ﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ صدقوا ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ وهو القرآن، والظاهر أن الباء للإلصاق، يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل على الأنبياء ﴿مِّنْ﴾ ابتدائية ﴿قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا﴾ بالإثبات، أي يتراجعوا ﴿إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ بالحذف، أي الكثير الطغيان، وهو التناهي في الكفر، وهو كعب بن الأشرف اليهودي، وقيل: كاهن، والحال أنهم ﴿وَقَدْ أُمِرُوا﴾ أي أمرهم الله ورسوله ﴿أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ أي بالطاغوت، ولا يوالوه، لأن الكفر بالطاغوت إيمان بالله. قال ابن جزى: "نزلت الآية في المنافقين، وقيل: في منافق ويهودي كان بينهما خصومة، فتحاكما إلى كعب بن الأشرف اليهودي. وقيل: إلى كاهن"². انتهى. وقال في الضياء: "﴿إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ الكثير الطغيان، وهو كعب بن الأشرف، وفي معناه: كل من يحكم بالباطل، سمي بذلك لفرط طغيانه، وهذه الآية نزلت لما احتصم يهودي وبشر المنافق، فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف، ليحكم بينهما، لعلمه بأنه يحكم بالرشوة، ودعى اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لعلمه أنه لا يرتشي، فأتياه، فقضى لليهودي، فلم يرض المنافق، وأتيا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فذكر له اليهودي ذلك، فقال للمنافق: أكذلك؟ فقال: نعم، فقال: مكانكما حتى أخرج، فدخل فأخذ سيفه، ثم خرج فقتل المنافق. فقال: هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله"³. انتهى. وقال في اللباب: الزُّعْم والزَّعْم بضم الزاي وفتحها، لغتان، وأكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذي لا يتحقق، والمراد به في هذه الآية

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص250.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص197.

³ السيوطي، الدر المنثور، ج2، ص582. عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص189، 190.

الكذب، لأن الآية نازلة في المنافقين، وظاهر الآية يدل على أنها نازلة في المنافقين من مؤمني أهل الكتاب، ويدل عليه: ﴿ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ يعني كعب بن الأشرف، في قول ابن عباس: سماه الله طاغوتًا، لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل: هو أبو بردة الكاهن¹ في قول السدي، وقد أمروا أن يكفروا به، يعني بالطاغوت، لأن الكفر بالطاغوت إيمان بالله عز وجل². انتهى. وعلى أن الآية نزلت في منافقي أهل الكتاب، فالكلام ظاهر، وعلى أنها "نزلت في منافق ويهودي، فالذين يزعمون ﴿أَنَّهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يراد بهم المنافقون، والذين يزعمون أنهم آمنوا بما ﴿أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يراد بهم اليهود، وكل قد أمر في كتابه أن يكفر بالطاغوت، والطاغوت هنا الكاهن المذكور، فهذا تأنيب للصنفين. وقال ابن عباس: الطاغوت هنا هو كعب بن الأشرف، وقيل غير هذا³. انتهى. انظر: الثعالبي. ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ﴾ بالحذف ﴿أَنْ يُضِلَّهُمْ﴾ يذهبهم عن الحق ﴿ضَلَالًا﴾ بالحذف ﴿بَعِيدًا﴾ "مستمرًا إلى الموت، وإسناد البعد إلى الضلال مجاز مبالغة في بعد صاحبه عن الحق"⁴، قاله في الضياء، وقوله: ﴿بَعِيدًا﴾ فاصلة الآية التاسعة. وقال في الباب: "﴿بَعِيدًا﴾ يعني عن طريق الحق والهدى"⁵. انتهى. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي للمنافقين ﴿تَعَالَوْا﴾ بالإثبات ﴿إِلَى مَا أُنزَلَ اللَّهُ﴾ إلى ما أنزل الله وتعالوا ﴿وَالِي﴾ قال في الباب: "يعني هلموا إلى حكم الله الذي نزل في كتابه، وإلى الرسول ليحكم بينكم"⁶. ﴿رَأَيْتَ﴾ رؤية عين لمن جاهر النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين، ورؤية قلب بالقرائن

¹ لم أعثر على ترجمة له.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص398.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص459.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص190.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص398.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص398.

لغيره ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ بالحذف ﴿يُضْذَوْنَ﴾ يعرضون ﴿عَنْكَ﴾ يا محمد، فلا ينقادون إلى ما أنزل الله ولا إلى الرسول ﴿صُدُّوْا﴾ قال في اللباب: "يعرضون عنك وعن حكمك إعراضاً، وأي إعراض! وإنما أعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم علموا أنه صلى الله عليه وسلم يحكم بالحق الصريح، ولا يقبل الرُشْيَ"¹. انتهى.

وقال ابن جزى: "﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر، ليزمهم بالنفاق، ودل ذلك على أن الآية المتقدمة نزلت في المنافقين"². انتهى. وقوله: ﴿صُدُّوْا﴾ فاصلة الآية المكملة للستين. وقال الثعالبي: "رأيت المنافقين رؤية عين لمن صد من المنافقين مجاهرة وتصريحاً، ورؤية قلب لمن صد منهم مكرراً وتخافتاً ومسارقة"³، حتى لا يعلم ذلك منه إلا بقرائن الأحوال"⁴.

﴿فَكَيْفَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي فكيف حالهم أو مصدر من فعل محذوف، أي كيف يصنعون ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ﴾ بالحذف، نالتهم ﴿مُصِيبَةٌ﴾ عقوبة. قال في اللباب: "يعني فكيف حال هؤلاء المنافقين؟ وكيف يصنعون إذا أصابتهم مصيبة يعجزون عن دفعها؟"⁵. ﴿بِمَا﴾ الباء سببية متعلقة بـ ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ﴾ أي بسبب الذي ﴿قَدَمَتْ﴾ له أسلفت ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: أصابتهم عقوبة بسبب العمل السيئ الذي قدموه، وهو التحاكم إلى غير الرسول صلى الله عليه وسلم. وقيل: المصيبة هي قتل عمر لذلك المنافق. وقيل: هي كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والآخرة. انتهى. وقال الثعالبي: "الآية قالت فرقة: هي في المنافقين الذين احتكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالمعنى: فكيف بهم إذا عاقبهم الله بهذه الذنوب بنقمة منه"⁶. ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ يحتمل أن يكون

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص398.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص197.

³ المسارقة: نظر الخيانة. ابن منظور، لسان العرب، مادة خ و ن، ج13، ص144.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص459.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص398.

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص459.

عطفًا على ﴿يَصُدُّونَ﴾ والمعنى: ثم جاءوك بعد أن صدوا عنك، يعتذرون إليك من صدودهم، يحلفون بالله إلخ، ويحتمل أن يكون عطفًا على إصابتهم، أي فكيف حالهم إذا أصابتهم مصيبة ثم جاءوك حين تصيبهم المصيبة يعتذرون إليك؟ كما قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بتحاكمنا إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَنًا﴾ بالحذف، في التحاكم إلى غيرك لا إساءة ﴿وَتَوْفِيًّا﴾ "بين الخصمين لا مخالفة لك في حكمك. وقيل: جاء أولياء المنافق الذي قتله عمر يطلبون ديتة، وقالوا: ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا في حكمه، ويوفق بينه وبين خصمه، وما خطر ببالنا أن يحكم بما حكم¹، من قتل صاحبنا، فأهدر الله دم ذلك المنافق"²، قاله في الباب. وقوله: ﴿وَتَوْفِيًّا﴾ فاصلة الآية الأولى بعد الستين من سورة النساء. وقال في الضياء: "﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ حال ﴿إِنْ أَرَدْنَا﴾ بالمحاكمة إلى غيرك، إلا إحسانًا صلحًا وتوفيقًا بين الخصمين دون الحمل على غير³ الحق، أي ما أردنا به بذلك الفصل بالوجه الأحسن، أو إلا إحسانًا إليك أن لا نشغلك بالمحاكمة. وقيل: جاء أولياء بشر المنافق يطالبون عمر بدمه، وقالوا: ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يجلس⁴ إلى صاحبنا، ويوفق بينه وبين خصمه، فنزل جبريل وقال: عمر فرق بين الحق والباطل، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: <أنت الفاروق>⁵، فأهدر دم المنافق"⁶. انتهى. ﴿أُولَئِكَ﴾ بالحذف، وإثبات واو بعد الألف خطأ لا لفظًا حيث وقع ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق. قال الثعالبي: "تكذيب لهم وتوعد،

¹ في الباب: "حكم به".

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص398.

³ في الأصل: "حيي"، وفي الباب: "غير".

⁴ في الباب: "يحسن".

⁵ أورده القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص264.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص190.

أي فهو سبحانه مجازيهم"¹. انتهى. وقال في الضياء: "يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق والعداوة، وكذبهم في عذرهم، فلا يغني عنهم الكتمان والحلف على الكذب من العقاب"². انتهى. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ يعني: "عن عقوبتهم، وقيل: عن قبول عذرهم"، قاله البغوي³ وغيره⁴. وقال في الضياء: "﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصفح مجاملة لإظهارهم الإيمان، ولئلا يقال: إن محمدًا يقتل أصحابه"⁵. انتهى. ﴿وَعِظْهُمْ﴾ "باللسان، والمراد به زجرهم عن النفاق والكفر، وتخويفهم بعذاب الآخرة"⁶، انظر: اللباب، وقوله: ﴿وَعِظْهُمْ﴾ إلخ، إيضاحه أن تقول: خوفهم الله بالزجر والإنكار لتكفهم عما هم عليه، كما هو شأن الناصح، وقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ قيل: نسخة على آية السيف، قاله في الذهب⁷. وقال ابن جزى: "﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي عن معاقبتهم، وليس المراد بالإعراض القطيعة، لقوله: ﴿وَعِظْهُمْ﴾"⁸. انتهى. ﴿وَقُلْ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ﴾ أي لأولئك المنافقين، واللام للتبليغ ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ "أي خاليًا بهم، لأن النصيح في السر أنجح، أو قل لهم في حال أنفسهم النجسة المنطوية على النفاق قولاً يبلغ منهم الزجر عن العود إلى ما فعلوا"⁹. وهذا معنى ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ فاصلة الآية الثانية. وهذا الذي فسرت به، نقله الثعالبي، وعلى الأول فقوله: ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ متعلق بقل، وعلى الثاني فهو متعلق بـ ﴿بَلِيغًا﴾ والله أعلم.

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص460.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص190.

³ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص99.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص398.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص190.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص398.

⁷ لم أعتز على الكتاب.

⁸ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص198.

⁹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص460.

وقال في الباب: "يعني بليغاً يؤثر في قلوبهم موقعه، وهو التخويف بالله عز وجل". وقيل: هو أن يتوعدهم بالقتل، إن لم يتوبوا من النفاق. وقيل: هو أن يقول لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قلتم، لأن هذا القول يبلغ في نفوسهم كل مبلغ. وقيل: معناه: قل في أنفسهم إذا خلوت بهم قولاً بليغاً، أي أغلظ لهم في القول خالياً بهم، ليس معهم غيرهم، مساراً لهم بالنصيحة، لأنها في السر أنجح¹، وقد تكلم العلماء في البلاغة، فقال بعضهم: البلاغة إيصال المعنى إلى الفهم في أحسن صورة من اللفظ. وقيل: البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى. وقيل: أحسن الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه. وقيل: لا يستحق الكلام اسم البلاغة إلا إذا ساق لفظه معناه، ومعناه لفظه، ولم يكن لفظ إلى السمع أسبق من معناه إلى القلب. وقيل: المراد بالقول البليغ في الآية أن يكون حسن الألفاظ وحسن المعاني مشتملاً على الترغيب والترهيب، والاعتذار والإنذار، والوعد والوعيد، بالثواب والعقاب، فإن الكلام إذا كان كذلك، عظم وقعه في القلوب وأثر في النفوس². انتهى. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ ما نافية ﴿مِّن﴾ صلة ﴿رَّسُولٍ﴾ رسول مفعول ﴿أَرْسَلْنَا﴾ جر بـ ﴿مِّن﴾ الزائدة للتنصيص على نفي العموم ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ بالإثبات، أي يتبع وينقاد إليه فيؤمن به ﴿بِإِذْنِ﴾ بأمير ﴿اللَّهِ﴾ أي أن الله تعالى أمر أن يطاع ذلك الرسول، يقول الله تعالى وما أرسلنا من رسول إلا فرضت طاعته على من أرسلناه إليهم، وأنت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم، فأنت فرضت طاعتك على من أرسلناك إليهم، ففيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضوا بحكم الطاغوت. وقال في الضياء: "﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، أي بسبب أمره المبعوث إليهم أن يطيعوه، يدل على أن الذي لم يرض بحكمه كافر، وإن أظهر الإسلام مستوجب للقتل، لأن انحصار الفائدة في طاعته يدل على أن من أباه قد نازع الله في أحكامه، فكان قتله عين الصواب³. وقوله: ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ مفعول له مفرغ له

¹ في الباب: "أنجح".

² الخازن، "لباب التأويل في معاني التنزيل"، ج 1، ص 398، 399.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 190.

العامل، والأصل لأجل أمر الله جل أن يطاع. وقال الثعالبي: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا ﴾ إلخ، تنبيه على جلالة الرسل، أي فأنت يا محمد منهم، تجب طاعتك، وتتعين إجابة الدعوة إليك، و﴿ يَاذِنتَ اللَّهُ ﴾ معناه بأمر الله¹. انتهى. ثم بين السبب الذي ينجو به هؤلاء الذين أرادوا أن يتحاكموا إلى الطاغوت من الورطة التي وقعوا فيها، وينسحب ذلك على من جرى مجراهم فقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ﴾ يعني الذين تحاكموا إلى الطاغوت، فاعل ثبت أو حصل محذوفًا، أي ولو ثبت أنهم ﴿ إِذْ ﴾ حين متعلق بـ ﴿ ثُمَّ جَاءُوكَ ﴾ الآتي قريبًا ﴿ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بالتحاكم إلى الطاغوت ﴿ جَاءُوكَ ﴾ أتوك تائبين من النفاق والتحاكم إلى الطاغوت، متنصلين مما ارتكبوا من المخالفة ﴿ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ﴾ أي سألوه المغفرة لذلك الذنب، مخلصين مبالغين في الاعتذار إليك، من إيذائك برد حكمك، والتحاكم إلى غيرك. و قوله: ﴿ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ﴾ عطف على ﴿ جَاءُوكَ ﴾ ، ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ أي طلب المغفرة لهم ﴿ الرَّسُولُ ﴾ من مخالفته والتحاكم إلى غيره، و يظهر أن اللام للتعدية، وإنما قال: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ ولم يقل واستغفرت لهم إجلالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفخيماً له، وتعظيماً لاستغفاره، وأنهم إذا جاءوه فقد جاءوا من خصه الله برسالته، وجعله سفيراً بينه وبين خلقه، ومن كان كذلك، فإن الله تعالى لا يرد شفاعته، فلهذا السبب عدل إلى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب إلى لفظ الغيبة ﴿ لَوْجَدُوا ﴾ صادفوا جواب الواو بمعنى علم ﴿ اللَّهُ تَوَّابًا ﴾ بالإثبات، قابلاً لتوبتهم، مفعول ثان على إن وجد بمعنى على، وحال على أنه بمعنى صادف ﴿ رَحِيمًا ﴾ فاصلة الآية الثالثة، بدل من ﴿ تَوَّابًا ﴾ أو حال من الضمير في ﴿ اللَّهُ تَوَّابًا ﴾، أو حال من اسم الجلالة بعد حال. قال في الباب: "يعني: لو أنهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم، واستغفرت لهم، لعلموا أن الله يتوب عليهم، ويتجاوز عنهم، ويرحمهم"². انتهى. "وعن العتيبي¹: كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم،

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص460.

² الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص399.

فجاء أعرابي فقال: السلام عليك، يا رسول الله، سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٦٤) قد جئتكَ مستعقبًا من ذنوبي، مستغفرًا إلى ربي، ثم أنشأ يقول²: [البسيط]

يا خير من دفنت في التراب أعظمه ~ فطاب من طيبهن القاع³ والأكم⁴
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ~ فيه العفاف وفيه الجود والكرم

¹ لم أجد ترجمته.

² قائله مجهول.

³ القاع: المكان المستوي. ابن منظور، لسان العرب، مادة ق د د، ج3، ص343.

⁴ الأكم: الموضع الذي هو أشدُّ ارتفاعاً ممَّا حَوْلَه. ابن منظور، لسان العرب، مادة أ ك م، ج12، ص20.

فغلبتني عيناي، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: يا عتي، الحق الأعرابي، فبشره أن الله قد غفر له. انتهى من حلية النووي¹، وسنن الصالحين² للباجي³، وفيه: مستغفراً من ذنوبي، مستشفعاً إلى ربي"⁴، نقله الثعالبي. ﴿فَلَا﴾ زائدة، لتأكيد القسم بعدها، أو نافية، أي ليس الأمر كما تزعمون، أنهم آمنوا، وهم يخالفون حكمك، فهو رد للكلام السابق، ثم استأنف القسم فقال تعالى: ﴿وَرَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يحسن إسلامهم ﴿حَتَّى﴾ أي إلى أن ﴿يُحْكَمُوا﴾ يجعلوك حكماً، وينقادوا لحكمك ﴿فِيمَا﴾ بالوصل، أي في الأمر الذي ﴿شَجَرَ﴾ اختلط والتف ﴿بَيْنَهُمْ﴾ "الشجر شبه بالتفاف الأغصان"⁵، قاله الثعالبي، "وفي لفظ التحكيم إشارة إلى أنه يجب أن يكونوا هم الطالبين منه الحكم الساعين إليه"⁶، قاله في الضياء. وقال في الباب: "﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ يعني: فيما اختلفوا فيه من الأمور، والشكل⁷ عليهم حكمه، وأصله التداخل والاختلاط،

¹ النووي، حلية الأبرار، ص218.

² لم أعثر عليه.

³ أبو الوليد الباجي، الإمام، العلامة، الحافظ، القاضي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التُّجَيْي، الأندلسي، القرطبي، الباجي، الذهبي، صاحب التصانيف، تحول جده إلى باجة. بُليدة بقرب إشبيلية. فنسب إليها، ولد سنة 403هـ، وأخذ عن: يونس بن مغيث، ومكي بن أبي طالب، ومحمد بن إسماعيل، ولازم الحافظ أبي ذر، فكان يسافر معه ويخدمه فأكثر عنه، وأخذ علم الحديث والفقه والكلام، حدّث عنه: أبو عمر بن عبد البرّ، وأبو محمد بن حزم، وأبو بكر الخطيب، وعليّ بن عبد الله الصقلي، وخلق سواهم، صنّف كتاب "المنتقى في الفقه"، و"المعاني في شرح الموطأ"، و"الاستيفاء"، وغيرها. مات سنة 474هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص657. 662، رقم الترجمة 4510. بتصرف.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص460، 461.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص461.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص190.

⁷ في الباب: "وأشكل".

وشجر الكلام إذا دخل بعضه في بعض واختلط¹. ﴿ثُمَّ﴾ بعد الحكم ﴿لَا يَجِدُوا﴾ لا يصادفوا ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ قلوبهم، متعلق بـ ﴿يَجِدُوا﴾ أو حال مما بعده، وإن كان بمعنى يعلموا فهو مفعول ثان، قاله صاحب هذا التفسير. ﴿حَرَجًا﴾ ضيقًا ﴿مَّمَّا قَضَيْتَ﴾ يظهر أن من تعليلية أو ابتدائية، وأن ما مصدرية، ﴿لَا يَجِدُوا﴾ في أنفسهم ضيقًا، من أجل قضائك، بل يرضون بحكمك. وقيل: ﴿حَرَجًا﴾ شكًا. وقيل: إنما. ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾ ينقادوا لحكمك ﴿تَسْلِيمًا﴾ انقيادًا. وقيل: ينقادوا لأمرك، ولا يعارضونك في شيء من أمرك، فاصلة الآية الرابعة. قال في الباب: "نزلت هذه الآية في الزبير بن العوام. وقال مجاهد: نزلت هذه الآية في بشر المنافق² واليهودي اللذين اختصما إلى الطاغوت، والأول في البخاري³ ومسلم⁴، أخرجنا عن عروة بن الزبير عن أبيه⁵، أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير: <اسق يا زبير، ثم أرسل لجارك>، فغضب الأنصاري ثم قال: يا رسول الله، إن كان ابن عمك؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال للزبير:

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص400.

² لم أعثر على ترجمة له.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 57 الصلح، باب 12 إذا أشار الإمام بالصلح فأبى، ج2، ص964، رقم2561.

⁴ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 44 الفضائل، باب 36 وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم، ج7، ص90، رقم6258.

⁵ الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب. حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سل سيفه في سبيل الله، أبو عبد الله، رضي الله عنه، أسلم وهو حدث، له ست عشرة سنة. قال إسحاق بن يحيى: عن موسى بن طلحة قال: كان علي، والزبير، وطلحة، وسعد، عذار عام واحد، يعني ولدوا في سنة. وقال المدائني: كان طلحة، والزبير، وعلي، أنربًا. قال البخاري وغيره: قتل في رجب سنة ست وثلاثين. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، 558553. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص41 وما بعدها، رقم الترجمة3. بتصرف.

<اسق، يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجور>.¹ زاد البخاري: فاستوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه". وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد أشار على الزبير برأي، أراد بما فيه سعة له وللأنصاري، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم، استدعى للزبير حقه صريح الحكم. قال الزبير: والله، ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ حتى الآية. قوله: شراح الحرة: أي مسائل الماء التي تكون من الجبل وينزل ماؤها إلى السهل، جمع شرجة، كضربة، والحرة الأرض الحمرة المتلبسة بالحجارة السود. وقوله: أحفظ: أعتب.² وقوله: الجدر، بفتح الجيم، أصل الجدار، فاستوعى أي استوفى له حقه في صريح الحكم، هو أن من كان أرضه أقرب إلى فم الواد هو أولى بأول الوادي، وحقه تمام السقي، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أذن للزبير في السقي على وجه المساحة، فلما أبى خصمه ذلك، لم يعترف بما أشار له رسول الله صلى الله عليه وسلم من المساحة، لأجله أمر الزبير باستيفاء حقه على التمام، وحمل خصمه على مُبَرِّ الحق³. انتهى. ورجَّح الطبري⁴ تأويل مجاهد والشعبي بأنه أشبه بنسق الآية. قال البغوي: "وروى أنهما لما خرجا من أعلى مرا على⁵ المقداد⁶، فقال: لمن كان القضاء؟ قال الأنصاري¹:

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 57 الصلح، باب 12 إذا أشار الإمام بالصلح فأبى، ج2، ص964، رقم2561.

² في اللباب: "أغضب".

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص399.

⁴ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص159، 160.

⁵ في معالم التنزيل: "مرا على".

⁶ المقداد بن عمرو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد السابقين الأولين، وهو المقداد ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة القضاعي الكندي البهراني. ويقال له: المقداد بن الأسود، لأنه رُبي في حجر الأسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه. شهد بدرًا والمشاهد، وثبت أنه كان يوم بدر فارسًا. له جماعة أحاديث. حدث عنه: علي، وابن مسعود، وابن عباس، وجماعة. عاش نحوًا من سبعين سنة. مات في سنة ثلاث وثلاثين، وصلى عليه عثمان بن عفان، وقبره بالبقيع رضي الله عنه. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص202، 203. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص385 وما بعدها، رقم الترجمة 81. بتصرف.

لابن عمته، ولوى شذقه، ففطن له يهودي كان مع المقداد، فقال: قاتل الله هؤلاء، يشهدون أنه رسول الله، ثم يتهمونه في قضاء يقضي به بينهم، وأتم الله، لقد أذنبنا ذنباً في حياة موسى، فدعا² موسى إلى التوبة، فقال: ﴿فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾³، ففعلنا، فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة ربنا، حتى رضي عنا، فقال ثابت بن قيس بن شماس⁴: أما والله، إن الله ليعلم مني الصدق، لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لفعلت⁵. انتهى. وقال في الضياء: "قال ابن العربي في الأحكام: "كل من اتهم النبي صلى الله عليه وسلم في الحكم فهو كافر، وبعد النبي صلى الله عليه وسلم كل من لم يرضى بحكم الحاكم العدل بعده فهو عاص"⁶. انتهى. وقال ابن عطاء الله⁷: في الآية دلالة على أن الإيمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حكم الله ورسوله على نفسه، قولاً وفعلًا وأخذًا وتركًا وحبًا وبغضًا"⁸. انتهى. ﴿وَلَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَا كَذَبْنَا﴾ فرضنا وأوجبنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي على الذين أمروا بطاعة الرسول في حكمه من المنافقين. وقيل: الضمير عائد على الكافة، فيدخل فيه المنافق وغيره ﴿أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يعني في الجهاد

¹ في معالم التنزيل: "قضى لابن عمته".

² في معالم التنزيل: "فدعانا".

³ البقرة، 54.

⁴ ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري. صحابي، كان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد. قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. مجهول الولادة، وتوفي سنة 12هـ. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 1، ص 393، 394. الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 98. بتصرف.

⁵ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج 1، ص 101.

⁶ ابن العربي، أحكام القرآن، ج 1، ص 456.

⁷ ابن عطاء الله، أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل، تاج الدين، ابن عطاء الله، الإسكندري، متصوّف، شاذليّ، من العلماء، كان أشد خصوم ابن تيمية، له تصانيف منها: "الحكم العطائية" في التصوّف، و"تاج العروس" في الوصايا والعظات، و"لطائف المنن في مناقب المرسى وأبي الحسن". توفي بالقاهرة سنة 709هـ. الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 222221. بتصرف.

⁸ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 191.

وكما كتبنا على بني إسرائيل ﴿أَوْ أَخْرِجُوا﴾ امرقوا ﴿مِنْ دِينِكُمْ﴾ بالحذف كما كتبنا على بني إسرائيل الخروج من مصر، وللجمهور بضم النون والواو، ولعاصم وحمة كسرهما، ولأبي عمرو وكسر النون ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ جواب لو ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع على البدل للجمهور ويعقوب بغير ألف، وبالنصب على الاستثناء لابن عامر، ويخف بالألف: نشر¹. ﴿مِنْهُمْ﴾ قد تقدم ما يفيد أن الضمير للمنافقين أو للكافة، و﴿مِنْهُمْ﴾ صفة لقليل، ومن تبعيضية. قال في الباب: "معناه لم يفعله إلا القليل منه، نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وذلك أن رجلاً من اليهود قال: والله، لقد كتب الله علينا القتل والخروج، ففعلنا، فقال ثابت: والله، لو كتب علينا ذلك لفعلنا، وهو من القليل الذي استثنى الله. وقيل: لما نزلت هذه الآية، قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهم القليل الذين ذكرهم الله :: والله لو أمرنا لفعلنا، والحمد لله الذي عافانا، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: >إن من أمتي لرجالاً، الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي<². ومن قال: إن الضمير للمنافقين، قال: معنى ما فعلوه إلا قليل منهم، يعني رياء وسمعة، والمعنى: أنا ما كتبنا عليهم إلا طاعة الرسول والرضى بحكمه، ولو أنا كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن ما فعله إلا يسير منهم"³. انتهى. وقال الثعالبي: "قال مالك في العتبية⁴: عن أبي بكر رضي الله عنه نحو مقالة ثابت هذه. قال ابن رشد⁵: "ولا شك أن أبا

¹ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص31.

² ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص160، 161.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص400.

⁴ العتبي، العتبية، ج17، ص358.

⁵ ابن رشد الجند، الإمام، العلامة، شيخ المالكية، قاضي الجماعة بقرطبة، أبو الوليد بن محمد بن أحمد ابن أحمد بن رشد القرطبي، المالكي، كان فقيهاً عالماً، حافظاً للفق، مقدماً فيه على جميع أهل عصره، عارفاً بالفتوى، من تصانيفه: "المقدمات"، وكتاب "البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل". عاش سبعين عاماً، ومات في ذي القعدة سنة 520هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12، ص276، رقم الترجمة 4853. بتصرف.

بكر من القليل الذي استثناه الله تعالى في الآية، فلا أحد أحق بهذه الصفة منه"¹. انتهى².
وقال ابن جزى: "معنى الآية: لو فرض عليهم ما فرض على من كان قبلهم من المشقات لم يفعلوها، لقلّة انقيادهم، إلا القليل منهم الذين هم مؤمنون حقًا. وقد روي أن من هؤلاء القليل: أبا بكر وعمر وابن مسعود وعمار بن ياسر وثابت بن قيس"³. انتهى. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ﴾ يذكرون ويخوفون ﴿يَهْدِي﴾ الضمير عائد على ﴿مَا﴾. قال في الباب: "يعني: ولو أنهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه ﴿لَكَانَ﴾"⁴ فعلهم ما يوعظون به جواب لو ﴿خَيْرًا﴾ للتفضيل، كما يفيد الباب⁵ ﴿لَهُمْ﴾ من عدم فعله. قال في الباب: "﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ يعني في الدنيا والآخرة، وإنما سمي التكليف وعظًا، لأن أوامر الله وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب، وما كان كذلك سمي وعظًا"⁶. وقال في الضياء: "فيه إشارة إلى أن أوامره من قبيل الوعظ الذي هو كالدواء المر"⁷. ومما يدل على أن ﴿خَيْرًا﴾ للتفضيل قوله: ﴿وَأَشَدَّ﴾ أقوى وأمتن ﴿تَثْبِيَّتًا﴾ لإيمانهم ورسوخهم في الحق. فاصلة الآية الخامسة. قال في الباب: "والمعنى: أن ذلك أقرب إلى ثبات إيمانهم وتصديقهم"⁸. انتهى. وقال في الضياء: "﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيَّتًا﴾ لإيمانهم أو لثواب أعمالهم"⁹. ﴿وَإِذَا﴾ أي ولو ثبتوا، قاله غير واحد، فهو مرتب على

¹ ابن رشد، البيان والتحصيل، ج 17، ص 358.

² الثعالبي، الجواهر الحسان، ج 1، ص 462.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 198.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 400.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 400.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 400.

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 191.

⁸ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 400.

⁹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 191.

الجزاء، ومقتضى كلام ابن جزى¹ أنه مرتب على الشرط، والله أعلم ﴿لَا تَبْتَغِهِمْ﴾ بالحذف، أعطيناهم ﴿مَنْ لَدُنَّا﴾ من عندنا، وفي قوله: ﴿مَنْ لَدُنَّا﴾ تفخيم لهذا الأمر جدًّا، و ﴿مَنْ﴾ ابتدائية، تحتمل أنها متعلقة بآتيناهم، وأنها حال من قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة والأجر الثواب والعظيم ضد المغير. فاصلة الآية السادسة. ﴿وَلَهَدَيْتَهُمْ﴾ بالحذف، وفقناهم ﴿صِرَاطًا﴾ بالحذف، طريقًا ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ فاصلة الآية السابعة، معتدلاً لا اعوجاج فيه. قال في الباب: "قال ابن عباس: معناه: ولأرشدناهم إلى دين مستقيم، يعني دين الإسلام. وقيل: معناه: ولهديناهم إلى الأعمال الصالحة التي تؤدي إلى الصراط المستقيم، وهو الصراط الذي يمر عليه المؤمنون إلى الجنة، لأن الله تعالى ذكر الأجر العظيم أولاً، ثم ذكر الصراط المستقيم بعده، لأنه هو المؤدي إلى الجنة"². انتهى. وقال في الضياء: "﴿مُسْتَقِيمًا﴾ لا اعوجاج فيه، أخره عن إعطاء الأجر، لأنه المقصود منه، أو صراطاً يصلون به جناب القدس، فيفتح عليهم أبواب الغيب. قال عليه السلام: >من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم<³. ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾ في أداء الفرائض واجتناب النواهي ﴿وَالرَّسُولَ﴾ أي ويطع الرسول في السنن التي سنّها صلى الله عليه وسلم ﴿فَأُولَئِكَ﴾ أي الموصوفون بما ذكر من طاعة الله، والرسول مبتدأ، والخبر ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا، وبدخول الجنة في الآخرة ﴿مِنْ﴾ بيانية ﴿الْغَنِيِّينَ﴾ في الجنة لا تفوتهم رؤية الأنبياء في الجنة ومجالستهم، لا أنهم يكونون مثلهم في الدرجة، لأن ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ جمع صديق، فعيل من الصدق، أو من التصديق، والمراد المبالغة، والصادقون أرفع الناس درجة بعد الأنبياء

¹ ابن جزى، لتسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص198.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص400.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص192. أبو نعيم، حلية الأولياء، ج

﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ المقتولين في سبيل الله، ومن جرى مجراهم من سائر الشهداء، كالغريق وصاحب الهدم وغيرهما. وقيل: هم الذين استشهدوا في سبيل الله. وقيل: هم الذين استشهدوا يوم أحد ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ بالحذف، جمع صالح، وهو الذي استوت سريره وعلايته في الخير. وقيل: الصالح من اعتقاده صواب، وعمله في سنة وطاعة. وقيل: المراد بالنبين هنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبالصديقين أبو بكر، وبالشهداء عمر وعثمان وعلي، وبالصالحين سائر الصحابة. وقال في الباب: "والصديق: الكثير الصدق، فعيل من الصدق، والصديقون هم أتباع الرسل الذين اتبعوهم على منهاجهم بعدهم حتى لحقوا بهم. وقيل: الصديق: هو الذي صدق بكل الدين، حتى لا يخالطه فيه شك، والمراد بالصديقين في هذه الآية أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأبي بكر، فإنه هو الذي سمي بالصديق من هذه الأمة، وهو أفضل أتباع الرسل"¹. انتهى. وقال الثعالبي²: "لما ذكر الله الأجر الذي لو فعلوه لأنعم عليهم، ذكر بعد ذلك ثواب من يفعله، وهذه الآية تفسير قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾³ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ"³. قال ابن عطية⁴: "وهذه الآية تفسير قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁵ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ"⁵. وقالت طائفة: إنما نزلت هذه الآية لما قال عبد الله بن زيد الأنصاري¹ الذي رأى الأذان²: إذا مت وممتنا، كنت في عليين، فلا نراك ولا

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص401.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص463.

³ الفاتحة، 6، 7.

⁴ لم أعثر عليه.

⁵ الفاتحة، 6، 7.

نجتمع بك، وذكر حزنه على ذلك، فنزلت هذه الآية³. قال ابن عطية⁴: "ومعنى أنهم معهم في دار واحدة، أو متنعم واحد، وكل من فيهما قد رزق الرضى بحاله، وذهب عنه أنه يعتقد أنه مفضول، وإن كنا نحن قد علمنا من الشريعة أن أهل الجنة تختلف مراتبهم على قدر أعمالهم، وعلى قدر فضل الله على من يشاء. والصديق: فعيل من الصدق. وقيل: من الصدقة. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: <الصديقون المتصدقون>⁵. ولفظ الشهداء في هذه الآية يعم أنواع الشهداء"⁶. انتهى. وقال ابن جزى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ثواب على الطاعة، أي هم معهم في الجنة، وهذه الآية مفسرة لقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾⁷. انتهى. وقال في الباب: الآية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم، وقد تغير لونه، يعرف الحزن في وجهه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: <ما غير لونك، يا ثوبان؟> قال: يا رسول الله، ما في مرض ولا وجع، غير أنني إن لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم إني إذا ذكرت الآخرة أخاف أن لا أراك، لأنك ترفع إلى عليين مع النبيين، وإني وإن دخلت الجنة، كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة، لا

¹ عبد الله بن زيد المازني البخاري، صاحب حديث الوضوء، من فضلاء الصحابة، يُعرف بابن أم عُمارة، وهو عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب، أحد بني مازن بن النجار، ذكر ابن مندّة فقط أنه بدرّي، بل هو أُحديّ، وهو الذي قتل مسيلمة بالسيف مع رمية وحش له بحرته، وهو عم عبّاد بن تميم. قيل: إنه قتل يوم الحرّة سنة 63هـ. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص98. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص417، رقم الترجمة 312. بتصرف.

² لم أعثر عليه.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج2، ص76.

⁴ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص89.

⁵ البزار، مسند البزار، ج1، ص334.

⁶ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج2، ص76.

⁷ الفاتحة، 6، 7. ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص198.

أراك أبداً. فنزلت هذه الآية¹. وقيل: إن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: كيف يكون الحال؟ وأنت، يا رسول الله، في الدرجات العلى، ونحن أسفل منك، فكيف نراك؟ فأنزل الله هذه الآية. ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾ يعني في أداء الفرائض واجتناب النواهي ﴿وَالرَّسُولَ﴾ أي ويطع الرسول في السنن التي سنّها²، إلى آخر ما مرّ. ﴿وَحَسَنَ﴾ أي وما أحسن ﴿أُولَئِكَ﴾ أي حال أولئك. قال ابن جزى: "والإشارة إلى الأصناف الأربعة المذكورة، يعني: النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴿رَفِيقًا﴾ فاصلة الآية الثامنة. والرفيق: صاحب يرتفق به من الرفق، وهو اللطف ولين الجانب. وعلم من هذا أنه لا تناله منهم ملامة ولا كدر، وإنما يناله منهم ما يسره ويرضيه ويلائمه، والله تعالى أعلم. قال ابن جزى: والرفيق يقع على الواحد والجماعة، كالخليل، أو مفرد بين به الجنس، ومعنى الكلام إخبار واستدعاء للطاعة التي تنال بها مرافقة هؤلاء³. انتهى. وقال السيوطي: ﴿رَفِيقًا﴾ رفقاء في الجنة، بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم، وإن كان مقرهم في درجات عالية بالنسبة إلى غيرهم⁴. انتهى. وقال في الباب: ﴿وَحَسَنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ المشار إليه: النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وفيه معنى التعجب، كأنه قال وما أحسن أولئك رفيقاً، يعني في الجنة. والرفيق: صاحب، وسمي رفيقاً لارتفاقك به وبصحبتة، وإنما وُحِّد الرفيق، وهو صفة للجمع، لأن العرب تعبر به عن الواحد والجمع. وقيل: معناه: وحسن كل واحد من أولئك رفيق. وعن أنس: "أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة، قال: ومتى الساعة؟ قال: <ما أعددت لها؟> قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله، فقال: <أنت مع من أحببت>. قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم <أنت مع من أحببت>. قال أنس: فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر

¹ الواحدى، أسباب النزول، ص122.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص400، 401.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص198، 199.

⁴ السيوطي، تفسير الجلالين، ص112.

وعمر، وأرجو أن أكون معهم، بحبي إياهم، وإن لم أعمل بأعمالهم"¹. انتهى. قوله: قال: ومتى الساعة؟ هو تفسير لقوله: سأل النبي صلى الله عليه وسلم: فمتى الساعة؟ من كلام الرجل، كما يعلم من البغوي. ﴿ذَلِكَ﴾ بالحذف حيث وقع، والإشارة إلى كون المطيعين من المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وذلك مبتدأ وخبره ﴿الْفَضْلُ﴾ العطاء الكثير ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ حال من الخبر، والعامل فيه ما في الإشارة من تضمين معنى الفعل، نحو: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾² و﴿مِنْ﴾ ابتدائية، ومعنى قوله: ﴿مِنْ﴾ أن الله تعالى هو الذي تفضل عليهم بذلك، أي أعطاه لهم عن اختيار بغير عوض، لا أنهم نالوه بأعمالهم وطاعتهم، كما قاله غير واحد، وفي هذا وما قبله من الحث على الدخول في زمرة، ما يحرك الساكن، ويوقظ النائم، و﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ، و﴿الْفَضْلُ﴾ بيان، والخبر ﴿مِنْ اللَّهِ﴾. انظر: ابن جزي³. وقوله: ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ "يدل على معناه الحديث الشريف المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <لن يدخل أحد منكم بعمله الجنة>، قالوا: ولا أنت، يا رسول الله؟ قال: <ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل رحمته>، لفظ البخاري⁴، ولمسلم⁵ نحوه"⁶. انظر: اللباب. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ﴾ فاعل، والباء زائدة ﴿عَلِيمًا﴾ فاصلة الآية التاسعة. والعليم هو الذي أحاط علمه

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص401. البخاري، صحيح البخاري، كتاب 62 المناقب، باب 6 مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، ج6، ص42، رقم3688.

² النمل، 52.

³ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص199.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 75 المرض، باب تمني المريض للموت، ج10، ص42، رقم5673.

⁵ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 50 صفة القيامة والجنة والنار، باب 17 لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، ج4، ص2169، رقم2816.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص401.

بالواجب والمستحيل والجائز، مما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف يكون. وقال في الباب: ﴿عَلِيمًا﴾ بجزاء من أطاعه. وقيل: معناه: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بعباده، فهو يوفقههم لطاعته¹. انتهى. وقال في الضياء: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بثواب الآخرة، أي فثقوا بخبره، ولا ينبئك مثل خبير². انتهى. "ربع". ولما ذكر الشهداء أتبعه بأمر الجهاد، والمسبب عنه الشهادة، فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدقوا بالله وبرسوله ﴿خُذُوا﴾ أصل الأخذ التناول، والمراد به هنا التناول المعنوي، قاله صاحب هذا التفسير ﴿حِذْرَكُمْ﴾ مفعول ﴿خُذُوا﴾. قال في القاموس: "الحِذْر بالكسر، ويحرك الاحتراز كالاحتذار والمحدورة والفعل كعلم، وهو حاذورة وحذريان وحِذْرٌ وحِذْرٌ، جمعه حِذْرُونَ وَحِذَارَى، أي متيقظ شديد الحذر"³. انتهى. يقول جلت قدرته أيها المؤمنون احترزوا من عدوكم، وتيقظوا له، بالحزم والاستعداد بالآلات. قال في الباب: "الحذر احتراز عن⁴ مخوف، والمعنى: احترزوا من عدوكم، ولا تمكنوه من أنفسكم. وقيل: المراد بالحذر هنا السلاح، يعني خذوا سلاحكم وعدتكم، لقتال أعدائكم، وإنما سمي السلاح حذرًا لأنه تتقى وتحترز⁵. انتهى. وقال الثعالبي: "هذا خطاب للمخلصين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأمر لهم بجهاد الكفار، والخروج في سبيل الله، وحماية الإسلام و﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ أي احزموا واستعدوا بأنواع الاستعداد"⁶. ﴿فَانْفِرُوا﴾ أي انهضوا، أي اخرجوا لقتال العدو ﴿ثُبَاتٍ﴾ بالإثبات، جمع ثبة، أي "جماعات متفرقين، سرية بعد سرية، من ثبيت فلانًا تثبية، إذا ذكرت محاسنه متفرقة"⁷، قاله في الضياء. وقال ابن جزى: "أي اخرجوا إلى الجهاد جماعات متفرقين، ذلك كناية عن

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص401.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص192.

³ الفيروزابادي، القاموس، باب الرءاء، فصل الحاء، ص477.

⁴ في الباب: "من".

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص401.

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص463.

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص192.

السرايا¹. وقيل: إن الثبته ما فوق العشرة، ووزنها فعلة، بفتح العين، ولامها محذوفة². انتهى.

﴿أَوْ أَنْفِرُوا﴾ اخرجوا ﴿جَمِيعًا﴾ فاصلة الآية المكملة للسبعين. قال ابن جزى: "أي مجتمعين في الجيش الكثيف، فخيرهم بين الخروج إلى الغزو، في قلة أو في كثرة"³. انتهى. وقال في اللباب: "﴿ثَبَاتٍ﴾ أي اخرجوا سرايا متفرقين، سرية بعد سرية، أو انفروا جميعاً، يعني: أو اخرجوا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى جهاد عدوكم"⁴. انتهى. ونحوه لغيره⁵. قال الثعالبي: "﴿جَمِيعًا﴾ معناه الجيش الكثير مع النبي صلى الله عليه وسلم، هكذا قاله ابن عباس وغيره"⁶. انتهى.

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿لَمَنْ﴾ أي للذي ﴿لَيُبَاطِنَ﴾ يشطن أو ليتخلفن. قال ابن جزى: "الخطاب للمؤمنين، والمراد به من المنافقون، وعبر عنهم به منكم، إذ هم يزعمون أنهم من المؤمنين، ويقولون: آمنا، واللام في ﴿لَمَنْ﴾ للتأكيد، وفي ﴿لَيُبَاطِنَ﴾ جواب منهم محذوف، ومعناه: يبطئ غيره، أي يثبطه عن الجهاد، ويحمله على التخلف عن الغزو. وقيل: يبطئ يتخلف هو عن الغزو ويتثاقل"⁷. انتهى. وقال في الضياء: "﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿لَمَنْ لَيُبَاطِنَ﴾ وهو المنافق، يتأخرن عن القتال، جعله منهم من حيث الظاهر، واللام الأولى للابتداء، دخلت على اسم إن للفصل بالخبر، والثانية جواب قسم محذوف، والقسم بجوابه صلة من، والراجع إليه ما استكن في ﴿لَيُبَاطِنَ﴾ والتقدير: وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطن من بطاً بمعنى تباطأ، التشديد للتكثير أو للتعدية،

¹ "المُسَرِّي الذي يخرج في السَّرِّيَّة وهي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة وجمعها السَّرَايا سُمُّوا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السَّرِّي النَّفِيس". ابن منظور، لسان العرب، مادة س ر ا، ج 14، ص 377.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 199.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 199.

⁴ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 401.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 192.

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 463.

⁷ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 199.

أي يبطئ غيره ويدعوه إلى التخلف عن المغازي، كما هو حال المنافقين¹. انتهى. وقال في الباب: "نزلت في المنافقين، وإنما قال: ﴿مِنْكُمْ﴾ لاجتماعهم مع أهل الإيمان في الجنسية والنسب وإظهار كلمة الإسلام، والمعنى: وإن منكم لمن ليتأخرن وليتأقلن عن الجهاد، وهو عبد الله ابن أبي بن سلول² المنافق، وكان رأس المنافقين³. انتهى. ﴿فَإِنْ أَصَبْتَكُمْ﴾ بالحذف نالتكم ﴿مُصِيبَةً﴾ كقتال أو استشهاد، والمصيبة الحادثة المكروهة. قال الثعالبي: "وإنما هي مصيبة بحسب اعتقاد المنافقين ونظرهم الفاسد، وإنما الشهادة في الحقيقة نعمة من الله تعالى، لحسن مآلها. قال المبطل⁴: ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ أي من الله على المبطل⁵ ﴿إِذْ﴾ يظهر أنها تعليلية، وهي متعلقة بـ ﴿أَنْعَمَ﴾، ﴿لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ﴾ يعني مع المؤمنين ﴿شَهِيدًا﴾ حاضرًا معهم، والظرف يتعلق بـ ﴿شَهِيدًا﴾ ويظهر أنه قدمه للفاصلة الأولى بعد السبعين من سورة النساء. والمعنى: أن المنافق تسره غيبته عن المؤمنين، حين تصيبهم بعده مصيبة، فيقول: قد أنعم الله علي، إذ غبت عنهم، ولولا غيبي عنهم لأصابني ما أصابهم ﴿وَلَيْنَ﴾ هي اللام المؤذنة بالقسم، أيها المؤمنون ﴿أَصَبَكُمْ﴾ بالحذف، نالككم ﴿فَضْلٌ﴾ عطاء ومنة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ صفة لـ ﴿فَضْلٌ﴾ ولا فضل ولا عطاء ولا منة إلا منه سبحانه، كفتح وغنيمة أو لغو متعلق بـ ﴿أَصَبَكُمْ﴾ و﴿مِّنَ﴾ ابتدائية، وجواب هي لام ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ المبطل نادماً، أكدته تنبيهاً على فرط تحسرهم ﴿كَانَ﴾ مخففة، واسمها محذوف، أي كأنه ﴿لَمْ تَكُنْ﴾ بالياء للجمهور، والتاء لابن كثير وحفص ورويس⁵،

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص192.

² لم أعثر على ترجمة له.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص401، 402.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص463.

⁵ محمد بن المتوكل، أبو عبد الله اللؤلؤي البصري، المعروف برويس. مقرر ضابط مشهور، أحد رواة قراءة يعقوب، قال الداني: وهو من أحذق أصحابه. توفي بالبصرة سنة 238هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص10، رقم الترجمة170.

"نشر"¹. ﴿يَبْنِيكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿وَبَيْنَهُ﴾ أي ﴿مَوَدَّةٌ﴾ محبة، جملة معترضة بين القول ومعموله، فلا يجوز الوقف عليها، وهذه المودة في ظاهر المنافق لا في اعتقاده، ومفعول يقول قوله: ﴿يَلِيَّتَنِي﴾ بال حذف، ويا للتنبيه ﴿كُنْتُ مَعَهُمْ﴾ أي مع المؤمنين في الغزوة التي غنموا فيها ﴿فَأَفُوزَ﴾ بالنصب، بإضمار إن، لأنه جواب التمني، قال ابن مالك²: [الرجز]

وبعد فا جواب نفي أو طلب ~ محضين إن وسرتها حتم نصب

﴿فَوْزًا﴾ مصدر مؤكد ﴿عَظِيمًا﴾ فاصلة الآية الثانية. والمعنى: أنال مراده بأخذ حظ وافر من الغنيمة. وقال الزجاج: "﴿كَانَ﴾ مخففة، واسمها محذوف، أي كأنه ﴿لَمْ تَكُنْ﴾ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ" مؤخر، وإنما موضعه: ﴿فَإِنْ أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً﴾³. قال ابن عطية: "وهذا ضعيف، لأنه يفسد فصاحة الكلام"⁴. انتهى. وقال في الباب: "﴿لَيَقُولَنَّ﴾ يعني هذا المنافق ﴿كَانَ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ أي معرفة ومودة، والمعنى: كأنه ليس من أهل دينكم، وذلك أن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر: يا ليتني كنت معهم في تلك الغزوة التي غنموا فيها، فأفوز فوزًا عظيمًا، أي فأخذ نصيبًا وافرًا من الغنيمة"⁵. انتهى. قال صاحب هذا التفسير: المقصود من هذه الآية والتي قبلها ذم هذا المنافق وتكذيبه في قوله: إنه مؤمن، وذكر في ذلك علامات تفضحه، وتظهر كذبه، منها قوله جلت قدرته: ﴿لَيَبْطِئَنَّ﴾

¹ ابن الجزري، النشر، ج3، ص31.

² ابن مالك، ألفية ابن مالك، ص58.

³ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص76.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص78.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص402.

ومنها: قوله تعالى حكاية عنه: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ (٧٢) فإنه يدل على سروره، بما أصاب المؤمنين من الحوادث المكروهة، ومنها قوله: ﴿يَلَيْتَنِى كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧٣) فإنه يدل على أنه لم يقصد إلا مجرد الدنيا، وأنه لا قصد له بحجية الإسلام وعزته، وأنه مباحد للمؤمنين، مقاطع لهم في الباطن، وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية، أعني قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ إذ المعنى يظهر بالقرينة ما في باطنه حتى تقولوا: إن تلك المواصلات التي تقدمت بينكم وبينه فيما يظهر، كأنها لم تكن قط، فلما يظهر منه تخالون أنه لم تتقدم معرفة بينكم وبينه، والله تعالى أعلم، ثم حث على الجهاد فقال: ﴿فَلْيُقَاتِلْ﴾ بالحذف ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي دين الله، لإعلاء كلمته، و﴿فِي﴾ ظرفية متعلقة بـ ﴿فَلْيُقَاتِلْ﴾، ﴿الَّذِينَ﴾ فاعل ﴿فَلْيُقَاتِلْ﴾، ﴿يَشْرُونَ﴾ أي يبيعون ﴿الْحَيَاةَ﴾ بالواو مكان الألف ﴿الدُّنْيَا﴾ وهي ذات التكليف والفناء ﴿بِالْآخِرَةِ﴾ متعلق بـ ﴿يَشْرُونَ﴾ والباء للعوضية، وهي داخلة على المأخوذ هنا، و﴿الْحَيَاةَ﴾ الدنيا متروكة، والآخرة مأخوذة محوذة، يقول الله تعالى أمر المؤمنين التاركين للدنيا ولذا تأم الآخذين للآخرة ونعيمها الراغبين فيها أن يقاتلوا في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، ولا يكونوا كالذين بطؤوا عن الجهاد، بأن تخلفوا عنه، أو صدوا عنه. قال في الضياء: "الفاء جواب شرط مقدر، والمعنى: أن تبطأ هؤلاء المؤثرون للحياة الدنيا، فليقاتل لإعلاء كلمة الله، الذين باعوا الحياة الدنيا، واشتروا بها الآخرة"¹. انتهى. ولم أذكر أن في هنا تحتل الأجلية، لأجل كثرة وقوع هذا اللفظ، يعني في القرآن العزيز: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾² ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾³ إلى غير ذلك من الآيات، والله تعالى

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 193.

² البقرة، 246.

³ البقرة، 190.

أعلم. وقيل: إن الآية نزلت في المنافقين، وحينئذ ف﴿يَشْرُونَ﴾ بمعنى يشترون، يعني أمر الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة أن يقاتلوا في سبيل الله، أي أمرهم أن يؤمنوا، ثم يقاتلوا في سبيل، فعلى هذا أمرهم الله سبحانه أن يتوبوا ويخلصوا الإيمان، ويقاتلوا في سبيل الله، ثم ذكر ما لمن قاتل في سبيل الله، فقال جلت قدرته: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ﴾ بالحذف ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في طريق الله، وهو دين الإسلام ﴿فَيُقْتَلْ﴾ عطف على ﴿يُقَاتِلْ﴾ أي يستشهد ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ يظفر بعدوه ﴿فَسَوْفَ﴾ حرف تنفيس، أي مهلة ﴿تُؤْتِيهِ﴾ نعطيته في الآخرة ﴿أَجْرًا﴾ ثوابًا ﴿عَظِيمًا﴾ فاصلة الآية الثالثة، أي "وافرًا، والثواب العظيم الجنة"¹، قاله الثعالبي. قال في الضياء: "ثوابًا جزيلاً، فيه ترغيب في الجهاد، وتكذيب لقول المنافق: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ﴾ وقدم القتل على الغلبة تشجيعًا للمقاتل، لنفوس النفوس عنه، وإعلامًا بأن الغلبة لا تكون غالبًا إلا لمن وطّد نفسه على الشهادة، سوى الله تعالى الغالب والشهيد في ثبوت الأجر لهما، وأن الأول أعظم أجرًا لحديث: >أيما سرية أخفقت، فقد كمل لها الأجر، وأيما سرية غنمت ذهب ثلثا أجرها<². انتهى. قوله: >أخفقت<. قال في القاموس: "أخفق الرجل غزا ولم يغنم، والصائد رجع ولم يصد"³. وقال ابن جزى: "ذكر الله الحالتين للمقاتل، ووعد بالأجر كلاً منهما"⁴. انتهى. وقال في الباب: "﴿فَسَوْفَ تُؤْتِيهِ﴾ يعني في كلا الحالتين: الشهادة والظفر بالغنيمة، أو يغلب يعني فيظفر بعدوه من الكفار أجرًا عظيمًا، يعني ثوابًا وافرًا. وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: >يضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاد في سبيله، وإيمان بي، وتصديق برسلي، فهو على ضامن أن أدخله الجنة، أو أراجعه

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص465.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص193. لم أعثر على الحديث.

³ الفيروزآبادي، القاموس، باب القاف، فصل الخاء، ص1136.

⁴ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص199.

إلى مسكنه الذي خرج منه، مع ما نال من أجر أو غنيمة¹. انتهى. قوله: <لا يخرجهم إلا جهاد>، معمول لحال محذوف، أي قائلاً ضامن بمعنى مضمون، أو معناه ذو ضمان. وقوله: <من أجر> أي خالص. وقوله: <أو غنيمة> أي أو أجر مع غنيمة ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ قال ابن جزى: "مبتدأ وخبره"²، وما استفهام توبيخ، أي وأي شيء لكم يمنعكم من القتال، أي لا مانع لكم منه، أي لا عذر لكم في ترك القتال في سبيل الله ﴿لَا تُقَاتِلُوا﴾ بالحذف، حال، وأي صارف لكم عن القتال في المجال الذي ترون فيه القتال، والعامل في الحال ما في الخبر من معنى الكون والتقدير: غير مقاتلين ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي دين الله ﴿وَالْمُسْتَضَعْفِينَ﴾ "عطف على اسم الله، أو مفعول معه"³، قاله ابن جزى، هم الذين حبسهم مشركو قريش بمكة ليفتنوهم عن الإسلام. انتهى. وقال ابن جزى: "أي لو ترك هؤلاء القوم الكلام بذلك الأمر الذي بلغهم، وردوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر، وهم كبار الصحابة، وأهل البصائر منهم، لعلمه القوم الذين يستنبطونه، أي يستخرجونه من الرسول وأولي الأمر، فالذين يستنبطونه على هذا طائفة من المسلمين، يسألون عنه الرسول عليه السلام، وأولي الأمر، وحرف الجر في قوله: ﴿يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ لا ابتداء الغاية، وهو يتعلق بالفعل، والضمير المجرور يعود على الرسول وأولي الأمر. وقيل: إن الذين يستنبطونه هم أولو الأمر، كما جاء في حديث عن عمر رضي الله عنه، أنه سمع أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق نساءه، فدخل عليه فقال: أطلقت نساءك؟ قال: <لا>، فقام على باب المسجد فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلق نساءه، قال: وأنا الذي استنبطته⁴. فعلى هذا الذين يستنبطونه هم أولو الأمر، والضمير المجرور يعود عليهم، و

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 33 الإمارة، باب 28 فصل الجهاد والخروج في سبيل الله، ج3، ص1495، رقم1876. الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص402.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص199.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص199.

⁴ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 18 الطلاق، باب 5 في الإيلاء واعتزال النساء وتخيرهن، ج2، ص1105.1108، رقم1479.

﴿ مِنْهُمْ ﴾ بيان الجنس، واستنباطهم على هذا هو سؤالهم عنه النبي صلى الله عليه وسلم، أو بالنظر والبحث، واستنباطه على التأويل الأول هو سؤال الذين أذاعوه للرسول عليه السلام ولأولي الأمر¹. انتهى. ﴿ وَلَوْلَا ﴾ حرف ملازم للابتداء، يطلب جواباً يقتضي امتناعه ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ ﴾ أي إنعامه ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ أيها المؤمنون، ببعث النبي صلى الله عليه وسلم، وإنزال القرآن ﴿ وَرَحَّمَهُ ﴾ لكم بالتوفيق لاتباع ما أنزل إليكم ﴿ لَا تَبَعْتُمْ ﴾ الشيطان بالحذف "يعني لبقيتم على الكفر والضلالة"²، قاله في اللباب. وقال السيوطي: ﴿ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ بالإسلام ﴿ وَرَحَّمَهُ ﴾ لكم بالقرآن³. انتهى. وقال ابن جزى: "﴿ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحَّمَهُ ﴾ أي هداه وتوفيقه، أو بعثه للرسول، وإنزاله القرآن، والخطاب في هذه الآية للمؤمنين"⁴. انتهى. وقال الثعالبي: "والآية خطاب لجميع المؤمنين باتفاق من المتأولين"⁵. انتهى. ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فاصلة الآية الثانية. واختلف العلماء في هذا الاستثناء، فقيل: هو راجع إلى الإذاعة، وهو قول ابن عباس. والتقدير: وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلاً، فأخرج بعض المنافقين والمؤمنين من هذه الآية، لأنهم لم يذيعوا ما علموا من أمر السرايا، وهذا القول اختاره الكلبي، والفراء⁶ وابن جرير الطبري⁷. وقيل: هو راجع إلى المستنبطين، وهو قول الحسن وقتادة، واختاره ابن قتبية، وتقديره: لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً. وقيل: هو راجع إلى اتباع الشيطان، وهو قول الضحاك، واختاره الزجاج، ومعلوم أن صرف الاستثناء إلى ما يليه ويتصل به أولى من صرفه إلى الشيء

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص201.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص407.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص115.

⁴ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص201.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص471.

⁶ الفراء، معاني القرآن، ج1، ص279، 280.

⁷ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص184.

البعيد، وتقديره: ولولا فضل الله عليكم ورحمته بقوله: ﴿فَقَنِلْ﴾ بالحذف، يا محمد، جاهد
﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في طاعة الله ﴿لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ يعني لا تكلف فرض غيرك.
قال ابن جزى¹: "لما تناقل بعض الناس عن القتال، قيل هذا للنبي صلى الله عليه وسلم، أي
إن أفردوك فقاتل وحدك، وإنما عليك ذلك"². انتهى. وقال السيوطي: "﴿لَا تُكَلِّفُ إِلَّا
نَفْسَكَ﴾ فلا تهتم بتخلفهم عنك، المعنى: قاتل ولو وحدك، فإنك موعود بالنصر"³. انتهى.
وقال الثعالبي: "هذا أمر في ظاهر اللفظ للنبي صلى الله عليه وسلم وحده، لكن لم نجد قط في
خبر أن القتال فرض على النبي عليه السلام دون الأمة مدة ما، والمعنى . والله أعلم .: أنه
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في اللفظ، وهو مثال ما يقال لكل واحد في خاصة نفسه،
أي أنت يا محمد وكل واحد من أمتك القول له، وهذا ينبغي لكل مؤمن أن يستشعر أن يجاهد
ولو وحده، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: <لأقاتلنكم حتى تنفرد سالفتي>⁴.
وقول أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقت الردة: ولو خالفني يميني لجاهدتها بشمالي"⁵. انتهى.
قوله: <سالفتي>، قال في القاموس: "السالفة ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى
قَلْبِ التَّرْقُوتِ"⁶. وعندي أنه من هذا، وأن المعنى قطعت عنقي. وقال في اللباب: "نزلت في
مواعدة رسول الله⁷ صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب، وذلك أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم واعدده بموسم بدر الصغرى، بعد حرب أحد، وذلك في ذي القعدة، فلما بلغ
الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الخروج، فكرهه بعضهم، فأُنزل الله تعالى

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص201.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 54 الشروط، باب 15 الشروط في الجهاد، ج5، ص333،
رقم2732.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص115.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 54 الشروط، باب 15 الشروط في الجهاد، ج5، ص333،
رقم2732.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص372.

⁶ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الفاء، فصل السنين، ص1060.

⁷ لم أعثر عليه.

هذه الآية: ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ يعني: لا تكلف فرض غيرك، بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك، فإن الله ناصرك، لا الجنود، وقد وعدك بالنصر عليهم، وهو لا يخلف الميعاد، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راكباً إلى بدر الصغرى، فكفاهم الله القتال، ورجعوا سالمين، وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية، على ترك الجهاد والخروج معه. وفي الآية دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس، وأعلمهم بأمور القتال ومكايدته، لأن الله تعالى أمره بالقتال وحده، ولو لم يكن أشجع الناس لما أمره بذلك، ولقد افتدى به أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قتال أهل الردة الذين منعوا الزكاة¹. انتهى. وقوله: ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ مرتب على قوله: ﴿وَمَنْ يُقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ وحرص، أي حث المؤمنين على القتال، ورغبهم في الثواب المرتب عليه، وليس عليك في شأنهم إلا التحريض، لا التعنيف. قال ابن جزى: "أي ليس عليك في شأن المؤمنين إلا التحريض"². انتهى. ونحوه لغيره³: ﴿عَسَى اللَّهُ﴾، أي لعل الله أن يكف، يصرف عن المؤمنين بأس حرب الذين كفروا. قال في الباب: "يعني لعل الله أن يمنع الناس من الكفار وشدتهم، وقد فعل، وذلك أن أبا سفيان بدا له عن القتال، فلم يخرج إلى الموعد"⁴. انتهى. وقال في الضياء: ﴿وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ رغبهم في القتال بذكر الثواب والعقاب، ولا تطلب تعنيفهم ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ﴾ أن يكف بأس حرب ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بإلقاء الرعب في قلوبهم، كما فعل بأبي سفيان⁵. انتهى. وقال الثعالبي: "عسى إذا وردت من الله تعالى، فقال عكرمة وغيره: هي واجبة بفضل الله ووعدده الجميل، قلت: أي واقع ما وعد به

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص196، 197.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص202.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص407.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص407.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص407.

سبحانه"¹. وقال ابن جزى: "و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا كفار قريش، وقد كفهم الله فهزمهم في بدر وغيرها، وافتتح مكة"². انتهى. ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ﴾ واللَّهُ أَشَدُّ، أعظم ﴿بِأَسَا﴾ قال في القاموس: "والبأس: العذاب والشدة"³. انتهى. ﴿وَأَشَدُّ﴾ أعظم ﴿تَنْكِيلًا﴾ يعني أشد عقوبة من غيره، فاصلة الآية الثالثة. قال الثعالبي: "التنكيل الأخذ بأنواع العذاب"⁴. انتهى. وقال السيوطي: "تعذيبًا منهم، فقال صلى الله عليه وسلم: >والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي<⁵، فخرج بسبعين راكبًا إلى بدر الصغرى، فكف الله بأس الكفار بإلقاء الرعب في قلوبهم ومنع أبي سفيان من الخروج"⁶. انتهى. ﴿مَنْ يَشْفَعْ﴾ بين الناس ﴿شَفَعَةً﴾ بالحذف ﴿حَسَنَةً﴾ حسنة موافقة للشرع، بأن راعى فيها حق مسلم في دفع الضرر، وجلب النفع في حوائجه، ابتغاء وجه الله تعالى، ويدخل فيه الإصلاح بين المسلمين، وشفعهم في جهاد عدوهم، والدعاء لهم في ظهر الغيب يكن له، أي للشافع نصيب حظ من الأجر منها، أي من أجل شفاعته الحسنة. قال في الباب: "الشفاعة الحسنة مأخوذة من الشفع، وهو أن يصير الإنسان نفسه شفيعًا لصاحب الحاجة، حتى يجتمع معه على المسألة إلى المشفوع إليه، فعلى هذا قيل: إن المراد بالشفاعة المذكورة في الآية هي شفاعاة الإنسان لغيره، ليحلب بشفاعته نفعًا، أو يخلصه من بلاء نزل به. وقيل: هي الإصلاح بين الناس. وقيل: معنى الآية من يصير شفعا لوتر أصحابك يا محمد، يشفعهم في جهاد عدوهم ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ أي حظ وافر من أجل شفاعته، وهو ثواب الله وكرامته"⁷. انتهى. ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ﴾

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص472.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص202.

³ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب السين، فصل الباء، ص684.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص472.

⁵ لم أعثر عليه.

⁶ السيوطي، تفسير الجلالين، ص115.

⁷ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص408.

بين الناس ﴿شَفَعَةً﴾ بالحذف ﴿سَيِّئَةً﴾ مخالفة للشرع ﴿يَكُنْ لَهُ﴾ أي لمن يشفع ﴿كَفْلٌ﴾ حظ من الوزر ﴿مِنْهَا﴾ أي من أجلها. قال ابن جزى: "الشفاعة الحسنة هي الشفاعة في مسلم لتفرج عنه كربة أو تدفع عنه مظلمة أو يجلب إليه خير، والشفاعة السيئة بخلاف ذلك. وقيل: الشفاعة الحسنة هي الطاعة، والشفاعة السيئة هي المعصية. والأول أظهر، والكفل هو النصيب"¹. انتهى. وقال الثعالبي: "قال مجاهد وغيره: الآية في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم، فمن يشفع لينفع فله نصيبه، ومن يشفع ليزر، فله كفل، والكفل النصيب، ويستعمل في الخير والشر، وفي كتاب الله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾"². وروى أبو داود عن أبي أمامة³ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: >من شفع لأحد شفاعة، فأهدى له هدية عليها، فقبلها، فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا<⁴. انتهى. وقال في الضياء: "﴿شَفَعَةً سَيِّئَةً﴾ مخالفة للشرع كان يريد بها محرماً، كقبول الهدية عليها، ويدخل فيها النيمة، ونقل الحديث لإيقاع العداوة بين المسلمين، وشفع الكفار في قتال المؤمنين"⁵. ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي لم يزل بالإثبات في الأول حيث وقع، وبالحذف في الثاني حيث وقع ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ متعلق بما بعده وهو ﴿مُقَيَّنًا﴾ فاصلة الآية الرابعة، مقتدرًا.

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص202.

² الحديد، 28.

³ صُدي بن عجلان بن الحارث، ويقال: ابن وهب، ويقال: ابن عمرو بن وهب بن عريب بن وهب ابن رياح بن الحارث بن معن بن مالك بن أعصر الباهلي، أبو أمامة، مشهور بكنيته، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر وعثمان وعلي وأبي عبيدة ومعاذ وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وعمرو بن عبسة وغيرهم. روى عنه: أبو سلام الأسود ومحمد بن زياد الألهاني، وآخرون. وأخرج الطبراني ما يدل على أنه شهد أحدًا، لكن بسند ضعيف. وقال ابن حبان: كان مع علي بصفين. توفي سنة 86هـ. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص420. بتصرف.

⁴ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 17 البيوع، باب 84 في الهدية لقضاء الحاجة، ج2، ص314، رقم3541.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص197.

الآية الرابعة، مقتدرًا. قال في القاموس: "المقيت الحافظ للشئ والشاهد له والمقتدر"¹، ثم قال: "أفاته وأقات عليه أطاقه"². انتهى. وقال في الباب: ﴿مُقِينًا﴾ قال ابن عباس: مقتدرًا أو مجازيًا، وأقات على الشئ قدر عليه، قال الشاعر³: [الوافر]

وذى ضغن كفت السوء⁴ عنه ~ وكنت على إساءته مقية

يعني قادرًا. وقيل: معناه شاهدًا وحفيظًا على الأشياء. روى البخاري⁵ ومسلم⁶ عن أبي موسى⁷ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا، فجاءه رجل يسأل، فأقبل علينا بوجهه، وقال: <اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء الله>. وفي رواية⁸: كان إذا جاء طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: <اشفعوا تؤجروا>⁹. وقال في الضياء: ﴿مُقِينًا﴾ مقتدرًا، أو معناه حفيظًا من القوت، لأنه يحفظ النفس¹⁰، وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا﴾ كالخاتمة لما قبله، والترجمة لما بعده ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ﴾ أي وإذا جاءكم

¹ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب التاء، فصل القاف، ص202.

² الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب التاء، فصل القاف، ص202.

³ قاله الزبير بن عبد المطلب، بلفظ "النفس" بدل "السوء". الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص396.

⁴ في الباب: "الشر".

⁵ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 78 الأدب، باب 36 تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا، ج10، ص450، رقم6027.

⁶ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 45 البر والصلة والآداب، باب 44، استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام، ج4، ص2026، رقم2627.

⁷ أي الأشعري.

⁸ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 45 البر والصلة والآداب، باب 44، استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام، ج4، ص2026، رقم2627.

⁹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص408.

¹⁰ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص197.

أحد، أي سلم عليكم ﴿بِنَحِيَةٍ﴾ كأن قيل لكم: السلام عليكم ﴿فَحْيُوا﴾ أي ردوا عليه السلام ﴿بِأَحْسَنَ﴾ أي بأجمل ﴿مِنْهَا﴾ أي من تلك التحية التي حياكم، كأن يقول: السلام عليكم، فقولوا: وعليكم السلام ورحمة الله، وأن يقول: السلام عليكم ورحمة الله، فقولوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ﴿أَوْ رُدُّوْهَا﴾ أي ردوا عليه بتحية مثل تحيته، كأن يقول: السلام عليكم، فتقول له: وعليكم السلام، فالرد مخير بين أن يرد مثلها أو يحيى بأحسن منها. قال الثعالبي: "قالت فرقة: معنى الآية تحيير الراد، فإذا قال البادئ: السلام عليكم، فللراد أن يقول: وعليكم السلام فقط، وهذا هو الرد، وله أن يقول: وعليكم السلام ورحمة الله، وهذا هو التحية بأحسن؛ وروي عن ابن¹ عمر وغيره. انتهى. والسلام إلى البركة، وقالت فرقة: معنى الآية إذا حييتم بتحية، فإن نقص المسلم عن النهاية فحيوا بأحسن منها، فإن انتهى فردوها كذلك، قال عطاء: والآية في المؤمنين خاصة، ومن سلم من غيرهم قيل له: عليك، كما في الحديث²، وفي أبي داود والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: <أولى الناس بالله من بدأ بالسلام>³. وانتهى⁴. وأكثر أهل العلم على أن الابتداء بالسلام سنة مؤكدة، ورده فريضة، لأنه حق من الحقوق، قاله الحسن وغيره. قال النووي: "وروي في كتاب ابن السني⁵ عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: <ما من عبيدين متحابين في الله

¹ في الثعالبي: "أبي".

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 79 الاستئذان، باب 22 كيف يرد على أهل الذمة السلام، ج 11، ص 42، رقم 6257.

³ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 35 الأدب، باب 144 في فضل من بدأ بالسلام، ج 2، ص 772، رقم 5197.

⁴ في الثعالبي: "انتهى".

⁵ ابن السني، عمل الليل واللييلة، ص 160، رقم 194. ابن السني، أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط، أبو بكر. محدث ثقة، شافعي من تلاميذ النسائي، ناهز الثمانين. من أهل الدينور، سمع بالعراق ومصر والشام والجزيرة، وصنف كتباً، منها: "عمل اليوم واللييلة". ط، و"فضائل الأعمال". - خ، في الأزهريّة، و"المجتبي"، اختصر به سنن النسائي. ولد سنة 284هـ، وتوفي فجأة وهو يكتب سنة 364هـ. الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 209. بتصرف.

عزَّ وجلَّ، يستقبل أحدهما صاحبه، فيصافحه، فيصليان على النبي صلى الله عليه وسلم، إلا لم يفترقا¹ حتى تغفر ذنوبهما، ما تقدم منها وما تأخر<. وروينا فيه² عن أنس أيضًا قال: "ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد رجل ففارقه حتى قال: <اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار>. وروينا فيه³ عن البراء قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: <إن المسلمين إذا التقيا فتصافحا وتكاثرا بود ونصيحة، تناثرت خطاياهما بينهما>. وفي رواية⁴: <إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفرا غفر الله عزَّ وجلَّ لهما>"⁵. انتهى⁶. وقال في الضياء: "والتحية في الأصل مصدر حيأك الله، أي جعل لك حياة طويلة، وهو تحية الجاهلية، فلما جاء الإسلام أبدل بالسلام، وهو المراد في الآية، لأنه أتم وأحسن، لأن طول الحياة بلا سلامة عفاء، وإذا كان في حياته سليماً كان أتم، وابتداء السلام سنة على الكفاية متأكدة، لأنه من شعار الإسلام، فيتأكد إظهاره، وأما الرد على المسلم، فقد أجمع العلماء على وجوبه، لأن تركه إهانة للمسلم، وإذا رد واحد من الجماعة سقط الفرض عن الباقيين، وإن تركوه أثموا كلهم، ويسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير، كما في صحيح البخاري⁷ ومسلم⁸، وإذا تلاقى رجلان، فالمبتدأ بالسلام هو الأفضل، كما في الترمذي⁹ وأبي

¹ في النووي: "يتفرقا".

² ابن السني، عمل الليل واللييلة، ص 167، رقم 204.

³ ابن السني، عمل الليل واللييلة، ص 160، 161، رقم 195.

⁴ ابن السني، عمل الليل واللييلة، ص 160، 161، رقم 195.

⁵ النووي، الأذكار، ص 281.

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 473.

⁷ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 79 الاستئذان، باب 5 تسليم الراكب على الماشي، ج 11، ص 15، رقم 6232.

⁸ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 39 السلام، باب 1 يسلم الراكب على الماشي والقليل على الكثير، ج 4، ص 1703، رقم 2060.

⁹ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 28 البر والصلة، باب 21 ما جاء في كراهية الهجر للمسلم، ج 4، ص 288، 289، رقم 1932. قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

داود¹. وعن أبي هريرة قال: قال عليه السلام: <لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء، إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم>. أخرجه مسلم². ويبدأ بالسلام قبل الكلام، وكل حاجة، وكان عليه السلام إذا مر على جماعة الصبيان يسلم عليهم، فإن قال المسلم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، رد عليه المسلم عليه مثله. انتهى كما في الصحيح. انتهى³. وقال ابن جزى: "ورد السلام واجب على الكفاية عند مالك والشافعي. وقال بعض الناس: هو فرض عين، واختلف في الرد على الكفار، فقيل: يرد عليهم، لعدم الآية، وقيل: لا يرد عليهم. وقيل: يقال لهم: عليكم، حسبما جاء في الحديث⁴، وهو مذهب مالك، ولا يتدوون بالسلام"⁵. انتهى. ويكره السلام على المؤذن والملي والمقيم، ولا يرد حال الأذان والتلبية والإقامة، ويجب الرد بعد الفراغ إن استمر المسلم حاضرًا لفراغهم، ولا يكره السلام على المصلي والمتطهر والمتوضئ، ويكره السلام على الشابة والمجامع وقاضي الحاجة وأهل بدع ومعاص ومشتغل بلهو وظالم. وهل يكره على آكل وقارئ قرآن أم لا؟ قولان، شهر عبد الله في عدم الكراهة، وقال الأمير⁶: ويجب الرد ولو حال أكل أو قراءة، ولا بد من إسماع الرد، إن كان المسلم حاضرًا، ولم يكن به، ويجب رد السلام، ولو على مصل، لكن إشارة ولا يطلب المصلي بالرد عليه بعد فراغه، ولا يرد قاضي الحاجة والمجامع ومستمع الخطبة مطلقًا، وإن كان المسلم غائبًا، وجب الرد عليه، ويجب الرد ولو كان به صمم، وكذا يجب الرد بالسلام الشرعي، إن كان السلام بكتاب، ويجوز أن يسلم الشاب على المتحالة⁷، والعكس؛ وهل يجب على الرسول تبليغ السلام، وهو ما لابن حجر الهيتمي

¹ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 35 الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم، ج2، ص696، رقم4911.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب 1 الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ج1، ص74، رقم54.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص197.

⁴ تقدم تخريجه قبل قليل.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص202.

⁶ لم أعثر عليه.

⁷ لم أعرف ما هي الكلمة.

الشافعي أو لا؟ وهو ما للناصر اللقاني¹، قاله الأُمي²، ويسقط فرض الرد عن جماعة قصدوا بالسلام، يرد واحد منهم، لا من غيرهم، والأولى رد الجميع. وهل لغير من رد ثواب أم لا؟ نقل بعضهم عن بعض شراح الرسالة، أنه إنما يحصل الثواب لغير من رد إذا نوى الرد، وتركه لأجل رد الغير، وإلا فلا، وأما لو قصد بالسلام من الجماعة كبير منهم فقط، فلا يجزي رد غيره، وإن سلم جماعة دفعة على رجل واحد، كفاه رد واحد، ويجب رد سلام صبي، ولا يكتفى برد صبي عن البالغين، لعدم خطابه هو بالرد فيما يظهر، وذكر النووي³ فيه وجهين، أحدهما عدم الاكتفاء، وإذا علم من إنسان أنه يثقل عليه بسلامه، جاز له ترك السلام عليه، ولا يدخل في المهجران المنهي عنه، ولا تسلم شابة على غير محرم، ولا هو عليها، ولا يرد واحد منهما على الآخر. وروى البخاري⁴ ومسلم⁵ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيّ الإسلام خير؟ قال: <تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف>. قوله: أيّ الإسلام خير؟ معناه أيّ خصال الإسلام خير؟ وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: <لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، افشوا السلام بينكم>⁶. وعن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: <يأيها الناس افشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام>⁷. أخرجه الترمذي، وقال: "حديث حسن". وعن

¹ لم أعثر عليه.

² لم أعرف من هو.

³ النووي، الأذكار، ص262.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 2 الإيمان، باب 6 إطعام الطعام من الإسلام، ج1، ص55، رقم12.

⁵ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 1 الإيمان، باب 14 بيان تفاضل الإسلام، ج1، ص65، رقم39.

⁶ لم نعثر عليه في صحيح البخاري، الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب 1 الإيمان، باب 22 بيان أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ج1، ص74، رقم54.

⁷ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 38 صفة القيامة والرقائق والورع، باب 42 منه، ج4، ص562، رقم563، 2485. قال الترمذي: "هذا حديث صحيح".

أبي أمانة رضي الله تعالى عنه قال: "أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بنفسي¹ السلام"². أخرجه ابن ماجه. وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: <لما خلق الله تعالى آدم قال: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يجيئونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله>³. قال في الباب: "قال العلماء: يستحب لمن يتدئ بالسلام أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فتأتي⁴ بضمير الجمع، وإن كان المسلم عليه واحدًا ويقول المجيب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فيأتي بواو العطف في قوله: وعليكم. وعن عمران بن الحصين⁵ قال: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليكم، فرد عليه، ثم جلس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: <عشر>، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم، ورد عليه فجلس فقال: <عشرون>، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس فقال: <ثلاثون>"⁶. أخرجه الترمذي وأبو

¹ في سنن ابن ماجه: "أن نفسي".

² ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب 33 الأدب، باب 11 إفشاء السلام، ج2، ص1218، رقم3693.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 79 الاستئذان، باب 1 بدء السلام، ج11، ص3، رقم6227. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 51 الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب 11 يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، ج4، ص2183، 2184، رقم2841.

⁴ في الباب: "فيأتي".

⁵ عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف، القدوة، الإمام، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو جُحْد الحُزاعي، أسلم هو وأبو هريرة سنة 7هـ، وله أحاديث، ولي قضاء البصرة، وكان عمر بعثه إلى أهل البصرة ليفقههم، فكان الحسن يحلف: ما قدم عليهم البصرة خير لهم من عمران بن الحصين، مسنده 180 حديثًا، وتوفي سنة 52هـ. العسقلاني، الإصابة، ج4، ص705. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص478.476، رقم الترجمة 337. بتصرف.

⁶ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 43 الاستئذان، باب 2 ما ذكر في فصل السلام، ج5، ص51، رقم2689. قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح". أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 35 الأدب، باب 143 كيف السلام، ج2، ص771، رقم5195.

داود، وقال الترمذي: "حديث حسن". وقيل: إذا قال المسلم: السلام عليكم، فيقول المجيب: وعليكم السلام، ويزيده: ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله، فيقول: وعليكم السلام ورحمة الله، ويزيده: وبركاته، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فيرد عليه مثله، ولا يزيده. وروي أن رجلاً سلم على ابن عباس فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم زاد شيئاً، فقال ابن عباس: إن السلام انتهى إلى البركة، ويستحب للمسلم أن يرفع صوته بالسلام، ليسمع المسلم عليه، فيجيبه، ويشترط أن يكون الرد على الفور، فإن أخره ثم رد لم يعد جواباً، وكان أثماً بترك الرد"¹. انتهى كلام صاحب اللباب الشافعي. "وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: <يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير>². وفي رواية البخاري قال: <يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير>³. والسنة إذا مر بصبيان صغار، أن يسلم عليهم، لما روي عن أنس: "أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل". أخرجاه في الصحيحين⁴. وفي رواية لأبي داود: "أنه صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم"⁵، وأما السلام على النساء، فإن كن جمعاً جالسات، فيستحب أن يسلم عليهن، إذا لم يخف على نفسه أو عليهن فتنة، لما روي عن أسماء بنت زيد⁶ قالت: "مر علينا النبي صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا"¹. أخرجه

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص409، 410.

² تقدم تخريجه قبل قليل.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 79 الاستئذان، باب 4 تسليم القليل على الكثير، ج11، ص14، رقم6231.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 79 الاستئذان، باب 15 التسليم على الصبيان، ج11، ص32، رقم6247. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 39 السلام، باب 5 استحباب السلام على الصبيان، ج4، ص1708، رقم2168.

⁵ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 35 الأدب، باب 147 في السلام على الصبيان، ج2، ص773، رقم5202.

⁶ أسماء بنت زيد بن الخطاب العدوية. قال ابن منده: لها رؤية، استشهد والدها باليمامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بقليل. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج7، ص523. بتصرف.

أبو داود، وحكم النساء مع النساء في السلام، كحكم الرجال مع الرجال في السلام، فيسلم بعضهن على بعض، وإذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى، يسلم عليهم، ويقصد بتسليمه المسلمين، لما روي عن أسامة بن زيد: "أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود، فسلم عليهم"². أخرجه الترمذي"³، قاله في الباب. وقوله جلت قدرته: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ أي لم يزل ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ متعلق بما بعده، قدمه للفاصلة الخامسة ﴿حَسِبًا﴾. قال في الباب: "يعني محاسبًا ومجازيًا، والمعنى أنه تعالى على كل شيء من رد السلام بمثله أو بأحسن منه مجاز عليه"⁴. انتهى. وقال السيوطي: "﴿حَسِبًا﴾ محاسبًا، فيجازي عليه، ومنه رد السلام، وخصت السنة الكافر والمبتدع، والفاسق والمسلم، على قاضي الحاجة، ومن في الحمام، والأكل، فلا يجب الرد عليهم، بل يكره في غير الأخير، ويقال للكافر: وعليك"⁵. انتهى. وقال في الضياء: "﴿حَسِبًا﴾ محاسبًا أو مقتدرًا أو كافيًا أو عالمًا، فيجازي عليه، ومنه رد السلام"⁶. انتهى. وقال أبو علي القالي⁷ في أماليه:

¹ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 35 الأدب، باب 148 في السلام على النساء، ج2، ص173، رقم5204.

² الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 43 الاستئذان، باب 13 ما جاء في السلام على مجلس فيه المسلمون وغيرهم، ج5، ص58، رقم2702. قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص410.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص408.

⁵ السيوطي، تفسير الجلالين، ص115.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص197.

⁷ لم أعثر على القول. القالي، العلامة، اللغوي، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن هارون بن عيذون البغدادي، صاحب كتاب "الأمالي" في الأدب، وأخذ العربية عن أبي دُرَيْد، وأبي بكر ابن الأنباري، وابن درستويه، ونفطويه، وطائفة، وسمع من: أبي يعلى بالموصل، ومن أبي القاسم البغوي، وغيرهما. وله: "المقصود والممدود"، و"الإبل"، و"الخليل"، و"البارع". أخذ عنه: عبد الله بن الربيع التميمي، وأبو بكر محمد بن الحسن الزُّيَيْدِي، وطائفة. والقالي نسبة إلى قرية قاليقلا من أعمال منازكرد من إقليم أرمينية، رافق

"فسر قوله تعالى: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ بأربعة أوجه على الخلاف، فقليل: محاسبًا. وقيل: كافيًا. وقيل: مقتدرًا. وقيل: عالمًا. قال: والقولان الأولان صحيحان في الاشتقاق، والآخران غير صحيحين". انتهى. قال صاحب هذا التفسير: والآخران غير صحيحين، هذا ظاهر في مقتدر، لا في عالم، لأن حسب بمعنى علم موجودة، قال الشاعر¹: [الطويل]

حسبت التقى والجود خير تجارة ~ رباحًا إذا ما المرء أصبح ثاقلا

والله تعالى أعلم. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ هو جامع بين ما قبله، لأن المعنى: الله مجازٍ على الأعمال، رد السلام وغيره، ولما وصف نفسه تعالى بذلك ذكر ما هو كالعلة في ذلك من تفرد بالألوهية، فقال: ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، خبره ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني أن الله تعالى هو الذي تفرد بالألوهية، فلا إله سواه، ولا رب غيره، لأنه الخالق لكل شيء، وغيره مخلوق لا يخلق، أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ جواب قسم محذوف. قال في الباب: "تقديره: والذي لا إله إلا هو ليجمعنكم"². وقال السيوطي: "والله ليجمعنكم من قبوركم"³. انتهى. وقال ابن جزى: "وتضمن معنى الحشر، ولذلك تعدى"⁴. يعني قوله تعالى: ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بالحذف، مصدر قام، يقال: قام قيامًا وقيامه. وقال في القاموس: "وتأتي إلى الموافقة⁵ في ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ إلى يوم القيامة"⁶. انتهى. وقال في

ناسًا من تلك القرية، فعُرف بذلك تلقبًا وشهر به. ولد سنة 280هـ، وتوفي بقرطبة في ربيع الآخر سنة 356هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 10، ص 355، 356، رقم الترجمة 3369. بتصرف.

¹ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج 2، ص 142. ينسب للبيد بن ربيعة العامري.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 410.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص 115.

⁴ في التسهيل لعلوم التنزيل: "تعدى إلى". ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 202.

⁵ في القاموس: "الموافقة".

⁶ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب الألف اللينة، ص 1738.

اللباب: "﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ يعني: إلى يوم الحشر والبعث، سميت القيامة قيامة، لقيام الناس من قبورهم بعد الموت، نزلت هذه الآية في منكري البعث¹. انتهى. وقال الثعالبي: "لما تقدم الإنذار والتحذير الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ تلاه الإعلام بصفة الربوبية وحال الوجدانية، والإعلام بالحشر والبعث من القبور للثواب والعقاب، وهنا قسم تقديره وحقه وعظمته ليجمعنكم، والجمع الحشر"². انتهى. ﴿الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ أي في يوم القيامة أنه كائن ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي، أي لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ قولاً. قال في اللباب: "يعني لا أحد أصدق من الله، فإنه لا يخلف الميعاد، ولا يجوز عليه الكذب، والمعنى: أن القيامة كائنة لا ريب فيها ولا شك"³. انتهى. وقوله: ﴿حَدِيثًا﴾ فاصلة الآية السادسة. قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف ورويس ومن أصدق ويصدقون وتصديق وتصدية وقصد السبيل وشبهه من كل صاد ساكنة قبل دال بإشمام⁴ الصاد الزاي، والباقون بالصاد وخالصة: نشر⁵. ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون، مبتدأ وخبر، والاستفهام للتوبيخ ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ بالحذف، متعلق بفعل محذوف، أي حرّم⁶ في أمر المنافقين ﴿فَتَتَيْنِ﴾ فرقتين، أو متعلق بفئتين، لما فيه من معنى التفرق. قال في اللباب: ومعنى الآية: فما لكم، يا معشر المؤمنين، حرّم في أمر المنافقين فرقتين، فرقة تذب عنهم، وفرقة تباينهم وتعاديهم، فنهى الله الفرقة التي تذب عنهم، وأمر

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص410.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص474.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص410.

⁴ "الإشمام: رَوْمُ الحَرْفِ الساكن بحركة خفية لا يُعتدُّ بها ولا تَكْسِرُ وَزْنًا". ابن منظور، لسان العرب، مادة

ش م م، ج12، ص325.

⁵ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص32.

⁶ في اللباب: "صرتم".

المؤمنين جميعاً أن يكونوا على منهاج واحد في التباين لهم والتبري منهم"¹. انتهى. وما أعربت به فئتين من أنه خبر حرتم محدوقاً هو مقتضى الباب² والسيوطي³. وقال ابن جزري: "هو منصوب على الحال، والمراد بالمنافقين هنا ما قال ابن عباس أنها نزلت في قوم كانوا بمكة مع المشركين، فزعموا أنهم آمنوا ولم يهاجروا، ثم سافر قوم منهم إلى الشام بتجارات، فاختلف المسلمون، هل يقاتلونهم ليغنموا تجارتهم لأنهم لم يهاجروا، أو يتركونهم لأنهم مؤمنون؟ وقال زيد بن ثابت: نزلت في المنافقين الذين رجعوا من القتال يوم أحد، فاختلف الصحابة في أمرهم. ويرد هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا﴾"⁴. انتهى. ويأتي الجواب عن بحث ابن جزري هذا قريباً إن شاء الله تعالى. وقال في الباب: "اختلفوا في سبب نزول هذه الآية، فقيل: نزلت في الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين، فلما رجعوا، قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اقتلهم، يا رسول الله، فإنهم منافقون، وقال بعضهم: اعف عنهم، فإنهم قد تكلموا بكلمة الإسلام. روى البخاري⁵ ومسلم⁶ عن زيد بن ثابت قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد، رجع ناس ممن خرج معه، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين، قالت فرقة: نقتلهم، وقالت فرقة: لا نقتلهم، ونزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: >إنها طيبة، تنفي الرجال، كما ينفي الكير خبث الحديد<. وقيل: نزلت في قوم خرجوا إلى المدينة وأسلموا، ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى مكة، ليأتوا ببضائع لهم، يتجرون فيها، فخرجوا فأقاموا بمكة، فاختلف المسلمون فيهم، فقائل يقول: هم منافقون، وقائل يقول: مؤمنون. وقيل: نزلت في ناس من قريش، قدموا المدينة وأسلموا، ثم ندموا على ذلك، ثم خرجوا كهيئة المنتزهين، فلما بعدوا من المدينة، كتبوا إلى رسول الله صلى

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص411.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص411.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص116.

⁴ ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص202.

⁵ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 64 المغازي، باب 17 غزوة أحد، ج7، ص356، رقم4050.

⁶ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 50 صفات المنافقين وأحكامهم، ج4، ص2142، رقم2776.

الله عليه وسلم: إنا على الذي فارقتك عليه من الإيمان، ولكننا اجتويناً¹ المدينة، واشتقنا إلى أرضنا. ثم إنهم خرجوا في تجارة إلى الشام، فبلغ ذلك المسلمين، فقال بعضهم: نخرج إليهم ونقتلهم ونأخذ ما معهم، لأنهم رغبوا عن ديننا، وقالت طائفة منهم: كيف تقتلون قوماً على دينكم، وإن لم يذروا دياركم؟ فكان هذا بعين النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ساكت لا ينهى أحداً من الفريقين، فنزلت هذه الآية. وقيل: نزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا، وكانوا يظاهرون المشركين. وقيل: نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق، لما تكلم في حديث الإفك². انتهى. وقد مر قول ابن جزى: "أن قول زيد يرده قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا﴾"³، والجواب: ما نقله الثعالبي عن ابن عطية⁴، فإنه قال: "قال ابن العربي في أحكامه: "وهذا القول . يعني قول زيد بن ثابت . هو اختيار البخاري⁵ والترمذي⁶". انتهى⁷. قال ابن عطية: وعلى هذا، فقوله: ﴿حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا﴾ والمراد به هجر ما نهى الله تعالى عنه، كما قال عليه السلام: <والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه>⁸. انتهى. ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسُهُمْ﴾ يعني المنافقين. قال ابن جزى: "أي أضلهم وأهلكهم"⁹. انتهى. وقال في الباب: "يعني نكسهم في كفرهم وارتدادهم، وردهم إلى أحكام الكفار"¹⁰. انتهى. وقال السيوطي: "

¹ اجتويناً: كرهنا. ابن منظور، لسان العرب، مادة ج و ا، ج 14، ص 157.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 411.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 202.

⁴ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 2، ص 89.

⁵ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 64 المغازي، باب 17 غزوة أحد، ج 7، ص 356، رقم 4050.

⁶ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 48 تفسير القرآن، باب 5 من سورة النساء، ج 5، ص 223، 234،

رقم 328. قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح". ابن العربي، أحكام القرآن، ج 1، ص 468.

⁷ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 474.

⁸ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 2، ص 89.

⁹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 202.

¹⁰ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 411.

﴿أَرْكَسَهُمْ﴾ بددهم¹. انتهى². وقال الثعالبي: "﴿أَرْكَسَهُمْ﴾ أي ردهم في الكفر. وقال النضر بن شميل³ والكسائي: ركس وأركس بمعنى واحد، أي رجعهم، ومن قال من المتأولين: أهلكتهم وأضلهم، فإنما هو بالمعنى. وقال ابن العربي: "أخبر الله تعالى أنه رد المنافقين إلى الكفر، وهو الإركاس، وهو عبارة عن الرجوع إلى الحالة المكروهة، كما قال في الروثة أنها ركس أي راجعة إلى حالة مكروهة، فنهى الله سبحانه الصحابة أن يتعلقوا فيهم بظاهر الإيمان، إذا كان باطنهم الكفر، وأمرهم بقتلهم حيث وجدوهم"⁴. انتهى⁵. وقال الثعالبي: "قبل هذا ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ رجعهم في كفرهم وضلالهم، والركس الرجيع، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الروثة: <أنها ركس>⁶. وقال ابن العربي⁷ إلخ. ﴿بِمَا﴾ أي بسبب ما ﴿كَسَبُوا﴾ أي عملوا، وما إما موصول اسمي، وإما موصول حرفي، وكلام صاحب اللباب⁸ صريح في أنها موصول اسمي، فإنه قال: أي بسبب ما اكتسبوا من أعمالهم الخبيثة. وقيل: بما أظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق. وقال في الضياء: "وأصل الركس رد الشيء

¹ في السيوطي: "ردهم".

² السيوطي، تفسير الجلالين، ص116.

³ النضر بن شميل بن خرشة بن زيد بن كلثوم بن عَنَزَة بن زُهَيْر بن عمرو بن حُجْر بن خَزَاعِي بن مازن بن عمرو بن تميم. العلامة، الإمام، الحافظ، أبو الحسن المازني، البصري، النحوي، نزيل مرو، وعالمها. حدث عن: هشام بن عروة، وعثمان بن غياث، وخلق كثير. وعنه: يحيى بن معين، ويحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، وأمم سواهم. وثقه: يحيى بن معين، وابن المديني، والنسائي. ولد في حدود سنة 122هـ، مات سنة 204هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص185. رقم الترجمة 1557. بتصرف.

⁴ ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص469.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص475.

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 4 الوضوء، باب 21 لا يستنجي بروت، ج1، ص256، رقم156.

⁷ ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص469. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص475.

⁸ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص411.

مقلوبًا، والجملة حالية مؤكدة بمعنى الإنكار، ولذا أتبعه بقوله: ﴿أَتُرِيدُونَ﴾¹ أتحبون وتقصدون ﴿أَنْ تَهْدُوا﴾ ترشدوا إلى طريق الحق ﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ قال في الباب: "هذا خطاب للفئة التي دافعت عن المنافقين، والمعنى: أن تبغون، أيها المؤمنون، هداية هؤلاء المنافقين الذين أضلهم الله عن الهدى"². ﴿وَمَنْ يُضِلِّ﴾ يذهب ﴿اللَّهُ﴾ عن الهدى ﴿فَلَنْ تَجِدَ﴾ يا محمد، تصادف ﴿لَهُ﴾ حال مما بعده، واللام لشبه الملك، أو لغو متعلق بـ ﴿تَجِدَ﴾ الضمير عائد على ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الهدى، فاصلة الآية السابعة. ﴿وَدُّوا﴾ يعني: تمنى أولئك الذين رجعوا عن الإيمان إلى الارتداد والكفر ﴿لَوْ﴾ مصدرية ﴿تَكْفُرُونَ﴾ يعني: تمنوا كفركم، يا معشر المؤمنين ﴿كَمَا﴾ مصدرية ﴿كَفَرُوا﴾ فتكونون أنتم وهم، فتصيرون ﴿سَوَاءً﴾ أي مستويين في الكفر. قال في الضياء: "وجملة ﴿وَدُّوا﴾ استئناف بعد حالهم عن الاهتداء"³. ﴿فَلَا﴾ نافية ﴿نَتَّخِذُوا﴾ تتناولوا، أيها المؤمنون ﴿مِنْهُمْ﴾ يعني من الكافرين حال من ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أخلاء توالوهم. في الباب: "منع المؤمنين من موالاة الكفار"⁴. انتهى. يعني: أنه لاعتبرة بإظهارهم الإيمان مع عمارة بواطنهم بالكفر ﴿حَتَّى﴾ إلى أن ﴿يُهَاجِرُوا﴾ بالإثبات. قال في الباب: "يسلموا ويهاجروا"⁵. ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في طاعة الله معكم، وهي هجرة أخرى، وهي أن يهجروا الكفر، والهجرة على ثلاثة أوجه: الأولى: هجرة المؤمنين في أول الإسلام من مكة إلى المدينة. الثانية: هجرة المؤمنين، وهي الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين، كما حكى الله عنهم في هذه الآية منع المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا في

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص198.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص411.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص198، 199.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص411.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص411.

سبيل الله. والمجرة الثالثة: هجرة المؤمنين ما نهي الله عنه. انتهى. وقال في الضياء: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ توالوهم، وإن أظهروا الإيمان، حتى يهاجروا من الكفار في سبيل الله، فتحكموا بإيمانهم بحجة صحيحة لله ورسوله، لا لأغراض الدنيا، أو حتى يهاجروا، أي يخرجوا من ديارهم إلى الجهاد، أو يهجروا ما نهي الله عنه¹. انتهى. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يعني: فإن أعرضوا عن الإسلام والمجرة، واختاروا الإقامة على الكفر ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ أيها المؤمنون، أي تناولوهم ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ﴾ أين ﴿وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ صادفتموهم في الحل والحرم، إذ لا فرق بينهم وبين سائر الكفار ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿مِنْهُمْ﴾ أي من هؤلاء المنافقين، حال مما بعده ﴿وَلِيًّا﴾ خليلاً توالونه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ فاصلة الآية الثامنة، معينا تنصرون به. قال في الضياء: "وفيه دليل على أن الزنديق إذا عثر عليه يقتل، ولا تقبل توبته، وفي الآية مبالغات في النهي عن موالاتهم، بتكرار النهي، وتنكير المفعول، وتكرير لا"². انتهى.

وقال في اللباب: "﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ يعني في هذه الحال، ولا نصيراً، يعني ينصركم على أعدائكم، لأنهم أعداء، ثم استثنى طائفة من هذا النوع، فقال جلت قدرته: ﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾³ جمع الذي، وهو اسم موصول، صيغ ليتوصل به إلى وصف المعرفة بالجملة ﴿يَصِلُونَ﴾ يلحئون ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ بالحذف، عهد أي بالأمان لهم، ولمن وصل إليهم، كما عاهد النبي صلى الله عليه وسلم هلال بن عويمر الأسلمي⁴، وقت خروجه إلى غزوة الفتح، والاستثناء من قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ﴾ لا تتخذوا منهم ولياً، لأن ولاية الكفار حرام، بلا استثناء، بخلاف ترك القتل، لأن النبي عاهده أن لا يعينه، ولا يعين عليه، ومن وصل إليه ولجأ فله الجوار. وقال الثعالبي في نقله: "﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ استثناء متصل

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص199.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص199.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص411.

⁴ لم أعثر على ترجمته.

من مفعول ﴿فَخَذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ﴾¹. انتهى. قال ابن عطية: "هذه الآية من آيات المودعة في أول الإسلام، ثم نسخت بما في سورة براءة، فالآية تقتضي أن من وصل من المشركين الذين لا عهد بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلى هؤلاء أهل العهد، فدخل في أعدادهم، وفعل فعلهم من المودعة، فلا سبيل عليه"². انتهى³. وقال ابن جزى: "الاستثناء من قوله: ﴿فَخَذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ﴾ ومعناها: أن من وصل من الكفار غير المعاهدين إلى الكفار المعاهدين، وهم الذين بينهم وبين المسلمين عهد ومهادنة، فحكمه كحكمهم في المسألة"⁴، وترك قتاله، وكان ذلك في أول الإسلام، ثم نسخ بالقتال في سورة براءة. قال السهيلي وغيره⁵: ﴿الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ هم بنو مدلج بن كنانة⁶ ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ بنو خزاعة⁷، فدخل بنو مدلج في صلح خزاعة، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمعنى ﴿يَصِلُونَ﴾ إلى قوم ينتهون إليهم ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة. وقيل: معنى

¹ لم أعثر عليه.

² ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص89.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص475.

⁴ في الأصل: "المساننة"، وفي ابن جزى: "المسألة".

⁵ لم أعثر عليه.

⁶ "بنو مدلج: بطن من كنانة، ومن بني مدلج هؤلاء كان علم القيافة، ومنهم مخزوم أو مخزر المدلجي الصحابي، ومنهم صاحب جامع المختصرات، ومختصرات الجوامع في الفقه على مذهب الشافعي، وهو أبو العباس أحمد بن الفتح عز الدين عمر النسائي". القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، ج1، ص135.

⁷ بنو خزاعة: قبيلة من الزد من القحطانية، وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزريقا. قال أبو عبيد: وعمر بن هذا أبو خزاعة كلها، ومنه تفرقت بطونها، فولد له كعب بطن، وملبح بطن، وعدي وعوف وسعد بطن، وذكر في موضع آخر أن خزاعة هو أسلم، ومالك وملكان من بني أقصى بن حارثة بن عمرو بن مزريقا. وكانت مواطنهم مكة ومر الظهران وما بينهما، وكانوا حلفاء لقريش، وكان لخزاعة ولاية البيت بعد جرحهم، ولم تزل ييدهم إلى أن باعها أبو غسان من قصي بن كلاب بزق خمر. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، ج1، ص85. بتصرف.

﴿يَصِلُونَ﴾ ينتسبون، وهذا ضعيف جدًا، بدليل قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أقاربه وأقارب المؤمنين، فكيف لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين؟¹. انتهى. وقال في الباب: "هذا الاستثناء يرجع إلى القتل، لا إلى الموالاة، لأن موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال، ومعنى ﴿يَصِلُونَ﴾ ينتسبون إليهم، أو يدخلون معهم في الحلف والجوار. قال ابن عباس: يريد يلجئون إلى قوم بينكم ميثاق، أي عهد، وهم الأسلميون، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عمير الأسلمي² عند خروجه إلى مكة، على أن لا يعينه، ولا يعين عليه، ومن وصل إلى هلال من قومه وغيرهم، ولجؤوا إليه، فلهم الجوار، مثل ما لهلال، وفي رواية عن ابن عباس قال: أراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد مناة³، كانوا في الصلح والهدنة. وقيل: هم خزاعة، والمعنى: أن من دخل في عهد من كان داخلاً في عهدكم، فهم أيضاً داخلون في عهدكم"⁴. انتهى. ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ﴾ عطف على ﴿يَصِلُونَ﴾ أو على صفة قوم ﴿حَصَرَتْ﴾ حال من الواو، أي والحال أنه قد حصرت، أي ضاقت، قرأ⁵ يعقوب حصرت بنصب تاء التأنيث منونة، ويقف بالهاء على أصله، والباقون بالإسكان، ويقفون بالتاء، والله الموفق. ﴿صُدُّوهُمْ﴾ أي ضاقت صدورهم ﴿أَنْ يُقَتِّلُوَكُمْ﴾ بالحذف، أي عن قتالكم ﴿يُقَتِّلُوا﴾ بالحذف ﴿قَوْمَهُمْ﴾ أي عن قتال قومهم، والمعنى على أنها عطف على ﴿يَصِلُونَ﴾ أن من جاء من الكفار إلى المسلمين مسالماً لهم، وضاق صدره عن قتال المسلمين، أي كره قتالهم، وضاق صدره عن قتال الكفار، أي كرهه، لأنهم أقاربه، فإنه يكف عن قتاله. قال ابن جزى: "نزلت الآية في قوم جاءوا إلى المسلمين، وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين، وكرهوا أيضاً أن يقاتلوا قومهم الكفار، فأمر الله بالكف

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص203.

² لم أعثر على ترجمة له.

³ لم أعثر على ترجمة له.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص411، 412.

⁵ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص33.

عنهم، ثم نسخ أيضًا ذلك بالقتال¹، انتهى. والمعنى على الثاني: أو الذين يصلون إلى قوم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم، فإن المتصل بمن كف حكمه، والأول أوجه، كما في البيضاوي²، وغاية الأمان³، لأن المتصل بالكاف كاف، فلا وجه لإلحاقه به، بخلاف المتصل بالمعاهد، فإنه ليس بمعاهد على الحقيقة، انظر: الضياء⁴. وقال الثعالبي: ﴿وَأَوْ جَاءُوكُمْ﴾ عطف على ﴿يَصِلُونَ﴾ ويحتمل أن يكون على قوله: ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ والمعنى في العطفين مختلف، وهذا أيضًا حكم قبل أن يستحكم أمر الإسلام⁵. انتهى. ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ أراد ﴿اللَّهُ﴾ تسليطهم عليكم ﴿لَسَلَّطَهُمْ﴾ أي قوى قلوبهم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أي على قتالكم. قال صاحب هذا التفسير: يظهر لي أن الضمير البارز في سلطهم لمن كف عن القتال بعهد، أو اتصال بأهله، أو بحصر صدره، أو اتصال بمن حصر صدره، يقول تعالى اذكروا مني عليكم حيث ألقى في قلوبهم الرعب منكم، وكففت عنكم بأسهم، ولو شئت لسلطتهم عليكم بأن أقوي قلوبهم على قتالكم. قال في اللباب: "يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين، وذلك لما ألقى الرعب في قلوبهم، وكفهم عن قتالكم، ومعنى التسليط هنا هو تقوية قلوبهم على قتال المسلمين، ولكن قذف في قلوبهم الرعب، وكفهم عن المسلمين"⁶. انتهى. بالحذف، قال صاحب هذا التفسير: يظهر أنه جواب شرط مقدر، أي فلو سلطهم عليكم لقاتلوكم، ولكنه لم يشأ تسليطهم عليكم، فلم يقاتلوكم، لما قذف في قلوبهم من الرعب، ويحتمل أن يكون عطفًا على قوله: ﴿لَسَلَّطَهُمْ﴾ فأعاد اللام، وعطف بالفاء، إشارة إلى سرعة القتال بعد التسليط ﴿فَإِنْ أَعَزَّ لُوكُمُ﴾ أي جانبوكم،

¹ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص203.

² البيضاوي، أنوار التنزيل، ج2، ص107.

³ لم أستطع الوقوف على هذا المصدر.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص199.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص475، 476.

⁶ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص412.

وتنحوا عنكم، وفسر المجانبية والتنحي بقوله: ﴿فَلَمْ يُقْنِلُوكُمْ﴾ بالحذف ﴿وَأَلْقُوا﴾ رموا ﴿إِلَيْكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿السَّلَامَ﴾ الانقياد ﴿فَمَا جَعَلَ﴾ أوجد ﴿اللَّهُ لَكُمْ﴾ اللام لشبه التملك ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي على الذين اعتزلوكم ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى قتلهم وأخذ أموالهم، فاصلة الآية التاسعة، ويظهر أن عليهم حال من ﴿سَبِيلًا﴾، ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَقْدُونَكَ﴾¹، ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾². قال في الضياء: "وهذا الحكم من الكافر إذا اعتزل القتال لا سبيل عليه، كان أول الإسلام، ثم نسخ على قول بعض المفسرين بقوله في براءة: ﴿فَأَقْضُوا الشَّرِكَانَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾³. وقال بعضهم: لا نسخ، إذ هذه الآية في المعاهدتين، فكيف يقال بنسخها؟"⁴. انتهى. وقال الثعالبي: "وهذا كله، والذي في سورة الممتحنة: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ﴾⁵ الآية، منسوخ، قاله قتادة وغيره، والسلم ها هنا الصلح"⁶. انتهى. وقال ابن جزى: "والسلم هنا الانقياد"⁷. انتهى. وقال في اللباب: "السلم يعني الانقياد والصلح، فانقادوا واستسلموا"⁸. انتهى. ﴿سَتَجِدُونَ﴾ تصادفون قومًا ﴿ءَاخِرِينَ﴾ جمع آخر بمعنى مغاير ﴿يُرِيدُونَ﴾ يشاءون ﴿أَنْ يَأْمَنُوكُمْ﴾ بإظهار الإيمان عندكم، والأمن ضد الخوف ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ بوفاقهم على الكفر إذا رجعوا إليهم، وهم

¹ التوبة، 93.

² الشورى، 42.

³ التوبة، 5.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص199.

⁵ الممتحنة، 8.

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص476.

⁷ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص203.

⁸ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص412.

مناقفو الأعراب: أسد¹ وغطفان²، كانوا إذا أتوا إلى المدينة أظهروا الإيمان، لتسهيل لهم الميرة³، وإذا رجعوا إلى قومهم نقضوا العهد وبيئوا الكفر. فإذا قيل لأحدهم: سمعنا أنك آمنت؟ يقول: آمنت بهذا العقرب أو الخنفساء أو القرد، وإذا رجعوا إلى المدينة ينكرون ذلك، ويقولون: والله، إنا على دينكم، يريدون بذلك الأمن من الفريقين، فلا يتعرضون لهم ﴿كُلِّ مَا﴾ بالفصل على خلاف، واعلم أن كلما في القرآن بالوصل حيث أتت، إلا في خمسة مواضع: ﴿مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا﴾⁴ فهذه مفصولة بلا خلاف، ﴿كُلِّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾، هذه ﴿كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾⁵، ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا﴾⁶ فهذه الثلاثة اختلف فيها، فمن كتاب المصاحف⁷ من فصلها، ومنهم من وصلها، واختار أبو داود وصل الواقعة في الملك الخامس، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾⁸. ذكر الداني⁹: فيه خلاف، وظاهر التنزيل لأبي داود الوصل لسكوته عنه، والله تعالى أعلم. وقوله: كلما اعلم أن كل ظرف زمان مضاف إلى ما وهي نائبة عن وقت، أي كل وقت، فهي نكرة، والجملة بعدها في موضع خفض على الصفة، فيحتاج إلى تقدير عائد، أي كل وقت ردوا فيه، والعامل فيه

¹ بنو أسد في الأعلام كثير، ولا يوجد علامة فارقة.

² بنو غطفان: بطن من قيس عيلان من العدنانية، وهم بنو غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان. وهو بطن من متسع كثير الشعوب والبطون. ومنازلهم مما يلي وادي القرى وجبلي طي اجاء وسلمى، ثم تفرقوا في الفتوحات الإسلامية، واستولوا على مواطنهم هناك قبائل طي. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، ج1، ص128. بتصرف.

³ الميرة هي الطعام ونحوه مما يجلب للبيع لا يُؤخذ منها زكاة لأنها عوامل. ابن منظور، لسان العرب، مادة م ي ر، ج5، ص188.

⁴ إبراهيم، 34.

⁵ المؤمنون، 44.

⁶ الملك، 8.

⁷ لم أعثر عليه في كتاب المصاحف لابن أبي داود.

⁸ الأعراف، 38.

⁹ لم أعثر عليه.

الجواب ﴿أَرْكُسُوا﴾ وتحتل أن تكون حرفاً مصدريةً، والجملة بعده صلة له، والأصل كل رد، ثم عبر عن المصدر بما في الفعل، ثم أنبأنا عن الزمان، أي كل وقت رد، كما أنيب المصدر الصريح في "جئتكَ خفوق النجم". انظر: المغني. ﴿رُدُّوْا﴾ دعوا ﴿إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ الكفر ﴿أَرْكُسُوا﴾ أعيدوا ﴿فِيهَا﴾ وقعوا فيها أشد وقوع، وما فسرت به الفتنة هو لغير واحد. وقال الثعالبي: "﴿كُلَّ مَا رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ معناه إلى الاختيار، حكى أنهم كانوا يرجعون إلى قومهم، فيقال لأحدهم: قل ربي الخنفساء، ربي العود، ربي العقرب، ونحوه، فيقولها، ومعنى: ﴿أَرْكُسُوا﴾ أي أرفعوا رجع ضلالة، أي أهلكوا في الاختبار بما واقعوه من الكفر"¹. ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ﴾ بالفصل ﴿يَعْتَزُّوْكُمْ﴾. قال في اللباب: "يعني: فإن لم يكفوا عن قتالكم حين تسيروا إلى مكة"². ﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ أي ولم يلحقوا إليكم الصلح ﴿وَيَكْفُؤُوا﴾ أي ولم يمسكوا ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ عنكم، ظاهره يشمل القتل وأخذ المال ﴿فَخَذُوهُمْ﴾ يعني أسروهم. انظر: اللباب³. ﴿وَأَقْبَلُوهُمْ حَيْثُ﴾ أي في أي مكان ﴿تَقَفْتُمُوهُمْ﴾: "وجدتموهم"⁴، قاله السيوطي. وقال البغوي: "وجدتموهم"⁵. وقال الثعالبي: "وهذه الآية حض على قتل هؤلاء المخادعين، إذا لم يرجعوا عن حالهم ﴿تَقَفْتُمُوهُمْ﴾ ظفرت بهم مغلوبين، مأخوذ من الثقاف"⁶. انتهى. وتأمل فصاحة الكلام في سياقه في الآية المتقدمة، إيجاب الاعتزال، وإيجاب اللقاء والسلم ونفي المقاتلة إذ كانوا محقين في ذلك معتقدين. وفي الثانية سياقه لنفي الاعتزال، ونفي إلقاء السلم إذ كانوا مبطلين فيه مخادعين، والحكم سواء على السياقين، لأن الذين لم يجعل عليهم سبيلاً لو لم يعتزلوا، لكان أحكمهم حكم هؤلاء الذين

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص476.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص412.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص412.

⁴ السيوطي، تفسير الجلالين، ص116.

⁵ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص124.

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص476.

جعل عليهم السلطان المبين، وكذلك هؤلاء الذين عليهم السلطان، إذا اعتزلوا، لكان حكمهم حكم هؤلاء الذين لا سبيل عليهم ﴿وَأُولَئِكَ﴾ يعني من هو بهذه الصفة ﴿جَعَلْنَا﴾ أوجدنا ﴿لَكُمْ﴾ اللام لشبه التمليك ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يظهر أنه حال مما بعده لما مر ﴿سُلْطَانًا﴾ برهاناً ﴿مُبِينًا﴾ بيناً، "ظاهراً على قتلهم وسيبهم لغدرهم"¹. انتهى، قاله السيوطي. وقال في الباب: "حجة ظاهرة بالقتل والقتال البرهان الظاهر، وهو الحجة الواضحة، بسبب ظهور عداوتهم، وانكشاف حالهم بالكفر والغدر"². وقوله: ﴿مُبِينًا﴾ فاصلة الآية المكملة للتسعين. ولما ذكر الحظ على قتال الكفار وقتلهم وأسرههم، أخبر أن المؤمنين بعكس ذلك فقال: ﴿وَمَا كَانَتْ﴾ أي ما ينبغي ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي مصدق بالله ورسوله ﴿أَنْ يَقْتُلَ﴾ اسم كان وخبرها ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ويتجه التمام كما يأتي ﴿مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا﴾ "أي مخطئاً في قتله، أي من غير قصد"³، قاله السيوطي، ومقتضاه أن ﴿خَطَا﴾ حال، ويحتمل أن يكون منصوباً بـ ﴿يَقْتُلَ﴾ على أنه مفعول مطلق، والخطأ هو عدم القصد للفعل أو للشخص، بأن قصد رمي صيد أو شجر ونحو ذلك، أو بكونه أي القاتل غير مكلف. قال في الباب: "الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي"⁴، وذلك أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة، فأسلم، ثم خاف أن يظهر إسلامه لأهله، فخرج هارباً إلى المدينة، وتحصن في أطم من آطامها، والأطم الحصن، فجزعت أمه لذلك جزعاً

¹ السيوطي، تفسير الجلالين، ص116.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص412.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص117.

⁴ عياش بن أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عياش المخزومي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي سمّاه في القنوت ودعا له بالنجاة، روى عن النبي عليه الصلاة والسلام، وروى عنه ابنه عبد الله وغيره، هو أخو أبي جهل لأمه، كنيته أبو عبد الله، استشهد يوم اليرموك. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص750. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص286، رقم الترجمة 41. بتصرف.

شديدًا، وقالت لابنيها الحارث¹ وأبي جهل² ابني هشام، وهما أخوا عياش بن أبي ربيعة لأمه: والله، لا يظلني سقف، ولا أذوق طعامًا ولا شرابًا، حتى تأتوني به، فخرجوا في طلبه، وخرج معهم الحارث بن زيد بن أبي أنيسة³، حتى أتوا المدينة، فأتوا عياشًا، وهو في الأطم، فقالوا: انزل، فإن أمك لم يأتوها سقف بعدك، وقد حلفت لا تأكل ولا تشرب حتى ترجع إليها، ولك عهد الله علينا، أن لا نكرهك على شيء، يحول بينك وبين دينك، فلما ذكرا له جزع أمه، وأوثقوا له العهد بالله، نزل إليهم، فأخرجوه من المدينة، وأوثقوه بنسعة⁴، وجلده كل واحد منهم مائة جلدة، ثم قدموا به على أمه، فلما أتاها، قالت أمه: لا أحلك من وثاقتك حتى تكفر بالذي آمنت به، ثم تركوه موثقًا في الشمس ما شاء الله، فأعطاهم الذي أرادوا، فأتاه الحارث بن زيد، فقال: يا عياش، هذا الذي كنت عليه، لئن كان هدى، لقد تركت الهدى، وإن كان ضلالة، لقد كنت عليها، فغضب عياش من مقالته وقال: والله، لا ألقاك خاليًا إلا قتلتك، ثم إن عياشًا أسلم بعد ذلك، وهاجر، وأسلم الحارث بن زيد بعده، وهاجر إلى رسول

¹ الحارث بن هشام أخو أبي جهل، أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وكان خيرًا، شريفًا، كبير القدر. وله رواية في "سنن ابن ماجه"، وأعطاه النبي عليه الصلاة والسلام من غنائم حُنَيْن مائةً من الإبل، استشهد بالشام، وتزوج عمر بعده بامرأته فاطمة، وذلك في طاعون عمواس، سنة 18هـ. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص605. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص556، 557، رقم الترجمة 670. بتصرف.

² أبو جهل، عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام، كان من دعاة قريش في الجاهلية، وكان يقال له: "أبو الحكم"، فدعاه المسلمون "أبا جهل"، واستمر على عناده يستثير الناس على رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه، لا يفتقر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدا مع المشركين فكان من قتلاها. الزركلي، الأعلام، ج5، ص87. بتصرف.

³ الحارث بن يزيد بن أنيسة، ويقال: ابن نبيشة، ويقال: ابن أبي أنيسة، من بني معيص بن عامر بن لؤي القرشي العامري. لقي النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلم، ثم خرج، فقتله عياش بن أبي ربيعة خطأً بالبقيع بعد قدومه المدينة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص609، 610. بتصرف.

⁴ "النَّسْعُ سَيْرٌ يُضْفَرُ عَلَى هَيْئَةِ أَعْنَةِ النَّعَالِ تُشَدُّ بِهِ الرَّحَالُ، وَالْجَمْعُ أَنْسَاعٌ وَنُسُوعٌ وَنُسْعٌ، وَالْقِطْعَةُ مِنْهُ نِسْعَةٌ". ابن منظور، لسان العرب، مادة ن س ع، ج8، ص352.

الله صلى الله عليه وسلم، وليس عياش حاضرًا يومئذ، ولم يسمع بإسلامه، فبينا عياش يسير بظهر قباء، إذ لقي الحارث فقتله، فقال له الناس: ويحك، يا عياش، أي شيء صنعت؟ إنه قد أسلم، فرجع عياش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله، إنه كان من أمري وأمر ما قد علمت، وإني لم أشعر بإسلامه حتى قتلته، فنزل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾. ومعنى الآية: وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا البتة. وقيل: معناه ما كان له ذلك فيما أتاه من ربه، وعهد إليه، ففيه تحريم قتل المؤمن من كل وجه. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا خَطَاً﴾ استثناء منقطع، معناه: لكن إن وقع خطأً ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ والخطأ فعل الشيء من غير قصد وتعمد¹. انتهى. وقال الثعالبي: "قال جمهور المفسرين: معنى الآية: وما كان في إذن الله وأمره لمؤمن أن يقتل مؤمنًا بوجه، ثم استثنى استثناء منقطعًا، وهو الذي تكون فيه إلا بمعنى لكن، والتقدير: لكن الخطأ قد يقع، ويتجه في معنى الآية وجه آخر، وهو أن يقدر كان بمعنى استقر ووجد، كأنه قال ما وجد وما استقر لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأً، إذ هو مغلوب، فيجوز الاستثناء على هذا متصلاً، وتتضمن الآية على هذا إعظام العمد وبشاعة شأنه"². ولما رفع الإثم عن القاتل خطأً بين ما عليه فقال: ﴿مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ حال أو مفعول مطلق، والعامل فيه قتل ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ أي فالواجب، أو فعلية تحرير، أي إعتاق ﴿رَقَبَةٍ﴾ أي ذات من بني آدم ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ بالله ورسوله ﴿وَدِيَّةٌ﴾ قال ابن جزري: "هذا بيان ما يجب على القاتل خطأً، فأوجب الله عليه التحرير والدية، فأما التحرير، ففي مال القاتل، وأما الدية ففي مال عاقلته، وجاء ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو بيان للآية، إذ لفظها يحتمل ذلك وغيره، وأجمع الفقهاء عليه، واشترط مالك في الرقبة التي تعتق أن تكون مؤمنة، ليس فيها عقد من عقود الحرية، سالمة من العيوب، فأما إيمانها، فنص عليه هنا، ولذلك أجمع عليه العلماء، وأما سلامتها من عقود الحرية، فيظهر من قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ لأن ظاهره أنه ابتداء عتق عند التكفير بها، وأما سلامتها من العيوب، فزعموا أن

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص413.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص477.

إطلاق الرقبة يقتضيه، وفي ذلك نظر، ولم يبين في الآية مقدار الدية، وهي عند مالك مائة من الإبل على أهل الإبل، وألف دينار شرعية على أهل الذهب، واثنان عشر ألف درهم شرعية على أهل الورق. وروي ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه¹. انتهى. وقال في الضياء: "﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ نسمة مؤمنة عليه أو فواجهه تحرير رقبة مؤمنة سليمة من العيوب صغيرة أو كبيرة"². ﴿مُسْلَمَةٌ﴾ أي مدفوعة ﴿إِلَى أَهْلِهَا﴾ أي "القتيل، والأهل هنا الورثة، واختلف في مدة تسليمها، فقيل: هي حالة عليهم. وقيل: يؤدونها في ثلاث سنين. وقيل: في أربع، ولفظ التسليم مطلق، وهو أظهر في الحلول، لولا ما جاء من السنة في ذلك"³. قاله ابن جزى. وقال الثعالبي: "قال جماعة. منهم مالك بن أنس: .: يجرى كل من يحكم به بحكم الإسلام في الصلاة عليه إن مات، قال مالك: من صلى وصام أحب إلي، ولا يجرى ذو العيب الكثير، كأقطع اليد أو الرجلين أو الأعمى، إجماعاً فيما علمت، ومسلمة معناه مودة مدفوعة، وهي على العاقلة"⁴. وقال في الضياء: "﴿وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهَا﴾ أي ورثة المقتول يقتسمونها كسائر الموارث، فإن لم يكن له ورثة فليت المال"⁵. ﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، أي يتصدقوا على القاتل، بأن يعفوا عنها، والضمير عائد على ورثة المقتول. قال ابن جزى: "أي إذا أسقطوا الدية سقطت، وإذا أسقطها المقتول سقطت عند مالك والجمهور، خلافاً لأهل الظاهر، وحجتهم عود الضمير على أولياء المقتول. وقال الجمهور: إنما هذا إذا لم يسقطها المقتول"⁶. انتهى. وقال في الضياء: "وبينت السنة أن الدية مائة من الإبل، ولا خلاف في هذا، عشرون بنت مخاض، وعشرون بنت لبون، وعشرون ابن لبون، وعشرون حقة، وعشرون جذعة، وأنها على العاقلة، إن ثبت القتل بينة،

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص203، 204.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص200.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص204.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص477.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص200.

⁶ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص204.

موزعة عليهم، ثلاث سنين على حسب أحوالهم في المال، فيؤدي كل ما لا يضر به، بشرط كونه ذكراً بالغاً عاقلاً موسراً موافقاً في الدين والدار، ويبدأ بالأقرب فالأقرب، فإن لم يفوا، فمن بيت المال، فإن تعذر فعلى الجاني، فإن عذمت الإبل فقال مالك: على أهل الذهب ألف دينار، وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم. وقال أبو حنيفة: عشرة آلاف درهم. وقال الشافعي: بل قيمة الإبل بحسب الوقت. وقال ابن العربي: "لا مدخل في الدية بغير الإبل والذهب والفضة من ثياب أو بقر أو طعام، خلافاً لأبي يوسف"¹. انتهى. وما ذكره هو مشهور مذهب مالك. وروى ابن عمر جعل على أهل البقر مائتي بقرة، وعلى أهل الشاة ألفي شاة، وعلى أهل الحلل مائتي حلة، أخرجه أبو داود"². ﴿فَإِنْ كَانَتْ﴾ المقتول خطأ، وقاتله مؤمن ﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون، ومعنى ﴿عَدُوٍّ لَكُمْ﴾ أنهم كفار أهل حرب ﴿وَهُوَ﴾ أي المقتول خطأ ﴿مُؤْمِنٌ﴾ بالله ورسوله ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ أي فعلى القاتل أو الواجب عليه عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ نسمة ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ قد تقدم شرح الرقبة المؤمنة. قال ابن جزي: "ومعنى الآية أن المقتول خطأ إن كان قومه كفاراً حربيين، ففي قتله التحرير خاصة دون الدية، فلا تدفع لهم لئلا يتقووا بها على المسلمين. وروى ابن عباس أن ذلك إنما هو فيمن آمن، وبقي في دار الحرب، لم يهاجر، وخالفه غيره، وروى مالك أن الدية في هذا لبيت المال، فالآية عنده منسوخة"³. انتهى. وقال الثعالبي: "أي وإن كان هذا المقتول خطأ مؤمناً، قد آمن وبقي في قومه، وهم كفرة ﴿عَدُوٍّ لَكُمْ﴾ فلا دية فيه، وإنما كفارته تحرير الرقبة، قاله ابن عباس وغيره، وسقطت الدية عندهم لوجهين: أحدهما: أولياء المقتول كفار، فلا يصح دفع الدية إليهم، والآخر: قلة حرمة هذا المقتول، فلا دية فيه، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَكِيلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾⁴. وقالت فرقة: بل الوجه في سقوط الدية أن الأولياء كفار فقط، وسواء قتل بين أظهر المسلمين وبين قومه

¹ ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص476.

² أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 33 الديات، باب 18 الدية كم هي، ج2، ص592.

³ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص204.

⁴ الأنفال، 72.

الكفار، لأنه لا يصح دفعها إلى الكفار. قال ابن عطية: "وقائل المقالة الأولى يقول: إن قتل المؤمن في بلد المسلمين، وقومه حرب، فيه الدية، لبيت المال، والكفارة"¹. انتهى². وكان الحارث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين، قتله عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وقد أسلم، ولم يعلم عياش أنه أسلم، فكان فيه الكفارة، تحرير الرقبة دون الدية، لأنه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ المقتول خطأ ﴿مِنْ قَوْمٍ﴾ كفار ﴿بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿وَبَيْنَهُمْ﴾ أي القوم الكفار ﴿مِيثَاقٌ﴾ بالحذف، عهد كأهل الذمة، قال مالك: يعني: والمقتول مؤمن حملاً له على ما قبله. وقال الشافعي: هو الكافر له ولقومه العهد ﴿فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ﴾ مؤداة مدفوعة ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ لمعاهدتهم ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ لأن المقتول مسلم. قال ابن جزي: "معنى الآية: أن المقتول خطأ، إن كان قومه كفاراً معاهدين، ففي قتله تحرير رقبة، والدية تسلم إلى أهله، لأجل معاهدتهم، والمقتول على هذا مؤمن، ولذلك قال مالك: لا كفارة في قتل الذمي. وقيل: إن المقتول في هذه الآية كافر، فعلى هذا تجب الكفارة في قتل الذمي. وقيل: هي عامة في المؤمن والكافر"³. انتهى المراد منه. قال صاحب هذا التفسير: ويظهر لي على التفسير الأول أن الآية منسوخة، لأن الكفر من موانع الإرث ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ﴾ بالإثبات ﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ بالإثبات، يعني أن من لم يجد العتق، ولم يقدر عليه، فإنه يلزمه أن يصوم شهرين متتابعين، أي لم يتخللهما فطر. قال الثعالبي: "أي فمن لم يجد الرقبة، ولا اتسع ماله لشرائها، فيجزئه أن يصوم شهرين متتابعين أيامهما، لا يتخللهما فطر"⁴. انتهى. وإن عجز عن الصوم لم ينتقل إلى الإطعام إذ لم يذكره الله هنا ﴿تَوْبَةً﴾ قال الثعالبي: "نصب على المصدر، ومعناه رجوعاً بكم إلى التسهيل والتيسير"⁵. انتهى. وقال في الضياء: "نصب على المفعول لأجله، أي شرع

¹ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص93.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص477، 478.

³ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص204.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص478.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص478.

ذلك توبة من تاب الله عليه قبل توبته، أو على المصدر، أو حال بحذف مضاف، أي فعلية صيام شهرين ذا توبة¹. ﴿مَنْ أَلَّهِ﴾ صفة لـ ﴿تَوْبَةً﴾ و﴿مِنْ﴾ ابتدائية ﴿وَكَانَ﴾ الله ﴿أَي﴾ لم يزل ﴿عَلِيمًا﴾ بأحوال عبادته، ومن ذلك الخطأ في القتل ﴿حَكِيمًا﴾ يعني فيما حكم به عليه من الدية والكفارة، فاصلة الآية الأولى بعد التسعين، ثم ذكر مفهوم القتل خطأ فقال: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ قاصدًا للقتل بحديد أو غيره ﴿فَجَزَاؤُهُ﴾ أي مكافأته ﴿جَهَنَّمُ﴾ هي نار الآخرة ﴿خَلِيدًا﴾ بالحذف، مقيمًا ﴿فِيهَا﴾ أي في جهنم ﴿فِيهَا﴾ يطلق الغضب من الله على عذاب خاص، وعلى إرادته ولعنه، أي طرده وأبعده من رحمته ﴿وَأَعَدَّ﴾ هيأ ﴿لَهُ﴾ أي لقاتل المؤمن عمدًا في الآخرة، لغو متعلق بـ أعد، واللام لشبه التمليك، أو حال من عذاب، واللام للاستحقاق، قاله مفسره ﴿عَذَابًا عَظِيمًا﴾ فاصلة الآية الثانية. قال الثعالبي: "المتعمد في لغة العرب القاصد إلى الشيء، والجمهور أن المتعمد كل من قتل عمدًا، كان القتل بحديدة أو غيرها، وهذا هو الصحيح. ورأى الشافعي وغيره أن القتل بغير الحديد المشحوذ هو شبه العمد، وروى² فيه تغليظ الدية، ومالك لا يرى شبه العمد، ولا يقول به، وإنما القتل عنده ما ذكره الله تعالى عمدًا أو خطأ لا غير"³. انتهى. وقوله: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ تقديره عند أهل السنة: فجزاؤه أن جزاه بذلك، أي أهل لذلك، ومستحقه لعظم ذنبه. قال ابن عطية: "ومن أقيم عليه الحد وقتل قَوْدًا، فهو غير متبع في الآخرة، والوعيد غير نافذ عليه إجماعًا، وللحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت أنه: <من عوقب في الدنيا فهو كفارته>⁴. ومعنى الخلود هنا مدة

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص201.

² في الثعالبي: "ورأوا".

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص478. البخاري، صحيح البخاري، كتاب 93 الأحكام، باب 49 يبيع النساء، ج13، ص203، رقم7213.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 93 الأحكام، باب 49 يبيع النساء، ج13، ص203، رقم7213.

طويلة إن جازاه الله، ويدل على ذلك سقوط لفظ التأييد. ابن عطية: "والجمهور على قبول توبته. وروي عن بعض العلماء أنهم كانوا يقصدون الإغلاظ والتخويف أحياناً، فيطلقون أن لا تقبل توبته، منهم ابن شهاب وابن عباس، فكان ابن شهاب إذا سأله من يفهم منه أنه قد قتل، قال له: توبتك مقبولة، وإذا سأله من لم يفعل قال: لا توبة للقاتل. وعن ابن عباس نحوه"¹. قال الداودي²: وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: >والله، لا الدنيا³ وما فيها أهون على الله من قتل نفس بغير حق، ومن أعان على قتل مسلم بشرط كلمة، لقي الله يوم يلقاه مكتوب على جبهته آيس من رحمة الله<⁴. وعن معاوية أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: >كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من قتل مؤمناً متعمداً أو مات كافراً<⁵. وعن أبي هريرة أنه سئل عن قاتل المؤمن: هل له من توبة؟ فقال: من عوقب في الدنيا فهو كفارته، والله لا الدنيا وما فيها أهون على الله من قتل نفس بغير حق، كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من قتل مؤمناً متعمداً أو مات كافراً، لا والله الذي لا إله إلا هو، لا يدخل الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، قال: ولو أن أهل السماوات والأرض أشركوا في دم مؤمن إلا أكبرهم الله جميعاً في النار⁶. انتهى. وقال ابن جزى: "الآية نزلت بسبب مقيس بن حباب⁷، كان قد أخذ دية أخيه هشام⁸ المقتول خطأً، ثم قتل رجلاً من القوم الذين قتلوا أخاه، وارتد مشركاً، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله، والمعتمد عند الجمهور هو الذي يقصد القتل بحديد أو حجر أو عصى أو غير ذلك. وهذه الآية معطلة على مذهب الأشعرية وغيرهم، ممن يقول: لا يخلد عصاة المؤمنين في النار. واحتج بها المعتزلة

¹ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص95. (مع تغيير لبعض الألفاظ).

² لم أعثر عليه.

³ في البيهقي: "للدنيا".

⁴ البيهقي، السنن الكبرى، ج8، ص22.

⁵ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 29 الفتن ودلائلها، باب 6 في تعظيم قتل المؤمن، ج2، ص505.

⁶ لم أعثر عليه.

⁷ في ابن جزى: "صباية". لم أعثر على ترجمة له.

⁸ لم أعثر على ترجمة له.

وغيرهم ممن يقول بتخليد العصاة في النار، لقوله: ﴿خَالِدًا فِيهَا﴾ وتأولها الأشعرية بأربعة أوجه: أحدها: أن قالوا: إنها في الكافر، إذا قتل مؤمناً. والثاني: قالوا: معنى المتعمد هنا المستحل للقتل، وذلك يؤول إلى الكفر. والثالث: قالوا: الخلود فيها ليس بمعنى الدوام الأبدي، وإنما هو عبارة عن طول المدة. والرابع: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾، وأما المعتزلة فحملوها على ظاهرها، ورأوا أنها ناسخة لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ واحتجوا على ذلك بقول زيد بن ثابت: نزلت الشديدة بعد الهينة. وبقول ابن عباس: الشرك والقتل من مات عليهما خالد¹. وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: >كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل المؤمن متعمداً<. وتقتضي الآية وهذه الآثار أن للقتل حكمًا يخصه من بين سائر المعاصي، واختلف الناس في القاتل عمدا إذا تاب، هل تقبل توبته أم لا؟ وكذلك حكى ابن رشد² الخلاف في القاتل إذا اقتصر منه، هل يسقط عنه العقاب في الآخرة أم لا؟ والصحيح أنه يسقط عنه، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: >من أصاب ذنبًا، فعوقب به في الدنيا، فهو له كفارة<، وبذلك قال جمهور العلماء³. انتهى. ولما ذكر ما يقتل المؤمن عمداً أو خطأ، أردفه بما فيه النهي عن المبادرة إلى قتل من ألقى السلم وادعى الإسلام، فقال: ﴿يَكَايُهَا﴾ اسم مبهم يتوصل به إلى نداء المعرف بعده، أي يا صنف أو يا جنس الذي هو ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ أي سافرتم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في طاعة الله ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ "من البيان والتفعل هنا بمعنى الاستفعال، أي اطلبوا بيان الأمر، وقرأ تثبتوا"⁴ تفعل من الثبوت، وهي كذلك، أي اطلبوا الثبوت في الأمر. انظر: ابن جزى. والمعنى على

¹ في ابن جزى: "خلد".

² لم أعر على القول.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص204، 205. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص33.

⁴ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص205.

القراءتين: تأملوا وتمهلوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر. قال ابن عباس: نزلت هذه في رجل من بني مرة بن عوف¹، يقال له: مرداس بن نهيك²، وكان من أهل فدك³، لم يسلم من قومه غيره، سمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريداهم، وكان على السرية رجل يقال له: غالب بن فضالة الليثي⁴، فهربوا منه، وأقام الرجل لأنه على دين المسلمين، فلما رأى الخيل، خاف أن يكونوا من غير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فألجأ غنمه إلى عاقول⁵ من الجبل، وصعد هو إلى الجبل، فلما تلاحقت الخيل، سمعهم يكبرون، فعرف أنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكبر ونزل وهو يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، السلام عليكم، فغشيه أسامة بن زيد بسيفه فقتله، واستاق غنمه، ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه الخبر، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدًا شديدًا من ذلك، وقد كان سبقهم قبل ذلك الخبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: >أقتلتموه إرادة ما معه<، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على أسامة بن زيد، فقال:

¹ بنو مرة: بطن من بني ذبيان من العدنانية، وهم بنو مرة بن عوف بن ذبيان، ولذبيان من الولد عيظ، قال أبو عبيد: وفيهم العدد والشرف. ومالك ومتهم. وضرمه. والصادر. وعصيم وخصيلة وهو عمرو. قال أبو عبيد: ومن عقبه هرم بن سنان بن نميط بن مرة سيدهم في الجاهلية. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، ج1، ص136. بتصرف.

² مرداس بن نهيك الضمري، وقيل: ابن عمرو، وقيل: إنه أسلمي، وقيل: غطفاني، والأول أرجح. لم يختلفوا في أن المقتول في قصة نهيك الذي ألقى السلام وقال: إني مؤمن، أنه رجل يسمى مرداسًا، واختلفوا في قاتله، وفي أمير تلك السرية اختلافًا كثيرًا. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص74. بتصرف.

³ "فدك قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة". الحموي، معجم البلدان، ج4، ص238.

⁴ غالب بن فضالة الكناني. استدركه أبو موسى فقال: روى عن ابن عباس: أما قريظة والنضير فإنهما بالمدينة، وأما فدك فإنها على رأس ثلاثة أميال منهم، فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم جيشًا عليهم رجل يقال له: غالب بن فضالة من بني كنانة، فأخذها عنوة. انتهى. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، ص318. بتصرف.

⁵ "وعاقول النهر والوادي والرمل ما اعوجَّ منه، وكلُّ مَعْطِفٍ وإِ عاقولٌ". ابن منظور، لسان العرب، مادة ع ق ل، ج11، ص458.

يا رسول الله، استغفر لي، فقال: <كيف أنت بلا إله إلا الله>، فقالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، قال أسامة: فما زال يكررها، حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ¹، ثم استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: <أعتق رقبة>. وقال أبو ظبيان² عن أسامة قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفاً من السلاح، فقال: <أفلا شققت عن قلبه، حتى تعلم أقالها خوفاً أم لا؟>. وفي رواية عن ابن عباس قال: "مرّ رجل من بني سليم³ على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم، فسلم عليهم، فقالوا: إنما سلم عليكم ليتعوذ منكم، وقاموا إليه فقتلوه، وأخذوا غنمه، وأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز جل هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾⁴ يعني: إذا سافرت في الجهاد فتبينوا. قال في الباب: "من البيان يقال: تبينت الأمر إذا تأملت قبل الإقدام عليه، وقرئ⁵ فتبينوا من الثبوت، وهو خلاف العجلة، والمعنى: فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر، وتعرفوا حقيقة الأمر الذي تقدمون عليه"⁶. انتهى. وقيل: "إن القتاتل محلم بن جثامة⁷، ولا خلاف أن الذي لفظت الأرض عظامه حين مات هو محلم بن

¹ معناه تضايقت مما حصل معي، وتمتعت لو أنه لم يكن، وليس معناه تمتعت أن أبقى مشرّكاً إلى هذه اللحظة.

² عبد الله بن الحارث بن كثير، أبو ظبيان الأعرج الغامدي. قال ابن الكلبي: كان اسمه عبد شمس، فغيّره النبي صلى الله عليه وسلم لما وفد عليه، وكتب له كتاباً وهو صاحب راية قومه يوم القادسية. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص50.

³ بنو سليم: قبيلة من مكة، كانوا سدة البيت. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص369.

⁴ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص223.

⁵ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص33.

⁶ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص417.

⁷ محلم بن جثامة الليثي، أخو الصعب بن جثامة. قال ابن عبد البر: يقال: إنه الذي قتل عامر بن الأضبط. وقيل: إن محملاً غير الذي قتل، إنه نزل حمص، ومات بها أيام ابن الزبير. ويقال: إنه الذي مات في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودفن، فلفظته الأرض مرة بعد أخرى. قلت جزم بالأول ابن السكن. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، ص785. بتصرف.

جثامة"¹، قاله الثعالبي، وفي التنبيه أنه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال في النشر²:
 "قرأ حمزة والكسائي وحلق فتشبتوا في الموضعين هنا، وفي الحجرات بالتاء أو الشاء من الثبوت،
 والباقون بالياء والنون من التبين". انتهى. ﴿وَلَا نَقُولُوا﴾ أيها المؤمنون الذين ضربتم في سبيل
 الله ﴿لِمَنْ﴾ اللام للتبليغ، أي للذي ﴿أَلْقَى﴾ رمى ﴿إِلَيْكُمْ﴾ إلى غائبة
 ﴿السَّلَامِ﴾ الإذعان والانقياد بكلمة الشهادة التي هي مناط حقن الدم بالألف، وقرئ³
 بالألف بعد اللام الأولى لنافع وحمزة وابن عامر وأبي جعفر وحلق، والثانية للباقيين، ومعناها
 كالأولى. وقيل: المراد بالسلام بالألف التحية، أي حياكم بأن قال: السلام عليكم، والمعنى: لا
 تقولوا لمن سلم عليكم، إنما قاله تعوداً، فتقدموا عليه بالسيف، وتأخذوا ماله، ولكن كفوا عنه،
 واقبلوا منه ما أظهره لكم. وقيل: السلم والسلام بمعنى التحية، أي لا تقولوا لمن يسلم عليكم
 ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ أي لست من أهل الإيمان فتقتلوه بذلك. وقرئ⁴ السِّلْم بكسر السين في
 بعض طرق عاصم، والمعنى متقارب. وقرأ⁵ ابن وردان⁶ مؤمناً بفتح الميم، والباقون بكسرهما،
 وكلهم على أصله في الأبدال والتحقيق، أي "لسنا نؤمنك". قال العلماء: إذا رأى الغزاة في بلد
 أو قرية أو حي من العرب شعار الإسلام، يجب عليهم أن يكفوا عنهم، ولا يغيروا عليهم، لما
 روي عن عصام المزني⁷ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيشاً أو سرية

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص480.

² ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص33.

³ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص33، 34.

⁴ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص34.

⁵ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص34.

⁶ ابن وردان، مفيد المصيرين، الإمام، أبو الميمون، عبد الوهاب بن عتيق بن هبة الله بن وردان العامري
 المصري المالكي. تلا بالسبع على جماعة، وسمع من ابن بري النحوي وخلّق. مات سنة ست وعشرين
 وستمائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص314، رقم الترجمة 190. بتصرف.

⁷ عصام المزني. قال البخاري: له صحبة، وذكره ابن سعد في طبقة أهل الخندق. العسقلاني، الإصابة،
 ج4، ص500.

يقول لهم: <إذا رأيتم مسلماً، أو سمعتم مؤذناً، فلا تقتلوا أحداً>. أخرجه أبو داود¹ والترمذي². وقال أكثر الفقهاء: لو قال اليهودي والنصراني: أنا مؤمن، لا يحكم بإسلامه، لأنه يدعي أن الذي هو عليه إيمان، ولو قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعند بعض العلماء لا يحكم بإسلامه³، حتى يتبرأ من دينه الذي كان عليه، ويعترف بأنه دين باطل، وذلك لأن بعض اليهود يزعم أن محمداً رسول إلى العرب خاصة، لا أنه رسول إلى الكافة، فإذا اعترف أن محمداً رسول الله إلى كافة الخلق، وأن الذي كان عليه من التهود والتنصر باطل، صح إسلامه، وحكم بصحته⁴، قاله في الباب ﴿تَبْتَغُونَ﴾ تطلبون، يظهر أن الجملة في موضع الحال، وصاحبه فاعل ﴿نَقُولُوا﴾، ﴿عَرَضَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يعني متاعها الذي هو الحطام الفاني السريع الزوال. قال في الباب: "أي تطلبون الغنيمة التي هي حطام الدنيا السريع النفاد والذهاب، وعرض الدنيا منافعها ومتاعها"⁵. انتهى. وقال في الضياء: "﴿تَبْتَغُونَ﴾ تطلبون بذلك عرض الحياة الدنيا، متاعها من الغنيمة، فتمنعكم من التثبت والبحث عن حال من تقتلونهم"⁶. ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿اللَّهُ﴾ خبر مقدم، والمبتدأ ﴿مَغَانِمُ﴾ بالإثبات، أي غنائم ﴿كَثِيرَةٌ﴾ "من رزقه تغنموها يغنيكم بها عن قتل من يظهر الإسلام ويتعوذ به. وقيل: معناه: فعند الله ثواب كبير لمن اتقى قتل المؤمن"⁷، قاله في الباب. وقال ابن جزى: "وعد وتزهيد في غنيمة من أظهر الإسلام"⁸. انتهى. وقال الثعالبي:

¹ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 1 الجهاد، باب 100 في دعاء المشركين، ج2، ص46، رقم2635.
² الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 22 السير، باب 2، ج4، ص102، رقم1549. قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب".

³ معناه بعض العلماء اشترط في هؤلاء أن يعلنوا براءتهم من دينهم الباطل.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص417.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص417.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص202.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص417، 418.

⁸ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص205.

"عدة منه سبحانه لما¹ يأتي به من فضله من الحلال، دون ارتكاب محظور، أي فلا تتهافتوا"². انتهى. ﴿كَذَلِكَ﴾ بالحذف حيث وقع، خبر ﴿كُنْتُمْ﴾ أيها المؤمنون الذين ضربوا في سبيل الله ﴿مِّنْ﴾ متعلقة بـ ﴿كُنْتُمْ﴾ يظهر أنها ابتدائية ﴿قَبْلُ﴾ أي من قبل هذا الوقت الذي أعز الله دينه فيه، والمعنى: كنتم أنتم من قبل أن يعز الله دينه تستخفون أنتم بدينكم، كما استخفى هذا الذي ألقى إليكم السلم، وقتلتموه بدينه، حذرًا على نفسه من قومه. وقيل: معناه: كذلك كنتم تأمنون في قومكم بهذه الكلمة، فلا تحقروا من قالها، ولا تقتلوه. والأول لسعيد بن جبیر. قال الثعالبي: "واختلف في قوله: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلُ﴾ فقال ابن جبیر: معناه: كذلك كنتم مستخفين من قومكم بإسلامكم، فمن الله عليكم بإعزاز دينكم، وإظهار شريعتكم، فهم الآن كذلك كل واحد منهم خائف من قومه، يترصد أن يصل إليكم، فلم يصلح إذا وصل إليكم أن تقتلوه، حتى تبينوا أمره. وقال ابن زيد: المعنى: كذلك كنتم كفرة، فمن الله عليكم بأن أسلمتم، فلا تنكروا أن يكون هو كافرًا ثم يسلم حينه"³. انتهى. وقيل: المعنى: كذلك كنتم في الجاهلية لا تبيينوا، حتى جاء الإسلام، ومن الله عليكم، فالإشارة على هذا إلى القتل قبل الثبوت ﴿فَمَنْ بَرَّ اللَّهَ عَلَيْكُمْ﴾ قيل: معناه: فمن الله عليكم بإعزاز دينكم، وإظهار شريعتكم. وقيل: "معناه: فمن الله عليكم بالإسلام والهداية، فلا تقتلوا من قال: لا إله إلا الله. وقيل: من الله عليكم بالتوبة"⁴، قاله في الباب. وقال السيوطي: "فمن الله عليكم بالاشتجار بالإيمان والاستقامة"⁵. انتهى. وقال ابن جزى: "فمن الله عليكم بالعزة والنصر حتى أظهرتموه"⁶. انتهى. ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أي تأملوا تقتلوا مؤمنًا، وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فعل بكم، ولا تبادروا

¹ في الثعالبي: "بما".

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص480.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص480.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص418.

⁵ السيوطي، تفسير الجلالين، ص118.

⁶ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص205.

بالقتل ظناً أنه منافق، فإبقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل مؤمن واحد، وكرره تأكيداً لتعظيم الأمر ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ أي لم يزل ﴿يَمَّا﴾ موصول اسمي أو حرفي أو نكرة موصوفة ﴿تَعْمَلُونَ﴾ الباء متعلقة بقوله: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ فاصلة الآية الثالثة. والمعنى: إن الله تعالى مطلع على أعمالكم، لا يخفى عليه منها شيء، فلا تنهونوا في القتل، وكونوا محتزين في ذلك، محتاطين فيه، وكذا غير القتل من الأمور الشرعية، فهو جامع لما قبله وما بعده، أي فهو كالترجمة لما بعده، وكالختم لما قبله ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ بالحذف، المتخلفون عن الجهاد ﴿مَنْ﴾ يظهر أنها تبعيضية ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله ورسوله ﴿غَيْرُ﴾ بالنصب¹ على الاستثناء أو الحال، لنافع وابن عامر والكسائي وأبي جعفر وخلق، وبالرفع² للباقيين، صفة للقاعد، أو بدل منه. وقرئ بالجر³ على أنه صفة للمؤمنين أو بدل ﴿أُولَى﴾ أصحاب ﴿الضَّرِّ﴾ العاهات، كالعمى والعرج والمرض وغيرهم الأصحاء القاعدون اكتفاء بغيرهم، لأن الجهاد فرض كفاية، والمعنى: لا يستوي المتخلفون من المؤمنين عن الجهاد ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ﴾ بالحذف ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في طاعة الله، بأن جاهدوا لتكون كلمة الله هي العليا ﴿بِأَمْوَالِهِمْ﴾ بالحذف، والباء للآلة، بل ينفقونها على المجاهدين غيرهم، وعلى أنفسهم للجهاد، ويحملوا عليها المجاهدين، كذلك ويكسون ويكتسون كذلك ﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾ أي بأبدانهم. قال في اللباب: "يعني لا يعدل المخلفون⁴ عن الجهاد في سبيل الله من المؤمنين، والمجاهدون في سبيل الله غير ذوي الزمانة والضعف في البدن والبصر، فإنهم يساؤون المجاهدين، لأن العذر أقعدهم عن الجهاد"⁵. انتهى. وقال في الضياء: "أي لا مساواة بين من قعد عن الجهاد من غير علة، وبين المجاهدين في سبيل الله، وفائدة ذكر عدم المساواة، وإن كان معلوماً،

¹ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص34.

² ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص34.

³ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج3، ص344.

⁴ في اللباب: "المتخلفون".

⁵ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص418.

لتذكير ما بينهما، ليرغب القاعدون في الجهاد، فينالوا الدرجات العظام، وأما أولو الضرر، أي العذر، فإنهم يساوون المجاهدين في أصل الثواب، لا في المضاعفة، لأنها تتعلق بالفعل¹. انتهى. ويظهر من الآية مساوتهم حتى في المضاعفة، كما يأتي ما يدل عليه ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾ بالحذف ﴿بِأَمْوَالِهِمْ﴾ بالحذف، متعلق بـ ﴿الْمُجَاهِدِينَ﴾، ﴿وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَتْعَيْنِ﴾ بالحذف، متعلق بـ ﴿فَضَّلَ﴾، ومعنى ﴿وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَتْعَيْنِ﴾ المتخلفون عن الجهاد ﴿دَرَجَةً﴾ نصب بنزع الخافض، أي بدرجة، أو على المصدر، لأنه تضمن معنى التفضيل، أو على الحال، أي ذوي درجة على المصدر، لأنه تضمن معنى التفضيل، أو على الحال، أي ذوي درجة. قال في الضياء: "﴿وَكَلَّا﴾ من الفريقين المجاهدين والقاعدین عنه لغير عذر ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ﴾ فاعل ﴿وَعَدَ﴾ ومفعوله الأول كلا، والثاني ﴿الْحُسْنَى﴾ أي المثوبة، أو المنزلة الحسنة، وهي الجنة²، أو المعنى: أن الله تعالى أخبر بأنه يدخل الفريقين في الآخرة الجنة، وخبره حذف، ووعدده حق، ثم كرر التفصيل للحث على الجهاد بقوله: ﴿وَفَضَّلَ﴾ رفع ﴿اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾ في سبيل الله ﴿عَلَى﴾ متعلق بـ ﴿فَضَّلَ﴾ ﴿الْقَتْعَيْنِ﴾ بالحذف في الموضعين أي المتخلفين عن الجهاد لغير عذر في الموضعين ولكنهم قعدوا لأن الجهاد قام به غيرهم، وهو من فروض الكفاية ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فاصلة الآية الرابعة، أي ثواباً كبيراً، نصب على المصدر لتضمن معنى أجر³، قاله في الضياء. ويتجه فيه عندي أنه منصوب بنزع الخافض ﴿دَرَجَتٍ﴾ بالحذف، بدل من ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾، ﴿مِّنْهُ﴾ أي من الله صفة لـ ﴿دَرَجَةٍ﴾، وهي ابتدائية ﴿وَمَغْفِرَةً﴾ عطف على ﴿دَرَجَتٍ﴾، وكذا قوله: ﴿وَرَحْمَةً﴾ أو هما منصوبان بفعلهما المقدر، وأفرد الدرجة أولاً، وجمعها آخرًا، إشارة إلى أن التذكير للتعظيم، فهي في المعنى درجات، أو الأولى درجتهم عند الله، والثانية مراتبهم في

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 202.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 202.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 202.

الجنة، أو الدرجة في الدنيا، من الغنيمة والذكر الجميل والدرجات في الآخرة، ولذلك أُرْدِفَهَا بالمغفرة والرحمة، والدرجة الجهاد الأصغر، والدرجات الجهاد الأكبر، جهاد النفس، على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في انصرافه من تبوك¹: **<رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر>**²، قاله في غاية الأمان³، قاله في الضياء، وما فسرت به من أن القاعدين في الموضوعين معناه المتخلفون عن الجهاد لغير ضرر، بل تخلفوا لكون فرض الجهاد قام به غيرهم، هو الذي يظهر من كلام الله تعالى. قال في الضياء: "قال في فتوح الغيب⁴: والذي تقتضيه البلاغة أن المراد بالقاعدين هم غير أولي الضرر في الموضوعين معًا، وإنما كرر فضل الله المجاهدين، ليناط⁵ به من الزيادة ما لم ينط به أولاً، ويطابقه أن غير أولي الضرر نزل لما قال ابن أم مكتوم⁶ حين سمع: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ﴾: لو

¹ غزوة تبوك في رجب سنة تسع هجرية، بين المسلمين والروم، شارك فيها النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك في زمان عسرة الناس، وشدة من الحر، وجذب من البلاد، وحين طابت الثمار. وانتهت برجوع النبي صلى الله عليه وسلم من غير قتال، لأن الروم ومن معهم لم يأتوا. ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج2، ص515. بتصرف.

² لم أعثر عليه بلفظ "رجعنا" ولا "رجعتم"، وإنما بلفظ: **<قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر مجاهدة العبد هواه>**. علاء الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، كتاب الجهاد من قسم الأقوال، باب الجهاد الأكبر، ج4، ص43.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص203.

⁴ لم أعثر عليه.

⁵ "نَاطَ الشَّيْءَ يَنْوُطُهُ نَوَاطًا عَلَّقَهُ، وَالنَّوْطُ مَا عُلِّقَ، سَمِيَ بِالْمَصْدَرِ". ابن منظور، لسان العرب، مادة ن و ط، ج7، ص418.

⁶ ابن أم مكتوم، عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم، صحابي، شجاع، كان ضريح البصر، أسلم بمكة، وهاجر إلى المدينة بعد وقعة بدر، وكان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، مع بلال، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يستخلفه على المدينة، يصلي بالناس، في عاتة غزواته، وحضر حرب القادسية، فقاتل وهو أعمى ورجع بعدها إلى المدينة، فتوفي فيها، قُبِّلَ وفاة عمر بن الخطاب، سنة 23هـ. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص600. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص360. رقم الترجمة 77. الزركلي، الأعلام، ج5، ص83. بتصرف.

أستطيع الجهاد لجاهدت. كما في البخاري¹. ويلائم حديث أنس مرفوعاً: >لقد خلفتم في المدينة أقواماً، ما سرتهم مسيراً، ولا قطعتم وادياً، إلا كانوا معكم<²، قاله حين رجع من تبوك إلى المدينة. والحديثان يؤذنان بالمساواة بين المجاهدين وأولي الضرر، وعليه دلالة مفهوم الصفة والاستثناء في غير أولي الضرر³. انتهى. وفي الباب: "لما نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم: >ادعوا فلاناً<، فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف، فقال: >اكتب: لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله، وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله، أنا ضرير، فنزل مكانها: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ﴾⁴ انتهى. وفي لباب التأويل⁵ وتكملة السيوطي⁶ وابن جزى⁷: أن التفضيل درجة على القاعدين من أولي الضرر، ودرجات على القاعدين لغير ضرر، لأن المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية، وأولو الضرر لهم نية فقط، فنزلوا عن المجاهدين درجة، والله تعالى أعلم. "وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: >من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، وجبت له الجنة<، فعجب له أبو سعيد، فقال: أعدها عليّ، يا رسول الله، فأعدها عليه، ثم قال: >وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 56 الجهاد والسير، باب 31 قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾، ج 6، ص 45، رقم 2832.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 64 المغازي، باب 81 نزول النبي صلى الله عليه وسلم الحجر، ج 8، ص 126، رقم 4423.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 203.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 65 التفسير، باب 18 ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ج 8، ص 259، 260، رقم 4593.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 418.

⁶ السيوطي، تفسير الجلالين، ص 118.

⁷ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 206.

كما بين السماء والأرض>، قال: وما هي، يا رسول الله؟ قال: <الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله>¹. وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وصام رمضان، وحجَّ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها>، فقال: أولاً نبشر الناس؟ فقال: <إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس الأعلى، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تنفجر أنهار الجنة>²، نقله في الباب³. ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي لم يزل ﴿عَفُورًا﴾ لذنوب عباده المؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾ بهم، يتفضل عليهم برحمته، وهذا يعم المجاهدين وغيرهم، فاصلة الآية الخامسة. "وأخرج النسائي⁴ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يحكيه عن ربه عزَّ وجلَّ، قال: <أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي، خَرَجَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي، ضَمَنْتَ لَهُ إِنْ أَرْجَعْتَهُ أَرْجَعْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَإِنْ قَبَضْتَهُ غَفَرْتَ لَهُ وَرَحِمْتَهُ>⁵. انتهى. نقله في الباب¹. وقال الثعالبي: "وأخرج أبو بكر بن

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 33 الإمارة، باب 31 بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات، ج3، ص1501، رقم1884.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 56 الجهاد والسير، باب 4 درجات المهاجرين في سبيل الله، ج6، ص11، رقم2790.

³ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج3، ص581.

⁴ النَّسَائِيّ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن عليّ بن سنان بن بحر الخراسانيّ، الإمام، الحافظ، الثبّت، شيخ الإسلام، ولد بِنَسَا سنة 215هـ. كان من بحور العلم مع الفهم والإتقان والبصر ونقد الرجال وحسن التأليف، جال في طلب العلم في خراسان والحجاز ومصر والعراق والجزيرة والشام والثغور، ثم استوطن مصر، ورحل الحَقَّاط إليه، ولم يبق له نظير في هذا الشأن، من تصانيفه: "خصائص عليّ"، و"السنن الكبرى"، و"عمل اليوم والليلة"، و"التفسير"، و"الضعفاء". توفي بمكّة ودفن فيها، وكانت وفاته في شعبان سنة 303هـ. الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج9، ص398.403، رقم الترجمة 2726. بتصرف.

⁵ النسائي، سنن النسائي، كتاب 56 الجهاد، باب 15 ثواب السرية التي تخفق، ج6، ص326، رقم3126.

الخطيب بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: >إن في الجنة شجرة، يخرج من أعلاها الحلل، ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة، ملجمة بالدرّ والياقوت، لا تروث ولا تبول، ذوات أجنحة، فيجلس عليها أولياء الله، فتطير بهم حيث شاءوا، فيقول الذين أسفل منهم: يا أهل الجنة، ناصفونا، يا ربّ، ما بلغ هؤلاء² هذه الكرامة؟ فقال الله تعالى: إنهم كانوا يصومون وكنتم تفطرون، وكانوا يقومون بالليل³ وأنتم تنامون، وكانوا ينفقون وأنتم تبخلون، وكانوا يجاهدون العدو وكنتم تجبنون<⁴. انتهى⁵. ثم أخبر تعالى أن رحمته الواسعة يزويها⁶ عن من مات كافراً، نسأل الله السلامة، ولا يقبل منه في ذلك عذر، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ﴾ بالياء مكان الألف، يقال: توفاه إذا أخذه مستوفى، والمعنى هنا تقبض أرواحهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ﴾ جمع ملك، والمراد ملك الموت وأعوانه. قال في الضياء: "توفيهم يحتمل الماضي والمضارع. قال في فتوح الغيب⁷: وإذا حمل على الاستقبال يكون من باب حكاية الحال الماضية". انتهى⁸. ﴿ظَالِمِي﴾ بالإثبات، حال ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ بالشرك على ما قدمت، أو بترك الهجرة، والخروج مع المشركين، وتكثير سوادهم، حتى قتلوا معهم ببدر، منهم: العاصي بن منه⁹ والحارث بن زمعة¹⁰ وقيس

¹ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج3، ص581.

² في الثعالي: "بهؤلاء".

³ في الثعالي: "الليل".

⁴ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص266، 267.

⁵ الثعالي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص481.

⁶ "زَوَى الشَّيْءَ يَزْوِيهِ زَيًّْا وَزُورًا فَانْزَوَى نَحَاهُ فَتَنَحَّى، وَزَوَاهُ قَبْضُهُ، وَزَوَيْتُ الشَّيْءَ جَمَعْتُهُ وَقَبَضْتُهُ". ابن

منظور، لسان العرب، مادة ز و ي، ج14، ص363.

⁷ لم أعثر عليه.

⁸ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص203.

⁹ لم أعثر على ترجمة له.

¹⁰ لم أعثر على ترجمة له.

بن الفاكه¹ والوليد بن عتبة² وقيس بن الوليد بن المغيرة³ وعلي بن أمية بن خلف⁴. انظر: الضياء⁵. قال في الباب: "وقيل: ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بالمقام في دار الشرك، لأن الله تعالى لم يقبل الإسلام من أحد بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر إليه، ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة⁶. انتهى. وها أنا أنقل ما أردت من نقل كلامه رحمه الله تعالى قال: الآية نزلت في أناس تكلموا بالإسلام، ولم يهاجروا، منهم: قيس بن الفاكه بن المغيرة، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وأشباههما، فلما خرج المشركون إلى بدر، خرجوا معهم، فقتلوا مع الكفار، فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ يعني ملك الموت وأعوانه⁷، وهم ستة، ثلاثة منهم يلون قبض أرواح المؤمنين، وثلاثة يلون قبض أرواح الكفار. وقيل: أراد به ملك الموت وحده، وإنما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم، كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع، وفي التوفي هنا قولان: أحدهما: أنه قبض أرواحهم. والثاني: حشرهم إلى النار. فعلى القول الثاني يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار ظالمي أنفسهم، يعني بالشرك. وقيل: بالمقام في دار الشرك، وذلك لأن الله لم يقبل الإسلام من أحد بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم (حتى يهاجر إليه، ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة⁸) إلخ. وقال الثعالبي: "المراد بهذه الآية إلى قوله: ﴿مَصِيرًا﴾ جماعة من أهل مكة، كانوا قد أسلموا، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم، أقاموا مع قومهم، وفتن منهم جماعة، فافتتنوا، فلما كان أمر بدر، خرج منهم قوم مع الكفار، فقتلوا، فنزلت الآية فيهم. قال ابن عطية: "والذي يجري مع الأصول أن من مات من هؤلاء مرتدًا فهو كافر، ومأواه جهنم على جهة الخلود المؤبد، وهذا هو ظاهر

¹ لم أعثر على ترجمة له.

² لم أعثر على ترجمة له.

³ لم أعثر على ترجمة له.

⁴ لم أعثر على ترجمة له.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 203.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 419، 420.

⁷ أعوان عزرائيل عيه السلام.

⁸ وضعتها من جديد ليكون المعنة تأمًا.

هؤلاء، وإن فرضنا فيهم من مات مؤمناً، وأكره على الخروج، أو مات بمكة، فإنما هو عاص في ترك الهجرة، مأواه¹ جهنم على جهة العصيان دون خلود. وقوله تعالى: ﴿تَوَفَّيْهُمْ﴾ يحتمل أن يكون ماضياً، ويحتمل أن يكون مستقبلاً على حذف إحدى التاءين، ويكون في العبارة إشارة إلى ما يأتي من هذا المعنى في المستقبل بعد نزول الآية، و﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ نصب على الحال، أي ظالموها بترك الهجرة، و﴿تَوَفَّيْهُمْ الْمَلَائِكَةُ﴾ معناه تقبض أرواحهم².³²

﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة لهم ﴿فِيمَ﴾ سؤال توبيخ وتقريع، يعني قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا في أيّ الفريقين ﴿كُنْتُمْ﴾ في فريق المسلمين، أو في فريق الكفار، و﴿فِيمَ﴾ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾ وحذف من ما الاستفهامية الألف لجرها وقولي توبيخ. قال في القاموس: "وبخه"⁴ توبيخاً، لأمه وعذله وأنبه وهدده⁵. انتهى. وقولي وتقريع، قال في القاموس: "والتقريع التعنيف والشرب"⁶. انتهى. وما فسرت به للباب. وقوله: في أيّ الفريقين، يتبادر من كلامه أن ما بمعنى من، وذلك عندي تفسير باللازم، والذي يظهر أنه أراد في أي دين الفريقين كنتم، دين محمد وأصحابه، أم دين المشركين، والله تعالى أعلم. وهذا يظهر من كلام صاحب الضياء، فإنه قال: "﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ من أمر الدين في فريق المسلمين أم المشركين، يعني: لم تركتم الهجرة والجهاد والنصرة؟"⁷. انتهى. وبذلك صرح ابن جزى فقال: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾⁸ في أي شيء

¹ في ابن عطية وفي الثعالبي: "ومأواه".

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص483.

³ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص99، 100.

⁴ في أصل المخطوط: "ونجد"، أما في القاموس المحيط فهي: "وبخه".

⁵ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب الخاء، فصل الواو، ص335.

⁶ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب العين، فصل القاف، ص969.

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص203.

⁸ في ابن جزى زيادة: "أي".

كنتم من أمر دينكم"¹. انتهى. ﴿قَالُوا﴾ أي الذين ظلموا أنفسهم معتذرين ﴿كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مكة، اعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين. قال الثعالبي: "وقول هؤلاء: كنا مستضعفين في الأرض اعتذار غير صحيح، إذ كانوا يستطيعون الميل²، ويهتدون السبيل"³. انتهى. وقال ابن جزى: "اعتذار باطل، والمعنى: لم نقدر على الهجرة"⁴. انتهى. ﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة لهم، إقامة للحجة عليهم، وتبييناً لهم أنهم مبطلون في قولهم ﴿أَلَمْ﴾ استفهام تقرير ﴿تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ﴾ هي الأرض بإطلاق ﴿وَاسِعَةً﴾ بالحذف، يعني: أنها ذات عرض وطول عظيمين، يجد الضارب فيها مضطرباً واسعاً ﴿فَنُهَاجِرُوا﴾ بالإثبات، أي فتسافروا ﴿فِيهَا﴾ أي في أرض الله، إلى محل ذي أمن، تقيمون فيه دينكم، وهو المدينة، فتخرجوا من بين أظهر المشركين، أوقفتم الملائكة على ذنبهم، وأنهم لم يجدوا له عذراً صحيحاً. قال الثعالبي: "وهذه المقابلة إنما بعد توفي الملائكة لأرواح هؤلاء، وهي دالة على أنهم ماتوا مسلمين، وإلا فلو ماتوا كافرين، لم يقل لهم شيء من هذا"⁵. انتهى. وقال في الباب: ﴿فَنُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ يعني إلى المدينة، وتخرجوا من بين أظهر المشركين، فأكذبهم الله في قولهم: إنا كنا مستضعفين، وأعلمنا بكذبهم"⁶. انتهى. ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ يعني: من هو موصوف بهذه الصفة ﴿مَأْوَاهُمْ﴾ بالياء مكان الألف، منزلهم الذي يأوون إليه، أي ينصرفون إليه ﴿جَهَنَّمَ﴾ هي نار الآخرة ﴿وَسَاءَتْ﴾ أي ييست أو أضمرت، وعلى الأول ففاعلها ضمير يفسره ﴿مَصِيرًا﴾ وأنت الفعل لما فيه من معنى الدار. وعلى الثاني ففي ساء ضمير يعود على ﴿جَهَنَّمَ﴾ ، و﴿مَصِيرًا﴾ على كل تمييز

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص206.

² في الثعالبي: "الحيل".

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص483.

⁴ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص206.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص483.

⁶ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص420.

﴿مَصِيرًا﴾ فاصلة الآية السادسة، والمعنى: بثست جهنم مرجعًا، ويظهر أن المصير هنا اسم مكان ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ﴾ قال في الضياء: "استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والإشارة، قاله البيضاوي¹ وغيره. زاد القسطلاني²: المتوفين، إما كفار أو عصاة بالتخلف، وهم قادرون على الهجرة، فلم يندرج فيهم هؤلاء المستضعفون، فكان منقطعًا"³.
﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ الزمنى ونحوهم، كالشيخ الفاني، بالإثبات ﴿وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ بالحذف، ومن الرجال، وما عطف عليه في موضع الحال من المستضعفين، و﴿مِنَ﴾ تبعيضية، ووصفهم الله تعالى بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لا يطيقون ﴿حِيلَةً﴾ قال الثعالبي: "الحيلة لفظ عام لأسباب التخلص"⁴. انتهى. وقال في اللباب: "يعني: لا يقدرّون على حيلة، ولا نفقة ولا كسوة، ولا قوة لهم على الخروج من مكة إلى المدينة"⁵. انتهى. قال ابن جزى: "﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ﴾ أي الذين كان استضعافهم حقًا. قال ابن عباس: كنت أنا وأمي ممن عني الله بهذه الآية"⁶. انتهى. لا يعرفون ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا يسلكونه إلى المدينة، فاصلة الآية السابعة. قال الثعالبي: "والسبيل سبيل المدينة، فيما قاله مجاهد وغيره،

¹ البيضاوي، أنوار التنزيل، ج2، ص112.

² لم أعر على القول. القسطلاني، محمد بن أحمد بن عليّ القيسي الشاطبي، أبو بكر، قطب الدين التوزري، عالم بالحديث ورجاله، أصله من توزر بإفريقية من بلاد قسطنطينية، ومولده بمصر، ومنشأه بمكة، قام برحلات سنة 649هـ فأخذ عن علماء بغداد والجزيرة والشام ومصر، وتولّى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة إلى أن توفي، له من التصانيف: "الإفصاح عن المعجم من الغامض والمبهم"، في أسانيد رجال الحديث، رتبه على الحروف، "اقتداء الغافل باهتداء العاقل" في التصوّف، ورسالة في: "تفسير آيات من القرآن الكريم"، و"لسان البيان عن اعتقاد الجنان". ولد سنة 614هـ، وتوفي سنة 686هـ. الزركلي، الأعلام، ج5، ص323. بتصرف.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص204.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص206.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص420.

⁶ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص206.

والصواب أنه عام في جميع السبل"¹. انتهى. وقال في الضياء: "وإنما أدخل الولدان في حكم الرجال والنساء، مع أنهم لا يستحقون الوعيد، وإن استطاعوا، لعدم التكليف، مبالغة في شأن الهجرة، وإيماء إلى قواميهم، يجب عليهم أن يهاجروا بهم إن أمكن"². انتهى. ﴿فَأُولَئِكَ﴾ أي المستضعفون من الرجال والنساء ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ﴾ قال في الباب: "يعني: يتجاوز عنهم بفضلته وإحسانه، وعسى من الله واجب، لأنه إطماع وترج، والله تعالى إذا أطمع عبداً أوصله إليه"³. انتهى. وقال في الضياء: "ذكر عن⁴ تضيق في ترك الهجرة، بأن من لم تحب إليه يحتاج إلى العفو عن تركها، وأنه مرجو"⁵. انتهى. ثم ذكر ما هو كالعلة فيما قبله، فهو عام فيه وفي غيره، فقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي لم يزل ﴿عَفُوًّا﴾ كثير التجاوز عن ذنوب عباده المؤمنين ﴿عَفُوًّا﴾ فاصلة الآية الثامنة. "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية، قال: >اللهم أنج الوليد بن الوليد⁶، وسلمة بن هشام⁷،

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص483.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص204.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص420.

⁴ في الضياء: "عيسى".

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص204.

⁶ الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، من أسباط قريش في الجاهلية، ومن أجوادهم، وهو أخو خالد بن الوليد، أدرك الإسلام، وثبت على وثنية قومه إلى أن كانت وقعة "بدر" فأُسره المسلمون، ففداه أخواه هشام وخالد بمال وفير، وانصرفا به، فأسلم، فحبسه أخواه بمكة، فأفلت منهما، ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم، وشهد عمرة القضية، ومات بالمدينة نحو سنة 7هـ. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص262. الزركلي، الأعلام، ج8، ص123. بتصرف.

⁷ سلمة بن هشام، هو أخو أبي جهل، من السابقين، هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة، فحبسه أخوه، وكان النبي، صلى الله عليه وسلم، يدعو له ولعياش بن أبي ربيعة في القنوت، ثم هرب مهاجراً بعد الخندق. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص155. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص316. بتصرف.

وعياش¹ بن أبي ربيعة، والمستضعفين بمكة، اللهم اشدّد وطأتك على مضر²، اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف³، قاله في الباب. "وعن الطبري⁴، وابن أبي حاتم⁵ لما نزل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الآية، كتبها بعض المسلمين إلى من بقي بمكة من المسلمين، وأنهم لا عذر لهم، فخرجوا، فلحقهم المشركون، ففتنهم، فرجعوا فنزل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾⁶ الآية، فكتب إليهم، فخرجوا فلحقوهم، فنجا من نجا، وقتل من قتل. وعن سمرة⁷ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: >من جامع

¹ في أصل المخطوط: "عياش"، وفي الخازن: "عياش".

² بنو مضر: قبيلة من العدنانية، وهم بنو مضر بن معد بن عدنان، كان له من الولد على عمود النسب إياس بالياء المثناة تحت، وخارجاً عن عمود النسب الناس بالنون. قال أبو عبيد: وهم عيلان بن قيس عيلان، وقيل: ابن مضر لصلبه، ويقال لمضر هؤلاء مضر الحمراء، وذلك أنه حصل له من المال آنية الذهب وما في معناه. قال في العبر: وكانت مضر أهل الكثرة والقلب بالحجاز من سائر بني عدنان، وكانت لهم الرياسة بمكة والحرم. القلقشندي، نهاية الأرب، ج1، ص137. بتصرف.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص420.

⁴ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص233، 234.

⁵ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص1046. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، أبو محمد، حافظ للحديث، من كبارهم، له تصانيف، منها: "الجرح والتعديل"، و"التفسير"، و"الرد على الجهمية"، و"علل الحديث"، و"آداب الشافعي ومناقبه"، وغيرها. ولد سنة 240هـ، وتوفي سنة 327هـ. الزركلي، الأعلام، ج3، ص324. بتصرف.

⁶ البقرة، 8.

⁷ سمرة بن جندب بن هلال الفزاري من علماء الصحابة، نزل البصرة، له: أحاديث صالحة، حدّث عنه: ابنه سليمان، وأبو قلابة الجرمي، وعبد الله بن بُرَيْدَة، وأبو رجاء العطاردي وجماعة، وعن ابن سيرين قال: كان سمرة عظيم الأمانة، صدوقاً، مات سنة 58هـ. العسقلاني، الإصابة ج3، ص178، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص97.95، رقم الترجمة 393. بتصرف.

المشرك أو سكن معه، فإنه مثله< . رواه أبو داود ¹، نقله في الضياء. ﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ ﴾ بالإثبات، يسافر في هجر داره ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ في طاعة الله ﴿ يَجِدْ ﴾ يصادف ﴿ فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا ﴾ بالإثبات، أي موضعًا ذا منعة، يرغم فيه أنوف عدوه، أي يلصقهم بالرغام، وهو التراب، كناية عن حصول الذل. قال ابن جزى: "﴿ مُرَغَمًا ﴾ أي متحولاً وموضعاً، فيرغم ² عدوه بالذهاب إليه" ³. انتهى. وقال الثعالبي: "المراغم المتحول والمذهب، قاله ابن عباس وغيره، وقال مجاهد: المراغم المتزحزح عما يكرهه. وقال ابن زيد: المراغم المهاجر" ⁴. وقال السدي: المراغم المبتغي للمعيشة. قال ابن عطية: "وهذا كله تفسير بالمعنى، وأما الخاص باللفظ، فإن المراغم هو موضع المراغمة، فلو هاجر أحد من هؤلاء المحبوسين بمكة، لأرغم أنوف قريش بحصوله في منعة منهم، فتلك المنعة هي موضع المراغمة" انتهى ⁵. وأنشد الزجاج ⁶ في المعنى: [المتقارب]

إلى بلد غير داني المحل ~ بعيد المراغم والمضطرب

﴿ كَثِيرًا ﴾ أي كثيراً من المواضع الذي يرغم فيها أنوف عدوه ﴿ وَسَعَةً ﴾ قال في الباب: "يعني في الرزق. وقيل: يجد سعة من الضلالة إلى الهدى. وقيل: يجد سعة في الأرض التي هاجر إليها" ⁷. انتهى. وقال الثعالبي: "وقال مالك: السعة سعة البلاد. قال ابن عطية: "وهو المشبه للفصاحة أن يريد سعة الأرض، وبذلك تكون سعة الرزق واتساع الصدر وغير ذلك من وجوه

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص204.

² يرغم.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص206.

⁴ في أصل المخطوط: "المجاهر"، وفي الثعالبي: "المهاجر".

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص483، 484.

⁶ لم أعثر على القول.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص420.

الفرج، وهذا المعنى ظاهر من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ قال مالك بن أنس رحمه الله تعالى: الآية تعطي أن كل مسلم ينبغي له أن يخرج من البلاد التي تغير فيها السنن، ويعمل فيها بغير الحق¹. انتهى². ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ﴾ ومن يخرج يترك ﴿مِنْ﴾ ابتداءية ﴿بَيْنَهُ مَهَاجِرًا﴾ بالإثبات، مسافرًا ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ أي إلى حيث يتمكن من طاعة الله ﴿وَرَسُولِهِ ثُمَّ يَدْرِكُهُ﴾ يلحقه ﴿الْمَوْتُ﴾ قبل بلوغه إلى مهاجره ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾ وجب ﴿أَجْرُهُ﴾ أي ثوابه، أي ثواب هجرته ﴿عَلَى﴾ متعلق بوقوع ﴿اللَّهُ﴾ بإيجابه على نفسه، بحكم الوعد والتفضل والكرم، لا وجوب استحقاق وتحتّم. "قال بعض العلماء: ويدخل في حكم الآية من قصد فعل طاعة من الطاعات، ثم عجز عن إتمامها، كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملاً"³. وقال بعضهم: إنما يكتب له أجر ذلك القدر الذي عمل وأتى به، أما إتمام الأجر فلا، والقول الأول أصح، لأن الآية إنما نزلت في معرض الترغيب في الهجرة، وأن من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها، فقد حصل له ثواب الهجرة كاملاً، فلذلك كل من قصد فعل طاعة، ولم يقدر على إتمامها، كتب له ثوابها كاملاً، قاله في الباب⁴. وسبب نزول هذه الآية أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ إلى آخره، سمعه رجل من بني ليث⁵، شيخ كبير مريض، يقال له: جندع بن حمزة⁶، فقال: والله، ما أنا ممن استثنى الله عز وجل، وإني لأجد حيلة، ولي من المال ما يبلغني إلى المدينة، وأبعد منها، والله، لا أبيت الليلة بمكة، أخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير، حتى أتوا به التنعيم، فأدركه الموت، فصعق بيمينه على شماله، ثم قال: اللهم، هذه لك، وهذه لرسولك، أبايك على ما بايعك عليه

¹ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص101، 102.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص484.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص421.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص421.

⁵ "بنو ليث: بطن من بكر من كنانة، ومن بني ليث هذا الصعب بن خثامة الصحابي". القلقشندي، نهاية

الأرب في معرفة الأنساب العرب، ج1، ص134.

⁶ لم أعر على ترجمة له.

رسولك، ثم مات، فبلغ خبره أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: لو وافي المدينة لكان أتم، وأوفر أجراً، وضحك المشركون، وقالوا: ما أدرك ما طلب؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾. انتهى. وقال ابن جزى: "الآية حكمها على العموم، ونزلت في ضمرة بن العيس¹، وكان من المستضعفين بمكة، وكان مريضاً، فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة قال: اخرجوا بي، فهبئ له فراش، فوضع عليه، وخرج فمات في الطريق. وقيل: نزلت في خالد ابن حرام²، فإنه هاجر إلى أرض الحبشة، فنهشته حية في الطريق، فمات قبل أن يصل إلى أرض الحبشة"³. انتهى. وقال الثعالبي: "حكم هذه الآية باق في الجهاد، والمشي إلى الصلاة، والحج، ونحوه، قلت: وفي الباب حديث أبي أمامة، وسيأتي عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾⁴ قال ابن عطية: "الآية نزلت بسبب رجل من كنانة"⁵. وقيل: من خزاعة، اسمه ضمرة⁶ في قول الأكثر، لما سمع [قول]⁷ الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا

¹ في ابن جزى: "القيس". لم أعثر على ترجمة له.

² في ابن جزى: "حزام". لم أعثر على ترجمة له.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص206.

⁴ النور، 61

⁵ "بنو كنانة: بطن من مضر من القحطانية، وكنانة هذا كان له من الولد على عمود النسب النبوي النظر، وخارجاً عن عمود النسب مالك وملكان والحارث وعمرو وعامر وسعد وغنم وعوف ومجربة وجرول وجذال وعزوان، قال أبو عبيد: وهم في اليمن. قال في العبر: وديارهم بجعات مكة المشرفة". الفلقشندي، نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، ج1، ص134.

⁶ جندع بن ضمرة بن أبي العاص الجندعي الضمري أو الليثي، قال ابن إسحاق في السيرة: عن يزيد ابن عبد الله بن قسيط عن رجال من قومه قالوا: لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فكان جندع بن ضمرة بن أبي العاص رجلاً مسلماً، فاستبطأ فذكر الحديث في قوله لبنية: أخرجوني من مكة، فخرج مهاجراً، فمات في الطريق. وقيل: بل هو ضمرة بن عمرو، أو ضمرة بن جندب، أو ابن حبيب، أو ابن أنس، أو حبيب بن ضمرة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص515. بتصرف.

⁷ في الأصل: "قوله".

﴿٩٨﴾ قال: إني لذو مال وعبيد، وكان مريضاً. وقال: اخرجوا بي إلى المدينة، فأخرج في سرير، فأدركه الموت بالتنعيم، فنزلت الآية بسببه"¹. قال ابن عطية: "ومن هذه الآية، رأى بعض العلماء أن من مات من المسلمين وقد خرج غازياً فله سهمه من الغنيمة، قاسوا ذلك على الأجر، ووقع عبارة عن الثبوت، وكذلك وجب، لأن الوقوع والوجوب نزول في الأجرام، فشبه لازم المعاني بذلك"². انتهى"³. وقال في الضياء: "نزلت في ضمرة بن جندب في قول الأكثر"⁴، وجندب بن ضمرة، لما سمع قوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ قال لأولاده: اصلوني على السرير، وكان شيخاً كبيراً لا يستمسك على الراحلة، فلما بلغ التنعيم، أدركه الموت فضرب يمينه"⁵، إلخ. ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي لم يزل ﴿غَفُورًا﴾ قال في الضياء: "غفوراً لما فرط منه ﴿رَحِيمًا﴾ حيث جعل قاصداً لفعل كفاعله"⁶. انتهى. و﴿رَحِيمًا﴾ فاصلة الآية التاسعة. وقال في الباب: "﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يعني: ويغفر الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة، إلى أن خرج مهاجراً"⁷. ولما حثهم على الهجرة في سبيل الله، بين لهم ما يفعل المهاجر في سبيل الله بصلاته، فقال: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ أيها المؤمنون سافرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ﴾ فعل ماض يرفع الاسم وينصب الخبر، وخبره ﴿عَلَيْكُمْ﴾ واسمه ﴿جُنَاحٌ﴾ بالإثبات، إثم في ﴿أَنْ نَّقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ بالواو مكان الألف، أي من الصلاة التي هي أربع ركعات، فاقترضوا منها على ركعتين، كل ركعة بفاتحة وسورة، وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء، ولا تقصر

¹ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص101.

² ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص102.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص484.

⁴ في الضياء: "في قول الأكثر، ويقال: جندب بن ضمرة".

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص204.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص205.

⁷ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص421.

صلاة المغرب ولا صلاة الصبح، وبينت السنة أن المسافة التي تقصر فيها الصلاة أربعة برد¹، وعليه إمامنا مالك والإمام الشافعي، والقصر هو جعل الصلاة قصيرة بترك بعض ركعاتها، وقيل: بترك بعض أركانها. قال في الباب: "واختلفوا في قصر الصلاة المذكورة في الآية على قولين: أحدهما: أنه في عدد الركعات، وهو رد الصلاة الرباعية إلى ركعتين. والقول الثاني: أن المراد من القصر إدخال التخفيف في أدائها، وهو أن يكتفي بالإيماء والإشارة عن الركوع والسجود، والقول الأول أصح، ويدل عليه لفظة ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ الصَّلَاةِ﴾ ولفظة ﴿مِنْ﴾ هنا للتبويض، وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة، فثبت بهذا أن تفسير القصر بإسقاط بعض ركعات الصلاة أولى². انتهى. وقال الثعالبي: "قال مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وابن راهويه: تقصر الصلاة في أربعة برد، وهي ثمانية وأربعون ميلاً، وحجتهم أحاديث رويت في ذلك عن ابن عمر وابن عباس. وقال الحسن والزهري: تقصر في يومين. وروي أيضاً هذا عن مالك، وروي عنه تقصر في مسيرة يوم وليلة، وهذه الأقوال تتقارب في المعنى، والجمهور على جواز القصر في السفر المباح. وقال عطاء: لا تقصر الصلاة إلا في سفر طاعة، وسبيل خير، والجمهور أنه لا قصر في سفر معصية، والجمهور أنه لا يقصر المسافر حتى يخرج من بيوت القرية، وحينئذ هو ضارب في الأرض، وهو قول مالك وجماعة المذهب، وإلى ذلك في الرجوع، يعني ويقصر إلى ذلك، أي إلى دخول بيوت القرية في الرجوع، وقد ثبت³ أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة أربعاً، والعصر بذي الحليفة ركعتين، وليس بينهما ثلث يوم، ويظهر من قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا﴾

¹ "سِكِّكَ الْبَرِيدِ كُلِّ سَكَّةٍ مِنْهَا اثْنَا عَشَرَ مِيلاً، وفي الحديث: > لَا تُقْصِرُ الصَّلَاةَ فِي أَقَلِّ مِنْ أَرْبَعَةِ بُرْدٍ <، وهي ستة عشر فرسخاً، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، والسفر الذي يجوز فيه القصر أربعة برد، وهي ثمانية وأربعون ميلاً، بالأُميال الهاشمية التي في طريق مكة". ابن منظور، لسان العرب، مادة ب ر د، ج3، ص82.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص421.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 18 تقصير الصلاة، باب 5 يقصر إذا خرج من موضعه، ج2، ص569، رقم1089.

إن القصر مباح أو مخير فيه. وقد روى ابن وهب¹ عن مالك أن المسافر مخير فيه، وقاله الأبهري²، وعليه حذاق المذهب، وقال مالك في المبسوط³: القصر سنة. وهذا هو الذي عليه جمهور المذهب، وعليه جواب المدونة بالإعادة في الوقت لمن أتم في سفره. وقال ابن سحنون وغيره: القصر فرض. انتهى⁴. وقال في الباب: "قصر الصلاة في حال السفر جائز بإجماع الأمة، وإنما اختلفوا في جواز الإتمام في حال السفر، فذهب أكثر العلماء إلى أن القصر واجب في السفر، وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس، وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز⁵ وقتادة، وهو قول مالك وأبي حنيفة، ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت: "فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين، ثم انتهى⁶ في الحضر، وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى"⁷. وفي رواية أخرى قالت: "فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فأقرت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر"⁸، أخرجاه في الصحيحين، وذهب

¹ ابن وهب، العالم، الحافظ، البارع، الرَّحَّال، أبو محمد عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري، صنف وخرَّج، حدَّث عنه بعض العلماء ولكنَّ الدارقطنيَّ قال عنه: متروك الحديث، توفيَّ 308هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، ص558، 559، رقم الترجمة 2877. بتصرف.

² لم أعثر على القول ولا على ترجمة له.

³ لم أعثر عليه.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص485.

⁵ عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص: الخليفة الصالح، والملك العادل، من ملوك الدولة الأموية بالشام، بويع له بالخلافة سنة 99هـ، وسكت الناس في أيامه فمنع مسبة علي بن أبي طالب (وكان من تقدّمه من الأمويين يسبّونه على المنابر) ولم تطل مدّته إذ كانت خلافته سنتين ونصف سنة، وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة، وكان يدعى "شيخ بني أمية"، رحته دابة وهو غلام فشجّته، ولابن الجوزجي: "سيرة عمر بن عبد العزيز". ولد سنة 61 هـ، وتوفي سنة 101هـ. الزركلي، الأعلام، ج5، ص50. بتصرف.

⁶ في الباب: "أتمها".

⁷ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 6 صلاة المسافرين وقصرها، باب 1 صلاة المسافرين وقصرها، ج1، ص478، رقم 685.

⁸ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 8 الصلاة، باب 1 كيف فرضت الصلاة في الإسرائ، ج1، ص478، رقم 685.

قوم إلى جواز الإتمام في السفر، ولكن القصر أفضل، يروى ذلك عن عثمان وسعد بن أبي وقاص، وإليه ذهب الشافعي وأحمد، وهو رواية عن مالك أيضاً، ويدل على ذلك على ما روى البغوي¹ بسند الشافعي، عن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت: كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، قصر وأتم². وعن عائشة رضي الله عنها: "أنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة، حتى إذا قدمت مكة قالت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، قصرت وأتممت وأفطرت وصمت، قال: <أحسن، يا عائشة>، وما عاب علي³.

أخرجه النسائي. وظاهر القرآن يدل على ذلك، لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ولفظ: لا جناح، إنما يستعمل في الرخصة، لا فيما يكون حتماً، وأجيب عن حديث عائشة: فرض الله الصلاة ركعتين، بأن معناه فرضت ركعتين أولاً، وزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم، وأقرت صلاة السفر على جواز الاختصار عليها، وثبت جواز الإتمام بدليل آخر، فوجب المصير إليه، لتمكن الجمع بين الأحاديث ودلائل الشرع، واختلف في صلاة المسافر إذا صلى ركعتين ركعتين، هل هي مقصورة أو غير مقصورة؟ فذهب قوم إلى أنها غير مقصورة، وإنما فرض الله صلاة المسافر ركعتين تمام غير قصد، يروى ذلك عن ابن عمر وجابر بن عبد الله، وإليه ذهب سعيد بن جبير والسدي وأبو حنيفة، فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور في الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها، وقد تقدم الجواب عنه، وذهب قوم إلى أنها مقصورة، وليست بأصل، وهو قول مجاهد وطاووس، وإليه ذهب الشافعي وأحمد، ومذهب مالك والشافعي وأحمد والجمهور أنه يجوز القصر في كل سفر مباح، وشرط بعضهم كونه سفر حج أو عمرة أو جهاد أو سفر طاعة، ولا يجوز القصر في سفر المعصية. وقال أبو حنيفة: يجوز ذلك. واختلف العلماء في مسافة القصر، فقال داود الظاهري: يجوز القصر في قصير السفر وطويله. ويروى ذلك عن أنس أيضاً، وأما عامة أهل العلم، فإنهم لا يجيزون القصر في السفر القصير، واختلفوا في حد الطويل الذي يجوز فيه

¹ الدارقطني، سنن الدارقطني، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج2، ص189، رقم43.

² البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص141.

³ النسائي، سنن النسائي، كتاب 15 تقصير الصلاة في السفر، باب 4 المقام الذي يقصر بمثله الصلاة،

ج3، ص138، رقم1455.

القصر، فقال الأوزاعي: مسيرة يوم. وكان ابن عمر وابن عباس يقصران في مسيرة أربعة برد، وهي ستة عشر فرسخًا، وإليه ذهب مالك وأحمد وإسحاق. وقول الحسن¹ والزهري قريب من ذلك، فإنهما قالوا: مسيرة يومين، وإليه ذهب الشافعي، فقال: مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخًا، كل فرسخ ثلاثة أميال. فيكون ثمانية وأربعين ميلًا بالهاشمي، والميل سبعة آلاف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبعًا معترضة معتدلة، والإصبع ست شعيرات معتدلات معترضات. وقال الثوري وأبو حنيفة وأهل الكوفة: لا قصر في أقل من ثلاثة أيام². ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ خشيتم ﴿أَنْ يَفْتِنَكُمْ﴾ "أي ينالكم بمكروه"³، قاله السيوطي وغيره. وقال الثعالبي: "﴿يَفْتِنَكُمْ﴾ يمتحنكم بالحمل عليكم، وإشغال نفوسكم، وذلك "أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الظهر بأصحابه، قال المشركون: لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم، هلا شددتم عليهم، فقال قائل منهم: إن لهم أخرى في أثرها، فأنزل الله تعالى بين الصلاتين: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾"⁴. الآية إلى آخر صلاة الخوف"⁵. ﴿الَّذِينَ﴾ فاعل ﴿يَفْتِنَكُمْ﴾، ﴿كَفَرُوا﴾ وقال في الباب: "﴿يَفْتِنَكُمْ﴾ يغتالكم ويقتلكم في الصلاة"⁶. وقال في الضياء: "﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بيان للواقع إذ ذاك، إذ أسفارهم غزوات وسرايا، فلا مفهوم له، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قصر من غير خوف"⁷. انتهى. وقال ابن جزى: "﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾" اختلف العلماء في تأويلها على خمسة أقوال: الأول: أنها في قصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين في السفر، وأن ذلك لا يجوز إلا في حال الخوف على ظاهر الآية، وهو قول عائشة وعثمان بن عفان رضي الله عنهما. الثاني أن الآية تقتضي ذلك،

¹ المقصود الحسن البصري رضي الله عنه.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص422، 423.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص119.

⁴ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص244.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص485.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص421.

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص205.

ولكن يُوخذ القصر في السفر دون الخوف من السنة، ويؤيد هذا حديث يعلى بن أمية¹ قال: قلت لعمر بن الخطاب أن الله يقول: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ وقد أمن الناس؟ فقال: عجبت مما عجبك منه، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: >صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته<². وقد ثبت أن رسول³ الله صلى الله عليه وسلم قصر في السفر، وهو آمن. الثالث: أن قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ راجع إلى قوله: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية، والواو زائدة، وهذا بعيد. الرابع: أنها في صلاة الخوف، على من يرى أن تصلي كل طائفة ركعة خاصة. قال ابن عباس: فرضت الصلاة في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة. الخامس: أنها في صلاة المسايقة، فالقصر على هذا من هيئات الصلاة، كقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾⁴، وإذا قلنا: إنها في القصر في السفر، فظاهر أن القصر رخصة، والإتمام أفضل، وهو مذهب الشافعي، وقال مالك: القصر أفضل. وقيل: إنهما سواء، وأوجب أبو حنيفة القصر⁵. انتهى المراد منه. وقال في الباب: وذهب داود الظاهري إلى أن جواز القصر مخصوص، بحال الخوف، فلا يجوز القصر عند الأمن، ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الأحاديث⁶، لأنه يقتضي نسخ القرآن بخبر الواحد،

¹ يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث التميمي الحنظلي. حليف قريش، يقال له: يعلى بن مئنية، وكنيته: أبو خلف. استعمله أبو بكر على حلوان في الردة، ثم عمل لعمر على بعض اليمن، ثم عمل لعثمان على صنعاء اليمن، شهد صفين مع علي، ويقال: إنه قتل بها. ويقال: مات سنة سبع وأربعين. روى عن: النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر. روى عنه: أولاده وعطاء ومجاهد وغيرهم. قال ابن سعد: شهد حنيناً والطائف وتبوك. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص685. بتصرف.

² النسائي، سنن النسائي، كتاب 15 تقصير الصلاة في السفر، باب1، ج3، ص131، 132، رقم1432.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 18 تقصير الصلاة، باب 1 ما جاء في التقصير، ج2، ص561، رقم1080.

⁴ البقرة، 239.

⁵ ابن حزمي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص206، 207.

⁶ في الباب: "الآحاد".

وذهب جمهور أهل العلم إلى أن القصر في حال الأمن في السفر جائز، ويدل على ذلك حديث مسلم¹، عن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، إلى آخر ما مر، واستدل أيضًا بحديث النسائي عن عبد الله بن خالد بن أسيد² أنه قال لابن عمر: "كيف تقصرون الصلاة؟ وإنما قال الله عز وجل: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فقال ابن عمر: يا ابن أخي، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا ونحن ضلال، فعلمنا، وكان فيما علمنا، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نصلي ركعتين في السفر"³. وبحديث ابن عباس: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة، لا يخاف إلا رب العالمين، فصلى ركعتين. أخرجه الترمذي⁴ والنسائي⁵. فإن قلت: إذا كان الحكم ثابتًا في حال الأمن والخوف، فما فائدة تقييده بحال الخوف؟ قلت: إنما نزلت الآية على غالب أسفار النبي صلى الله عليه وسلم، وأكثرها لم تخل عن خوف العدو، فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث إنه هو الأغلب في الوقوع"⁶. انتهى. وأجاب الشيخ الشريف سيدي عبد العزيز الدباغ⁷ بأن الصحابة إذا كانوا يريدون أن يقاتلوا العدو، يجتهدون في العبادة مخافة الموت، فيزيدون في الأعمال، فرفع الله ذلك عنهم، وخفف عليهم، فقال:

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 6 صلاة المسافرين وقصرها، باب 1 صلاة المسافرين وقصرها، ج 1، ص 478، رقم 686.

² عبد الله بن خالد بن أسيد المخزومي. ذكره ابن منده وقال: في صحبته وروايته نظر. وتبعه أبو نعيم، لكن عرفه بأنه ابن أخي عتاب بن أسيد، وذلك يقتضى أنه أموي لا مخزومي. قال ابن الأثير: هو أموي لا شبهة فيه. عاش إلى أن ولي فارس من قبل زياد في أيام معاوية، واستخلفه زياد على البصرة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 4، ص 71. بتصرف.

³ النسائي، سنن النسائي، كتاب 5 الصلاة، باب 3 كيف فرضت الصلاة، ج 1، ص 245، 246، رقم 456.

⁴ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الجمعة، باب 39 ما جاء في التقصير في السفر، ج 2، ص 431، رقم 547. قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

⁵ النسائي، سنن النسائي، كتاب 15 تقصير الصلاة في السفر، ج 3، ص 132، 134.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 421، 422.

⁷ لم أعثر على القول ولا على ترجمة له.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾¹ إلخ، فيكون المفهوم: أخرجوا يا، أي لا إثم عليكم في قصر الصلاة الفريضة في حال خوفكم من العدو، أن يقطعوا عملكم بالموت، فكيف إذا كنتم آمنين، وتأملون زيادة العمل، والله تعالى أعلم، وأعلم أنه على القول بوجوب القصر يعيد أبداً إذا أتم، وعلى السنة يعيد في الوقت، وعلى التخيير لا يعيد، قاله في الضياء¹. وقال: "قال داود الظاهري: جواز القصر مخصوص بحال الخوف، ويجوز في كل سفر طويل أو قصير"². انتهى. ثم ذكر ما هو كالعلة لما قبله فقال: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَدُوًّا﴾ يطلق على الواحد: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾³ وعلى الجمع كما هنا ﴿مُبِينًا﴾ بين العداوة، أي ظاهرها. فاصلة الآية المكملة للمائة من سورة النساء. قال في اللباب: "أي ظاهر العداوة، فلعلمي بهذا رخصت لكم في قصر الصلاة لثلاث يجدوا إلى قتلكم واغتيالكم سبيلاً، وإنما قال: ﴿عَدُوًّا﴾ ولم يقل أعداء، لأنه يستوي فيه الواحد والجمع"⁴. انتهى. ولما بين أن لهم القصر إن خافوا من العدو، بين لهم كيفية ما يفعلون في صلاة الخوف، كانوا في السفر أو في الحضر، فقال جلت قدرته: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ أي وإذا كنت يا محمد فيهم، أي في أصحابك، وأنتم تخافون العدو ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ﴾ اللام للتعليل ﴿الصَّلَاةَ﴾ بالواو مكان الألف، يظهر أن المعنى: أردت أن تقيم لهم الصلاة، أي تأتي بها وتؤديها، قاله صاحب هذا التفسير ﴿فَلَنُقِمَنَّ﴾ أي فاجعلهم فرقتين، ولتبقى ﴿طَائِفَةٌ﴾ جماعة ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي من أصحابك ﴿مَعَكَ﴾ مصلين، ولتأخر طائفة منهم تجاه العدو ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ أي وليتناولوا، بالإثبات فيه وفيما قبله، واختلف من المأمور بأخذ الأسلحة، فقليل: الطائفة المصلية، أي والأخرى من باب أخرى، وقيل: الحارسة، والأول أرجح، قاله ابن

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص205.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص205.

³ فاطر، 6.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص422.

جزى. ﴿أَسْلِحَتْهُمْ﴾ جمع سلاح، وهو آلة الحرب. قال الثعالبي: "قال ابن عطية: "ولفظ الآية يتناول الكل، ولكن سلاح المصلين ما خف"¹. قال الثعالبي: "قلت: ومن المعلوم أنه إذا كانت الطائفة المصلية هي المأمورة بالأخذ للسلاح؟ فالحارس من باب أخرى"². ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي الطائفة، المصلون ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أي غير المصلين ﴿مِنْ﴾ ابتداءً ﴿وَرَأَيْكُمْ﴾ أي يقومون بينكم وبين العدو ويحرسونكم. قوله: ﴿مِنْ وَرَأَيْكُمْ﴾ يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومن يصلي معه، فغلب المخاطب على الغائب، والحاصل على مذهبنا أن الإمام يصلي بالطائفة الأولى ركعة في الثانية، ثم يقوم ساكناً أو داعياً أو قارئاً، وتتم الطائفة الأولى صلاتها وتسلم، ثم تنصرف إلى الحراسة، وفي الرابعة والثالثة يصلي بهم الإمام ركعتين، ثم يقوم ساكناً أو داعياً، وقيل: يستمر جالساً، وتتم الطائفة الأولى صلاتها وتسلم، ثم تنصرف إلى الحراسة. وأشار إلى حكم الطائفة الثانية بقوله: ﴿وَلَتَأْتِ﴾ بالإثبات، أي ولتجئ ﴿طَائِفَةٌ﴾ بالإثبات حيث وقع ﴿أُخْرَى﴾ أي مغيرة للأولى ﴿لَمْ يُصَلُّوا﴾ وهم الطائفة الحراسة ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ أي يأتوا بالركعة الباقية معك، أي مقتدين بك أو بالركعتين ويسلم، فإذا سلم قاموا وقضوا ما فاتهم، هذا هو المشهور. وقيل: يثبت الإمام جالساً لم يسلم ينتظرهم حتى يأتوا بالركعة التي فاتتهم في الثانية، فيجلسون معه بعد الإتيان بها، فيسلم ويسلمون بسلامه، وكذا يجلس في الرابعة، بعد أن صلى بهم الركعتين الباقيتين من صلاته، ينتظرهم بالسلام، حتى يأتوا بالركعتين اللتين سبقهم بهما، فإذا قضوهما، فإنهم يسلمون بسلامه، وكذا ينتظرهم في الثالثة، بعد أن صلى بهم ركعة، إلى أن يأتوا بركعتي القضاء، فيسلموا بسلامه، قال القائل: ما وجه الإتيان بقوله: لم يصلوا، بعد قوله: أخرى، فإنها بمعنى غير؟ قيل له: أتى به ليتحرز عن من فاتته ركعة من الرابعة مثلاً، فإنه لا يدخل في الباقي من الصلاة، والغيرية تحصل من دون كمالها من كل وجه ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ بالإثبات، أي وليتناولوا

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص486. ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص105.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص486.

﴿حَذَرَهُمْ﴾ أي تحرزهم واحتراسهم، وأخذه معنوي، فهو كناية عن شدة الاحتراس
﴿وَأَسْلَحَتْهُمْ﴾ جمع سلاح، وهو آلة الحرب. قوله: ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ قال البغوي: "قيل:
هؤلاء هم الذين أتوا. وقيل: هم الذين صلوا"¹. انتهى. قال صاحب هذا التفسير: وقد مرَّ
قول ابن عطية في الأولى: "أن لفظ الآية يتناول الكل، ولكن سلاح المصلين ما خف"².
انتهى. قال البغوي في الأولى: "قال بعضهم: أراد هؤلاء الذين وقفوا مع الإمام يصلون
يأخذون الأسلحة في الصلاة، فعلى هذا إنما يأخذه إذا كان لا يشغله³ ولا يؤذي من بجانبه،
فإن كان يشغله عن الصلاة بحركته وثقله، كالجعبة والترس الكبير، أو يؤذي من بجانبه كالرمح
فلا يأخذه"⁴. انتهى المراد منه. واعلم أن سبب نزول هذه الآية ما روى الكلبي عن أبي صالح
عن ابن عباس وجابر، أن المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قاموا إلى
الظهر يصلون جميعاً، ندموا أن لا يكونوا أكبوا إليهم، فقال بعضهم لبعض: دعوهم، فإن لهم
بعدها صلاة، هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم، يعني صلاة العصر، وإذا قاموا إليها،
فشدوا عليهم واقتلوهم، فنزل جبريل وقال: يا محمد، إنها صلاة الخوف، وإن الله عز وجل
يقول: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ فعلمه صلاة الخوف. انتهى. وقال في
اللباب: "فإن قلت: لم ذكر في أول الآية الأسلحة فقط، وذكر هنا الحذر والأسلحة؟ قلت:
لأن العدو قلما ينتبه للمسلمين في أول الصلاة، بل يظنون كونهم قائمين في المحاربة والمقابلة،
فإذا قاموا إلى الركعة الثانية، ظهر للكفار أن المسلمين في الصلاة، فحينئذ ينتهزون الفرصة في
الإقدام على المسلمين، فلا جرم أن الله تعالى أمرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار،
مع أخذ الأسلحة"⁵. انتهى. وقوله جل وعز: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ قال ابن جزي: "الآية
في صلاة الخوف، وظاهرها يقتضي أنها لا تصلى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه

¹ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص146.

² ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص105.

³ في البغوي: "لا يشغله عن الصلاة فلا يؤذي".

⁴ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص146.

⁵ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص423.

شرط كونه فيهم، وبذلك قال أبو يوسف¹، وأجازها الجمهور بعده صلى الله عليه وسلم، لأنهم رأوا الخطاب له يتناول أمته، وقد فعلها الصحابة بعده عليه الصلاة والسلام، واختلف الناس في صفة صلاة الخوف على عشرة أقوال، لاختلاف الأحاديث فيها، وكانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع². انتهى. واعلم أن هذا القسم الذي ذكر الله عز وجل محله حيث أمكن ترك القتال لبعض الجيش، وإلا صلوا حيثما تيسر لهم، مشاة أو ركباناً، مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها، وحل للضرورة مشي وركض وطعن، وإن أمنوا بها أتمت صلاة أمن وبعدها لا إعادة، والله تعالى أعلم. ﴿وَدَّ﴾ تمنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾، ﴿لَوْ﴾ مصدرية ﴿تَغْفُلُونَ﴾ تسهون ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾ جمع سلاح، وهو آلة الحرب ﴿وَأَمْتَعَتَكُمْ﴾ جمع متاع، وهو ما ينتفع به، يقول الله تعالى تمنى الكفار لو وجدوكم غافلين عن أسلحتكم وأمتعتكم التي بها بلاغكم في أسفاركم ﴿فَيَمِيلُونَ﴾ يحملون ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ويقصدونكم أيها المؤمنون ﴿مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ حملة واحدة، أي مستأصلة، لا يحتاج معها إلى ثانية، وأنتم مشغولون بصلاتكم عن أسلحتكم وأمتعتكم، فيصيرون منكم غرة، فيقتلونكم. وقوله يميلون، أصل الميل العدول، ويظهر أنه عبر به هنا مع تضمن الفعل، هل لأنهم عدلوا عن الحالة التي كانوا عليها حين كانوا في نحورهم، والله أعلم. وقد مر عن ابن جزي³ أنه اختلف في صلاة الخوف على عشرة أقوال، ولم يذكرها. الأول: مذهبنا القسم مطلقاً. الثاني: القسم إن لم يكن العدو تجاه القبلة، وإلا صلوا جميعاً، لكن يحرسون في حال السجود، وذلك بأن يقتدوا به جميعاً إلى أن يرفع من ركوع الركعة الأولى، فإذا سجد سجد معه الصف الذي يليه، فإذا قام الصف الذي يليه سجد المؤخر، فإذا قاموا

¹ أبو يوسف في الأعلام كثير، ولا يوجد علامة فارقة.

² ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 423. غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة للهجرة، وقيل لها "غزوة ذات الرقاع"، لأنهم رقعوا فيها راياتهم، ويقال ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع، يقال لها: "ذات الرقاع". قال ابن إسحاق: فلقي بها جمعاً عظيماً من غطفان، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف بالناس. ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج 2، ص 203. بتصرف.

³ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 207.

تقدم المؤخر وتأخر المقدم، ثم يركعون معه جميعاً، ويرفعون برفعه، ثم يسجد هو والصف الذي يليه الذي كان مؤخرًا في الركعة الأولى، وقام الصف المؤخر في نحر العدو، فإذا أتموا سجودهم، سجد المؤخر، ثم يسلم الإمام، ويسلمون جميعاً. الثالث: أن يصلي بالأولى ركعة، ويقف، ثم تذهب الطائفة التي صلت معه تجاه العدو، وهم في صلاتهم، وتأتي الطائفة الحارسة فتقف مكان التي صلت، فيصلي بهم الركعة الباقية، ويسلم ولا يسلمون هم، بل يذهبون إلى وجه العدو، فتأتي الطائفة الأولى إلى موضع الإمام، ويقضون ركعتهم، ثم يذهبون فيقفون مكان الطائفة الأخرى، ثم تأتي هذه الطائفة إلى موضع الإمام، فتقضي الركعة الأولى. الرابع: أن الإمام يصلي بكل طائفة مرة. روى البغوي بسنده: "عن جابر بن عبد الله قال: "أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كنا بذات الرقاع، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رجل من المشركين، وسيف نبي الله معلق بشجرة، فأخذ سيف نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخترطه¹، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتخافني؟ قال: <لا>، قال: فمن يمنعك مني؟ قال: <الله يمنعني منك>، فتهدهه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فغمد السيف وعلقه، فنودي بالصلاة، فصلي بطائفة ركعتين، ثم تأخروا، فصلي بالطائفة الأخرى ركعتين، قال: فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات، وللقوم ركعتان². وفي رواية: "صلي بطائفة ركعتين، ثم سلم، ثم جاءت طائفة أخرى فصلي بهم ركعتين ثم سلم"³. الخامس: أن يصلي بطائفة ركعة، وبطائفة ركعة، ولا قضاء، فتكون للقوم ركعة ركعة، وللنبي صلى الله عليه وسلم ركعتان، فالفرض ركعة واحدة، وأكثر أهل العلم أن الخوف لا ينقص عدد الركعات، وهذه الأقوال الخمسة هي التي وقفت عليها، وبقيت خمسة لم أفهم عليها. وقوله تعالى: ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ قال

¹ "اخترط السيف: سَلَّه من غمده". ابن منظور، لسان العرب، مادة خ ر ط، ج 7، ص 280.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 64 المغازي، باب 31 غزوة ذات الرقاع، ج 7، ص 426، رقم 413.

³ النسائي، سنن النسائي، كتاب 18 صلاة الخوف، ج 3، ص 198، رقم 1551. البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج 2، ص 144، 145.

ابن جزى: "فيه مبالغة، أي مستأصلة¹، لا يحتاج معها إلى ثانية"². انتهى. وقال في الضياء: "بيان ما أمروا بأخذ السلاح لأجله"³. انتهى. ﴿وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ﴾ بالإثبات، أي لا إثم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِنْ كَانَ﴾ بالإثبات حيث وقع ﴿بِكُمْ﴾ الباء للملاصقة، وهو خبر ﴿كَانَ﴾ واسمها ﴿أَذَى﴾ أمر مكروه وحصل ﴿مِّنْ﴾ أجله ﴿مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ﴾ عطف على ﴿كَانَ﴾، ﴿مَرْضَى﴾ جمع مريض، وهو الندب، مرض أي في ﴿أَنْ تَضَعُوا﴾ تطرحوا ﴿أَسْلِحَتَكُمْ﴾ جمع سلاح، وهو آلة الحرب، ومعنى الآية أن المؤمنين تلقوا الأمر بأخذ السلاح على الوجوب، فرخص الله لهم في وضعه، إن ثقل عليهم، لمطر أو مرض، ويقاس عليهما كل عذر. قال ابن عباس رضي الله عنهما: رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر، وفي حال المرض، لأن السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين. قال صاحب هذا التفسير: ولما رخص لهم في وضع الأسلحة مع العذر، أمرهم بأخذ الحذر، فلا بد منه مع وضع السلاح، فقال جل وعز: ﴿وَحُدُّوا﴾ الزموا ﴿حِذْرَكُمْ﴾ أي احتراسكم من عدوكم. قال في اللباب: "أي راقبوا عدوكم، ولا تغفلوا عنهم، أمرهم الله تعالى بالتحفظ والتحرز والاحتياط، لئلا يجترأ العدو عليهم"⁴. وقال الثعالبي: "قال ابن عباس: نزلت بسبب عبد الرحمن بن عوف، كان مريضاً، فوضع سلاحه، فعنفه بعض الناس"⁵. وقال السيوطي: "والآية تفيد إيجاب حمل السلاح عند عدم العذر، وهو أحد قولي الشافعي، والثاني أنه سنة، ورُجح"⁶. وقال في اللباب: "قال ابن عباس: نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه غزا بني محارب⁷ وبني أثمار¹، فزولوا ولا يرون من العدو أحداً، فوضع الناس

¹ في ابن جزى: "مفاضلة".

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص208.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص206.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص425.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص487.

⁶ السيوطي، تفسير الجلالين، ص120.

⁷ لم أعثر على ترجمة لهم.

أسلحتهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قطع الوادي، والسماء ترش بالمطر، فسال الوادي، فجاء السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فجلس تحت شجرة، فبصر به غورث بن الحارث المخاري²، فقال: قتلي الله إن لم أقتله، ثم انحدر من الجبل ومعه السيف، فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم على رأسه، وقد سلَّ السيف من غمده، وقال: يا محمد، من يمنعك مني الآن؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <الله>، ثم قال: <اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت>، فأهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم به، فأكب لوجهه من زلخة³ زلخها، فندر⁴ السيف من يده، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف، ثم قال: <يا غورث، من يمنعك مني الآن؟> فقال: لا أحد، قال: <تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله، وأعطيك سيفك>، قال: لا، ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبداً، ولا أعين عليك عدواً، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه، فقال غورث: والله، لأنت خير مني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل، أنا أحق بذلك منك، فرجع غورث إلى أصحابه، فقالوا له: ويلك، يا غورث، ما منعك منه؟ فقال: والله، لقد أهويت إليه بالسيف لأضربه، فوالله، لا أدري من زلخني بين كتفي، فخرجت لوجهي، وذكر لهم حاله مع رسول الله صلى

¹ بنو أنمار: بفتح الهمزة، حي من معد بن عدنان، وهم بنو أنمار بن نزار، قال في العبر: ولما تكاثر بنو إسماعيل وصارت رئاسة الحرم لمضر، مضى أنمار إلى اليمن، فأقام بالسروات، وتناسل بنوه بها، فقعدوا باليمامة. وذكر ابن الكلبي: إن أنمار هذا لا عقب له إلا ما يقال في بجيلة وخثعم، فإنه يقال: إنهم أبناء أنمار هذا، قال في العبر: وبجيلة تنكر هذا، وتقول: إنما تزوج أراش بن عمرو بسلامة بنت أنمار هذا، فولدت له أنمار بن أراش. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، ج1، ص31. بتصرف.

² غورث بن الحارث الذي قال: من يمنعك مني؟ قال: <الله>، فوضع السيف من يده وأسلم. قاله البخاري من حديث جابر. وفي الجملة هو على الاحتمال، وقد يتمسك من يثبت إسلامه بقوله: جئتكم من عند خير الناس. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، ص328، 329. بتصرف.

³ "الرَّحُّ رَفْعُكَ يَدُكَ فِي رَمِي السَّهْمِ إِلَى أَقْصَى مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ تَرِيدُ بُغْدَ الْعُلُوَّةِ". ابن منظور، لسان العرب، مادة ز ل خ، ج3، ص21.

⁴ "نَدَرَ الشَّيْءُ يَنْدُرُ نُدُورًا سَقَطَ، وَقِيلَ: سَقَطَ وَشَدَّ، وَقِيلَ: سَقَطَ مِنْ خَوْفٍ شَيْءٌ أَوْ مِنْ بَيْنِ شَيْءٍ أَوْ سَقَطَ مِنْ جَوْفٍ شَيْءٌ أَوْ مِنْ أَشْيَاءٍ فَظَهَرَ". ابن منظور، لسان العرب، مادة ن د ر، ج5، ص199.

الله عليه وسلم، قال: وسكن الوادي، فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي إلى أصحابه، وأخبرهم الخبر، وقرأ هذه الآية: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ أي من عدوكم¹. انتهى. قوله: زلخني، قال في القاموس: "زلخه بالرمح يزلخه زحه"²، وقال في مادة زج: "الزج بالفتح الطعن بالزج"³. وقال في الضياء: "﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها إذا ثقلت عليكم، بسبب مطر أو مرض. واستدل به من قال بوجوب أخذها أولاً. والآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف، وكان مريضاً، فوضع سلاحه في الجيش، فعنفه بعض الناس، كما في البخاري⁴. ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ احتزروا من العدو ما استطعتم، كي لا يهجم عليكم العدو، وإن وضعتم السلاح لعذر، فإن الجيش ما جاءته قط مصيبة، إلا من تفريط في الحذر. قال القسطلاني⁵: وهذا يدل على وجوب الحذر من جميع المضار المظنونة. انتهى⁶. قال الثعالبي: "ثم قَوَّى سبحانه نفوس المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (١٠٢)، إلخ. يعني. والله تعالى أعلم.:: إن الله تعالى أمر بالاحتراس منهم، وذلك يتوهم منه قوتهم وعزتهم، فنفى ذلك التوهم بالإخبار، بأن الله يهينهم، ولا ينصرهم، لتقوى قلوب المؤمنين. فإن قيل: هذا يظهر إذا كان العذاب المهين في الدنيا، والأظهر أنه في الآخرة؟ فالجواب: أنه في الدنيا بالنصر والفتح، بدليل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص425، 426.

² الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب الحاء، فصل السين، ص322.

³ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب الجيم، فصل الزاي، ص244.

⁴ لم أعثر عليه في البخاري.

⁵ لم أعثر عليه.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص206.

⁷ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص487.

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ¹ ﴿١﴾ وفي الآخرة أيضًا، وذلك يسر المؤمنين، والله أعلم. ﴿إِنَّ اللَّهَ
أَعَدَّ ﴿٢﴾ هِيَ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ الحذف ﴿عَذَابًا﴾ بالإثبات، عقابًا مانعًا من كل ملائم
﴿مُهِينًا﴾ فاصلة الآية الأولى بعد المائة من سورة النساء، أي مذلًا لصاحبه، مخزياً له، أي
هادمًا لقدره ﴿فَإِذَا قُضِيَتْكُمْ﴾ أدبتم ﴿الصَّلَاةَ﴾ وفرغتم منها. قال في اللباب: "﴿فَإِذَا
قُضِيَتْكُمْ الصَّلَاةَ﴾ يعني: فإذا فرغتم من صلاة الخوف ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ يعني:
بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير"². ﴿قِيَمًا﴾ بالحذف، قال صاحب هذا التفسير:
يحتمل أنه مصدر من قيامكم، ويحتمل أنه جمع قائم ﴿وَقُعُودًا﴾ قال صاحب هذا التفسير:
يحتمل المصدرية، أي في قعودكم، ويحتمل أنه جمع قاعد ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ أي واذكروه
مضطجعين على جنوبكم، جمع جنب. قال ابن جزى: "إذا فرغتم من الصلاة، فاذكروا الله
بألسنتكم، وذكر القيام والقعود وعلى الجنوب، ليعم جميع أحوال الإنسان"³. انتهى. ونحوه في
الضياء⁴، وزاد: "أو المعنى: إذا أردتم الصلاة في شدة الخوف، فصلوها كيف ما أمكن قيامًا
مسائفين، وقعودًا مرامين، وعلى جنوبكم مشحين". انتهى. وقال ابن جزى: "وقيل: المعنى: إذا
تلبستم بالصلاة فافعلوها قيامًا، فإن لم تقدرُوا فقعودًا، فإن لم تقدرُوا فعلى جنوبكم"⁵. انتهى.
وقال في اللباب: "﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ يعني: بالتسبيح والتحميد والتهليل، وأنثوا عليه في
جميع أحوالكم، قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم، فإن ما أنتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على
ذكر الله عز وجل والتضرع إليه. روى البخاري⁶ ومسلم¹ عن عائشة رضي الله عنها قالت:

¹ التوبة، 33. الفتح، 28. الصق، 9.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص426.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص208.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص206.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص208.

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 10 الأذان، باب 19 هل يتبع المؤذن... (معلقًا) ههنا وههنا وهل
يلتفت في الأذان، ج2، ص114.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه. وقيل: المراد بالذكر الصلاة، يعني: فصلوا لله قيامًا، يعني في حال الصحة، وقعودًا في حال المرض، وعلى جنوبكم، يعني في حال الزمانة². انتهى. وقال الثعالبي: "ذهب الجمهور إلى أن هذا الذكر المأمور به إنما هو أثر صلاة الخوف على حد ما أمروا عند قضاء المناسك، بذكر الله، فهو ذكر باللسان"³. انتهى.

﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾ سكتت نفوسكم من الخوف⁴. "وقال بعض المتأولين: والمعنى: فإذا رجعت من سفركم إلى الحضر، فأقيموها تامة أربعًا"⁵، قاله الثعالبي. وعلى هذا الأخير، فالمراد بالطمأنينة ترك السفر، أي فإذا صرتم مقيمين في أوطانكم، فأقيموا الصلاة تامة أربعًا، وعلى الأول فمعنى قوله: ﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ﴾ بالواو مكان الألف، في كل موضع من القرآن، اجعلوها كصلاة الأمن على الهيئة المعهودة بشرائطها وأركانها. قوله جلت قدرته: فإذا اطمأننتم، ظاهره ابتداءً، وفي الأثناء مسايقة، أو قسمًا، ثم أكد هذا الأمر بقوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يتعلق بما بعده قدمه للفاصلة ﴿كَتَبًا﴾ بالحذف، أي مفروضًا ﴿مَوْقُوتًا﴾ محدودًا، بوقت لا يؤخر عنه، فاصلة الآية الثانية. وقال ابن جزى: "قال ابن عباس: فرضًا مفروضًا"⁶. انتهى. ونحوه في الثعالبي، فإنه قال: "وروي عن ابن عباس أن المعنى فرض مفروض، فهما لفظان بمعنى واحد، كرر مبالغة"⁷. انتهى. وقال في اللباب: "يعني فرضًا مؤقتًا، والكتاب هنا بمعنى المكتوب، يعني مكتوبة مؤقتة في أوقات محدودة، فلا يجوز إخراجها عن أوقاتها على أي حال كان من خوف أو أمن. وقيل: معناه فرضًا واجبًا مقدّرًا في الحضر

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 3 الحيض، باب 30 ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، ج1، ص282، رقم373.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص426.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص487.

⁴ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص208.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص487.

⁶ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص208.

⁷ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص488.

أربع ركعات، وفي السفر ركعتين" انتهى. وقوله: ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني البالغين، فلا تجب على الصبيان، لكن يؤمرون بها لسبع، ويضربون عليها لعشر، ولما خفف عن المؤمنين لأجل الجهاد أشد التخفيف، حثهم على النهوض إليه ببرهان جلي، فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ أي لا تضعفوا، أيها المؤمنون ﴿فِي ابْتِغَاءِ﴾ في طلب ﴿الْقَوْمِ﴾ الكفار لتقاتلوهم، نزل لما بعث النبي¹ صلى الله عليه وسلم طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه، لما رجعوا من أحد، فشكوا الجراحات، ثم أورد عليهم الحجة في ذلك، فقال تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿إِنْ تَكُونُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿تَأْلُمُونَ﴾ توجعون أي تمرضون. قال في القاموس: "الوجع محرّكة المرض، وجع كسمع ووعد، يوجع ويجمع ويأجع ويجمع بكسر أوله ويجمع فهو وجع كخجل"². انتهى المراد منه. وقال: "الألم محرّكة الوجع ألم كفرج، فهو ألم وتألم وآلمته، والآليم المؤلم الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ"³. انتهى المراد منه. ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي القوم الكفار ﴿يَأْلُمُونَ﴾ يوجعون ﴿كَمَا﴾ يظهر أنها مصدرية ﴿تَأْلُمُونَ﴾ توجعون، بالإثبات في الثلاثة. قال في اللباب: "يعني: أن حصول الألم قدر مشترك بينكم وبينهم، وليس ما تكابدون من الوجع وألم الجراح مختصاً بكم، بل هم كذلك، فإذا لم يكن الألم مانعاً لهم عن قتالكم، فكيف يكون مانعاً لكم عن قتالهم؟ وكيف لا تصبرون مثل صبرهم، مع أنكم أولى بالصبر منهم، لأنكم مقرون بالحشر والنشر والثواب والعقاب، والمشركون لا يقرون بذلك كله؟ فأنتم أيها المؤمنون أولى بالجهاد منهم"⁴. كما ذكر الله تعالى بقوله: ﴿وَتَرْجُونَ﴾ تأملون ﴿مِنْ﴾ ابتدائية متعلقة بـ ترجون، أي من ثواب ﴿اللَّهِ﴾ في الآخرة ﴿مَا﴾ أي ثواباً، والثواب الذي ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ قال في اللباب: "يعني: وتأملون من الله من الثواب في الآخرة ما لا يرجون. وقيل: وترجون النصر والظفر في الدنيا، وإظهار دينكم على الأديان

¹ لم أعثر عليه.

² الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب العين، فصل الواو، ص993.

³ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب الميم، فصل الألف، ص1391.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص426.

كلها"¹. انتهى. وقال الثعالبي: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ أي لا تلينوا ولا تضعفوا، يقال: حبل واهن أي ضعيف، ومنه وهن العظم ﴿ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ طلبهم، وهذا تشجيع لنفوس المؤمنين، وتحقير لأمر الكفرة، ثم أكد التشجيع بقوله: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ وهذا برهان بين ينبغي بحسبه أن تقوى نفوس المؤمنين². انتهى. وقال ابن جزى: "معنى الآية: إن أصابكم ألم من القتال، فذلك يصيب الكفار ألم مثله، ومع ذلك فإنكم ترجون إذا قاتلتموهم النصر في الدنيا، والأجر في الآخرة، وذلك تشجيع للمسلمين"³. انتهى. وقال السيوطي: ونحوه في الضياء⁴: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ من النصر والثواب ما لا يرجون، فأنتم تزيدون عليهم بذلك، فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه⁵. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ قال في الضياء: "بأعمالكم وضمائركم ﴿حَكِيمًا﴾ في أمره ونهيه"⁶. انتهى. وقال في الباب: "يعني: أنه تعالى لا يأمركم بشيء إلا وهو يعلم أنه مصلحة لكم"⁷. انتهى. وقال السيوطي: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه. وقوله: ﴿حَكِيمًا﴾ فاصلة الآية الثالثة، وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ كالتامة لما قبله، وكالترجمة لما بعده، إذ المعنى: عليم بما فيه المصلحة لكم، وبكل شيء حكيم، أي مصيب فيما يشرعه ويفعله، فعلم منه أن ما شرع من الأحكام قبل فيه لهم الخير والمصلحة، وعلم منه أنه يبين لهم أحكامًا عقب هذا فيها المصلحة والخير لمن اتبعها ﴿إِنَّا﴾ الضمير للكبير المتعالي، وجاء بصيغة نا، إما لبيان أنه هو المتصف بكل كمال، وهذا هو الظاهر، وإما باعتبار الملائكة، نحو: إن ذكرتني في ملئ، ذكرتك

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص426.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص488.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص209.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص206.

⁵ السيوطي، تفسير الجلالين، ص120.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص206.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص427.

في ملئ خير من ملئك، والله تعالى أعلم. ﴿أَنْزَلْنَا﴾ يتعدى بـ على وبـ إلى كما هنا ﴿إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ الكتاب القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالحق. قال السيوطي: "متعلق بـ أنزل"¹. قال صاحب هذا التفسير: والمعنى على هذا أن إنزاله تعالى للقرآن ليس على وجه اللعب والعبث، بل ليعمل بما فيه، فيظهر العدل على حدّ قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾²، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنِ﴾³ ﴿١٦﴾ ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ إلخ، ويحتمل أن يكون حالاً من الكتاب، والمعنى: أن الكتاب جميع ما فيه صدق وحق من عند الله، لا شك في ذلك، والباء على كلا الوجهين للإلصاق أو للملابسة، والله تعالى أعلم. ﴿لِتَحْكُمَ﴾ لتقضى ﴿بَيْنَ النَّاسِ بِمَا﴾ أي بالذي ﴿أَرْنَكَ اللَّهُ﴾ أي عرفك وأوحى إليك، وليس بمعنى أعلمك، وإلا للتعدي إلى ثلاثة مفاعيل. وقوله: ﴿لِتَحْكُمَ﴾ متعلق بـ ﴿أَنْزَلْنَا﴾ وقوله: ﴿بِمَا﴾ متعلق بـ تحكم، ويظهر أن الباء للآلة، والله تعالى أعلم. وقوله: ﴿بِمَا أَرْنَكَ اللَّهُ﴾ قال الثعالبي: "معناه: على قوانين الشرع، إما بوحي ونص، أو نظر جار على سنن الوحي، وقد ضمن الله للأنبياء العصمة"⁴. انتهى. وقال ابن جزى⁵: "﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَكَ اللَّهُ﴾ يحتمل بالوحي أو بالاجتهاد أو بهما، وإذا تضمنت الاجتهاد، فغيره دليل على إثبات النظر والقياس خلافاً لمن منع ذلك من الظاهرية⁶ وغيرهم". انتهى. وقال في الباب: "﴿بِمَا أَرْنَكَ اللَّهُ﴾ يعني: بما علمك الله، وأوحى إليك، وإنما سمي العلم اليقيني رؤية، لأنه جرى

¹ السيوطي، تفسير الجلالين، ص120.

² الأحقاف، 3.

³ الأنبياء، 16.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص488.

⁵ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص109.

⁶ الظاهرية: الذين يقولون بظاهر الآيات والأحاديث.

مجرى الرؤية في قوة الظهور. روي عن عمر أنه قال: لا يقولن أحدكم: قضيت بما أراني الله، فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه صلى الله عليه وسلم، ولكن ليجتهد رأيه، لأن الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبًا، لأن الله تعالى كان يريه إياه، وإن رأي أحدنا يكون ظنًا، ولا يكون علمًا. قال المحققون: دلت هذه الآية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم إلا بالوحي الإلهي، والنص المنزل عليه¹. انتهى. ﴿وَلَا تَكُنْ﴾ يا محمد ﴿لِلْخَائِبِينَ﴾ بالإثبات، أي لأجل الخائنين، وهم هنا أولو المعصية بالسرقه وجحدها ﴿خَصِيمًا﴾ فاصلة الآية الرابعة، مخصصًا معينًا لهم ومدافعًا عنهم. قال الثعالبي: "قال ابن عطية: "سبب² الآية باتفاق من التأولين، أمر بني أبيرق³، وكانوا أخوة بشر وبشير ومبشر وطعيمة⁴، وكان بشير⁵ رجلًا منافقًا، يهجو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينحل الشعر لغيره، فكان المسلمون يقولون: والله، ما هو إلا شعر الخبيث، فقال شعرًا يتنصل فيه: [الكامل]

أفكلما⁶ قال الرجال قصيدًا ~ بخلت، وقالوا: ابن أبيرق قالها

قال قتادة بن النعمان: وكان بنو أبيرق أهل فاقة، فابتاع عمي رفاعه بن زيد جملاً من درمك⁷ الشام، فجعله في مشربة⁸ له، وفي المشربة درعان له وسيفان، فعدي على المشربة من الليل، فلما أصبح أتاني عمي رفاعه فقال: يا ابن أخي، قد عدي علينا في ليلتنا هذه، ت مشربتنا،

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص427.

² ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص265، 266.

³ لم أعثر على ترجمة لهم.

⁴ لم أعثر على ترجمة لهم.

⁵ في الأصل: "بشراً"، وفي ابن عطية والثعالبي: "بشير".

⁶ في الأصل: "فكلما"، وفي الثعالبي: "أفي كل ما"، وفي ابن عطية: "أفكلما".

⁷ "الدَّرْمَكُ كَجَعْفَرٍ: دَقِيقُ الْحَوَارَى وَالثَّرَابُ النَّاعِمُ". الفيروزبادي، القاموس، باب الكاف، فصل الدال، ج1، ص1212.

⁸ المشربة: الموضع الذي يشرب منه. ابن منظور، لسان العرب، مادة ش ر ب، ج1، ص487.

هذه، ت مشربتنا، وذهب بطعامنا وسلاحنا، فتجسسنا في الدار، وسألنا، فقليل لنا: قد رأينا بني أبيرق، واستوقدوا نارا في هذه الليلة، ولا نراه إلا بعض طعامكم. قال: وقد كان بنو أبيرق قالوا: ونحن نسأل عمن سرق طعامنا، والله، ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل¹ رجل منا له صلاح وإسلام، فسمع ذلك لبيد، فاختلط سيفه، ثم أتى بني أبيرق، فقال: والله، ليخالطنكم هذا السيف، أو لتبيتن هذه السرقة؟ فقالوا: إليك عنا، أيها الرجل، والله، ما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها، فقال لي عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بهذه القضية، فأتيته صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه، فقال²: <انظر في ذلك>، فلما سمع بذلك بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له: أسير بن عروة³، فكلموه في ذلك، واجتمع إليه ناس من الدار، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا، أهل إسلام وصلاح، يرمونهم بالسرقة على غير بينة، قال قتادة: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته، فقال: <عمدت إلى أهل بيت، ذكر أنهم أهل إسلام وصلاح، فرميتهم بالسرقة من غير بينة؟>، قال: فرجعت، وقد وددت أن أخرج من بعض مالي، ولم أكلمه، فأتيت عمي، فقال: ما صنعت؟ فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال⁴: الله المستعان، فلم نلبث أن نزل القرآن: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ الآيات، قال: فالحائنون بنو أبيرق، ويقال: طعيمة⁵. قال ابن عطية: "وطعيمة بن أبيرق¹ صرح بعد ذلك

¹ لبيد بن سهل بن الحارث بن عروة بن رزاح بن ظفر الأنصاري. وقد نسبته ابن الكلبي الى القبيلة، لكن قال العدوي: إنه وهم من ابن الكلبي، وإنما هو أبو لبيد بن سهل، رجل من بني الحارث بن مازن ابن سعد العشيرة من حلفاء الأنصار. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، ص680. بتصرف.

² ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص265، 266.

³ أسير بن عروة بن سواد بن الهيثم بن ظفر الأنصاري الظفري. قال ابن القداح: شهد أحدًا والمشاهد بعدها، واستشهد بنهاوند، وله ذكر في ترجمة رفاعة بن زيد. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص86.

⁴ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص266.

⁵ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص108، 109.

بالارتداد، وقد هرب إلى مكة، فروي أنه نقب حائط بيت ليسرق، فانهدم الحائط عليه، فقتله. ويروى أنه اتبع قوماً من العرب، فسرقهم، فقتلوه². انتهى³. قوله: من درمك الشام، الدرمل نقي القمح، ومنه الحديث: <أن الأرض بعد البعث درمكة بيضاء>، وقال صلى الله عليه وسلم في تربة الجنة: <إنها لخبز من الدرمل>، قاله في "الذهب". وقال البغوي: "روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رجل يقال له: طعمة بن أبيرق، من بني ظفر بن الحارث⁴، سرق درعاً من جار له، يقال له: قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتشر من خرق في الجراب، حتى انتهى إلى الدار، ثم خبأها عند رجل من اليهود، يقال له: زيد⁵ السمين⁶، فالتصمت الدرع عند طعمة، فحلف والله ما أخذها، وماله بها من علم. وقال أصحاب الدرع: لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره، فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي، فأخذوه، فقال اليهودي: دفعها إليّ طعمة بن أبيرق، فجاء بنو ظفر، وهم قوم طعمة إلى رسول⁷ الله صلى الله عليه وسلم، وسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إنك إن لم تفعل افتضح صاحبنا، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي، وقال مقاتل: إن زيداً السمين أودع درعاً عند طعمة، فجعلها طعمة، فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ بالأمر والنهي والفصل، لتحكم

¹ طعمة بن أبيرق بن عمرو الأنصاري. ذكره أبو إسحاق المستملي في الصحابة، وقال: شهد المشاهد كلها إلا بدرًا. وقد تكلم في إيمان طعمة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص518. بتصرف.

² ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص109.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص489، 490.

⁴ بنو ظفر: بطن من بني نبيت من الأوس من القحطانية، وهم بنو ظفر، واسمه كعب بن الخزرج بن عمرو، ومنهم قتادة بن النعمان الأنصاري أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهد بدرًا، وأصيب عينه يوم أحد، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، ج1، ص109. بتصرف.

⁵ في البغوي: "زيد بن السمين".

⁶ لم أعثر على ترجمة له.

⁷ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص266.

بين الناس، بما أريك الله، بما علمك الله، وأوحي إليك، ولا تكن للخائنين طعمة خصيماً معيماً مدافعاً عنه"¹. ﴿وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ﴾ أي اطلبه المغفرة. قال البغوي وتبعه في الباب² : "مما هممت به من معاقبة اليهودي، وقال مقاتل: واستغفر الله من جدالك عن طعمة"³. انتهى. وفي الثعالبي: "والمعنى: واستغفر للمؤمنين من أمتك المخاصمين بالباطل، لا تكن ذا جدال عنهم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <من جلس في مجلس، فكثر لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك>". رواه أبو داود⁴ والترمذي⁵ والنسائي⁶ والحاكم⁷ وابن حبان⁸ في صحيحيهما. قال الترمذي. واللفظ له : "حديث حسن صحيح غريب". ورواه النسائي⁹ والحاكم¹⁰ أيضاً من طرق عن عائشة

¹ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص150، 151.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص427.

³ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص151.

⁴ أبو داود (بنحوه)، سنن أبي داود، كتاب 35 الأدب، باب 32 في كفارة المجلس، ج2، ص681، رقم4857.

⁵ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 49 الدعوات، باب 39 ما يقول إذا قام من المجلس، ج5، ص460، رقم3433. قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

⁶ النسائي، السنن الكبرى، كتاب 81 عمل اليوم والليلة، باب 114 ما يقول إذا جلس في مجلس كثر فيه...، ج6، ص105، 106، رقم10230.

⁷ الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج1، ص536، 537. وقال: "رد هذا الإسناد صحيح على شرط مسلم، إلا أن البخاري قد علله بحديث وهيب عن موسى بن عقبة عن سهيل عن أبيه كعب الأحبار من قوله: "وأقره الذهبي".

⁸ ابن حبان، صحيح ابن حبان، انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، كتاب اليد والإحسان، باب الرحمة، ج1، ص398.

⁹ النسائي، السنن الكبرى، كتاب 81 عمل اليوم والليلة، باب 114 ما يقول إذا جلس في مجلس كثر فيه...، ج6، ص106، رقم10231.

¹⁰ الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج1، ص496، 497. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم...، وأقره الذهبي.

وغيرها. انتهى من السلاح¹. انتهى². وقال في الباب: "قد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الأنبياء، قالوا: لو لم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما أمر بالاستغفار؟ والجواب عما تمسكوا به من وجوه: أحدهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهي عنه في قوله: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ (١٠٥) ولم يخاصم عن طعمة لما سأله قوم طعمة أن يذب عنه، وأن يلحق السرقة باليهودي، فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وانتظر الوحي ما يأتيه، والأمر الإلهي، فنزلت هذه الآية، وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن طعمة كذاب، وأن اليهودي بريء من السرقة، وإنما مال صلى الله عليه وسلم إلى نصره طعمة، وهم بذلك، بسبب أنه في الظاهر من المسلمين، فأمره الله بالاستغفار. الوجه الثاني: أن قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة، ولم يظهر في الحال لرسول صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم، فقال: عمدت إلى أهل بيت ذكر أنهم أهل إسلام وصلاح، فرميتهم بالسرقة، من غير بينة، فلما أطلعه الله على كذب قوم طعمة، عرف أنه لو وقع ذلك الأمر لكان خطأ في نفس الأمر، فأمره الله بالاستغفار لذبه عنهم، وإن كان معذورًا. الوجه الثالث: أن الله تعالى أمره بالاستغفار لقوم طعمة، لذبحهم عن طعمة، فإن استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون لذنوب أمته. الوجه الرابع: أن درجة النبي صلى الله عليه وسلم أعلى الدرجات، ومنصبه أشرف المناصب، فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله تعالى، مما يقع منه، على وجه التأويل أو السهو أو أمر من أمور الدنيا، فإنه ذنب بالنسبة إلى منصبه صلى الله عليه وسلم، كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين، وذلك بالنسبة إلى درجاتهم ومنزلهم، والله أعلم³. انتهى. قال صاحب هذا التفسير: في هذا الجواب الأخير خشونة، وهو صلى الله عليه وسلم

¹ الكتاب مطبوع، لكنني لم أستطع الحصول عليه.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص490.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص427. وهذا الوجه الرابع قول بعيد عن الواقع والحقيقة.

أبرع من ذلك وأجل وأعظم وأعلم أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ساء ولا أساء ولا أذنب قط، ولم يصدر منه إلا الحسنى فقط، لا غير، كما قيل¹: [مجزوء الرجز]

من ذا الذي ما ساء قط ~ ومن له الحسنى فقط

وقد أجب هذا القائل بما نصه: [مجزوء الرجز]

محمد الهادي الذي ~ عليه جبريل هب ط

وكذا غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكذا جميع الملائكة، كما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾² وذكر ما هو كالعلة لما قبله فقال: ﴿إِنِ اللَّهُ كَانَ﴾ أي لم يزل ﴿عَفُورًا﴾ لذنوب عباده، أي ستارًا لها، فلا يؤاخذ بها. قال في اللباب: "يعني لذنوب عباده، يسترها عليهم، ويغفرها لهم ﴿رَحِيمًا﴾ يعني بعباده المؤمنين"³. انتهى. فاصلة الآية الخامسة. وقال ابن جزري: "﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ أي من خصامك على الخائنين، على أنه صلى الله عليه وسلم إنما تكلم على الظاهر، وهو يعتقد براءتهم، والخائنون في الآية هم السراق بنو الأبيرق، وقال

¹ "سمعت أنه كان رجلاً صالحاً كثير الخير، على قدم التجرد، جاور بمكة، زادها الله تعالى شرفاً، زماناً. وكان حسن الصحبة محمود العشرة، أخبرني عنه بعض أصحابه أنه ترنم يوماً وهو في خلوة ببيت الحريري، صاحب "المقامات"، وهو: [مجزوء الرجز]

من ذا الذي ما ساء قط ~ ومن له الحسنى فقط

قال: فسمع قائلاً، ولم ير شخصه، وقد أنشد: [مجزوء الرجز]

محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ترجمة الشرف بن الفارض، ج3، ص455.

² التحريم، 6.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص427.

السهيلي¹: "هم بشر وبشير ومبشر وأسير، ومعناها: لا تكن لأجل الخائنين خصيماً لغيرهم"
². انتهى ﴿وَلَا تُجَادِلْ﴾ بالحذف، تخصم ﴿عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ﴾ بالإثبات، يخونون
﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ والخون والاختيان أن يؤتمن الإنسان ولا يحفظ أمانته، والمعنى: أنهم لم يحفظوا
أنفسهم من المعاصي. قال في اللباب: "يعني: ولا تجادل يا محمد عن الذين يظنون أنفسهم
بالخيانة، وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من قومه، وإنما سماهم خائنين، لأن من أقدم على
ذنوب فقد خان نفسه، لأنه أوقعها في العذاب، وحرّمها من الثواب، ولهذا قيل لمن ظلم غيره:
إنما ظلم نفسه. وقيل: المراد بهذا الجمع كل من كان خائناً، فلا تخصم لخائن، ولا تجادل
عنه"³. انتهى. والحاصل أن الإنسان أودعه الله تعالى الشريعة، وكلفه أن يحفظ جوارحه من
ارتكاب المناهي، وأن يعمل بالمأمورات، فمتى فرط في حفظ شيء من الشريعة، فقد خان الله
ورسوله، وفي الحقيقة إنما الضرر في ذلك عليه، فقد خان نفسه. وقال في الضياء: "﴿وَلَا
تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعاصي خائنين من كانوا، لأن وبال
خيانتهم عليهم"⁴. انتهى. ولا يمنع ذلك خصوص السبب، فإنها نزلت في قوم معينين، وهم
طعمة وقومه، خان نفسه بالسرقة، ورمى اليهود بها وقومه بالشهادة على براءته والخصام عنه.
انتهى. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾ قد مر أن من علامة محبة الله تعالى للعبد توفيقه لما يرضيه
وإكرامه له، وحينئذ فالمعنى أن الله تعالى يعاقبه ﴿مَنْ﴾ مفعول ﴿يُحِبُّ﴾ ، ﴿كَانَ
خَوَانًا﴾ بالإثبات، كثير الخيانة، أي المعاصي، ومنها السرقة ﴿أَثِيمًا﴾ فاصلة الآية
السادسة، أي كثير الإثم، أي الذنوب، ومن ذلك رميه لليهودي بالسرقة، وهو بريء منها. قال
في اللباب: "يعني خواناً بسرقة الدرع، أثيماً برمييه اليهودي، وهو بريء، وإنما قال تعالى:
﴿خَوَانًا أَثِيمًا﴾ على المبالغة، لأن الله تعالى علم من طعمة الإفراط في الخيانة، وركوب

¹ لم أعر عليه.

²

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص427.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص207.

الماتم، ويدل على ذلك أنه لما نزل فيه القرآن لحق بمكة مرتدًا عن دينه، ثم عدا على الحجاج بن علاط¹، فنقب عليه بيته، فسقط عليه حجر من الحائط، فلما أصبحوا، أخرجوه من مكة، فلقي ركبا، فعرض لهم. وقال ابن السبيل²: ومنقطع به فحملوه، حتى إذا جن الليل، عدا عليهم، فسرقهم، ثم انطلق، فركبوا في طلبه، فأدركوه فرموه بالحجارة حتى مات، ومن كانت هذه حاله، كان كثير الخيانة والإثم، فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة في الخيانة والإثم، قال بعضهم: إذا عرفت من رجل سيئة، فاعلم أن لها أخوات. ويروى عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه أمر بقطع يد سارق، فجاءت أمه تبكي وتقول: هذه أول سرقة سرقها، فاعف عنه، يا أمير المؤمنين. فقال: كذبت، إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة³. انتهى. وقال الثعالبي: ﴿وَلَا تُجَدِّلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ لفظ عام، يندرج تحته أصحاب النازلة، ويتقرر بها توبيخهم، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ رفق وإبقاء، فإن الخوان هو الذي تكرر منه الخيانة، كطعيمة بن الأبيرق، والأثيم هو الذي يقصدها، فيخرج من هذا التشديد الساقط مرة واحدة، ونحو ذلك، واختيان الأنفس هو بما يعود عليها من الإثم والعقوبة في الدنيا والآخرة⁴. انتهى. ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ طعمة وقومه، أي يستترون حياء ﴿مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ﴾ أي لا يستحيون ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ قال في اللباب: "﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ يعني: يستترون حياء ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ يريد بذلك بني ظفر ابن الحارث، وهم طعمة وقومه، ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني: ولا يستترون من الله، ولا يستحيون منه، وأصل الاستخفاء الاستتار، وإنما فسر الاستخفاء بالاستحياء، لأن الاستحياء من الناس

¹ الحجاج بن علاط بن خالد بن ثؤيرة بن هلال بن عبيد بن ظفر بن سعد السلمي ثم الفهري، يكنى أبا كلاب، ويقال: كنيته أبو محمد، وأبو عبد الله، قال ابن سعد: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر فأسلم وسكن المدينة واختط بها دارًا ومسجدًا. وقال ابن حبان: إنه مات في أول خلافة عمر. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص33. بتصرف.

² لم أعثر على ترجمة له.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص427.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص490.

يوجب الاستتار منهم"¹. انتهى. وقوله: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنْ اللَّهِ﴾ قد علمت أن معناه لا يستحيون من الله، ومعنى ذلك أنهم يعصونه، إذ الحياء من الله هو أن تطيعه كما في الحديث: <أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، والفرج>². وقال الثعالبي: "الضمير في ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ للصف المرتكب للمعاصي، ويندرج في طي هذا العموم أهل الخيانة في هذه النازلة المذكورة، وأهل التعصب لهم، والتدبير في خدع النبي صلى الله عليه وسلم، والتلبس عليه. ويحتمل أن يكون الضمير لأهل هذه النازلة، ويدخل في معنى هذا التويخ كل من فعل نحو فعلهم. قال صاحب "الكلم الفاروقية"³ والحكم الحقيقية: "النفوس المرتكبة للمحارم المتحقة للمآثم والمظالم شبيهة بالأرقام، تملأ أفواهها سمًا، وتقصد من تقذف⁴ عليه عدوانًا وظلمًا، تجمع في ضمائرهم سموم شرايرها وضررها، وتحتال لإلقائها على الغافلين عن مكائدها وخدعها". انتهى⁵. ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ أَلْقَوْلُ﴾ قال صاحب هذا التفسير: يحتمل هذا المبتدأ والخبر أن يكونا في موضع الحال، وأن يكونا جملة استئنافية. قال في اللباب: "﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ يعني: والله معهم بالعلم والقدرة، لا يخفى عليه شيء من حالهم، لأنه تعالى لا تخفى عليه خافية، وكفى بذلك زجرًا للإنسان عن ارتكاب الذنوب"⁶. انتهى. وقال الثعالبي: "ومعنى: وهو معهم بالإحاطة والعلم والقدرة"⁷. ﴿إِذْ﴾ ظرف بمعنى حين، والعامل ما في الظرف من الكون ﴿يُبَيِّتُونَ﴾ يدبرون ليلاً ﴿مَا﴾ أي الذي ﴿لَا يَرْضَى﴾ لا يحبه ﴿مِنْ﴾ بيانية ﴿أَلْقَوْلُ﴾ قال الثعالبي: "﴿يُبَيِّتُونَ﴾ يدبرون ليلاً، ويحتمل أن تكون

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص428.

² الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 38 صفة القيامة والرقائق والورع، باب 24، ج4، ص550، رقم2458. قال الترمذي: "هذا حديث غريب".

³ لم أعثر عليه.

⁴ في الثعالبي: "تقذفه".

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص491.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص428.

⁷ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص491.

اللفظة مأخوذة من البيت، يستترون في تدبيرهم بالجدران¹. انتهى. وقال ابن جزي: "أي يدبرون ليلاً، وإنما سمي التدبير قولاً، لأنه كلام النفس، وربما كان معه كلام اللسان. انتهى. وقال في الباب: "يعني يضمرون ويقدرّون ويزورون في أذهانهم، وأصل التبييت تدبير الفعل بالليل، وذلك أن قوم طعمة قالوا فيما بينهم: نرجع الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه يسمع قول طعمة، ويقبل يمينه، لأنه مسلم، ولا يسمع قول اليهودي، لأنه كافر. فلم يرض الله تعالى بذلك منهم، فأطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم، وما هموا به². انتهى. وقال في الضياء: "﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يدبرون ليلاً، لأن ذلك الوقت أحلى، وللرأي أصفى، ما لا يرضى من القول، رمي البريء بالخيانة، وتبرئة الخائن بالحلف على ذلك³. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ أي لم يزل ﴿بِمَا﴾ متعلق بما بعده من الفاصلة ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ظاهر الباب⁴ أن الضمير للعباد على العموم. كما سترى كلامه قريباً. ويظهر لي أنه عائد على طعمة وقومه، لأن الذي بعده فيهم، والله تعالى أعلم. ﴿مُحِيطًا﴾ فاصلة الآية السابعة. قال في الباب: "يعني أنه تعالى لا يخفى عليه شيء من أسرار عباده، وهو مطلع عليهم ومحيط بهم، لا تخفى عليه خافية⁵. انتهى. وقال في القاموس: "وكل من بلغ أقصى شيء، وأحصى علمه، فقد أحاط به⁶. انتهى. وقال صاحب هذا التفسير: أصل الإحاطة الدوران بالشيء من كل جهة، والمعنى أنه تعالى عالم بجميع أحوالهم، بحيث لا يخفى عليه منها شيء ﴿هَاتِئَنَّمْ﴾ ها للتنبيه، والخطاب لقوم من المؤمنين ﴿هَتُوْلَاءِ﴾ أي يا هؤلاء ﴿جَدَلْتُمْ﴾ بالحذف، أي خاصمتهم وذبيتهم ﴿عَنَّهُمْ﴾ أي عن الخائنين، طعمة وقومه، بسبب أنكم تروّهم في الظاهر مسلمين، وأنتم مبتدأ، والخبر ﴿جَدَلْتُمْ﴾ أو أنتم مبتدأ،

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص491.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص428.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص207.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص428.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص428.

⁶ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الطاء، فصل الحاء، ص856.

والخبر ﴿هَتُوْلَاءَ﴾ قال في الباب: "وأصل الجدال القتل، لأن كل واحد من الخصمين يريد أن يقتل صاحبه عما هو عليه، والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وقومه ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾ بالواو مكان الألف في كل موضع ﴿الدُّنْيَا﴾ وقيل: هو خطاب لقوم طعمة، وفي قراءة¹ ابن مسعود جادلتم عنه، والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة في الحياة الدنيا"²، قاله في الباب. وقال البغوي: "والجدال شدة المخاصمة، من الجدل، وهو شدة القتل، فهو يريد قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج. وقيل: الجدال من الجدالة، وهي الأرض، فكل من الخصمين يروم قهر صاحبه وصرعه على الأرض"³. انتهى. وقال الثعالبي: "خطاب للقوم الذين يتعصبون لأهل الريب والمعاصي، ويندرج في طي هذا العموم أهل النازلة، وهو الأظهر عندي بحكم التأكيد بهؤلاء، وهي إشارة إلى حاضرين. ومن مصاييح البغوي عن أبي داود⁴، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: <من حالت شفاعته دون حد من حدود الله، فقد خان الله، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه، لم يزل في معصية الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله ردغة⁵ الخبال⁶ حتى يخرج مما<⁷. قال⁸: "ويروى: <من أعان على خصومة لا يدري أحق أم باطل فهو في سخط الله حتى ينزع">. انتهى⁹. قوله:

¹ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج3، ص360.

² الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص428.

³ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 18 الأقضية، باب 14 فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها، ج2، ص329، رقم3597.

⁴ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 18 الأقضية، باب 14 فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها، ج2، ص329، رقم3597.

⁵ "الرَّدْغُ والرَّدْغَةُ والرَّدْغَةُ بالهاء: الماء والطين والوَحْل الكثير الشديد". ابن منظور، لسان العرب، مادة ر د غ، ج8، ص426.

⁶ "الْخَبَال: السم القاتل". ابن منظور، لسان العرب، مادة خ ب ل، ج11، ص196.

⁷ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص552، رقم272.

⁸ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص552، رقم272.

⁹ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص552، رقم272.

<ردغة الخبال> وتحرك: عصارة أهل النار.¹ وقال في الضياء: ﴿هَتَأْتُمْ﴾ ها للتنبيه ﴿هَتُؤَلَاءَ﴾ مبتدأ وخبر أي أنتم الموصوفون بالوصف العجيب، ثم بينه بقوله: ﴿جَدَلْتُمْ﴾ والخطاب للمتعصبين لأهل المعاصي الخائنين، كقوم بني أبيرق عنهم، أي عن بني أبيرق طعمة وأخوته². انتهى. ﴿فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بالحذف فيهما، أي يوم القيام لرب العالمين، وهو يوم الحشر والنشر، يقول الله تعالى إذا عذبهم الله تعالى في الآخرة، فمن يجادله عنهم، أي لا أحد يجادله عنهم، والاستفهام للتوبيخ والتفريع ﴿أَمْ مِّنْ﴾ بالقطع ﴿يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ أي حافظاً لهم، يتولى أمرهم، ويذب عنهم، والمعنى: لا أحد يخاصم عنهم يوم القيامة، ولا أحد يلي أمرهم، يذب عنهم، فاصلة الآية الثامنة، والفرق بين ما قبل ﴿أَمْ﴾ وما بعدها، أن الأول مخاصم عنهم، والثاني أبلغ منه، فهو الذي يلي أمرهم، ويذب عنهم، والله تعالى أعلم. وقضت العقول بأن لا أحد يجادل الله سبحانه، ولا وكيل يقوم بأمر العصاة عنده، ولما ذكر هذا الوعيد الذي تنهد له الجبال، وتقطع منه الأكباد، وتذوب به القلوب، أعقبه بهذا الرجاء العظيم فقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ ذنباً يسوء به غيره، كسرقة طعمة، فإنه فعل ما يسوء المسروق منه ﴿أَوْ يَظْلِمَ نَفْسَهُ﴾ يعني: فيما يختص به من الخلق الكاذب، ونحو ذلك. وقيل: معناه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ أي قبيحاً، أو يظلم نفسه برميء البريء. وقيل: السوء الشرك، أو يظلم نفسه بما دون الشرك. قال في الباب: "نزلت هذه الآية في ترغيب طعمة في التوبة، وعرضها عليه. وقيل: نزلت في قومه الذين جادلوا عنه. وقيل: هي عامة في كل مسيء ومذنب، لأن خصوص السبب لا يمنع من إطلاق الحكم"³. انتهى المراد منه. وقال السيوطي⁴. وتبعه في الضياء⁵. "

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة خ ب ل، ج 11، ص 196.

² البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج 2، ص 552، رقم 272.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 4029.

⁴ السيوطي، تفسير الجلالين، ص 121.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 207.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ ذنبًا يسوء به غيره، كرمي طعمة اليهودي بالسرقة، أو يظلم نفسه بذنب قاصر عليه كالشرك". انتهى. قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ استشكل بأن ظلم النفس يصدق بما قبله، وهو عمل السوء، فالظلم أعم مما قبله، والعام لا يعطف بأو، وأجيب بأن الآية سبب نزولها ما كانت الجاهلية تفعله من الجدل عن الظالم، والذب عنه، وتبرأته مما رمي به، وهم يعلمون ذلك، كأن يسرق واحد من قوم، وهم يعلمون أنه فعل ذلك، ثم يجادلون عنه، وينفون عنه السرقة مثلاً، فالسارق هو الذي فعل السوء، والمجادل هو الذي ظلم نفسه بشهادة الزور. انتهى. وهذا غاية في الحسن، لما فيه من المناسبة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ إلخ. ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ﴾ أي يتب إليه، ويسأله المغفرة، أي العفو عن الذنوب ﴿يَجِدِ﴾ يعلم أو يصادف ﴿اللَّهُ غَفُورًا﴾ لذنوبه، مفعول على الأول، وحال على الثاني ﴿رَحِيمًا﴾ به، فاصلة الآية التاسعة. قال البغوي: "يعرض التوبة على طعمة في هذه الآية"¹. انتهى. وقال في الباب: "ففي هذه الآية دليل على حكمين: أحدهما: أن التوبة مقبولة من جميع الذنوب الكبائر والصغائر، لأن قوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ عم الكل. والحكم الثاني: أن ظاهر الآية يقتضي أن مجرد الاستغفار كاف. وقال بعضهم: مقيد بالتوبة، لأنه لا ينفع، والاستغفار مع الإصرار"². انتهى. ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ﴾ يعمل ﴿إِثْمًا﴾ ذنباً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ﴾ يعملهُ ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ قال في الباب: "يعني: إنما يعود وبال كسبه عليه، والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة، أو دفع مضرة، فكأنه تعالى يقول يا أيها الإنسان إن الذنب الذي ارتكبته، إنما عادت مضرته عليك، فإني منزّه عن الضر والنفع، فأكثر من الاستغفار، ولا تيأس من قبول التوبة، فإني لغفار لمن تاب، وهذه الآية نزلت في طعمة أيضاً"³. انتهى. قال صاحب هذا التفسير: على الاستعلاء، فيصح أي تكون هي ومدخولها في موضع

¹ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص153.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص429.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص429.

الحال من الضمير المنصوب، وتحتل أن تكون متعلقة بـ ﴿يَكْسِبُ﴾ والله تعالى أعلم.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ أي لم يزل عليماً بأحوال عباده ﴿حَكِيمًا﴾ "في صنعه، لا يؤاخذ أحداً بفعل غيره"¹، قاله في الضياء. وقال في اللباب: "﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بسارق الدرع ﴿حَكِيمًا﴾ يعني: إذ حكم عليه بالقطع. وقيل: معناه ﴿عَلِيمًا﴾ بما في قلب عبده عند إقدامه على التوبة ﴿حَكِيمًا﴾ يقتضي حكمه أن يتجاوز عن التائب، ويغفر له، ويقبل توبته"². انتهى. وقوله: ﴿حَكِيمًا﴾ فاصلة الآية العاشرة بعد المائة من سورة النساء ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ﴾ يعمل ﴿خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ "قيل: إن الخطيئة هي الصغيرة من الذنوب، والإثم هو الكبيرة. وقيل: الخطيئة هي الذنب المختص بفاعله، والإثم الذنب المتعدي إلى الغير. وقيل: إن الخطيئة هي سرقة الدرع، والإثم هو يمينه الكاذبة"³، قاله في اللباب. وقال الثعالبي⁴ وابن جزري: "قيل: الخطيئة تكون عن عمد وغير عمد، والإثم لا يكون إلا عن عمد. وقيل: هما بمعنى، وكرر لاختلاف اللفظ"⁵. ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك ﴿يَرْمِيهِ﴾ أي يقذف بما جناه من خطيئة أو إثم ﴿بَرِيئًا﴾ من ذلك الإثم أو الخطيئة، والبريء هو لبيد، ولكنها تعم كل بريء و﴿يَرْمِيهِ﴾ جزم بحذف الياء، لأنه عطف على ﴿يَكْسِبُ﴾ قال في اللباب: "﴿ثُمَّ يَرْمِيهِ بَرِيئًا﴾ وهو نسبة السرقة إلى اليهودي، ولم يسرق. فإن قلت: الخطيئة والإثم اثنان، فكيف وحد الضمير في قوله: ﴿يَرْمِيهِ﴾؟ قلت: معناه: ثم يرم بأحد هذين المذكورين بريئاً. وقيل: يعود الضمير لأقرب مذكور، وهو الإثم. وقيل: إن الضمير يعود إلى الكسب، ومعناه: ثم يرم بما

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص208.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص429.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص429.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص492.

⁵ ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص209.

كسب بريئاً¹. انتهى. ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلَ﴾ قال الثعالبي: "تشبيهه، إذ الذنوب ثقل ووزر، فهي كالمحمولات"². ﴿بُهْتَنَّا﴾ بالحذف. قال في اللباب: "البهتان من البهت، وهو الكذب الذي يتحير في عظمه"³. ﴿وَإِثْمًا﴾ ذنباً ﴿مُبِينًا﴾ بيناً ظاهراً، فاصلة الآية الأولى بعد العشر والمائة من سورة النساء. قال في اللباب: "يعني: ذنباً بيناً، لأنه بكسب الإثم آثم، وبرميته البريء باهت، فقد جمع بين الأمرين"⁴. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا محمد، بإعلام ما هم عليه بالوحي ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بالعصمة ﴿لَهَمَّتْ﴾ لهم من أفعال القلب، وهو دون العزم ﴿طَائِفَةٌ﴾ جماعة ﴿مِنْهُمْ﴾ أي من بني ظفر قوم طعمة ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ بأن تجعل إضلالك عن القضاء بالحق هو همها، أي شغلها، حتى ينفذوا ذلك. قال في اللباب: "وهذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق وقومه، حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صاحبهم، فقله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يعني يا محمد، بالنبوة ورحمته بالعصمة، وما أوحى إليك من الاطلاع على أسرارهم، فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ يعني من بني ظفر، وهم قوم طعمة، أن يضلوك، يعني عن القضاء بالحق، وتوخي طريق الحق"⁵. انتهى. وهذا صريح في أنهم لم يضلوه عن الحكم بالحق، ولهذا قال جلت قدرته: ﴿وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ قال في اللباب: "يعني: أن وبال إضلالهم يرجع عليهم، بسبب تعاونه على الإثم، وشهادتهم لذاته⁶ بريء، فهم لما أقاموا على ذلك رجع وباله عليهم"⁷. انتهى. ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ "في موضع

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص429.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص492.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص429.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص429.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص429.

⁶ في اللباب: "له أنه".

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص429.

النصب على المصدر، أي شيئاً من الضرر"¹، قاله في الضياء. وقال في اللباب: "يعني أنهم، وإن سعوا في إقائك في الباطل، فأنت ما وقعت فيه لا شك بنية² الأمر على ظاهر الحال، وما خطر ببالك أن الأمر على خلاف ذلك. وقيل: معناه: وما يضرونك من شيء في المستقبل، فوعده الله تعالى إدامة العصمة، وأنه لا يضره أحد"³. انتهى. وقال البغوي: "﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ يريد أن الضرر يعود إليهم"⁴. انتهى. ثم أشار تعالى إلى أنه صلى الله عليه وسلم بعيد مما راموا منه، بسبب إنعام الله عليه، فقال: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أنزل يتعدى بـ إلى وبـ على، كما هنا أل ﴿الْكِتَابَ﴾ بالحذف، يعني القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: "ما في الكتاب من الأحكام"⁵، قاله السيوطي. وفي نقل الثعالبي: "أن علوم القرآن ثلاثة أقسام: توحيد، وتذكير، وأحكام. وعلم التذكير هو معظم القرآن، فإنه مشتمل على الوعد والوعيد، والخوف والرجاء والقرب، وما يرتبط بها، ويدعو إليها، ويكون عنها، وذلك معنى تتسع أبوابه وتمتد أطنا به"⁶. انتهى. وقال في اللباب: "﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني القضاء به"⁷. ﴿وَعَلَّمَكَ﴾ الله، يا محمد، عرفك ﴿مَا لَمْ تَكُنْ﴾ قبل تعليمه لك ﴿تَعَلَّمَ﴾ تعرف. قال في اللباب: "﴿وَعَلَّمَكَ﴾ ما لم تكن تعلم، يعني من أحكام الشرع، وأمور الدين. وقيل: علمك من علم الغيب، ما لم تكن تعلم. وقيل: معناه: وعلمك من خفيات الأمور، وأطلعك على ضمائر القلوب، وعلمك من أحوال المنافقين وكيدهم، ما لم تكن تعلم"⁸. انتهى. وقال السيوطي: "﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعَلَّمَ﴾ بالكسب

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص208.

² في اللباب: "لأنك بنيت".

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص429.

⁴ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص155.

⁵ السيوطي، تفسير الجلالين، ص122.

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص492، 493.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص429.

⁸ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص429.

والنظر، كأحوال المعاد، وسائر المغيبات التي أخبر بها"¹. انتهى. وقال الثعالبي: "ثم ذكر سبحانه ما أنعم به على نبيه، من إنزال الكتب والحكمة، وتعليمه ما لم يكن يعلم"². انتهى.

﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا محمد، بذلك وغيره ﴿عَظِيمًا﴾ فاصلة الآية الثانية. قال في الباب: "يعني: ولم يزل فضل الله عليك، يا محمد، عظيمًا، فاشكره على ما أولاك من إحسانه، ومنّ عليك بنبوءته، وعلمك ما أنزل عليك، من كتابه وحكمته، وعصمك ممن حاول إضلالك، فإن الله تعالى هو الذي تولاك بفضله، وشملك بإحسانه، وكفاك غائلة³ من أرادك بسوء. ففي هذه الآية تنبيه من الله عزّ وجلّ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، على ما حباه من إطفائه، وما شمله من فضله وإحسانه، ليقوم بواجب حقه"⁴. انتهى. وقال في الضياء:

"﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ إذ لا فضل فوق النبوة والمعرفة، وقد آتيناك من لدنا علمًا"⁵. انتهى. "نصف" ﴿لَا خَيْرَ﴾ الخير ضد الشر، وهو المحبوب الملائم ﴿فِي كَثِيرٍ﴾ خبر ﴿لَا﴾ واسمها خبر ﴿مَنْ نَجَوْنَهُمْ﴾ أي سارهم، فالنجوى الكلام الخفي، والضمير عائد على الناس أجمع، كما في الثعالبي⁶، ومنهم طعمة وقومه، كما قاله غير واحد ﴿إِلَّا مَنْ﴾ أي نجوى من ﴿أَمَرَ﴾ وعلى هذا فلا استثناء متصل، ويكون أيضًا متصلًا، إن كانت النجوى بمعنى الجماعة المتناجين، نحو: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجَوَى﴾⁷ ويكون منقطعًا، إن لم يكن من على حذف مضاف، وكان المراد بالنجوى السرار ﴿بِصَدَقَةٍ﴾ الأمر ضد النهي، يقال: أمره بكذا، إذا طلب منه أن يفعله، والظاهر أن الباء للإلصاق، والله تعالى

¹ لم أعثر عليه.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص492.

³ "غائلة: أمر منكر داهٍ، والغوائل الدواهي". ابن منظور، لسان العرب، مادة غ و ل، ج11، ص507.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص429.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص208.

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص493.

⁷ الإسراء، 47.

أعلم. قال السيوطي: "﴿مَنْ نَجَّوْنَهُمْ﴾ أي الناس، أي ما يتناجون فيه، ويتحدثون به"¹. انتهى. وقال ابن جزى: "إن كانت النجوى هنا بمعنى الكلام الخفي، فالاستثناء منقطع، وقد يكون متصلاً على حذف مضاف²، إلا نجوى، وإن كان النجوى بمعنى الجماعة، فالاستثناء متصل"³. انتهى. وقال في الباب: "يعني من نجوى قوم طعمة. وقيل: هي عامة في جميع الناس، والنجوى هي السرار⁴ في التدبير. وقيل: النجوى ما تفرد في تدبيره قوم، سرّاً كان أو جهراً، وناجيته ساررته، وأصله أن يخلو في نجوة من الأرض"⁵. ﴿أَوْ﴾ أو أمر بـ ﴿مَعْرُوفٍ﴾ أي بطاعة الله، وما يعرفه الشرع، وأعمال البر كلها، معروف، لأن العقول تعرفها ﴿أَوْ﴾ إِصْلَاحٍ بالحذف، أي أوامر بإصلاح ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ بالإثبات، في كل موضع. قال في الباب: "يعني: الإصلاح بين المتباينين والمتخاصمين، ليتراجعا إلى ما كانا فيه من الألفة، على ما أذن الله فيه، وأمر به. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟>، قالوا: بلى، قال: <صلاح ذات البين، وإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين>". رواه الترمذي⁶. انتهى. وقال الثعالبي: "والمعروف لفظ يعم الصدقة والإصلاح وغيرهما، ولكن خصا بالذكر اهتماماً بهما، إذ لهما عظيم الغناء في مصالح العباد"⁷. انتهى. وعن سهل بن سعد أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله صلى

¹ السيوطي، تفسير الجلالين، ص122.

² في ابن جزى: "حذف مضاف تقديره إلا نجوى من أمر".

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص209، 210.

⁴ في الباب: "الإسرار".

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص429، 430.

⁶ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 38 صفة القيامة والرقائق والورع، باب 56، ص572، 573، رقم2509. قال الترمذي: "هذا حديث صحيح". الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص420.

⁷ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص493.

الله عليه وسلم فقال: <اذهبوا بنا نصلح بينهم>¹. وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط²، فكانت من المهاجرات الأول، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: <ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس، فيقول خيرًا³، وينمي خيرًا>. وعن أمنا أم حبيبة⁴ رضي الله تعالى عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: <كل كلام ابن آدم عليه، لا له، إلا أمرًا بمعروف، أو نهيًا عن منكر، أو ذكر الله تعالى>⁵. انتهى. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ

ذَلِكَ﴾ يعني هذه الأشياء التي ذكر ﴿أَبْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ﴾ بالإثبات ﴿اللَّهِ﴾ قال في اللباب: "يعني طلب رضاه، لأن الإنسان إذا فعل ذلك خالصًا لوجه الله نفعه، وإن فعلها رياء وسمعة لم ينفعه ذلك، لقوله صلى الله عليه وسلم: <إنما الأعمال بالنيات>⁶،

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 53 الصلح، باب 3 قول الإمام لأصحابه: اذهبوا بنا نصلح، ج5، ص300، رقم2693.

² أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية، أخوها الوليد بن عقبة، وأمهما أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وهي والدة عثمان، وكانت أم كلثوم ممن أسلم قديمًا، وبايعت، وخرجت إلى المدينة مهاجرة، تمشي فتبعها أخوها عمارة والوليد، ليرداها فلم ترجع. تزوجها زيد بن حارثة، ثم تزوجها الزبير بن العوام بعد قتل زيد، فولدت له زينب، ثم فارقتها فتزوجها عبد الرحمن بن عوف، فولدت له إبراهيم وحميّدًا، ثم مات عنها، فتزوجها عمرو بن العاص، فمكثت عنده شهرًا وماتت. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج8، ص291. بتصرف.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 53 الصلح، باب 2 ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، ج5، ص299، رقم2692.

⁴ رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموية، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، تكنى أم حبيبة، وهي بما أشهر من اسمها، وقيل: بل اسمها هند، ورملة أصح، أمها صفية بنت أبي العاص بن أمية، ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عامًا، تزوّجها حليفهم غبيد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر الأسدي من بني أسد بن خزيمه فأسلما ثم هاجرا إلى الحبشة، فولدت له حبيبة، ولما تنصر زوجها فارقتها. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج7، ص651. بتصرف.

⁵ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج12، ص321، 434.

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 1 بدء الوحي، باب 1 بدء الوحي، ج1، ص9، رقم1.

الحديث¹. قوله: ابتغاء مرضات الله، اعلم أن هذه المادة قد وقع منها، أي في القرآن، لفظ كثير منسوب لله تعالى، وكذا المحبة، ويظهر لي أنهما بمعنى متقارب، إن لم يكن واحداً، وقد رأيت في بعض المواضع تفسيرهما بما فيه التصريح بأنهما من صفات الأفعال، وفي بعض المواضع ما يخالف ذلك، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾²، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾³ (١٨) وقد علم ما قيل فيهما، وأجلب هنا كلام ابن عطية في المحبة، فإنه قال: "المحبة إرادة يقتن بها إقبال من النفس، وميل بالمعتقل، وقد تكون الإرادة المجردة فيما يكره المرید، والله تعالى يريد وقوع الكفر، ولا يحبه، ومحبة العبد لله تعالى يلزم عنها. ولا بد. أن يطيعه، ومحبة الله تعالى للعبد أمارتها للمتأمل أن يرى العبد مهدياً مسدداً ذا قبول في الأرض، فلطف الله تعالى بالعبد، ورحمته إياه، هي ثمرة محبته، وبهذا النظر يتفسر لفظ المحبة حيث وقعت في كتاب الله تعالى⁴. انتهى. وكلام ابن عطية هذا نقله الثعالبي⁵، وتأمل قوله، فلطف الله تعالى بالعبد، ورحمته إياه، هي ثمرة محبته، فكلامه هذا يقتضي أن الإحسان واللفظ والنعمة ليست هي نفس المحبة من الله تعالى، وإنما هي ثمرتها، ويظهر لي أن ما قيل في المحبة يقال في الرضا، من غير فرق، وتأمل الحديث الشريف الوارد في أهل الجنة حين يدخلون الجنة، ويقول لهم الرب جل جلاله أنه يعطيهم أفضل من ذلك، فيقول لهم: "أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبداً"⁶، فيحصلون على منتي السرور، حيث أمنوا من سخط الله تعالى، فعلم من هذا أن ثمرة الرضى للعبد هو أن يأمن سخط الله تعالى، وتأمل قوله: "أحل"، فإنه لا يراد به الصفة القديمة، وإنما يراد به أثرها ﴿فَسَوْفَ﴾ حرف تنفيس، يكون في الوعد. كما هنا. وفي الوعيد ﴿تُؤْنِتِهِ﴾ نعطيهِ في الآخرة ﴿أَجْرًا﴾ ثوابًا ﴿عَظِيمًا﴾ فاصلة الآية الثالثة. قرأ

¹ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص430.

² الزمر، 7.

³ لقمان، 18.

⁴ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص422.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص310.

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 81 الرقات، باب 51 صفة الجنة والنار، ج11، ص415، رقم6549.

حمزة وأبو عمرو وخلف فسوف يؤتيه أجرًا بالياء، والباقون بالنون، "نشر"¹، لا حد له، لأن الله سماه عظيمًا، وإذا كان كذلك، فلا يعلم قدره إلا الله عز وجل ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ﴾ بالإثبات، يعادي ﴿الرَّسُولَ﴾ محمدًا صلى الله عليه وسلم. قال ابن جزى²: "أي يعاده، والشقاق هو العداوة، ونزلت الآية بسبب ابن الأبيرق، لأنه ارتد وسار إلى المشركين، ومات على الكفر، وهي عامة فيه وفي غيره". انتهى. وقال في الباب: "نزلت في طعمة، وذلك أنه لما سرق، وظهرت عليه السرقة، خاف على نفسه القطع والفضيحة، فهرب إلى مكة كافرًا مرتدًا عن الدين، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ يعني يخالفه في التوحيد والإيمان، من المشاقة، وهي كون كل واحد منهما في شق غير شق الآخر"³. انتهى. ﴿مِنْ﴾ ابتداءً متعلقة بـ ﴿يُشَاقِقِ﴾ أو زائدة للتوكيد، على مذهب من يجيز زيادتها في الإثبات ﴿بَعْدَ مَا﴾ مصدرية ﴿نُبَيِّنَ﴾ ظهر، وذلك لأن طعمة كان قد تبين له بما أنزل فيه، وأظهر من سرقة ما يدل على صحة دين الإسلام، فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم، وأظهر الشقاق، ورجع عن الإسلام"⁴. انتهى. ﴿وَيَتَّبِعِ﴾ يظهر أن معناه هنا يسلك، ولكن في التفسير بالإتباع مبالغة في الانقياد والإذعان، لإشعاره بأن الأمر للمقدم المتبع، والله أعلم ﴿غَيْرَ﴾ أي سبيلًا غير ﴿سَبِيلِ﴾ طريق ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بالله ورسوله. قال ابن جزى: "استدل الأصوليون بهذا على صحة إجماع المسلمين، وأنه لا تجوز مخالفته، لأن من خالفه اتبع غير سبيل المؤمنين"⁵. انتهى المراد منه. وقال في الباب: "يعني: ويتبع غير طريق المؤمنين، وما هم عليه من الإيمان، ويتبع عبادة الأوثان"⁶. انتهى. ﴿تَوَلَّاهُ﴾ جواب الشرط مجزوم بحذف

¹ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص35.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص210.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص430.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص430.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص210.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص430.

الياء، والضمير المنصوب عائد على المتبع لغير سبيل المؤمنين ﴿مَا﴾ موصولة مفعول ثان، أي الذي ﴿تَوَلَّى﴾ ومعنى قوله: نجعله مع الأمر الذي تولاه، أي رضيه لنفسه، وتحقيق ذلك أن تقول نكله في الآخرة إلى الذي تولاه في الدنيا، ورضيه لنفسه، فإذا رضي بالشمس ربًّا، وكل إليها، وكذلك إذا تولى القمر وجعله معبوده نكله إليه في الآخرة، وكذلك كل من اتخذ معبودًا من دون الله، فإنه يوكل إليه في الآخرة، وإذا وكله الله إلى تلك المعبودات بالباطل، فلا يتأتى أن يصل إليه نفع، وإنما له الضرر المحض، والعذاب الأليم، وذلك لأن الله تعالى هو الذي بيده ملكوت كل شيء، وقد قطع سبحانه عنه رحمته ونعمه وخيره، فلا محيص له عما أعد الله له من الويل والثبور، ومأواه جهنم، وبئس المصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿وَنُصِّلَهُ﴾ ندخله في الآخرة، وسكن هاء¹ نصله أبو عمرو وحمة وأبو بكر تخفيفًا ﴿جَهَنَّمَ﴾ قال في القاموس: "ركية جهنم ومثلثة الجيم، وجهنم كعملس بعيدة القعر، وبه سميت جهنم، أعادنا الله تعالى منها"². انتهى. آمين ﴿وَسَاءَتْ﴾ بئست ﴿مَصِيرًا﴾ مرجعًا هي أو أحزنت، والفاعل على الأول ضمير يفسره ﴿مَصِيرًا﴾ وعلى الثاني ضمير يعود على ﴿جَهَنَّمَ﴾ و﴿مَصِيرًا﴾ تبيني على كلا الوجهين، فاصلة الآية الرابعة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ الباء بمعنى مع، أو للإلصاق، يعني أن الله جلت قدرته لا يرحم ولا يتجاوز ولا يعفو عمن مات مشرکًا به غيره في العبادة، بل حق له الخلود في نار جهنم أبدًا، لا يفتر عنهم، وهم فيه مبلسون³. والمراد بالشرك الكفر بأي وجه كان. وهذه الآية عامة في كل من مات كافرًا، وسبب نزولها "ما روي أن طعمة بن أبيرق نزل على رجل من بني سليم من أهل مكة، يقال له: الحجاج بن علاط، فنقب بيته، وسقط عليه حجر، فلم يستطع أن يدخل، ولا أن يخرج حتى أصبح، فأخذ ليقتل، فقال بعضهم: دعوه، فإنه لجأ إليكم، فتركوه،

¹ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 411.

² الفيروزابادي، القاموس، باب الميم، فصل الجيم، ص 1409.

³ أَبْلَسَ الرجل: قُطِعَ به، وَأَبْلَسَ: سَكَتَ، وَأَبْلَسَ من رحمة الله: أَي يَسَّ وَنَدِمَ، ومنه سمي إبليس، وكان اسمه عزازيل. ابن منظور، لسان العرب، مادة ب ل س، ج 6، ص 29.

فأخرجوه من مكة، فخرج مع تجار من قضاة¹ نحو الشام، فنزلوا منزلاً، فسرق بعض متاعهم، فهرب، فطلبوه، فأخذوه، ورموه بالحجارة حتى قتلوه، فصار قبره تلك الحجرة. وقيل: إنه ركب سفينة إلى جدة، فسرق فيها كيساً فيه دنانير، فأخذ فألقى في البحر. وقيل: إنه نزل في حرّة بني سليم، فكان يعبد صنماً لهم، إلى أن مات، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾²، قاله البغوي. وقال في الباب: نزلت هذه الآية في طعمة بن أبيرق أيضاً، لكونه مات مشركاً. وقال ابن عباس: نزلت في شيخ من الأعراب، جاء إلى رسول صلى الله عليه وسلم³ فقال: يا نبي الله، إني شيخ منهمك في الذنب، غير أني لم أشرك بالله منذ عرفته، وآمنت به، ولم أتخذ من دون الله ولياً، ولم أواقع المعاصي جرأة على الله عز وجل، وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هرباً، وإني لنادم تائب مستغفر، فما حالي عند الله؟ فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فهذا نص صريح بأن الشرك غير مغفور، إذا مات صاحبه عليه، وقد ثبت أن المشرك إذا تاب من شركه وآمن، قبلت توبته، وصح إيمانه، وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك⁴. انتهى. ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ يعني ما دون الشرك، أما سواه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ يريد المغفرة له. قال في الباب: "يعني لمن يشاء من أهل التوحيد. قال العلماء: لما أخبر الله أنه يغفر الشرك بالإيمان والتوبة، علمنا أنه يغفر ما دون الشرك بالتوبة، وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من أهل التوحيد، فإذا مات صاحب الكبيرة أو الصغيرة من غير توبة، فهو في خطر المشيئة، إن شاء

¹ بنو قضاة: قبيلة من حمير من القحطانية، غلب عليهم اسم أبيهم، فقبل لهم: قضاة، وهم بنو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير، هذا هو المشهور فيه، وعليه جرى ابن الكلبي وابن إسحاق وغيرهما. وذهب بعض النسابين إلى أن قضاة من العدنانية، ويقولون: هو قضاة بن معد بن عدنان. قال ابن عبد البر: وعليه الأكثر، قال أبو عبيد: وكان له من الولد الحافي، وإن جميع ولده منه غير صحيح. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، ج1، ص131. بتصرف.

² البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص157.

³ لم أعثر عليه.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص430، 431.

غفر له، وأدخله الجنة بفضلته ورحمته، وإن شاء عذبه، ثم يدخله الجنة بعد ذلك¹. انتهى.

وقال في الضياء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ كره اهتماماً، كتكرير سائر الأحكام والقصص المهمة². انتهى. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ قد تقدم الكلام على نظيرتها ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ﴾ ذهب عن الحق ﴿ضَلَالًا﴾ ذهاباً ﴿بَعِيدًا﴾ فاصلة الآية الخامسة. قال في الضياء: "وصف الضلال بالبعد مجاز مبالغة"³، إذ البعيد عن الحق صاحبه، أو ﴿بَعِيدًا﴾ بمعنى مبعد، أي مبعداً لصاحبه عن الحق، كألیم بمعنى مؤلم، "وإنما ختم هذه بالضلال مناسبة لقصة طعمة وقومه الضالين الساعين في إضلال سيد المعصومين، وختم المقدمة بقوله: ﴿فَقَدْ أَفْتَرَىٰ إِنَّمَا عَظِيمًا﴾ لا اتصالها بقصة أهل الكتاب المخرفين للكلم المفترين في أشياء كثيرة"⁴. انتهى.

ثم كشف عن خسة أهل الشرك وحماتهم بقوله: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ المشركون يعبدون ﴿مِنْ﴾ يظهر أنها تبعيضية ﴿دُونِهِ﴾ أي غير الله، يظهر أنه صفة محذوف، أي يشاء من غيره ﴿إِلَّا إِنثًا﴾ بالحذف، جمع أنثى. قال في اللباب: "نزلت في أهل مكة، يعني ما تعبدون من دون الله ﴿إِلَّا إِنثًا﴾ لأن كل من عبد شيئاً، فقد دعاه لحاجته، وفي قوله: ﴿إِنثًا﴾ أقوال، أحدها: أنهم كانوا يسمون أصنامهم بأسماء الإناث، فيقولون: اللات والعزى ومناة. قال الحسن: كانوا يقولون لصنم كل قبيلة: أنثى بني فلان. والقول الثاني: ﴿إِنثًا﴾ يعني أمواتاً. قال الحسن: كل شيء لا روح فيه، كالحجر والخشبة، هي إناث. قال الزجاج: "والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث، تقول: هذه الحجر⁵ تعجبني، وهذه

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص430، 431.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص209.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص209.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص209.

⁵ في معاني القرآن: "الأحجار".

الدراهم تنفعني"¹. والأنثى أنزل درجة من الذكر، والميت أنزل درجة من الحي، كما أن الموات أرذل من الحيوان، وقد يطلق اسم الأنثى على الجمادات. القول الثالث: أن بعضهم كان يعبد الملائكة، ويقولون²: هم بنات الله"³. انتهى. قال صاحب هذا التفسير: وعلى هذا فمعنى قوله تعالى: ﴿إِنثًا﴾ بزعمهم ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْنَبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾⁴. وقوله: ﴿إِنْ يَدْعُونَ﴾ إلخ. قال في الضياء: "استئناف لتحقير ما اتخذوه شريكاً، دليل⁵ على تناهي جهلهم، وفرط حماقتهم، و﴿إِنثًا﴾ جمع أنثى، كريباب وربي. وقرئ⁶ أنثى على التوحيد وأثنا على أنه جمع أنيث، كخبث وخبث⁷. ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿إِلَّا شَيْطَانًا﴾ بال حذف ﴿مَرِيدًا﴾ فاصلة الآية السادسة. والمريد العاقي الخارج عن الطاعة. قال في اللباب: "قال ابن عباس: لكل صنم شيطان، يدخل فيه، ويتراءى للسدنة والكهنة، ويكلمهم، فلذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ وقيل: هو إبليس، لأنه هو أغواهم وأغراهم على عبادتها، فأطاعوه، فجعلت طاعتهم له عبادة، والمريد والمارد هو المتمرد العاقي الخارج عن الطاعة"⁸. انتهى. وقال الثعالبي: "الضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ عائد على من في قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾، وإن نافية بمعنى ما، و﴿يَدْعُونَ﴾ عبارة مغنية وحيزة

¹ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص110.

² في الخازن: "ويقول".

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص431.

⁴ الزخرف، 19.

⁵ في الضياء: "تدليلاً".

⁶ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج3، ص352.

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص209.

⁸ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص431.

في معنى يعبدون ويتخذون آلهة. وفي البخاري: ﴿إِلَّا أَنْتَا﴾ يعني الموات حجرًا أو مدرًا¹، وما أشبهه². انتهى. وفي مصحف عائشة: **إِلَّا أَوْثَانًا**، ونحوه عن ابن عباس، والمراد بالشيطان هنا إبليس، قاله الجمهور، وهو الصواب، لأن سائر المقالة به تليق، ومريد معناه متمرد عات، صليب في غوايته³. انتهى. وقال في الضياء: ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَّيْرِدًا﴾ خاليًا عن الطاعة، لطاعتهم له في عبادتها، لأنه الذي أغراهم عليها، فأطاعوه. وفي مدارك التنزيل للنسفي: "﴿مَّيْرِدًا﴾ أي ماردًا، أي عاريًا عن كل خير، وظهر شره، من قولهم: شجرة مرداء، إذا سقط ورقها، وظهر شوكتها وعيدانها". انتهى. والشيطان هو إبليس⁴ انتهى. وقال ابن جزى: "الضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ للكفار، ومعنى ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون، واختلف في الإناث، فقيل: هي الأصنام، لأن العرب كانت تسمي الأصنام بأسماء مؤنثة، كالكالات والعزى. وقيل: المراد الملائكة، لقول الكفار: إنهم إناث، وكانوا يعبدونهم، فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم، بقولهم الفاسد. وقيل: المراد الأصنام، لأنها لا تعقل⁵، فيخبر عنها كما يخبر عن المؤنث⁶. انتهى. وقال: ﴿شَيْطَانًا مَّيْرِدًا﴾ يعني إبليس، وإنما قال إنهم يعبدونه، لأنهم يطيعونه في الكفر والضلال، والمريد هو الشديد العتو والإضلال⁷. انتهى. وقال السيوطي: "﴿مَّيْرِدًا﴾ خارجًا عن الطاعة، لطاعتهم له فيها، وهو إبليس ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعد من

¹ "الْمَدْرُ قِطْعُ الطَّيْنِ الْيَاسِي، وقيل: الطَّيْنُ الْعِلْكُ الَّذِي لَا رَمْلَ فِيهِ، واحْدَثَهُ مَدْرَةٌ". ابن منظور، لسان العرب، مادة م د ر، ج 5، ص 162.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 65 التفسير، باب 15 فما لكم في المنافقين فتنين والله أركسهم، ج 8، ص 256، رقم 4589.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 494.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 209.

⁵ في ابن جزى: "تفعل".

⁶ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 210.

⁷ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 210.

رحمته"¹، صفة للشيطان ثانية. وقال البغوي: ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ لعنه الله، لأنهم إذا عبدوا الأصنام، فقد أطاعوا الشيطان"². ﴿وَقَالَ﴾ الشيطان ﴿لَا تَخْذَنْ﴾ لأصيرن أو لأتناولن ﴿مِنْ﴾ تبعية، إن كانت اتخذ بمعنى صير، فالمفعول الأول محذوف، و﴿مِنْ﴾ ومدخولها في موضع الصفة له، أي لأتخذن فريقاً ﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾. والثاني: ﴿نَصِيبًا﴾ وإن كانت بمعنى أتناول ﴿نَصِيبًا﴾ مفعولها، و﴿مِنْ عِبَادِكَ﴾ حال منه، قاله صاحب هذا التفسير، والله تعالى أعلم. ﴿عِبَادِكَ﴾ بالإثبات، يعني لعنه الله ﴿نَصِيبًا﴾ حظاً لي أغويهم ﴿مَّفْرُوضًا﴾ صفة لـ ﴿نَصِيبًا﴾. قال ابن جزى: "﴿مَّفْرُوضًا﴾ أي فرضته لنفسي من قولك: فرض للجند وغيرهم، والمراد بهم أهل الضلال"³. انتهى. وقال في الباب: "يعني حظاً مقدراً معلوماً، فكل ما أطيع فيه إبليس نصيبه ومفروضه، وأصل الفرض القطع، وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته، ويقبلون وساوسه"⁴. انتهى. فاصلة الآية السابعة. وقال في الضياء: "﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ واجباً لي، أدعوهم إلى طاعتي، ولي من كل ألف منهم، تسعة وتسعون وتسعمائة. وقوله: وقال: عطف على ﴿لَعْنَهُ﴾ فهو من عطف الصفة على الصفة، أي شيطاناً مريداً جامعاً بين لعنة الله، وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس، برهن الله على أن الشرك ضلال بعيد، بكون آلهتهم جمادات مؤنثات تنافي الألوهية، وبأنه طاعة شيطان، وهي أقبح الضلال، لأنه مريد ملعون بالغ الغاية في عداوتهم، والسعي في هلاكهم، فموالات هذا ضلال بعيد"⁵. انتهى. وقال الثعالبي: "والمفروض معناه في هذا الموضع المنحاز، وهو مأخوذ من الفرض، وهو الحز في العود وغيره. قال ابن

¹ السيوطي، تفسير الجلالين، ص122.

² البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص158.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص210.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص431.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص209.

عطية: "يحتمل أن يريد واجباً إن اتخذه، وبعث النار هو نصيب إبليس"¹. انتهى². وقد مر أنه تسع وتسعون وتسعمائة من كل ألف ﴿وَلَا ضَلَّاهُمْ﴾ من مقول الشيطان عطف على ﴿لَا تَخْذَنْ﴾ والمعنى: لأصرفهم عن طريق الهدى، والمراد به التزيين والوسوسة، وإلا فليس له من الإضلال شيء ﴿وَلَا أُمَيَّنَهُمْ﴾ "ألقي في قلوبهم طول الحياة، وأن لا بعث ولا حساب"³. انتهى، قاله السيوطي. وقال في الباب: "قال ابن عباس: يريد تسويق⁴ التوبة وتأخيرها. وقال الكلبي: أمينهم أن لا بعث ولا جنة ولا نار. وقيل: أمينهم إدراك الجنة مع عمل المعاصي. وقيل: أزين لهم ركوب الأهواء والأهوال الداعية إلى العصيان. وقيل: أمينهم طول البقاء في الدنيا ونعيمها، ليؤثروها على الآخرة"⁵. انتهى. وقال الثعالبي: "لأمينهم لأسولن لهم، وأمانيه لا تنحصر"⁶. انتهى. وقال ابن جزى: "﴿وَلَا أُمَيَّنَهُمْ﴾ أي أعدهم الأماني الكاذبة"⁷. انتهى. وتحصل عندي من ما مر أن قوله: ﴿وَلَا أُمَيَّنَهُمْ﴾ يفسر بالوساوس والتزيين، فيكون من تمنى بمعنى قرأ⁸، ومفسر بما هو من المنية التي هي التشهي والحب، والله تعالى أعلم. ﴿وَلَا مَرَّتَهُمْ﴾ هو والذي قبله من مقول الشيطان أيضاً، أي لأطلب منهم أن يفعلوا هذه المعصية التي هي فتك آذان الأنعام ﴿فَلْيُبَتِّكُنَّ﴾ يقطعن ويشقن ﴿ءَاذَانَك﴾ بالإثبات، جمع أذن ﴿الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم، بالحذف. قال في الباب: "يعني يقطعونها ويشقونها، وهي البحيرة، وذلك أنهم كانوا يحرقون أي يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن، وجاء الخامس ذكراً، وحرّموا على أنفسهم الانتفاع بها ولا

¹ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص114.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص494.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص122.

⁴ في الخازن: "تسويق".

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص431.

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص494.

⁷ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص210.

⁸ ابن منظور، لسان العرب، مادة م ن ي، ج15، ص292.

يردوهم¹. ﴿فَلْيَبْتِكُنَّ﴾ يقطعن آذان الأنعام لتحريمه كما فعل بالبحائر. قال ابن العربي في الأحكام²: "وهو تعذيب للحيوان، وتحريم³ بالطغيان، والآذان جمال للأنعام ومنفعة، فلذا نحى عن المقطوعة والمشقوقة في الأضحى، إذا جاوز الثلث، لكن ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسم الغنم في آذانها⁴، ويشعر⁵، أي يشق جلد الهدي، وهذا مستثنى، وكذا وسم الإبل والدواب بالنار في أعناقها وأفخاذها مستثنى من تغيير خلق الله، وأما الخصاء، فمعصية في الآدمي، مكروه في البهائم، وقيل: جائز، وعليه الأكثر. انتهى. قوله: فمعصية، أعلم أن خصاء الآدمي حرام إجماعاً. ﴿وَلَا مَرْتَهُمْ﴾ أي لأطلبن منهم أن يفعلوا هذه المعصية التي هي تغيير خلق الله تعالى. ﴿فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ يجعله غير ما كان، والخلق هنا اسم عين. قال ابن جزى: "التغيير هو الخصاء وشبهه، وقد رخص جماعة من العلماء في خصاء البهائم، إذا كان فيه منفعة، ومنعه بعضهم لظاهر الآية. وقيل: هو الوشم وشبهه، ويدل على هذا الحديث الذي لعن فيه: >الواشحات، والمستوشمات، والمتمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله<⁶". انتهى⁷. وقال في الباب: ﴿فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: دين الله، وهو تحليل الحرام، وتحريم الحلال. وقيل: تغيير خلق الله، هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها. ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: >كل مولود يولد

¹ في الخازن: "ولا يردونها عن ماء ولا مرعى". الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص431.

² ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص478.

³ في ابن العربي: "وتحريم وتحليل بالطغيان".

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 72 الذبائح والصيد، باب 35 الوسم والعلم في الصدرة، ج9، ص670، رقم5542.

⁵ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 25 الحج، باب 106 من أشعر وقلد بذى الحليفة ثم أحرم، ج3، ص542، رقم1695.

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 77 اللباس، باب 82 المتفلجات للحسن، ج10، ص372، رقم5931. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 37 اللباس والزينة، باب 33 تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، ج3، ص1678، رقم2125.

⁷ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص210.

على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه¹. وقيل: يحتمل أن يحمل هذا التغيير على تغيير أحوال تتعلق بظاهر الخلق، مثل: الوشم، ووصل الشعر. ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: <لعن الله الواشمات، والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله>². أخرجاه من رواية ابن مسعود، ولهما عن أسماء³ قالت: "لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة"⁴. وقيل: تغيير خلق الله هو الاختصاص وقطع الآذان، حتى إن بعض العلماء حرمه، وكره أنس خصاء الغنم، وجوّزه بعض العلماء، لأن فيه غرضاً ظاهراً. وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: "لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون⁵ البتل لاخفين"¹. البتل هو ترك النكاح، والانقطاع للعبادة. عن

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 23 الجنائز، باب 92 ما قيل في أولاد المشركين، ج3، ص245، 246، رقم1385.

² تقدم تخريجه قبل قليل.

³ أسماء بنت أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان، أم عبد الله القرشية، التيمية، المكية، ثم المدنية، والدها الخليفة عبد الله بن الزبير، وأخت أم المؤمنين عائشة، وآخر المهاجرات وفاءً، روت عدة أحاديث، وعمرت دهرًا، وتُعرف بذات النطاقين، حدّث عنها: ابنها عبد الله وعروة، وحفيدها عبد الله بن عروة، وحفيده عبّاد بن عبد الله، وابن عباس، وأبو واقد الليثي، وعدة، وكانت أسنّ من عائشة ببضع عشرة سنة. قال الواقدي: كان سعيد بن المسيّب من أعبر الناس للرؤيا، أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر، وأخذت عن أبيها، وقد روت ثمانية وخمسين حديثًا نبويًا، وماتت بعد ابنها بليال، وكان قتله رضي الله عنه لسبع عشرة خلت من جمادى الأول، سنة 73هـ. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج7، 488486. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص378374، رقم الترجمة 284. بتصرف.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 77 اللباس، باب 83 الوصل في الشعر، ج10، ص374، رقم5936. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 37 اللباس والزينة، باب 33 تحريم فعل الواصلة والمسنوطة والواشمة والمستوشمة، ج3، ص1676، رقم2122.

⁵ عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي، أبو السائب، صحابي، كان من حكماء العرب في الجاهلية، أسلم بعد 13 رجلاً، هاجر إلى الحبشة مرتين، شهد بدرًا، قبله النبي صلى الله عليه وسلم ميتًا، حتى رؤيت دموعه تسيل على خد عثمان، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وأول من دفن بالبقيع منهم. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص461 وما بعدها. الزركلي، الأعلام، ج2، ص214. بتصرف.

نافع قال: "كان ابن عمر يكره الاختضاء، ويقول: إن فيه نماء الخلق"². أخرج مالك في الموطأ. ومعناه في ترك الاختضاء نماء الخلق، يعني زيادته. وقال ابن زيد: هو التخثث، وهو أن يتشبه الرجل بالنساء في حركاتهن، وفي كلامهن ولباسهن، ونحو ذلك. وقيل: تغيير الخلق هو أن الله تعالى خلق البهائم والأنعام للركوب والأكل، فحرّمها على أنفسهم، وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والأحجار لمنفعة الناس، فعبدها من دون الله"³. انتهى. وقال في الضياء: "وعن مجاهد وابن عباس: ﴿حَلَقَ اللَّهُ﴾ دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها. قال البيضاوي: "ويندرج فقاً عين الحامي، وخصاء العبد، والجمل الأربع حكاية عما ذكره الشيطان، نطقاً أو أتاه فعلاً"⁴. انتهى⁵. وقال الثعالبي: "واختلف المتأولون في تغيير خلق الله، وملاك تفسير هذه الآية أن كل تغيير ضار فهو داخل في الآية، وكل تغيير نافع حلال، وجاز أن يدخل في الآية كل ما نهى الله عنه من معاصيه، والترك لطاعته. قال ابن عطية: "واللامات كلها للقسم"⁶. ﴿وَلَا ضَلَّيْنَهُمْ﴾ مفعوله محذوف، أي عن الهدى، وكذا ﴿وَلَا مُنِيْنَهُمْ﴾ أي بالباطل⁷، وكذا ﴿وَلَا مُرِيْنَهُمْ﴾ بالبتك⁸، وكذا ﴿وَلَا مُرِيْنَهُمْ﴾ بالتغيير، ﴿فَلْيَغْيِرْ﴾ كل ما أوجده الله للطاعة، فيستعينون به في المعصية"⁹. انتهى. ﴿اللَّهُ وَمَنْ يَتَّخِذِ﴾ يصير ﴿الشَّيْطَانَ﴾ بالحذف ﴿وَلِيًّا﴾ ربّاً يطيعه فيما يأمره به، أو ناصرًا

¹ في البخاري: "لاختصينا". البخاري، صحيح البخاري، كتاب 67 النكاح، باب 8 ما يكره من التبتل والحضاء، ج 9، ص 117، رقم 5074.

² مالك بن أنس، الموطأ، كتاب الجامع، السنة في الشعر، ص 814، رقم 110.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 431، 432.

⁴ البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 2، ص 118.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 209.

⁶ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 2، ص 114.

⁷ في الثعالبي: "الباطل".

⁸ البتاك: القطع. ابن منظور، لسان العرب، مادة ب ت ك، ج 10، ص 395.

⁹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 494، 495.

﴿مَنْ﴾ تبعية ﴿دُون﴾ غير ﴿الله﴾ يظهر لي فيه أنه حال لازمة من الشيطان، وهذا تأويل، ويظهر لي أيضًا أن الدون بمعنى الديني الخسيس، وأن ﴿يَتَّخِذِ﴾ بمعنى يتناول و﴿دُون﴾ على المعنيين قبلك أربع ﴿فَقَدْ خَسِرَ﴾ هلك ﴿خُسْرَانًا﴾ بالإثبات، هلاكًا ﴿مُبِينًا﴾ بينًا ظاهرًا، فاصلة الآية الثامنة. وفي الآية إشارة بديعة، وذلك أن المتخذ باع ما عند الله بالشيطان، لخبر الدنيا والآخرة، فما ربح تجارته، وما كانوا مهتدين. قال في اللباب: "يعني يتخذه ربًا يطيعه فيما يأمره به. وقيل: الولي من الموالات، وهو الناصر، فقد خسر خسرانًا مبينًا، لأن طاعة الشيطان توصله إلى جهنم، وهي غاية الخسران. وفي الآية سؤالان: الأول: قال: ﴿لَا تَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (١١٨) والنصيب المفروض هو الشيء المقدر والقليل¹. وقال في موضع آخر: ﴿لَا تَحْنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٢) وقال: ﴿لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ (٨٢)² وهو استثناء القليل من الكثير، فكيف وجه الجمع؟ فالجواب: أن الكفار الذين هم حزب الشيطان، وإن كانوا أكثر من المؤمنين في العدد، لكنهم أقل من المؤمنين في الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله، والمؤمنون وإن كانوا أقل من الكفار، لكنهم أكثر منهم، لأن لهم الفضل والشرف والسؤدد والغلبة في الدنيا، وعلو الدرجة في الآخرة، وأنشد بعضهم في المعنى³: [الكامل]

وهم الأقل إذا تعد عشيرة ~ والأكثر إذا يعد السؤدد

وقيل: إن إبليس لما لم ينل من آدم ما أراد، ورأى الجنة والنار، علم أن لهذه أهلاً، ولهذه أهلاً، فقال: ﴿لَا تَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (١١٨) يعني الذين هم أهل النار. السؤال الثاني: من أين لإبليس العلم بالعواقب، حتى يقول: ﴿وَلَا ضَلَلَنَّهُمْ وَلَا مَنِيتَهُمْ﴾

¹ في الخازن: "القليل".

² ص، 82، 83.

³ قائله مجهول.

وَلَا مُرْتَنَهُمْ ﴿١٧﴾ وقال في الأعراف: ﴿وَلَا تَحْدُ أَكْثَرُهُمْ شُكْرِيكَ﴾¹ وقال في بني إسرائيل: ﴿لَا حَتَنِكَ ذُرِّيَّتُهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾² ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أن إبليس ظن أنه تقع منه هذه الأمور التي يريدونها منهم، فحصل له ما ظنه، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ﴾³. الوجه الثاني: قال ابن الأنباري⁴: المعنى: لأجتهدن ولأحرصن في ذلك، لا أنه كان يعلم الغيب. الوجه الثالث: قال الماوردي⁵: من الجائز أن يكون قد علم ذلك من الملائكة، بخبر من الله تعالى، أن أكثر الخلائق لا يؤمنون⁶. وقال في الضياء: "﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ جليًا لا يحتاج إلى تأمل وروية، إذ ضيع رأس ماله، وبذل مكانه في الجنة بمكانه في النار"⁷. انتهى. ﴿يَعِدُّهُمْ﴾ الضمير يرجع إلى من من قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ﴾ باعتبار المعنى، أي يوسوس لهم، بأن لا جنة ولا نار، ويوسوس بطول العمر مثلاً، ووعدده مخلف ﴿وَيُؤْمِنِيهِمْ﴾ يلقي في قلوبهم أنهم ينالون المنى. قال في الباب: "يعدهم وبمئنيهم، يعني: الشيطان يعد حزبه وأوليائه، وبمئنيهم بوعده، وتمنيه إياهم ما يوقع في قلب الإنسان من طول العمر، ونيل الأماني من الدنيا ونعيمها

¹ الأعراف، 17.

² الإسراء، 62.

³ سبأ، 20.

⁴ لم أعثر عليه.

⁵ لم أعثر على القول. أبو الحسن الماوردي، الإمام، العلامة، أفضى القضاة، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، صاحب التصانيف الكثيرة في التفسير وأصول الفقه والأدب، وله كتاب "الحاوي"، من طالعه شهد له بالتبحر ومعرفة مذهب الشافعي، وله كتاب "أدب الدنيا والدين"، و"الأحكام السلطانية"، لكن قال أبو عمرو بن الصلاح: هو متهم بالاعتزال، وكان لا يرى صحة الرواية بالإجازة. مات في ربيع الأول سنة 450هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء ج11، ص403.405، رقم الترجمة 4261. بتصرف.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص432.

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص210.

ولذا تمّ، وكل ذلك غرور، فيجب على العاقل أن لا يلتفت إلى شيء منه مريح لم يطل عمره، ولم يحصل له ما أراك منها، ولئن طال عمره، وحصل مقصوده، فالموت وراءه ينحصر¹ عليه ما هو فيه. وقيل: ويمنيهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث، فاجتهدوا في تحصيل اللذات الدنيوية².

فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿وَيُمْنِيهِمْ﴾ بعد أن قال: ﴿وَلَا مُتَيْنَهُمْ﴾؟ فالجواب: أن ذلك من مقول الشيطان، أنه يفعل بهم ذلك، وهذا من مقول الله عز وجل، إيداناً بأن ما أخبر الشيطان أنه سيفعله فعله. قاله صاحب هذا التفسير: وقال صاحب الضياء: "يعددهم ما لا ينجز، كطول العمر، ويمنيهم ما لا ينالون في الدنيا"³. انتهى. وقال البغوي: "وقد يكون

الوعد بالتخويف بالفقر، فيمنعه من الإنفاق وصلة الرحم، كما قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾⁴ ويمنيهم بأن لا بعث ولا جزاء"⁵. انتهى. ثم أخبر أن الذي يعددهم الشيطان

غرور محض فقال: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بالحذف، قاله صاحب هذا التفسير، الوعد

والعدة أن يطعمك شخص في شيء يعطيكه ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ خدعاً، فاصلة الآية التاسعة. قال في القاموس: "غره غُرّاً وغروراً وغرة بالكسر، فهو مغرور وغيره، كأمره، خدعه وأطعمه بالباطل، فاغتر هو"⁶. انتهى المراد منه. وقال في مادة خدع: "خدعه كمنعه خدعاً، ويكسر، ختله وأراد به المكروه، من حيث لا يعلم، كاختدعه فانخدع، والاسم الخديعة، والحرب خدعة مثله، وكهمزة، وروى بمن جميعاً أي تنقضي بخدعة"⁷. انتهى المراد منه. فتحصل من هذا أن معنى قوله جل وعز: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أن هذا الذي يعد به من نيل

¹ في الخازن: "ينعص".

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص432.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص209.

⁴ البقرة، 268.

⁵ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص160.

⁶ الفيروزبادي، القاموس المحيط، باب الرء، فصل الغين، ص577.

⁷ الفيروزبادي، القاموس المحيط، باب العين، فصل الخاء، ص919.

الأماني لا حقيقة له، وإنما هو ختل¹ منه لهم، ليوقعهم في نار جهنم من حيث لا يعلمون، والعياذ بالله تعالى. وقال السيوطي: "﴿إِلَّا غُرُورًا﴾" باطلاً². وقال في الضياء: "﴿إِلَّا غُرُورًا﴾" باطلاً لا حقيقة له، وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر، وهذا الوعد إما بالخواطر الفاسدة، أو بلسان أوليائه³. انتهى. وقال في الباب: "﴿غُرُورًا﴾" باطلاً وضلالاً⁴. انتهى. وقال الثعالبي: "يعدهم بأباطيله من المال والجاه، ولا بعث ولا جزاء، ونحو ذلك، لكل أحد ما يليق بحلله⁵، وبمنهم كذلك، ثم ابتداء سبحانه الخبر عن حقيقة ذلك بقوله: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾"⁶. انتهى. وقوله: ﴿غُرُورًا﴾"⁷ يحتمل أن يكون منصوباً على أنه نائب عن المصدر، وعدا باطلاً، ويحتمل أن يكون مفعولاً ثانياً لوعده، وهو الظاهر، لما فيه من المبالغة، قاله صاحب هذا التفسير، والله تعالى أعلم. ﴿أُولَئِكَ﴾ بالحذف "يعني الذين اتخذوا الشيطان ولياً، قاله"⁸ في الباب. مبتدأ ﴿مَأْوَهُمْ﴾ مرجعهم ومستقرهم ﴿جَهَنَّمَ﴾ مبتدأ، وخبره والجملة خبر ﴿أُولَئِكَ﴾ ويقال: بئر جهنم كعملس، أي بعيدة القعر، ومنه جهنم، أعاذنا الله منها، بمنه وكرمه ﴿وَلَا يَحْذُونَ﴾ يصادفون ﴿عَنْهَا﴾ يعني جهنم، متعلق بما بعده، لأن تأخير المصدر لا يمنع من إعماله، وإن منع بحال منه ﴿مَحِيصًا﴾ قال في الباب: "يعني مفراً ومعدلاً، يعني: لا يعدلون عنها إلى غيرها، ولا بد

¹ "الْخُتْلُ تَخَادُّعٌ عَنْ غَفْلَةٍ". ابن منظور، لسان العرب، مادة خ ت ل، ج 11، 199.

² السيوطي، تفسير الجلالين، ص 123.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 210.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 432.

⁵ في الثعالبي: "بحاله".

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 495.

⁷ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 495.

⁸ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 432.

لهم من ورودها والخلود فيها"¹. انتهى. وقوله: ﴿عَنْهَا﴾ قال في الضياء: "حال من ﴿مَحْيَصًا﴾ وليس صلة له، لأنه اسم مكان، وإن جعل مصدرًا، فلا يعمل أيضًا فيما قبله"². انتهى. قوله: ﴿مَحْيَصًا﴾ فاصلة الآية المكملة للعشرين بعد المائة من سورة النساء. وقال الثعالبي: "﴿مَحْيَصًا﴾ من حاص إذا راغ ونفر، ومنه قول الشاعر³: [الطويل]

ولم ندر إن حصنا من الموت حيصة ~ كم العمر باق والمدى متطاول

ومنه الحديث: <فحاصوا حيصة حمر الوحش>⁴، ولما ذكر وعيد الكفار، أتبعه بوعد المؤمنين، فقال: ﴿وَالَّذِينَ﴾ جمع الذي، وهو اسم موصول، صيغ لوصف المعارف بالجمع ﴿ءَامَنُوا﴾ صدقوا بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بالحذف، من صلاة وزكاة وصيام وغيرها ﴿سَكُنْهُمْ جَنَّاتٍ﴾ بالحذف، جمع جنة، وهي لغة البستان، والمراد بها هنا الدار المعدة للمؤمنين في الآخرة، سميت بذلك لاشتغالها على الجنات ﴿تَجْرَى﴾ تضطرب وتطرد ﴿مِنْ﴾ ابتدائية متعلقة بـ ﴿تَجْرَى﴾، ﴿تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ جمع نهر، وهو الموضع الذي يجري فيه الماء، سمي بذلك لأن الماء ينهره، أي يحفره، وإسناد الجري إليه مجاز، لأن الجاري في الحقيقة الماء الذي فيه، وقولي تبعًا لغيره، لأن الماء يحفره، إنما هذا بالنسبة للمتعارف في الدنيا، وأما أنهار الجنة فإنها تجري في غير أخطود، أي في غير حفير ﴿خَالِدِينَ﴾ بالحذف، مقيمين ﴿فِيهَا﴾ لغو متعلق بـ ﴿خَالِدِينَ﴾، وهو حال من الضمير في ندخلهم، وهي مقدرة ﴿أَبَدًا﴾ أي زمنًا لا نهاية له، لا يموتون ولا يخرجون منها

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص432.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص210.

³ قاله جعفر بن علة الحارثي. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص206.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص495. البخاري، صحيح البخاري، كتاب 1 بدء الوحي، باب 6، ج1، ص33، رقم7.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ أي وعد الله ذلك وعدًا، مصدر مؤكد لنفسه، لأن مضمون الجملة التي قبله وعد، وهي تحتل أن تكون اسمية، وأن تكون فعلية اشتغالية ﴿حَقًّا﴾ "مصدر مؤكد لـ ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾" ¹، قاله ابن جزي، أي حقه حقًا، قاله غير واحد، أي أوجبه إيجابًا، والذي أوجبه الله، كائن لا محالة، ويحتمل عندي أن يكون معناه صدقًا، أي صدق وعده صدقًا، لأن الحق يطلق على الصدق، ويكون مصدرًا من حقه، بمعنى أوجبه، وقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ هذا اللفظ وقع في الكتاب العزيز، في أحد عشر موضعًا، نظمها الشيخ السخاوي ² بقوله ³: [الرجز]

| | | |
|--------------------------|---|--|
| وأبداً من بعد خالدين | ~ | فيها بإحدى عشرة يقينا |
| ففي النساء لا تعد الأولا | ~ | واعدد ثلاثاً بعده محصلا |
| وفي العقود رابع قد قعا | ~ | بها أخيراً نوره قد سطعا |
| ومثله الأول والأخير في | ~ | براءة وهو في الأحزاب اقتفي |
| وثامن في سورة التغابن | ~ | وفي الطلاق تاسع الأماكن |
| وعاشر في الجن والبريه | ~ | فيها تمام ⁴ العدة الوفيه ⁵ |

¹ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص210.

² السخاوي، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عطّاس الحمداوي، المصري السخاوي، الشافعي، نزيل دمشق، الشيخ، الإمام، العلامة، شيخ القراء والأدباء، علّم الدين. ولد سنة 558هـ، كان إمامًا في العربية، بصيرًا باللغة، فقيهاً، مفتيًا، عالمًا بالقراءات وعللها، مجودًا لها، بارعًا في التفسير، صنّف وأقرأ وأفاد، وروى الكثير، وبُعِدَ صيته، وتكاثر عليه القراء، له: "شرح الشاطبية"، و"الرائية"، و"جمال القراء"، و"منير الدياجي في الآداب". توفي سنة 643هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص124.122، رقم الترجمة94. بتصرف.

³ السخاوي، هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبين متشابه الكتاب، ج1، ص3.

⁴ في السخاوي: "كمال".

⁵ السخاوي، هداية المرتاب، ص73، 74.

﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ قولاً، فاصلة الآية الأولى بعد العشرين والمائة. قال في الضياء: "جملة مؤكدة بليغة، لدلالاتها على صدق إخبار، وأن لا أصدق منه، وهذه المبالغات بإزاء مبالغات إبليس الكذاب"¹. انتهى. وقوله: ﴿أَبَدًا﴾ قال الخازن: "يعني بلا انتهاء ولا غاية، والأبد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا انقضاء له، ولا يتجزأ، بخلاف غيره من الأزمنة، لأنه لا يقال: أبد كذا، كما يقال: زمن كذا، وفي قوله: ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ دلالة على أن الخلود لا يفيد التأييد والدوام، لأنه لو أفاد ذلك لزم التكرار، وهو خلاف الأصل، فعلم بذلك أن الخلود عبارة عن طول الزمان، لا على الدوام، فلما اتبع الخلود بالأبد، علم أنه يراد به الدوام الذي لا ينقطع ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ يعني: وعد الله ذلك الذي ذكر وعداً حقاً ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ يعني: ليس أحد أصدق من الله، وهو تأكيد بليغ لقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾². انتهى. "ثمن". ولما ذكر ما للفريقين من الجزاء، أخبر بأن ذلك غير معلق بمعين، وإنما هو معلق بالعمل، من أي صنف كان العامل، فمن حسن عمله فله الحسن، ومن عمل سوءاً فله السوء، ولا عبرة بالأمني، فقال جلت قدرته: ﴿لَيْسَ﴾ قال في الضياء: "ليس ثواب الله المذكور ينال بأمانيككم ولا أمني أهل الكتاب"³. وقال في اللباب: "والمعنى ليس الأمر بالأمر بالأمني، إنما الأمر بالعمل الصالح"⁴. انتهى. وقال ابن جزى: "اسم ﴿لَيْسَ﴾ مضمّر تقديره الأمد وشبهه"⁵. انتهى. قولهما الأمر ليس المعنى به أن اسم ليس ضمير الأمر والشأن، لأنه لا بد له من جملة خبرية تفسره مصرحاً بجميعها، بل المراد به الثواب

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص210.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص432، 433.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص210.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص433.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص210، 211.

أو الجزاء، كما في الضياء¹. ﴿يَأْمَانِيَكُمْ﴾ بالإثبات، جمع أمانة. قال الثعالبي: "الأمنية ما يشتهي المرء، ويطمع فيه نفسه"². انتهى. وقال في الباب: "الأمنية هي الصورة الحاصلة في النفس، من تمنى الشيء، إذا وقع في نفسه وأرادته"³. انتهى. وقوله: ﴿يَأْمَانِيَكُمْ﴾ خبر ﴿لَيْسَ﴾ ويظهر أن الباء للآلة، وليست بزائدة، وأن الخبر نحوه مطلق، أي ليس الثواب الذي هو الفوز بالنعيم حاصلاً بأمانيتكم، ولا أمانى أهل الكتاب، وإنما يحصل بالعمل الصالح والخطاب، في قوله: ﴿يَأْمَانِيَكُمْ﴾ للمسلمين. وقيل: الخطاب للمشركين ﴿وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ بالحذف، اليهود والنصارى. قال الثعالبي: "قال ابن عباس وغيره: الخطاب لأمة النبي صلى الله عليه وسلم. وفي مختصر الطبري⁴ وغيره قال: احتج المسلمون وأهل الكتاب، فقال المسلمون: نحن أهدى، وقال أهل الكتاب: نحن أهدى، فأنزل الله هذه الآية"⁵. انتهى. وقال في الباب: "وذلك أنهم افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، فنحن أولى بالله منكم. وقال المسلمون: نبينا خاتم الأنبياء، وكتابنا يقضي على الكتب، وقد آمننا بكتابكم، ولم تؤمنوا بكتابنا، فنحن أولى بالله منكم"⁶. انتهى. وعلى القول بأن الخطاب للمشركين يكون المعنى: قال المشركون: لن نبعث، ولن نعذب، ولن نحاسب. وقالت اليهود والنصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وقالوا: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات، فأكذبهم الله تعالى، وبَيَّنَّ أن الأمر ليس بأمانى المشركين، ولا بأمانى أهل الكتاب، وإنما هو بالعمل الصالح. ولما نفى جل وعز أن الثواب لا يكون بأمانيتهم، بيَّنَّ ما يكون به الثواب، فقال: ﴿مَنْ يَعْمَلْ﴾ يفعل ﴿سَوْءًا يُجْزَ﴾ شرّاً ﴿بِهِ﴾ قال السيوطي: "إما

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص210.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص496.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص433.

⁴ لم أعثر عليه.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص496.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص433.

في الآخرة، وإما في الدنيا، بالبلاء والمحن، كما ورد في الحديث¹. انتهى. وقال في اللباب: "قال الضحاك: يقول ليس لكم ما تمنيتم، وليس لأهل الكتاب ما تمنوا، ولكن من عمل سوءًا شرًّا، فمات عليه، يجز بالنار. وقال الحسن: هذا في حق الكفار خاصة، لأنهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير، ولا يجزى المؤمن بسوء عمله يوم القيامة، ولكن يجزى بأحسن عمله، ويتجاوز عن سيئاته، ويدل على صحة هذا القول سياق الآية، وهو قوله: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ

اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٢٣) وهذا هو الكافر، وأما المؤمن فله ولي ونصير. وقال آخرون: هذه الآية في حق كل من عمل سوءًا، من مسلم وكافر. قال ابن عباس: هي عامة في حق كل من عمل سوءًا، فإنه يجزى به، إلا أن يتوب قبل أن يموت، فيتوب الله عليه. وقال ابن عباس: في رواية أبي صالح عنه: لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة، وقالوا: يا رسول الله، أئنا لم يعمل سوءًا غيرك! فكيف الجزاء؟ قال: >منه ما يكون في الدنيا، فمن يعمل حسنة، فله عشر حسنات، ومن جوزي بالسيئة، نقصت واحدة من عشرة، وبقيت له تسع حسنات، فويل لمن غلب آحاده عشراته، وأما ما كان جزاء في الآخرة، فيقابل بين حسناته وسيئاته، فيلقى مكان كل سيئة حسنة، وينظر في الفضل، فيعطى الجزاء في الجنة، فيؤتى كل ذي فضل فضله<². ويدل على صحة هذا القول ما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: >قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، والشوكة يشاكها<. أخرجه مسلم³. وعن أبي بكر الصديق قال: "كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٢٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: >يا أبا بكر، ألا أقرئك آية أنزلت علي؟<، قلت: بلى، يا رسول الله، فأقرأنيها، فلا أعلم إلا

¹ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج1، ص11. السيوطي، تفسير الجلالين، ص123.

² لم أعثر عليه.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب 14 ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، ج4، ص1993، رقم2574.

أني وجدت انقصاً في ظهري، فتمطيت¹ لها، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: > ما شأنك، يا أبا بكر؟ <، قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، وأتينا لم يعمل سوءاً، وإنا لمجزون بأعمالنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: > أما أنت يا أبا بكر والمؤمنون، فيجزون بذلك في الدنيا، حتى تلقوا الله، وليس لكم ذنوب، وأما الأخرى، فيجمع ذلك لهم، حتى يجزوا به يوم القيامة <². أخرجه الترمذي، وقال: "هذا حديث حسن³ غريب، وفي إسناده مقال". وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي بكر، وليس له إسناده صحيح⁴. انتهى.

وقال ابن جزى: "﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ وعيد حتم في الكفار، ومقيد بمشيئة الله في المسلمين"⁵. انتهى. وقال الثعالبي: "﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ قال جمهور المفسرين: لفظ الآية عام بالمؤمن والكافر، فأما مجازات الكافر فالنار، وأما المؤمن فبنكبات الدنيا، فمن بقي له سوء إلى الآخرة ﴿مَنْ دُونَ اللَّهِ﴾ فهو في المشيئة يغفر الله لمن يشاء، ويجازي من يشاء"⁶. انتهى.

﴿وَلَا يَجِدْ﴾ لا يصادف ﴿لَهُ﴾ الضمير عائد على ﴿مَنْ﴾ من قوله: ﴿سُوءًا﴾ حال من ﴿وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(١٢٣) واللام عندي للاستحقاق ﴿وَلِيًّا﴾ يمنعهُ ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصره، أي يعينه، فاصلة الآية الثانية. قال في الباب: "قال ابن عباس: ﴿وَلِيًّا﴾ يمنعهُ ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصره"⁷. انتهى. وقال السيوطي: "﴿وَلِيًّا﴾ يحفظه

¹ "مطا إذا فتح عينيه، وأصل المطو المد في هذا، ومطا إذا تمطى، ومطا الشيء مطواً مدّه، ومطا بالقوم مطواً مدّ بهم، وتمطى الرجل تمدّد". ابن منظور، لسان العرب، مادة م ط ي، ج 15، ص 284.

² الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 48 تفسير القرآن، باب 5 ومن سورة النساء، ج 5، ص 231، 232، رقم 3039، قال الترمذي: "هذا الحديث غريب".

³ غير موجودة في الترمذي.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 433.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 211.

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 496.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 433.

﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يمنعه منه"¹. انتهى. وقال في الباب: "فإن قلنا: هذه الآية في حق الكفار خاصة، فتأويلها ظاهر، وإن قلنا: إنها في حق كل عامل من مسلم أو كافر، فإنه لا ولي لأحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر، فالمؤمنون لا ولي لهم غير الله، وشفاعة الشافعين تكون بإذن الله، فليس يمنع أحد أحدًا من الله"². انتهى. ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ﴾ تبعيضية ﴿الصَّالِحَاتِ مِنْ﴾ بيانية ﴿ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ جملة حالية. قال الثعالبي: "دخلت ﴿مِنْ﴾ التبعيضية على الصالحات، إذ الصالحات على الكمال، مما لا يطيقه البشر، ففي هذا رفق بالعباد، لكن في هذا البعض الفرائض، وما أمكن من المندوب إليه، ثم قيد الأمر بالإيمان، إذ لا ينفع عمل دونه"³. قال مسروق: ولما نزل: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم فيه سواء، فنزلت هذه الآية. قال المفسرون: بين الله تعالى بهذه الآية فضيلة المؤمنين على غيرهم، ولفظة ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ الصَّالِحَاتِ﴾ للتبعيض، لأن أحدًا لا يقدر أن يستوعب الصالحات بالعمل، فإذا عمل بعضها استحق الثواب. انتهى. ومعمول يعمل محذوف أي شيئًا ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ يخشون، أي الذين عملوا من الصالحات وهم مؤمنون ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ رد لقول أهل الكتاب، لما سمعوا: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ نحن وأنتم سواء، وقوله: ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ بالبناء للفاعل للجمهور، وللمفعول لأبي عمرو وابن كثير وأبي بكر وأبي جعفر وروح هنا، وفي مريم وغانفر، ووافقهم أويس⁴ في مريم وغانفر، "نشر"⁵. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ يعني الفريقين، فلا يزداد في سيئات من عمل سوءًا، ولا ينقص من حسنات الذين عملوا من الصالحات، وهم مؤمنون، أو الضمير في ﴿وَلَا﴾

¹ السيوطي، تفسير الجلالين، ص123.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص433.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص496.

⁴ في النشر: "رويس".

⁵ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص35.

يُظْلَمُونَ ﴿ عائد على المؤمنين ﴿ نَقِيرًا ﴾ قدره وهو النقرة التي في ظهر النواة، منها تنبت النخلة، ونقير بمعنى منقور، فاصلة الآية الثالثة. "والمعنى تمثيل بأقل الأشياء"¹، قاله ابن جزري. وقال في اللباب: "قال ابن عباس: يريد لا ينقصون قدر نقرة النواة، وهذا على سبيل المبالغة في نفي الظلم، ووعد بتوفية جزاء أعمالهم من غير نقصان"². انتهى. ﴿ وَمَنْ ﴾ استفهام بمعنى النفي، أي لا أحد ﴿ أَحْسَنُ ﴾ أجمل ﴿ دِينًا ﴾ عبادة، إذ الدين يطلق على العادة، وعلى العبادة، والمراد هنا العبادة ﴿ مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ أي انقاد له، وخضع له في سره، ويظهر لي أن اللام بمعنى إلى، ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾³ الآية. ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ جملة حالية، أي عامل للأعمال الصالحات وهو مخلص فيها، فيدخل فيه فعل الطاعات واجتناب السيئات. قال في اللباب: "واعلم أن دين الإسلام مبني على أمرين: أحدهما: الاعتقاد، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ يعني انقاد لله وخضع له في سره وعلا نيته. وقيل: معناه أخلص طاعته لله. وقيل: فوض أمره إلى الله. الأمر الثاني من مباني الإسلام العمل، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ يعني في عمله لله، فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيئات. وقال ابن عباس في تفسير قوله: ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾: يريد وهو موحد لله عز وجل، لا يشرك به شيئاً. قال العلماء: وإنما صار دين عن الإسلام أحسن الأديان فيه طاعة لله ورضاه، وإنما خص الوجه بالذكر في قوله: ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ لأنه أشرف الأعضاء، فإذا انقاد بوجهه لله، وخضع له، فقد انقاد لله جميع الأعضاء، لأنها تابعة له"⁴. انتهى. وقال في الضياء: "﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ أي انقاد وأخلص له عمله. عبر عن الذات بالوجه، لأنه أشرف الأعضاء، ومحل السجود الذي هو أقصى

¹ ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص211.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص434.

³ لقمان، 22.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص434.

الخشوع"¹. انتهى. واعلم أنه جلت قدرته شرح في هذه الآية الإيمان، وبَيَّن فضله، فقال:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ وذكر في التي قبلها أن الجنة لمن عمل من الصالحات وهو مؤمن، فاحتاج إلى تبين الإيمان، فبينه في هذه، وبين في أول التي قبلها أن المسيء لا يجد من ينصره من دون الله، وبَيَّن أن الفريقين لا يظلمون نقيراً، وبَيَّن في التي قبلهما أن المؤمنين يدخلون الجنة، وبَيَّن أن ذلك الوعد صادق، وأكد ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(١٢٢) ، وبَيَّن في التي قبل ذلك أن من اتخذ الشيطان ولياً من دون الله خسر ودخل جهنم. وقال في الضياء: "﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مخلص في ذلك العمل، فسرّه الحديث بـ <أن تعبد الله كأنك تراه>"². انتهى. ﴿وَاتَّبَعَ﴾ فاعله ضمير يعود على من، وهو معطوف على ﴿أَسْلَمَ﴾، ﴿مِلَّةٌ﴾ أي دين ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ بالحذف، عبر بالاتباع، وهو في الأصل المشي خلف الشيء، لما فيه من إفادة الانقياد الكامل، لأن التابع يقفو المتبع، ولا نظر له إلا في المحافظة على الاتباع، وعدم الانحراف عن المتبع، والله تعالى أعلم.

﴿حَنِيفًا﴾ "مسلمًا مخلصًا، والحنيف المائل، ومعناه: المائل عن الأديان كلها إلا دين الإسلام، لأن ما سواه من الأديان باطل، و﴿حَنِيفًا﴾ يجوز أن يكون حالاً من إبراهيم عليه السلام، ويجوز أن يكون حالاً من المتبع"³. قال صاحب هذا التفسير: وهذا الاسم يشعر بأن الغالب في الناس الكفر، في أول أمر إبراهيم والنبي صلى الله عليه وسلم، لأن الخارج عما اعتاده الناس يقولون له: صابئ أو حنيف أو نحو ذلك، والله تعالى أعلم. "قال ابن عباس: ومن دين إبراهيم الصلاة إلى الكعبة، والطواف بها، ومناسك الحج، والختان، ونحو ذلك"⁴، قاله في اللباب.

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص210.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 2 الإيمان، باب 37 سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم والإحسان، ج1، ص114، رقم50. عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص210.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1 ص434.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص434.

وقال¹: "فإن قلت: إن ظاهر الآية يقتضي أن شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع إبراهيم عليه السلام، وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به، وليس الأمر كذلك فما الجواب؟ قلت: إن شرع إبراهيم وملته داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته، مع زيادات كثيرة حسنة، خص الله بها محمدًا صلى الله عليه وسلم، فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم، فقد اتبع ملة إبراهيم عليه السلام، لأنها داخلية في ملة محمد صلى الله عليه وسلم، وشرع إبراهيم داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ لأن إبراهيم كان يدعو إلى توحيد الله وعبادته، وخصه بالذكر، لأنه كان مقبولاً عند جميع الأمم، فإن العرب كانوا يفتخرون بالانتساب إليه، وكذلك اليهود والنصارى، وإذا ثبت هذا، وأن شرعه كان مقبولاً عند الأمم، وأن شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع إبراهيم وملته، لزم الخلق الدخول في دين محمد، وقبول شرعه وملته. انتهى. وقال الثعالبي: "ثم أخبر تعالى إخباراً موقفاً على أنه لا أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله، أي أخلص مقصده وتوجه وأحسن في أعماله، واتبع الحنيفية ملة إبراهيم، إمام العالم، وقدوة الأديان. ثم ذكر تعالى تشريعه لنبيه إبراهيم عليه السلام، باتخاذ خليلاً، إذ كان خلوصه وعبادته واجتهاده على الغاية التي يجره إليها المحب البالغ"²، فقال سبحانه: ﴿وَأَتَّخِذَ صِيراً وَجَعَلَ﴾ **اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ** بالحذف **﴿خَلِيلاً﴾** فاصلة الآية الرابعة. قال في الباب³: "يعني صفيّاً، والخلة صفاء المودة. وقيل: الخلة الافتقار والانقطاع، فخليل الله المنقطع إليه، وسمي إبراهيم خليلاً، لأنه انقطع إلى الله في كل حال. وقيل: الخلة الاختصاص والاصطفاء، وسمي إبراهيم خليلاً لأنه والى في الله، وعادى في الله. وقيل: لأنه تخلق بأخلاق حسنة، وخلال كريمة. وقيل: الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل. وسمي إبراهيم خليل الله، لأنه أحبه محبة كاملة، ليس فيها نقص ولا خلل. وأنشد في معنى الخلة هي التي بمعنى المحبة⁴: [الخفيف]

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص434.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص496، 497.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص434.

⁴ قائله مجهول.

قد تخللت مسلك الروح مني ~ وبذا سمي الخليل خليلاً

وقيل: الخليل من الخلّة، بفتح الحاء، وهي الحاجة، سميت خلّة للاختلال الذي يلحق الإنسان فيها، وسمي إبراهيم خليلاً، لأنه جعل فقره وفاقته وحاجته إلى الله تعالى، وخلّة الله تعالى للعبد هي تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وسر خلله ونصره والثناء عليه، وجعله إماماً للناس، يقتدى به. واختلفوا في السبب الذي اتخذ الله من أجله إبراهيم خليلاً، فقال ابن عباس: كان إبراهيم صلى الله عليه وسلم أبا الضيفان، وكان منزله على ظهر الطريق، يضيف به من مر به من الناس، فأصاب الناس شدة قحط، فقصد الناس باب إبراهيم، يطلبون منه الطعام، وكانت الميرة تأتيه من صديق له بمصر، فبعث إبراهيم غلماناً إلى خليله الذي بمصر، فقال خليله لغلمان إبراهيم: لو كان إبراهيم إنما يريد الطعام لنفسه لاحتملنا ذلك له، وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة، فرجع غلمان إبراهيم بغير طعام، فمروا ببطحاء من الرمل سهلة، فقالوا: لو حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس أننا قد جئنا به الميرة، فإننا نستحي أن نمر بهم وإبلنا فارغة، فحملوا من ذلك الرمل الغرائر¹ التي معهم، ثم أتوا إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم فأعلموه، وسارة نائمة، فاهتم لذلك، والناس ببابه، فغلبته عيناه، فنام، واستيقظت سارة، وقد ارتفع النهار، فقالت: سبحان الله، ما جاء الغلمان؟ قالوا: بلى، قالت: فجاءوا بشيء؟ قالوا: نعم، فقامت إلى الغرائر، ففتحتها، فإذا هي ملاء بأجود دقيق يكون حوارى، فأمرت الخبازين، فخبزوا، وأطعموا الناس، فاستيقظ إبراهيم، فوجد ريح الطعام، فقال: يا سارة، من أين لكم هذا؟ فقالت: من عند خليلك المصري، فقال: هذا من عند خليلي الله، قال: فيومئذ اتخذ الله خليلاً. وقيل: لما أراه الله ملكوت السماوات والأرض، وحاج قومه في الله، ودعاهم إلى توحيده، ومنعهم عبادة النجوم والشمس والقمر والأوثان، وبذل نفسه للإلقاء في النار، وبذل ولده للقربان، وماله للضيفان، اتخذ الله ﴿خَلِيلًا﴾ وجعله إماماً للناس يقتدى به، وجعل النبوة فيه وفي ذريته. وقيل: إن إبراهيم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه، لما كسر الأصنام، وعادى قومه في الله عز وجل، اتخذ الله خليلاً. وقيل: لما دخل عليه الملائكة، فظنهم

¹ "الغِرَارَةُ واحدة الغَرَائِر التي للثَبَن". ابن منظور، لسان العرب، مادة غ ر ر، ج 5، ص 11.

ضيِّقاً، ففقر إلىهم عجلاً مشوّياً، وقال: كلوا على شرطين: تسموا الله في أوله، وتحمّدوه في آخره. قال جبريل: أنت خليل الله، فمن يومئذ سمي إبراهيم خليل الله. وروى مسلم عن ابن عباس¹ قال: "جاء رجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا خير البرية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **<ذاك إبراهيم خليل الله>**"². وقد اتخذ الله محمداً صلى الله عليه وسلم خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً؛ فقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **<لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي، لاتخذت أبا بكر خليلاً>**³، وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: **<لو كنت متخذاً خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخي وصاحبي>**، وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً⁴. أخرجه مسلم. فقد ثبت بهذين الحديثين الخلّة للنبي صلى الله عليه وسلم، وزاد على إبراهيم عليه السلام المحبة لمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبّيه. فقد جاء في حديث عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **<وأنا حبيب الله، ولا فخر>**⁵. أخرجه الترمذي بأطول منه⁶. انتهى كلام صاحب اللباب. وقال القرطبي⁷: "وإبراهيم بالسريانية هو الأب الرحيم، حكاه المفسرون، والخليل الصديق المخلص، والخلّة بضم الخاء الصداقة والمودة، ويقال فيها أيضاً: خلالة بالضم والفتح والكسر، والخلّة بفتح الخاء الفقر والحاجة، والخلّة بكسرهما واحدة خلال السيوف، وهي بطائن أغشيتها،

¹ في صحيح مسلم: "أنس بن مالك".

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب 43 الفضائل، باب 41 من فضائل إبراهيم صلى الله عليه وسلم، ج4، ص1839، رقم2369.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 62 الصحابة، باب 3 قول النبي صلى الله عليه وسلم: **<سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر>**، ج7، ص12، رقم3654. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 44 فضائل الصحابة، باب 1 من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج4، ص1855، رقم2383.

⁴ انظر صحيح مسلم في المصدر السابق.

⁵ الترمذي، سنن الترمذي كتاب 50 المناقب، باب 1 في فضل النبي صلى الله عليه وسلم، ج5، ص548، 549، رقم3616. قال الترمذي: "هذا حديث غريب".

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص434، 435.

⁷ لم أعثر على القول.

والخلل الفرجة بين الشيئين، والجمع الخلال، واختلف في الخليل اسم إبراهيم عليه السلام من أي هذه المعاني والألفاظ أخذ؟ ف قيل: إنه مأخوذ من الخلطة بمعنى الصداقة، وذلك أنه صدق في محبة الله، وأخلص فيها، حتى آثر محبته على كل محبوباته، فبذل ماله للضيفان، وولده للقريان، وجسده للنيران. وقيل: من الخلطة التي بمعنى الفقر والحاجة، وذلك أنه افتقر إلى الله في حوائجه، ولجأ إليه في فاقته، حتى لم يلتفت إلى غيره، بحيث آلت حاله إلى أن قال له جبريل وهو في الهواء حين رمي في المنجنيق: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. وقيل: من الخلل، بمعنى الفرجة بين الشيئين، وذلك لما تخلل قلبه من معرفة الله تعالى ومحبته ومراقبته، حتى كأنه مزجت أجزاء قلبه بذلك، وقد أشار إلى هذا المعنى بعض الشعراء فقال: [الخفيف]

قد تخللت مسلك الروح مي ~ وبذا سمي الخليل خليلاً

ولقد جمع هذه المعاني وأحسن من قال في الخلطة: إنها صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخليل الأسرار والغنى عن الأغيار. انتهى. وقال ابن جزى: ﴿خَلِيلًا﴾ أي صفيًا، وهو مشتق من الخلطة، وفي ذلك تشریف لإبراهيم، وترغيب في اتباعه¹. انتهى. ولما دعى الله الخلق إلى طاعته وعبادته والانقياد لأمره، بين سعة ملكه، لترغب الخلائق إليه بالطاعة، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ بالحذف، وبتكرير ما ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا، وفيه أيضًا الإشارة إلى أنه يصطفي من يشاء ويخصه بما شاء. قال في الضياء: "وفيه الإشارة إلى احتياج الخليل إليه، وعدم احتياجه هو إلى الخليل"². انتهى. وقال في الباب: "وإنما قال ما ولم يقل من، لأنه ذهب به مذهب الجنس، والذي يعقل إذا ذكر، وأريد به الجنس ذكر بلفظة ما"³. انتهى. ﴿وَكَاكَ اللَّهُ﴾ أي لم يزل ﴿يَكُلُّ﴾ متعلق بالفاصلة، والباء للإلصاق ﴿شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ فاصلة الآية الخامسة. قال في الضياء: "إحاطة علم وقدرة، يجازي كلاً

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص211.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص210.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص435.

بعمله، ويختار من هو أهل للاختيار¹. انتهى. وقال في الباب: "يعني عالماً علم إحاطة، وهو العلم بالشئ من كل وجه، حتى لا يشذ عنه شئ، إلا علمه. وقيل: معناه: محيطاً بالقدرة عليه"². انتهى. وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ إلى ﴿مُحِيطًا﴾ هو جامع بين ما قبله وما بعده، فهو كالترجمة لما بعده، فيحفظون من مخالفته، ويجتهدون في الإتيان به، وكالحاقمة لما قبله، فكأنه أوصاهم بالتزامه، وعدم مخالفته، والاعتناء به، والله تعالى أعلم. وقال في الضياء: "ولما كان مبنى السورة على أحكام النساء، واستطرد أحكام الجهاد وأحوال المناقنين فيها، عاد إليها فقال: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾"³ "بالواو، أي يطلبون منك أن تفتيهم، أي تخبرهم عما يجب عليهم ﴿فِي﴾ أمر ﴿النِّسَاءِ﴾ قال ابن جزى: "أي يسألونك عما يجب عليهم في أمر النساء"⁴. انتهى. وقال في الباب: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يعني ويستخبرونك يا محمد في شأن النساء وحالهن، والاستفتاء طلب الفتوى، وهي إظهار ما أشكل من الأحكام الشرعية وكشفه وتبيينه. قال المفسرون: والذي استفتوه فيه هو ميراث النساء، وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الأولاد، فلما نزلت آية الميراث قالوا: يا رسول الله، نورث المرأة والصغير، فأجابهم الله بهذه الآية. ﴿قُلْ﴾⁵ لهم، يا محمد ﴿اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ يخبركم بما تصنعون ﴿فِيهِنَّ﴾ أي في شأنهن. قال في الباب: "قال ابن عباس: نزلت في بنات أم كحة"⁶، وقد تقدمت قصتهن في أول السورة، وقالت عائشة: "هي اليتيمة تكون في حجر الرجل، وهو

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص210، 211.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص435.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص211.

⁴ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص211.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص534.

⁶ أم كحة الأنصارية، ذكر الواقدي عن الكلبي في تفسيره عن أبي صالح عن بن عباس أن أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك ثلاث بنات وامراً يقال لها: أم كحة، فقام رجلان من بني عمه يقال لهما: سويد وعرفجة، فأخذوا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً، فجاءت أم كحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فنزلت آية الموارث. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج8، ص284، 285.

وليها، فيرغب في نكاحها إذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقها، وإذا كانت غير مرغوب فيها لقلة المال والجمال تركها¹. وفي رواية قالت: وهي اليتيمة تكون في حجر الرجل، وقد شركته في ماله، فيرغب عنها، فلا يتزوجها لذماتها، ويكره أن يزوجه غيرها، فيدخل عليه، ويشركه في ماله، فيحبسها حتى تموت، فنهاهم الله عن ذلك، وأنزل هذه الآية، فقال: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾². انتهى المراد منه. وقال في الضياء: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى في ميراث النساء، إذ لا يورثوهن في الجاهلية وفي نكاح اليتامى منهن ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾³ يبين لكم حكمه فيهن، والإفتاء تبين المبهم³. ﴿وَمَا﴾ عطف على اسم الله، أو على ضميره المستكن في ﴿يُفْتِيكُمْ﴾ قاله في الضياء. وفي الباب⁴: أنه عطف على الضمير المجزور به في، يعني ﴿فِيهِنَّ﴾، ﴿يُتْلَى﴾ يقرأ ﴿عَلَيْكُمْ فِي أَلْكِتَابِ﴾⁵ بالحذف، "القرآن وقوله الله توطئة وما يتلى هو المقصود"⁵ قاله في الضياء. وقال في الباب: "والمعنى أن الله يفتيكم في النساء بما أنزل في كتابه عليكم. وقيل: المراد بالكتاب اللوح المحفوظ، والغرض منه تعظيم حال هذه الآية، وأنها في اللوح المحفوظ، وأن العدل والإنصاف في حقوق اليتامى من أعظم الأمور عند الله تعالى التي تجب مراعاتها، وأن المخل بها ظالم"⁶. ﴿فِي يَتَمَّى﴾ بالحذف ﴿النِّسَاءِ﴾ "بدل من ﴿فِيهِنَّ﴾ أو متعلق به ﴿يُتْلَى﴾"⁷، قاله في الضياء. وقال في الباب: "قيل: معناه: في النساء اليتامى. وقيل: في

¹ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص303301.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص435.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص211.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص435.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص211.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص436.

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص211.

اليتامى أولاد النساء، لأن الآية نزلت في يتامى أم كجة¹. انتهى. وقال الثعالبي²: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ الإشارة بهذا إلى ما تقدم من الآيات في أمر النساء، وهو قوله تعالى في صدر السورة: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنْمَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ الآية. قالت عائشة: نزلت هذه الآية أولاً، ثم سأل الناس بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر النساء، فنزلت: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ الآية". ﴿الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾ لا تعطوهن ﴿مَا﴾ أي الذي ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿لَهُنَّ﴾ "من الميراث والحقوق"، قاله في الضياء³. واللام في ﴿لَهُنَّ﴾ يظهر أنها للتمليك، قاله في الباب⁴. ﴿كُتِبَ لَهُنَّ﴾ يعني فرض لهن من الميراث، وهذا على قول من يقول: إن الآية نازلة في ميراث اليتامى والصغار، وعلى القول الآخر معناه: ما كتب لهن من الصداق. انتهى. وقال ابن جزى⁵: "﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ كان الرجل من العرب يتزوج اليتيمة من أقاربه، بدون ما استحقته من الصداق، فقوله: ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ يعني ما تستحقه المرأة من الصداق". انتهى. ﴿وَتَرَّغَبُونَ﴾ تريدون. قال في القاموس⁶: "رغب فيه كسمع رغباً، ويضم ورغبة أرادته وعنه لم يرد". ﴿أَن تَنْكِحُوهُنَّ﴾ يعني: وترغبون في نكاحهن لما لهن وجماهن، بأقل من صداقهن. وقيل: معناه: وترغبون عن أن تنكحوهن، لقبحن وذمامتهن، وتمسكون رغبة في ما لهن. انظر: البغوي⁷، وغيره. قال ابن جزى¹: "﴿وَتَرَّغَبُونَ أَن

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص436.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص497.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص211.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص436.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص211.

⁶ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الباء، فصل الراء، ص115.

⁷ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص165.

تَنْكِحُوهُنَّ ۖ يَعْنِي: لجاههن وماهن، من غير توفية حقوقهن، فنهاهم الله عن ذلك في قوله أول السورة: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ الآية. وهذه الآية التي تليت عليهم في يتامى النساء". انتهى. وقال في الباب: "روى البخاري² ومسلم³ عن عائشة رضي الله عنها قالت: هذه الآية في اليتيمة تكون في حجر وليها إلى آخره"⁴. ﴿وَالْمُسْتَضَعْفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ بالحذف، عطف على الضمير، أعني ضمير ﴿فِيهِنَّ﴾ أو عطف على ﴿يَتِمَّى النِّسَاءُ﴾ وما بعده حال منه"، يعني: ويفتيكم في المستضعفين من الولدان، وهم الصغار، أن تعطوهم حقوقهم، وذلك لأن العرب في الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار أيضاً، فنهاهم الله عن ذلك، وأمرهم أن يعطوهم حقهم من الميراث⁵، قاله في الباب. وقال ابن جزى⁶: "عطف على ﴿يَتِمَّى النِّسَاءُ﴾ أي والذي يتلى عليكم في المستضعفين من الولدان، وهو قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ لأن العرب كانت لا تورث البنت، ولا الابن الصغير، فأمر الله أن يؤتوهم نصيبهم من الميراث". انتهى. ونحوه في الباب⁷ وغيره. ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ﴾ يظهر لي أن اللام بمعنى في، أي في شأن يتامى أو للتعليل ﴿وَأَنْ تَقُومُوا﴾ مضارع قام بالأمر، أي اعتنى به وأصلحه. وفي القاموس: "قام الرجل بالمرأة وعليها ما نحا وقام بشأها"⁸. ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل. قال ابن جزى: "﴿وَأَنْ

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص211.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 47 الشركة، باب 7 شركة اليتيم وأهل الميراث، ج5، ص133، رقم2494.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 54 التفسير، ج4، ص2313، 2314، رقم3018.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص436.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص436.

⁶ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص211.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص436.

⁸ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الميم، فصل القاف، ص1487.

تَقُومُوا لِلْيَتَمَىٰ عطف على المستضعفين، أي والذي يتلى عليهم في ذلك هو قوله: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ ويجوز أن يكون منصوبًا بفعل محذوف تقديره: ويأمركم أن تقوموا، والخطاب في ذلك للأولياء والأوصياء أو القضاة وشبههم، والذي يتلى عليهم في ذلك هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَمَىٰ ظُلْمًا﴾ الآية. وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ إلى غير ذلك¹. انتهى. وقال في الضياء: "والخطاب في شأن يتامى النساء للأولياء خاصة، وفي المستضعفين لهم وللورثة البالغين، وفي أن تقوموا للأئمة والقوام، ومعنى بالقسط بالعدل"². انتهى بتغيير. وجعل في الباب قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَمَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ في ﴿يَتَمَىٰ النِّسَاءِ﴾ وعبارته: "يعني بالعدل في مهورهن وموارثهن"³. انتهى. ولما أمرهم بأمر بين لهم أن من امتثل ما أمره به فيها يعلم سبحانه امتثاله ذلك، وفي ذلك وعد عظيم فقال: ﴿وَمَا﴾ شرطية ﴿تَفْعَلُوا﴾ تصنعوا ﴿مِنْ﴾ تبعيضية أو بيانية ﴿خَيْرٍ﴾ طاعة، والجواب: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ أي لم يزل ﴿بِهِ﴾ متعلق بما بعده، أي بالخير الذي فعلتموه، ويحتمل أن يرجع إلى ما، لأنها واقعة على فعل الخير ﴿عَلِيمًا﴾ فاصلة الآية السادسة. يقول الله تعالى أي فعل من أنواع الطاعات تفعلونه، فإن الله يعلمه، فيجازيكم عليه، وفي هذا الكلام حث وترغيب ووعد، وهو كالترجمة لما بعده، والخاتمة لما قبله، فهما متواردان عليه، والله تعالى أعلم. ﴿وَإِنْ أَمْرًا﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿خَافَتْ﴾ بالإثبات، توقعت ﴿مِنْ﴾ بَعْلَهَا زوجها، ويظهر أن ﴿مِنْ﴾ ابتدائية، وأنها هي ومدخولها حال من قوله: ﴿نُشُوزًا﴾ تخافيًا عنها، وترفعًا عليها، فيقلل نفقتها، أو يترك مضاجعتها، أو يقول لها قولاً خشناً ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ أي صدودًا عنها بوجهه، بأن يقلل مجالستها ومحادثتها أو مؤانستها،

¹ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص211.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص211.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص436.

بسبب كبر سنهما، أو ذمامتهما، أو طموح عينيه إلى أجمل منها ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ أي لا إثم ﴿عَلَيْهِمَا﴾ خبر لا في ﴿أَنْ يُصْلِحَا﴾ بالحذف فيه، وبالإثبات في الموضعين قبله، وفيه إدغام التاء في الأصل في الصاد للجمهور، و﴿يُصْلِحَا﴾ من أصلح للكوفيين، "نشر"¹، أي يتراضيا ﴿بَيْنَهُمَا﴾ أي المرأة وبعلاها على أمر يصلح به ما بينهما ولا يفسد ﴿صُلْحًا﴾ تراضياً على ذلك الأمر. قال في الضياء: "﴿صُلْحًا﴾ في القسم بأن تطيب له نفساً عنه، والنفقة بأن تترك له شيئاً من ذلك طلباً لبقاء الصحبة، فإن رضيت بذلك، وإلا فعلى الزوج أن يوفيهما حقها أو يفارقها"². وقال الثعالبي: "هذه الآية حكم من الله تعالى في أمر المرأة التي تكون ذات سن، ونحو ذلك مما يرغب زوجها عنها، فيعرض عليها الفرقة أو الصبر على الأثرة"³، فتريد هي بقاء العصمة، فهذه التي أباح الله بينهما الصلح، ورفع الجناح فيه، واختلف في سبب نزول هذه الآية، فقال ابن عباس وجماعة: نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة⁴، وفي المصنفات أن سودة لما كبرت وهبت يومها لعائشة رضي الله تعالى عنها، وقال ابن المسيب وغيره⁵: نزلت بسبب رافع بن خديج⁶ وزوجته حولة¹، وقال مجاهد²: نزلت

¹ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص36.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص211.

³ "رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ عَلَى أَصْحَابِهِ، أَيْ يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ أَشْيَاءَ حَسَنَةً، وَالْأَسْمُ: الْأَثَرُ". الفيروزابادي، القاموس، باب الرء، فصل الهمزة، ج1، ص436.

⁴ سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية العامرية، أمها الشموس بنت قيس بن زيد الأنصارية من بني عدي بن النجار. كان تزوجها السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو، فتوفي عنها، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت أول امرأة تزوجها بعد خديجة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج7، ص720، 721.

⁵ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص312.

⁶ رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن يزيد الأنصاري الخزرجي المدني، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم. استصغر يوم بدر، وشهد أحداً والمشاهد، وأصابه سهم يوم أحد، فانتزعه، فبقي النصل في لحمه إلى أن فارق الحياة الدنيا. روى جماعة أحاديث. وكان صحراوياً، عالماً بالمزراعة والمساقاة. حدث عنه: بشير بن يسار، وحنظلة بن قيس، والسائب بن يزيد، وعطاء بن أبي رباح، ومجاهد، ونافع العمري، وابنه

بسبب أبي السنابل³ وامرأته، ولفظ ابن العربي في أحكامه: "قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ الآية. قالت عائشة رضي الله عنها: هي المرأة تكون عند الرجل ليس بمستكثر منها، يريد أن يفارقها، فتقول: أجعلك من شأني في حل، فنزلت الآية⁴". قال أبو بكر بن العربي: "فرضوان الله على الصديقة المطهرة، لقد وفّت بما حملها ربحاً من العهد في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْتَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾⁵ الآية⁶". انتهى⁷. وقال ابن جزى: "معنى الآية: إباحة الصلح بين الزوجين، إذا خافت النشوز أو الإعراض، وكما يجوز الصلح مع الخوف، يجوز مع⁸ وقوع النشوز والإعراض، وقد تقدم معنى النشوز، وأما الإعراض فهو أخف منه، ووجوه الصلح كثيرة، منها أن يعطيها الزوج شيئاً، أو تعطيه هي، أو تسقط حقها من النفقة والاستمتاع أو غير ذلك. وسبب الآية أن سودة بنت زمعة لما كبرت، خافت أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: أمسكني في

رفاعة بن رافع، وحفيده عباية بن رفاع، وآخرون. وقيل: إنه ممن شهد وقعة صفين مع علي. توفي في سنة أربع أو ثلاث وسبعين، وله ست وثمانون سنة رضي الله عنه، وله عدة بنين. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص436. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص183. رقم الترجمة 34. بتصرف.
¹ حولة في الأعلام كثير، ولا يوجد علامة فارقة.

² ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص309.

³ أبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن غميلة بن السباق بن عبد الدار القرشي العبدري، اسمه صبة، وقيل: عمرو، وقيل: عامر، وقيل: أصرم. قال البغوي: سكن الكوفة، وقال البخاري: لا أعلم أنه عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، روى عنه الأسود بن يزيد النخعي، وزفر بن أوس بن الحدثان النصريز وقال ابن سعد وغيره: أقام بمكة حتى مات وهو من مسلمة الفتح. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج7، ص190. بتصرف.

⁴ ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص503، 504.

⁵ الأحزاب، 34.

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص498، 499.

⁷ ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص503، 504.

⁸ في ابن جزى: "بعد".

نسائك، ولا تقسم لي، وقد وهبت يومي لعائشة¹. انتهى. وقال في الباب: "وروى البخاري² ومسلم³ عن عائشة رضي الله تعالى عنها، في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ قالت: نزلت "في المرأة تكون عند الرجل. وقيل: نزلت في عمرة⁴ بنت محمد بن مساعة⁵، ويقال: اسمها خولة، وفي زوجها سعد بن الربيع⁶، ويقال: رافع بن خديج، تزوجها وهي شابة، فلما كبرت تزوج امرأة أخرى شابة، وآثرها عليها، وجفا الأولى، فأراد أن يطلقها، ويتزوج غيرها، فقالت: لا تطلقني، ودعني أقوم على أولادي، واقسم لي كل شهرين إن شئت، وإن شئت فلا تقسم، فقال: لئن كان يصلح ذلك فهو أحب إليّ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ﴾ يعني علمت. وقيل: ظنت. وقيل: بل المراد نفس الخوف، لأن الخوف لا يحصل إلا عند ظهور الأمارات الدالة على وقوعه من بعلها زوجها، والبعل هو السيد، وسمي الزوج بعلاً، لأنه سيد المرأة ﴿نُشُوزًا﴾ يعني بغضاً. وقيل: هو ترك مضاجعتها، وأصله من النشز، وهو المرتفع من الأرض، والنشوز قد يكون من الزوجين، وهو أن يكره كل واحد منهما صاحبه. وقوله: ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ يعني بوجهه عنها، أو يعبس بوجهه⁷، أو يترك مضاجعتها، أو يسيء عشرتها، أو يشتغل بغيرها. وقيل: المراد من النشوز إظهار الخشونة في القول والفعل. والمراد من الإعراض السكوت عن الخير والشر والإيذاء، فيعرض عنها بوجهه، ويشتغل بغيرها⁸. انتهى.

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص211، 212.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 67 النكاح، باب 90 وإن امرأة من بعلها نشوزاً أو إعراضاً، ج9، ص304، رقم 5206.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 54 التفسير، ج4، ص2316، رقم 3021.

⁴ لم أعثر لها على ترجمة.

⁵ في الخازن: "مسلمة".

⁶ لم أعثر له على ترجمة.

⁷ في الخازن: "في وجهها".

⁸ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص436.

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ "يعني أن إقامتها معه بعد تخييرها، والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة، خير من الفرقة"¹، قاله في الباب. وقال في الضياء: "والصلح الذي تسكن إليه النفوس، ويزول به الخلاف بين الزوجين وغيرهما، خير من الخصومة في كل شيء، أو من الفرقة أو النشوز والإعراض، أو خير من الخيور، كما أن الخصومة شر من الشرور، وعلى كل تقدير فهو اعتراض يؤكد نفي الجناح، بل مندوب فضلاً عن الجواز"². انتهى. وقال الثعالبي: "والصلح خير لفظ عام، يقتضي أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس، ويزول به الخلاف، خير على الإطلاق، يندرج تحت هذا العموم، أن صلح الزوجين على ما ذكرنا خير من الفرقة"³. ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ يعني البخل. قال ابن جزى: "معناه: أن الشح جعل حاضراً مع النفوس، لا يغيب عنها، لأنها جبلت عليه، والشح هو أن لا يسمح إنسان لغيره بشيء من حظوظ نفسه، وشح المرأة من هذا، هو طلبها لحقها من النفقة والاستمتاع، وشح الزوج هو منع الصداق، والتضييق في النفقة، وزهده في المرأة، لكبر سنهما، أو قبح صورتها"⁴. انتهى. وقال الثعالبي⁵: "وقوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ معذرة عن عبده تعالى، أي لا بد للإنسان بحكم خلقته وجبلته، من أن يشح على إرادته، حتى يحمل صاحبه على بعض ما يكره. وخصص المفسرون هذه اللفظة هنا فقال ابن جبير: هو شح المرأة بالنفقة من زوجها، وبقسمه لها. وقال ابن زيد: الشح هنا منه ومنها. وقال ابن عطية: "وهذا أحسن، والشح الضبط على المعتقدات، وفي الهمم والأموال، ونحو ذلك، فما أفرط منه، ففيه بعض المذمة، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾"⁶ وما صار إلى حيز منع الحقوق الشرعية، أو التي تقتضيها المروءة، فهي البخل، وهي رذيلة، لكنها قد تكون في

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص437.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص211، 212.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص499.

⁴ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص212.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص499.

⁶ الحشر، 9. التغابن، 16.

المؤمن. ومنه الحديث: قيل: يا رسول الله، أيعون المؤمن بخيلاً؟ قال: <نعم>¹. وأما الشح ففي كل أحد، وينبغي أن لا يفرط إلا على الدين، ويدلك على أن الشح في كل أحد قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾² فقد أثبت لكل نفس شحاً، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: <وَأَنْ تَصَدَّقَ، وَأَنْتَ صَاحِبُ صَاحِبٍ>³، وهذا لم يرد به واحداً بعينه، وليس يحمل أن يقال هنا وأنت صحيح بخيل⁴. انتهى⁵. وقال في الباب: "الشح أقبح البخل، وحقيقته الحرص على منع الخير، وإنما قال: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ لأنه كالأمر الملزوم⁶ للنفوس، لأنها مطبوعة عليه، ومعنى الآية: أن كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه، فالمرأة تشح على مكانها من زوجها، والرجل يشح عليها بنفسه، إذا كان غيرها أحب إليه⁷". انتهى. ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ هذا خطاب للأزواج، يعني: وأن تحسنوا، أيها الأزواج، الصعبة والعشرة". ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله في حق المرأة، فإنها أمانة عندكم. وقيل: معناه: وإن تحسنوا بالإقامة معها على الكراهة، وتتقوا ظلمها والجور عليها⁸، قاله في الباب. وقال الثعالبي: "ندب إلى الإحسان بتحسين عشرة الزوجة، والصبر على خلقها ﴿وَتَتَّقُوا﴾ معناه: تتقوا الله في وصيته بهن، إذ هن عوان عندكم⁹". ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ لم يزل ﴿بِمَا﴾ أي بالذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾ ويحتمل ما أن تكون مصدرية،

¹ مالك، الموطأ، ج5، 1441.

² الحشر، 9. التغابن، 16.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 24 الزكاة، باب 11 فصل صدقة الشحيح الصحيح، ج3، ص284، 285، رقم1419.

⁴ في الخازن: "اللازم".

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص499.

⁶ في الخازن: "اللازم".

⁷ في الخازن: "إليه منها". الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص437.

⁸ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص437.

⁹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص500.

وأن تكون نكرة موصوفة ﴿خَيْرًا﴾ فاصلة الآية السابعة. فيجازيكم بأعمالكم. وقال في الضياء: "﴿وَأِنْ تَحْسِنُوا﴾ عشرة النساء، وإن كرهتموهن وتتنقوا النشوز والإعراض، ونقص الحق، وكل أذى، فإن الله كان بما تعملون من الإحسان والتقوى خبيراً، فيجازيكم به. وإقامة العلم مقام الإثابة، من إقامة السبب مقام المسبب. وروى أبو داود¹ وابن ماجه² عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: <أبغض الحلال إلى الله الطلاق>. انتهى³.

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا﴾ تطيقوا ﴿أَنْ تَعْدِلُوا﴾ تسووا ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ قال ابن جزى: "معناه: العدل التام الكامل في الأقوال والأفعال والمحبة، وغير ذلك، فرفع الله ذلك عن عباده، فإنهم لا يستطيعونه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه، ثم يقول: <اللهم هذا فعلي⁴ فيما أملك، فلا تؤاخذني بما لا أملك>⁵. يعني ميله بقلبه. وقيل: إن الآية نزلت في ميله صلى الله عليه وسلم بقلبه إلى عائشة، ومعناها: اعتذار من الله تعالى عن عباده⁶". انتهى. وقال الثعالبي: "معناه: العدل التام على الإطلاق، والمساواة في الأفعال والأقوال والمحبة والجماع وغير ذلك، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ثم يقول: <اللهم هذا فعلي فيما أملك، فلا تؤاخذني بما تملك ولا أملك>⁷". فوصف الله سبحانه حالة البشر، بأنهم بحكم الخلقة ما يملكون ميل قلوبهم إلى بعض الأزواج دون بعض⁸.

¹ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 7 الطلاق، باب 3 في كراهية الطلاق، ج 1، ص 661، 662، رقم 2178.

² ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب 10 الطلاق، باب 1 حدثنا سويد بن سعيد، ج 1، ص 650، رقم 2018.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 212.

⁴ في ابن جزى: "قسمي".

⁵ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 6 النكاح، باب 39 في القسم بين النساء، ج 1، ص 647، 648، رقم 2134.

⁶ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 212.

⁷ تقدم تخريجه قبل قليل.

⁸ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 500.

انتهى. وقال في الباب: "ولن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب، لأن ذلك مما لا يقدرُونَ عليه، وليس من كسبهم¹". ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على العدل. قال صاحب هذا التفسير: أي اشتد ميلكم إليه، ورغبتكم فيه، واجتهادكم فيه، ولو كان ممكناً، لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى به ﴿فَلَا تَمِيلُوا﴾ تعدلوا إلى بعضهن دون بعض ﴿كُلُّ الْمِيلِ﴾ كل العدول. قال الثعالبي: "نهى سبحانه عن الميل كل الميل، وهو أن يفعل فعلاً يقصده من التفضيل، وهو يقدر أن لا يفعله، فهذا هو كل الميل، وإن كان في أمر حقير²". انتهى. ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ تتركوها، يظهر أنه منصوب بحذف النون، جواب النهي ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ أي لا ذات زوج، ولا مطلقة. قال السيوطي: ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ المحال عنها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي لا هي أيم ولا ذات زوج. انتهى. وقال في الباب: ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ كَالْمُعَلَّقَةِ يعني: فتدعوا الأخرى التي لا تميلون إليها كالمقطعة، لا أيماء، ولا ذات زوج، كالشيء المعلق، لا هو في السماء، ولا على الأرض. قيل: معناه: ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ كالمسحونة، لا هي مخلصة فتزوج، ولا هي ذات بعل فيحسن إليها³". انتهى. وقال في الضياء: "﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي ليست ذات بعل، ولا مطلقة، فهي كالشيء المعلق، لا هو في السماء، ولا على الأرض، أو هي المسحونة، أو التي غاب عنها بعلها⁴". انتهى. ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ قال الثعالبي: "جاء في التي قبلها: ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ وفي هذه: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ لأن الأول مندوب إليه، وفي هذه يلزم، إذ العدل لا يلزمه فيما يملك⁵". انتهى. وقال في الضياء: "﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ ما وقع من الخلاف والنشوز ﴿وَتَتَّقُوا﴾ في

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص437.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص500.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص437.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص212.

⁵ لم أعثر عليه.

المستقبل عن ارتكاب مثله¹. انتهى. وقال في الباب: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ يعني بالعدل في القسم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ يعني في الجور في القسم². ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما مضى من ميلكم ﴿رَّحِيمًا﴾ فاصلة الآية الثامنة. قال في الباب: ﴿رَّحِيمًا﴾ يعني حيث لم يكلفكم ما لا تقدرُونَ عليه³. انتهى. واعلم أن القسم يجب للزوجات في المبيت، فيسوي بينهما فيه، حرائر كن أو إماء أو مختلفات، ولا يجب القسم في النفقة، ولا في الكسوة، ولا في الجماع، ولا فيما يطؤه من ملك اليمين، ولا يدخل في يوم واحدة على أخرى، لا زائرًا أو لحاجة، لا لميل، ولا يجمعهن في منزل إلا برضاهن، ولا في فراش، ولو بلا وطء، وله البيات عند الضرة في غير نوبتها، إن أغلقت ذات النوبة بابها دونه ولم يقدر، يبيت بحجرتها، وإن تزوج أقام عند البكر سبعة، وعند الثيب ثلاثًا، ولا قضاء، وله الزيادة على يوم وليلة برضاهن، وفات القسم إن ظلم فيه، وإن سافر اختار إلا في الحج والغزو فيقرع. وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: >من كانت له امرأتان، فلم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة وشقه ساقط<⁴. "ربع" ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا﴾ قد مر قوله: ﴿وَالصُّلْحُ حَيْرٌ﴾ ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ ولن تصلحوا، وذكر هنا ما إذا لم يصطلحا وتفرقا، يعني أن الزوجين إذا لم يصطلحا واختارا الفرقة ﴿يُعْنِ﴾ جواب الشرط، مجزوم بحذف الآخر ﴿اللَّهُ كَلَّا﴾ أي كل واحد منهما ﴿مِّنْ﴾ يظهر أنها ابتداء أو تعليلية ﴿سَعَتِهِ﴾ أي من فضله ورزقه، يغني الزوج بامرأة أخرى، والمرأة بزواج آخر، قاله غير واحد. وقال ابن

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص212.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص437.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص437.

⁴ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 9 النكاح، باب 41 ما جاء في التسوية بين الزوجين، ج3، ص447، رقم1141. قال الترمذي: "وإنما أسند هذا الحديث همام بن يحيى عن قتادة، ورواه هشام الدستوائي عن قتادة قال: كان يقال، ولا نعرف هذا الحديث مرفوعًا إلا من همام، وهمام ثقة حافظ".

جزى: "معنى الآية وإن تفرقا¹ الزوجان بطلاق، أغنى الله كل واحد منهما من فضله عن صاحبه، وعد بخير وتأنيس²". انتهى. وقال في الضياء: ﴿يُعْنِ﴾ كلاً عن صاحبه بيدن أو سلو³. انتهى. وقال الثعالبي: "أي إن شح كل واحد من الزوجين، فلم يتصالحا، بل تفرقا بطلاق، فإن الله يغني كل واحد منهما عن صاحبه، بفضله ولطائف صنعه في الحال، والعشرة والسعة وجود المرادات والتمكن منها⁴". ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي لم يزل ﴿وَاسِعًا﴾ بالحذف. قال في اللباب: "يعني واسع الفضل والرحمة. وقيل: هو الواسع القدرة والعلم والرزق. وقيل: هو الغني الذي وسع جميع مخلوقاته غناه⁵". ﴿حَكِيمًا﴾ فاصلة الآية التاسعة، "يعني فيما أمر به ونهى عنه⁶"، قاله في اللباب. وقال في الضياء: ﴿حَكِيمًا﴾ دبره لهم، وربما كانت الفرقة أحسن عاقبة لهما، ولذا أباح التسريح بإحسان⁷". انتهى. ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ بالحذف ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بتكرير ما. قال في اللباب: "يعني عبيداً وملكاً، قال أهل المعاني: لما ذكر الله عز وجل أنه يغني من سعته وفضله، أشار إلى ما يوجب الرغبة في طلب الخير منه، لأن من ملك السماوات والأرض لا تفنى خزائنه⁸". انتهى. وها أنا أبين لك ما في السماوات وما في الأرض ومن في السماوات ومن في الأرض. قال السخاوي: [الرجز]

"من في السماوات ومن في الأرض ~ أربعة تعرف⁹ عند العرض

¹ في ابن جزى: "تفرق".

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص212.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص213.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص500.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص438.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص438.

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص213.

⁸ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص438.

⁹ في السخاوي: "تعلم".

| | | |
|--|---|--|
| في يونس ولا شبيهه بعده | ~ | وجاء في الحج قبيل السجده |
| والنمل فيها ثالث ¹ في الزمر | ~ | رابعها فخذة عن حبر مبر ² |
| وقد أتى من في السموات فقط | ~ | والأرض ضعف ما مضى بلا شطط ³ |
| في آل عمران وطوعًا بعده | ~ | ومريم والرعد حققا عده |
| والأنبياء ⁴ والنمل والنور أتى | ~ | والروم والرحمن فاحص ⁵ مثبثا |
| وقد أتى بمن بباء زائده | ~ | حرف بسبحان ففز ⁶ بالفائده |
| ما في السموات والأرض عشره | ~ | من بعد حرف معها في البقره |
| من بعده فاعرفه مستيينا | ~ | كل له يا صاح قانتونا |
| ومثله قبل الأخير في النسا | ~ | ومع لمن ما في الأنعام أسسا ⁷ |
| ويونس بعد ألا إن بها | ~ | مقدما والنحل عند حزها |
| وآخر النور هناك عرفا | ~ | والعنكبوت قبله اقرأ قل كفى |
| وحرف لقمان وفي الحديد | ~ | وآخر الحشر بلا تقييد |
| وقد أتى فوق الطلاق واحد | ~ | أنت له بعد الثلاث واجد |
| وما سوى ذا عن يقين محض | ~ | ما في السماوات وما في الأرض ⁸ |

¹ في السخاوي: "فيها آخرًا وفي الزمر".

² في السخاوي: "سير".

³ "لا شَطَطَ أي لا نُقْصَان ولا زِيَادَة". ابن منظور، لسان العرب، مادة ش ط ط، ج 7، ص 333.

⁴ في السخاوي: "والأنبياء و النور والنمل".

⁵ في السخاوي: "احص".

⁶ في الأصل: "ففه"، وفي السخاوي: "ففز".

⁷ في السخاوي: "لمن قل في الأنعام أتى".

⁸ السخاوي، هداية المرتاب، ص 142.144.

قوله في يونس: ولا شبهه بعده، يعني قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾¹ وما يتبع الذين يدعون من دون الله في ثمن، وما تكون في شأن وفي الحج، يعني قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾² في ثمن، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾³، والنمل فيها ثالث، يعني قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾⁴، وفي الزمر رابعها، يعني قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾⁵ في ثمن، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾⁶، في آل عمران و﴿طَوْعًا﴾ بعده، يعني في ثمن: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾⁷ (٨٣)، وقوله: ومريم، يعني قوله تعالى في ثمن: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ﴾⁸، ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾⁹ (١٣)، والرعد يعني قوله تعالى في ثمن: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾¹⁰، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

¹ يونس، 55.

² الحج، 18.

³ النمل، 11.

⁴ النمل، 87.

⁵ الزمر، 68.

⁶ الزمر، 67.

⁷ آل عمران، 83.

⁸ مريم، 77.

⁹ مريم، 93.

¹⁰ الرعد، 6.

وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَلُهُمْ ¹ ، والأنبيا يعني قوله تعالى في ثمن ﴿فَمَا زَالَتْ ² ، ﴿وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ³ ، والنمل يعني قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ⁴ في ثمن، ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ ⁵ رأس الحزب والنور يعني قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيَتْ ⁶ في ثمن، ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ⁷ ، والروم يعني قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَلْبُون ⁸ في ثمن ⁹ وَمَنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ¹⁰ ، والرحمن يعني قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ¹¹ في ثمن رأس الحزب بمن بياء زائدة، يعني قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ¹² في ثمن ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ¹³ ، وقوله: كل له يا صاح قانتون، يعني قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ¹⁴ سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَلْبُون ¹⁵ في ثمن، والله المشرق

¹ الرعد، 15.

² الأنبياء، 15.

³ الأنبياء، 19.

⁴ النمل، 65.

⁵ النمل، 56.

⁶ النور، 41.

⁷ الروم، 26.

⁸ الروم، 20.

⁹ الرحمن، 29.

¹⁰ الإسراء، 55.

¹¹ الإسراء، 50.

¹² البقرة، 116.

قبل الأخير في النساء، يعني قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾¹ في ثمن، لكن الله يشهد قوله في الأنعام، يعني قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ﴾² في ثمن، الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض رأس السورة ويونس، يعني قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾³ في ثمن، ولكل أمة رسول والنحل عند حزبهما، يعني قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ﴾⁴، وآخر النور، يعني قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾⁵ في ثمن، لا تجعلوا دعاء الرسول والعنكبوت، يعني قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁶ في رأس الحزب، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا﴾⁷ وحرف لقمان، يعني قوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾⁸ في رأس الحزب، ومن يسلم وجهه وفي الحديد، يعني قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁹ في ثمن، فلا أقسم بمواقع النجوم وآخر الحشر، يعني قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾¹⁰ في ثمن، لو أنزلنا وقد أتى فوق الطلاق واحد، يعني قوله تعالى في سورة التغابن بعد ثلاث آيات منها: ﴿يَعْلَمُ

¹ النساء، 170.

² الأنعام، 12.

³ يونس، 55.

⁴ النحل، 52.

⁵ النور، 64.

⁶ العنكبوت، 52.

⁷ العنكبوت، 46.

⁸ لقمان، 26.

⁹ الحديد، 1.

¹⁰ الحشر، 24.

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ¹ ﴿١﴾. ولما قدم الأمر بالتقوى في قوله: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا﴾ أخبرهم بأن الأمر بالتقوى شرع قديم لم يخل منه كتاب ولا أمة، فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ﴾ أي الزمناهم وعهدنا إليهم ﴿أَوْتُوا﴾ أعطوا ﴿الْكِتَابَ﴾ بالحذف، جنس يعم كل كتاب ﴿مِنْ﴾ ابتدائية ﴿قَبْلَكُمْ﴾ قال الثعالبي: "﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَكُمْ﴾ لفظ عام لكل من أوتي كتابًا، فإن وصيته سبحانه لعباده لم تنزل منذ أوجدتهم"². انتهى. ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ بالإثبات، عطف على الذين ﴿أَنْ﴾ مفسرة، لأن التوصية بمعنى القول، أو مصدرية أي بأن ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي خافوه، بأن تطيعوه بامتنثال المأمورات، واجتناب المناهي، والمعنى: أن الأمر بالتقوى شرع قديم، لم تخل منه أمة، ولا كتاب، فالله تعالى وصى الأولين والآخرين بأن يتقوه. قال في الباب: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَكُمْ﴾ يعني اليهود والنصارى وأصحاب الكتب القديمة ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يعني: ووصيتكم يا أهل القرآن في كتابكم، أن اتقوا الله، أي بأن يتقوا الله، وهو أن يوحده ويطيعوه ويحذروه، ولا يخالفوا أمره، والمعنى: أن الأمر بتقوى الله شريعة قديمة، أوصى الله بها جميع الأمم السالفة في كتبهم ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾ أي وإن تجحدوا ما أوصاكم به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ بالحذف ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بتكرير ما ملكا وخلقا، فلا يتضرر بكفركم، كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم، وإنما أوصاكم لرحمته بكم لا لحاجة، ثم قرر ذلك بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي لم يزل ﴿غَنِيًّا﴾ عن الخلق والعبادة ﴿حَمِيدًا﴾ فاصلة الآية المكملة للثلاثين. قال في الباب: "يعني محمودًا على نعمه"³. انتهى. وقال السيوطي: "﴿حَمِيدًا﴾ محمودًا في صنعه بهم"⁴. انتهى. وقال في الضياء: "محمودًا بذاته، والأكوان كلها

¹ التغابن، 4.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص501.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص438.

⁴ السيوطي، تفسير الجلالين، ص125.

حاملة بلسان الحال، حيث أوجدها، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى"¹. انتهى. وقال في الباب: "﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: فإن الله ملائكة في السماوات والأرض، هم أطوع له منكم. وقيل: معناه أنه تعالى خالق السماوات والأرض وما فيهن، ومالكهم، والمنعم عليهم بأصناف النعم، ومن كان كذلك، فحق لكل أحد أن يتقيه ويرجوه"². وتحصل أن في قوله: "﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ثلاثة تفسيرات: أحدها: أنه غني عن الخلق وعبادتهم. ثانيها: أن الله ملائكة في السماوات والأرض، هم أطوع له منكم. ثالثها: أنه خالق السماوات والأرض وما فيهن، مالك لذلك، منعم إلخ، منعم بصنوف النعم، فحق لكل أحد أن يتقيه ويرجوه. ويظهر لي رابع: وهو أنه قادر على أن يعذبهم على كفرهم، ففيه وعيد، والله تعالى أعلم. قال الثعالبي: "قال الأستاذ أبو بكر الطرطوشي³ في سراج الملوك⁴: ولما ضرب ابن ملجم لعنه الله علياً رضي الله عنه، أدخل منزله، فاعتزته غشية، ثم أفاق فدعا أولاده الحسن والحسين ومحمداً، فقال: أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضى والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والعدل على الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل، والرضى عن الله في الشدة والرخاء، يا بني ما شر بعده الجنة بشر، ولا خير بعده النار بخير، وكل نعيم دون الجنة حقير، وكل بلاء دون النار عافية، من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره، ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاتته، ومن سل سيف بغى قتل به، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها، ومن هتك حجاب أخيه كشف

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص213.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص438.

³ الطرطوشي: أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف، الإمام، العلامة، القدوة، الزاهد، شيخ المالكية، الفهري، الأندلسي، الفقيه، عالم الإسكندرية وطرطوشة، هي آخر حدّ المسلمين في شمال الأندلس، لازم القاضي أبا الوليد الباجي بسرقسطة، وأخذ عنه مسائل الخلاف، ثم حجّ، ودخل الواق، وسمع أبا عليّ التستري، والقاضي أبا عبد الله الدماغي، ورزق الله التميمي، وعدّة، قال ابن بشكّوال: كان إماماً، عالماً، زاهداً، ورعاً، له كتاب "سراج الملوك". وكان مولده سنة 451هـ، ووفاته سنة 520هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12، ص271 273، رقم الترجمة 4848. بتصرف.

⁴ لم أعثر عليه.

عورات نفسه، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره، ومن استغنى بفضله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن أعجب برأيه ضل، ومن جالس العلماء وقر، ومن خالط الأردال احتقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار. يا بني، الأدب خير ميراث، وحسن الخلق خير قرين. يا بني، العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت، وواحدة في ترك مجالسة السفهاء. يا بني، زينة الفقر الصبر، وزينة الغنى الشكر. يا بني، لا شرف أعز من الإسلام، ولا كرم أعز من التقوى. يا بني، الحرص مفتاح البغي، ومطية النصب، طوبى لمن أخلص لله عمله وعلمه، ورضاه وبغضه، وأخذه وتركه، وكلامه وصمته، وقوله وفعله"¹. انتهى. ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾

بالحذف ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بتكرير ما ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ فاصلة الآية الأولى بعد الثلاثين والمائة من سورة النساء. واسم الجلالة فاعل كفى، وهو مجرور بالباء الزائدة، والكافي هو الذي يغني عن غيره، فلا يحتاج إلى غيره. "والوكيل القائم بالأمر المنفذ فيها ما يراه"²، قاله الثعالبي. وقال في الباب: "﴿وَكِيلًا﴾ قال ابن عباس: يعني شهيداً، على أن له فيهن عبيداً. وقيل: معناه وكفى بالله دافعاً ومجيراً"³. انتهى. فإن قلت: ما الفائدة في تكرير قوله تعالى: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؟ قلت: الفائدة في ذلك أن لكل آية معنى تختص به. قال في الضياء: "قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الأولى تقرير لسعته، وتمهيد لقبول وصيته. والثانية: تقدير لعدم تضرره بكفر من كفر، وعدم انتفاعه لطاعة من أطاع، وتمهيد لغناه. والثالثة: تقرير لغناه، وتمهيد لأن يتوكل عليه"⁴. انتهى. قال صاحب هذا التفسير: انظر هذا ما أحسنه. وقال البغوي: "فإن قيل: أي فائدة في تكرار قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص501، 502.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص502.

³ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص438.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص213.

فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿١﴾؟ قيل: لكل منها وجه، أما الأول: فمعناه الله ما في السماوات وما في الأرض، وهو يوصيكم بالتقوى، فاقبلوا وصيته، يعني: أن من له ما في السماوات وما في الأرض، لا يسع أحداً إلا قبول وصيته، والإذعان له. وأما الثاني: فمعناه الله ما في السماوات وما في الأرض، وهو الغني الحميد، أي له الملك، فلا يطلب إلا هو، لأنه لا مالك ولا غني إلا هو، وغيره هو المفتقر إليه، فليلتجأ إليه، وليطلبه. وأما الثالث: فمعناه له ما في السماوات وما في الأرض، أي له الملك، فاتخذوه وكيلاً، وأصرفوا إليه أموركم، وفوضوا له في شؤونكم¹. انتهى بإيضاح، والله تعالى أعلم. وقيل: كرره تقريراً لموجب تقواه، فإن التقى موجب كل خير. واعلم أن كفى بالله وكيلاً أربع ثلاث في النساء، ورابع في الأحزاب، ﴿وَدَعَا أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾² ﴿٤٨﴾ وما كان له ما في السماوات وما في الأرض ملكاً وخلقاً، علمنا أنه هو القادر على الإيجاد والإعدام، ولذلك قال: ﴿إِنْ يَشَاءْ﴾ يرد، والضمير عائد على الله ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ يفنكم ﴿أَيُّهَا النَّاسُ﴾ اختصاص ومنادى. قال في الباب: "قال ابن عباس: يعني المنافقين والمشركين"³. ﴿وَيَأْتِ﴾ عطف على ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ يجيء ﴿بِآخِرِينَ﴾ أي بغيركم، جمع آخر. قال في الباب: "يعني بغيركم، هم خير منكم، وأطوع له، ففيه تهديد للكفار، والمعنى: أنه يهلككم أيها الكفار، كما أهلك من كان قبلكم، إذ كفروا به وكذبوا رسله"⁴. انتهى. وقال ابن جزى: "أي يقوم بغيركم. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم، لما نزلت ضرب بيده على كتف سلمان الفارسي وقال: <هم قوم هذا>⁵. انتهى. وقال في الضياء: "يوجد قومًا آخرين أصلح منكم، إن كان الخطاب للحاضرين، أو خلقًا وآخرين مكان الانس، إن كان الخطاب لجميع

¹ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص170.

² الأحزاب، 48.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص439.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص439.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص212.

بني آدم¹. انتهى. ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي لم يزل ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ بالحذف، الإعدام والإيجاد، قدم المعمول للفاصلة، وهي: ﴿قَدِيرًا﴾ "عظيم القدرة، لا يعجزه مراده، وهذا أيضًا تقرير لغناه وقدرته، وتهديد لمن كفر به، وخالف أمره"²، قاله في الضياء. وقوله: ﴿قَدِيرًا﴾ فاصلة الآية الثانية. وقال في اللباب: "يعني: وكان الله على ذلك الإهلاك، وإعادة غيركم، قادرًا بليغًا في القدرة، لا يمتنع عليه شيء أراده، لم يزل ولا يزال موصوفًا بالقدرة على جميع الأشياء"³. انتهى. ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعلمه ﴿ثَوَابَ﴾ جزاء ﴿الدُّنْيَا﴾ كالجهاد للغنيمة فقط فقد أخطأ ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابٌ﴾ بالإثبات في الموضعين ﴿الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ "لمن أراده لا عند غيره، فلم يطلب الإنس"⁴، وهو ثواب الدنيا فقط، وهلا طلب الأعلى، وهو جمعهما بإخلاصه له، حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده"⁵، قاله في الضياء. وقال في اللباب: "يعني من كان يريد بعمله عوضًا⁶ من الدنيا، نزلت في مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا يقرون بالله خالقهم، ولا يقرون بالبعث يوم القيامة، فكانوا يتقربون إلى الله، ليعطيهم من خير الدنيا، أو ليصرف عنهم شرها. وقيل: نزلت في المنافقين، لأنهم كانوا لا يصدقون بيوم القيامة، وإنما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا، وهو ما ينالونه من الغنيمة"⁷. انتهى. وقال الثعالبي: "أي من كان لا مراد له إلا في ثواب الدنيا، ولا يعتقد أن ثم سواه، فليس كما ظن، بل عند الله سبحانه ثواب الدارين، فمن قصد الآخرة، أعطاه الله من ثواب الدنيا، وأعطاه قصده، ومن قصد الدنيا فقط أعطاه من الدنيا ما قدر له، وكان له في الآخرة

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص213.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص213.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص439.

⁴ في الضياء: "فلم يطلب الأخس".

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص213.

⁶ في الخازن: "عرضا".

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص349.

العذاب"¹. انتهى. وفي الحديث: <إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى>². وقال الثوري: بلغني عن ابن عباس أنه قال: إنما يحفظ الرجل على قدر نيته. وقال غيره: إنما يعطى الناس على قدر نياتهم. انتهى. وقال في الباب: "فعند الله ثواب الدنيا والآخرة، يعني: إن الذين يطلبون بأعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا، وما ينالونه من الغنيمة، مخطئون في قصدهم، لأن الله عنده ثواب الدنيا وثواب الآخرة، فلو كانوا عقلاء، لطلبوا ثواب الآخرة، حتى يحصل لهم ذلك، ويحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية. والمعنى: أن من أراد بعمله الدنيا آتاه الله منها ما أراد، وصرف عنه من شرها ما أراد، وليس له ثواب في الآخرة، يجزى به، ومن أراد بعمله وجه الله وثواب الآخرة، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة، يؤتيه من الدنيا ما قدر له، ويجزى في الآخرة خير الجزاء"³. ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي لم يزل ﴿سَمِيعًا﴾ يعني لأقوالهم، وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا ﴿بَصِيرًا﴾ "يعني بنياتهم وما في نفوسهم. وقيل: ﴿بَصِيرًا﴾ بمن يطلب الدنيا بعمله، ومن يطلب الآخرة بعمله"⁴، قاله في الباب. وقوله: ﴿بَصِيرًا﴾ فاصلة الآية الثالثة. وقال ابن جزى: "الآية تقتضي الترغيب في طلب ثواب الآخرة، لأنه خير من ثواب الدنيا، وتقتضي أيضًا أن يطلب ثواب الدنيا والآخرة من الله وحده، فإن ذلك بيده لا بيد غيره، وعلى أحد هذين الوجهين مرتبط الشرط بجوابه، فالتقدير على الأول: من كان يريد ثواب الدنيا، فلا يقتصر عليه خاصة، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة. وعلى الثاني: من كان يريد ثواب الدنيا، فليطلبه من الله، فعنده ثواب الدنيا والآخرة"⁵. انتهى. وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ هو كالترجمة لما بعده، وكالخاتمة لما قبله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدقوا بالله ورسوله ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ بالحذف ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل.

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص502.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب1 بدء الوحي، باب1 كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج1، ص9، رقم1.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص439.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص439.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص212، 213.

قال ابن جزى: "أي مجتهدين في إقامة العدل"¹. انتهى. وقال في الضياء: ﴿قَوَّامِينَ﴾ شديدي القيام بالعدل، جادين فيه، مواظبين على إقامته"². وقوله: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ هو من قام بالأمر أصلحه ﴿شُهَدَاءَ﴾ بالحق، جمع شهيد، وهو الشاهد، خبر ثان، والشاهد هو الذي يبين الحق ﴿لِلَّهِ﴾ أي لوجهه، لذات ومرضاة الله، يظهر أن اللام للتعليل، فهي تفيد العبودية والإذعان، متعلقة بـ ﴿قَوَّامِينَ﴾، ﴿وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ "فاشهدوا عليها بأن تقروا بالحق الذي عليكم ولا تكتموا، لأن الشهادة بيان الحق، سواء كان عليه أو على غيره"³، قاله في الضياء. ﴿أَوِ الْوَالِدَيْنِ﴾ بالحذف، أي ولو كانت الشهادة على الوالدين ﴿وَالْأَقْرَبِينَ﴾ من ذوي رحمه. والمعنى: قولوا الحق، ولو على أنفسكم، أو على الوالدين، أو على الأقارب، فأقيموا الشهادة عليهم لله، فلا تجادلوا غنيًا لغناه، ولا ترحموا فقيرًا لفقره، كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ قال السدي: إن فقيرًا أو غنيًا، اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان صغوه⁴ مع الفقير، يرى أن الفقير لا يظلم الغني، فأنزل الله هذه الآية، وأمر بالقيام بالقسط مع الغني والفقير. وقيل: إن هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق، فهي خطاب لقومه الذين جادلوا عنه، وشهدوا له بالباطل، فأمرهم الله تعالى أن يكونوا قائمين بالقسط، شاهدين لله على كل حال، ولو على أنفسهم وأقاربهم، فقال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ القوام مبالغة في القيام بالعدل في جميع الشهادات واجتناب الجور فيها. قال ابن عباس: كونوا قوامين بالعدل في الشهادات على من كانت. قوله: ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ أي أقيموا شهادتكم لوجه الله، كما أمركم فيها، فقولوا الحق في شهادتكم. انتهى بتغيير قليل. وقوله: ﴿أَوِ الْوَالِدَيْنِ﴾. قال في

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص213.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص213.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص213.

⁴ الصغوة: الجوف. ابن منظور، لسان العرب، مادة ص غ ا، ج14، ص461.

الضياء: "دليل على قبول شهادة الابن عليهما، ولا يمنع برهما، بل هو برهما، ولا تخافوا¹ أحدًا، ولا تخافوا في الله لومة لائم، قدم القسط هنا، وأخره في المائدة، اهتماما بالعدل في النفس والوالدين والأقربين، لأن ذلك مظنة العدول"². انتهى. وقال الثعالبي: "ومعنى ﴿شُهِدَاءَ اللَّهِ﴾ أي لذاته ولوجهه ولمرضاته سبحانه. وقوله: ﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿شُهِدَاءَ﴾ هذا هو الظاهر الذي جلى عليه الناس، وأن هذه الشهادة المذكورة هي في الحقوق، ويحتمل أن يكون المعنى شهداء الله بالوحدانية، ويتعلق قوله: ﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ بـ ﴿قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ﴾ والتأويل الأول أبين، وشهادة المرء على نفسه هي إقراره بالحق"³. انتهى. وقال ابن جزى: "ذكر الوالدين والأقربين، إذ هم مظنة التعصب والميل في إقامة الشهادة، فالشهادة على الأجنبية من باب أولى"⁴. انتهى. قوله: فالشهادة على الاجنبيين إلخ، هذا داخل في كلام الله عز وجل فيما قبل المبالغة. انتهى. ﴿إِنْ يَكُنْ﴾ المشهود به أو عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَاقِرًا فَإِنَّهُ أُولَىٰ بِيَهُمَا﴾ منكم، والمعنى: كلوا أمر الغني والفقير إلى الله تعالى، فهو أعلم بهم وبحالهم، فاعدلوا بينهم، فلا تحابوا الفقير لفقره، ولا تجادلوا الغني لغناه. قال ابن جزى: "جواب ﴿إِنْ﴾ محذوف على الأظهر، أي إن يكن المشهود عليه غنيًّا، فلا تمتنع من الشهادة عليه، تعظيمًا له، وإن كان فقيرًا، فلا تمتنع من الشهادة عليه إشفاقًا، فإن الله أولى بالغني والفقير، أي بالنظر لهما"⁵. انتهى. وقال في الضياء: "﴿فَاللَّهُ أُولَىٰ بِيَهُمَا﴾ منكم، وأعلم بمصالحهما، وثنى الضمير، لئلا يتوهم اختصاص الأولوية بأحدهما"⁶. انتهى. و قال في اللباب: "وإنما قال:

¹ في الضياء: "تحابوا".

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص213.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص503.

⁴ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص213.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص213.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص213، 214.

﴿بِمَا﴾ على التثنية، لأنه رد الضمير إلى المعنى دون اللفظ، يعني فالله أولى بالغني والفقير¹. انتهى. وحاصل هذا القيام بالعدل في الشهادة وغيرها، ولا ينظر لقربة ولا لغنى ولا فقر، فلا يجادل الغني لغناه، ولا يحابي له، ولا يرحم الفقير لفقره. فالذي أمر الله به من العدل في ذلك هو الذي يفعل، وهو الأعلم بالأصلح في ذلك، فيتبع أمره ولا يخالف، والله تعالى أعلم.

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ﴾ قال الثعالبي: "نهي بين، واتباع الهوى مرد مهلك"². ﴿أَنْ تَعْدِلُوا﴾ مفعول لأجله، يحتمل أن يكون معناه مخافة أن تعدلوا عن الحق، أي تميلوا عنه باتباع الهوى، فهو من العدول، ويحتمل أن يكون معناه محبة أن تعدلوا، ويكون من العدل بمعنى القسط بالكسر. انتهى. وقال في الباب: "﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ﴾ أن تعدلوا، يعني: فلا تتبعوا الهوى، واتقوا الله أن تعدلوا عن الحق في أداء الشهادة. وقيل: معناه اتركوا متابعة الهوى. انتهى³. حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل، لأن العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى"⁴.

انتهى. ﴿وَإِنْ تَلَوْا﴾ بسكون اللام وبواوين للجمهور، أي تنثوا ألسنتكم عن الحق في الشهادة، بأن تحرفوها، أي وإن تشهدوا بالباطل، فإن الله كان بما تعملون خبيراً، أو معناه تطلوا حقاً، ولابن عامر وحمة بضم اللام من الولاية. انظر: النشر⁵، أي وإن تلوا الهوى في الشهادة بالباطل، أو من اللي، حذفت الواو الأولى تخفيفاً، فتوافق القراءة الأولى في المعنى ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ "عن أدائها جملة، أو عن أحد الخصمين، فإن الله"⁶، إلخ. انظر: الضياء.

وقال ابن جزري: "وإن تلوا أو تعرضوا قيل أن الخطاب للحكام وقيل للشهود واللفظ عام في الوجهين واللي هو تحريف الكلام أي وإن تلوا عن الحكم بالعدل أو عن الشهادة بالحق أو

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص439.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص503.

³ غير موجودة في الخازن.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص439.

⁵ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص36.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص214.

تعرضوا عن صاحب الحق أو عن المشهود له¹ فإن الله يجازيكم فإنه خير بما تعملون وقرئ ﴿وَإِنْ تَلَوُّا﴾ بضم اللام من الولاية، أي وإن وليتم إقامة الشهادة، أو أعرضتم عنها². انتهى. وقال الثعالبي: "قال ابن عباس: ظاهر في الخصمين، يجلسان بين يدي القاضي، فيكون لي القاضي وإعراضه لأحدهما على الآخر. وقال ابن زيد وغيره: هي في الشاهد يلوي الشهادة بلسانه، ويعرض عن أدائها. قال ابن عطية: "ولفظ الآية يعم القضاء والشهادة والتوسط بين الناس، وكل إنسان مأخوذ بأن يعدل"³. انتهى المراد منه. وقال في الباب: "﴿وَإِنْ تَلَوُّا﴾ قرأ بواوين، ومعناه: وإن يلوي الشاهد لسانه إلى غير الحق. قال ابن عباس: يلوي لسانه بغير الحق، ولا يقيم الشهادة على وجهها، أو تعرضوا، يعني: أو يعرض الشاهد عن الشهادة فيكتمها ولا يقيمها، يقال: لويته حقه إذا دفعته عنه ومطلته"⁴. انتهى المراد منه. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ أي لم يزل ﴿يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الباء متعلقة بقوله: ﴿خَيْرًا﴾ قدمه للفاصلة الرابعة، يعني أنه تعالى عليم بما تعملون، فيجازيكم بأعمالكم. قال في الباب: "يعني أنه تعالى يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته"⁵. انتهى المراد منه. ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدقوا بالله ورسوله، بفتح الميم ﴿ءَامِنُوا﴾ بكسر الميم، الخطاب للمؤمنين، معناه: الأمر بأن يكون إيمانهم على الكمال في كل ما يذكر، أو يكون أمر بالدوام على الإيمان. وقيل: وهو غير ظاهر كالذي بعده أن الخطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء المتقدمين، أمروا بأن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: أن الخطاب للمنافقين، أمروا أن يؤمنوا بقلوبهم وألسنتهم ﴿بِاللَّهِ

¹ في ابن جزى: "المشهور له بالحق".

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص213.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص503، 504. ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص123.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص440.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص440.

وَرَسُولِهِ ﴿١﴾ وقال في اللباب: "قال ابن عباس: "نزلت في عبد الله بن سلام، وأسد¹ وأسيد² بني كعب، وثعلبة بن قيس، وسلام بن أخت عبد الله بن سلام³، وسلمة بن أخيه⁴، ويامين بن يامين⁵، فهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير، ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: بل آمنوا بالله ورسوله محمد والقرآن وبكل كتاب قبله، فأنزل الله هذه الآية، يا أيها الذين آمنوا بمحمد والقرآن وبموسى والتوراة"⁶، آمنوا بالله ورسوله، اسم جنس، يعني آمنوا بجميع رسله. وقيل: هو خطاب لأهل الكتاب جميعاً، والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبيعسى والإنجيل، آمنوا بمحمد والقرآن"⁷، إلخ. قبلك أربعة أقوال: ﴿وَالْكِتَابِ﴾ بالحذف ﴿الَّذِي نَزَّلَ﴾ بتشديد الزاي ﴿عَلَى رَسُولِهِ﴾ يعني القرآن العزيز ﴿وَالْكِتَابِ﴾ بالحذف، أي وبكل كتاب ﴿الَّذِي أَنْزَلَ﴾ بفتح الزاي⁸ للجمهور فيه، وفيما قبله، والفاعل في الفعلين ضمير يعود على الله ﴿مِنْ﴾ ابتدائية ﴿قَبْلُ﴾ أي من قبل القرآن كتاب محمد صلى الله عليه وسلم، وقرأ ابن كثير⁹ وابن عامر وأبو عمرو، وخلق بالبناء للمفعول في الفعلين ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ﴾ والكفر بالله يحصل بوجوه كثيرة، منها التعطيل، ومنها الإشراك، بأن يجعل مع الله إلهاً آخر، ومنها سب الله تعالى، وغير ذلك مما هو كثير ﴿وَمَلَيْكَتِهِ﴾ كأن ينكر وجودهم، وغير ذلك مما هو كثير

¹ العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص53.

² العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص53.

³ العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص148.

⁴ العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص148.

⁵ العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص148.

⁶ السيوطي، الدر المنثور، ج2، ص716.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص440.

⁸ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص36، 37.

⁹ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص36، 37.

﴿وَكُتِبَ لَهُ﴾ يعني جميع الكتب السماوية، بأن يقول: إنها من عند غير الله، أو يكذب بشيء مما فيها، وغير ذلك مما هو كثير ﴿وَرُسُلِهِ﴾ جمع رسول، والكفر بواحد منهم كفر بجميعهم، وكذلك الكتب، وكذلك الملائكة، فكل من كفر بملك واحد أو بكتاب واحد أو برسول واحد، فقد كفر بالجميع ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هو نظير قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾¹ فكل من كفر باليوم الآخر، فقد استوجب الخلود في نار جهنم، وقد خرج عن الطريق القويم، كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ ذهب عن طريق الحق ﴿ضَلَالًا﴾ بالحذف، ذهابًا ﴿بَعِيدًا﴾ فاصلة الآية الخامسة، أي مبعدًا لصاحبه عن الحق، كألیم بمعنى مؤلم، أو وصف الضلال بالبعد مجازًا، إذ البعيد عن الحق صاحبه. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله ورسله ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعد إيمانهم ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا﴾ بعد كفرهم ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعد ذلك ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا﴾ افتعل من الزيادة ﴿كَفَرًا﴾ تمييز محول عن الفاعل ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ﴾ مذهب البصريين أن الناصب ﴿لِيَغْفِرْ﴾ ونحوها، مما وقع بعد نفي كأن أن مضمرة واللام زائدة والخبر محذوف، أي مريدًا لأن يغفر لهم، ومذهب الكوفيين أن اللام زائدة، وهي الناصبة للفعل بعدها، والفعل هو خبر كان ﴿لَهُمْ﴾ أي لهؤلاء الذين آمنوا ثم كفروا، "وهذا فيمن علم الله أنه يموت على كفره، وقد يكون إضلالهم عقابًا لسوء أفعالهم"²، قاله ابن جزى. وقال في الباب: قال ابن عباس: نزلت في اليهود، آمنوا بموسى، ثم كفروا بعبادة العجل، ثم آمنوا بعد ذلك، ثم كفروا بعبادة عيسى والإنجيل، ثم ازدادوا كفرًا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن. وقيل: إنهم آمنوا بموسى، ثم كفروا بعده، ثم آمنوا بدادود، ثم كفروا بعبادة عيسى، ثم ازدادوا كفرًا بمحمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: نزلت في المنافقين، وذلك أنهم آمنوا، ثم كفروا بعد الإيمان، ثم آمنوا، يعني بألسنتهم، وهو إظهارهم الإيمان، لتجري عليهم أحكام المؤمنين، ثم ازدادوا كفرًا، يعني بموتهم على الكفر. وقيل: بذنوب أحدثوها بالكفر.

¹ الفرقان، 11.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 213.

وقيل: هم قوم آمنوا، ثم ارتدوا إلى الكفر، ثم آمنوا ثم ارتدوا إلى الكفر، ثم ازدادوا كفرًا بموتهم عليه، وذلك لأن من تكرر منه الإيمان بعد الكفر، والكفر بعد الإيمان مرات كثيرة، يدل ذلك على أنه لا وقع للإيمان في قلبه، ومن كان كذلك لم يكن مؤمنًا بالله إيمانًا صحيحًا، وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالإيمان، ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته أم لا؟ حُكي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أنه لا تقبل توبته، بل يقتل، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن توبته مقبولة¹. انتهى. وقال ابن جزى: "الآية قيل: هي في المنافقين، لتردهم بين الإيمان والكفر. وقيل: في اليهود والنصارى، لأنهم آمنوا بأنبيائهم، ثم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم، والأول أرجح، لأن الكلام من هنا فيهم، والأظهر أنها فيمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم ارتد ثم عاد إلى الإيمان، ثم ارتد وزاد كفرًا². انتهى. وقال الثعالبي: "قال مجاهد وابن زيد: الآية في المنافقين، فإن منهم من كان يؤمن ثم يكفر ثم يؤمن ثم يكفر ثم ازداد كفرًا بأن تم على نفاقه حتى مات. قال ابن عطية: "وهذا التأويل هو الأرجح، وتأمل قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فإن هذه عبارة تقتضي أن هؤلاء محتوم عليهم من أول أمرهم، ولذلك ترددوا، وليست هذه العبارة مثل أن يقول: لا يغفر الله لهم، بل هي أشد، فتأمل الفرق بين العبارتين، فإنه من دقيق غريب الفصاحة التي في كتاب الله سبحانه³. انتهى. وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾ قال في اللباب: "يعني ما أقاموا على الكفر وماتوا عليه، وذلك لأن الله تعالى أخبر أنه يغفر الكفر إذا تاب الكافر منه، بقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا﴾⁴ يعني عن الكفر ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ﴾⁵ يعني من

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص440.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص176، 177. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص213.

³ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص125. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص504، 505.

⁴ الأنفال، 38.

⁵ الأنفال، 38.

كفرهم"¹. انتهى. ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ﴾ يرشدهم، عطف على ﴿لِيَغْفَرَ﴾ أي ولم يكن الله ليهديهم ﴿سَبِيلًا﴾ أي طريق الحق، فاصلة الآية السادسة ﴿بَشِيرٍ﴾ أخبر يا محمد ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ بالحذف، وقد مر أن المنافق هو الذي يسر الكفر ويظهر الإسلام ﴿يَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً، ويظهر أن الباء للآلة أو للإلصاق، فاصلة الآية السابعة. قال في اللباب: "وإنما وضع ﴿بَشِيرٍ﴾ مكان أخبر تكملاً بهم. وقيل: البشارة خبر تتغير به بشرة الوجه، سائرًا كان ذلك الخبر أو غير سار. وقيل: معناه اجعل موضع بشارتك العذاب، لأن العرب تقول: تحيتك الضرب، أي هو بدل من تحيتك. قال الشاعر²: [الوافر]

وخيل قد دلفت لها بخيل ~ تحية بينهم ضرب وجيع"³.

انتهى. وقال الثعالبي: "في هذه الآية دليل على أن التي قبلها في المنافقين"⁴. انتهى. ثم وصف الله تعالى المنافقين، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ﴾ يصيرون ﴿الْكَافِرِينَ﴾ بالحذف، كاليهود ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أنصارًا وبطانة ﴿مِّنْ﴾ يظهر أنها ابتدائية متعلقة بـ ﴿يَتَّخِذُونَ﴾، ﴿دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يجعلونهم أقرب من المؤمنين في المنزل ويقصون المؤمنين. قال الثعالبي: "ثم نص سبحانه من صفات المؤمنين على أشدها ضررًا، وهي موالاتهم للكافرين، وإطراحهم المؤمنين. ونبه سبحانه على فساد ذلك، ليدعه من عسى أن يقم في نوع منه من المؤمنين غفلة أو جهالة أو مسامحة"⁵. انتهى المراد منه. وقال في اللباب: "يعني يتخذون اليهود والنصارى أولياء أنصارًا وبطانة من دون المؤمنين، وذلك أن المنافقين كانوا يقولون: إن محمدًا لا يتم أمره

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص441.

² قائله عمرو بن معدي كرب. بلفظ: كرب "بدل "ضرب". السهيلي، الروض الأنف، ج2، ص134.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص441.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص505.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص505.

يقولون: إن محمدًا لا يتم أمره فيوالون اليهود، فقال الله تعالى ردًا على المنافقين أيتغون عندهم¹. إلخ. وقال في الضياء: ﴿الَّذِينَ﴾ في محل نصب أو رفع على الدم، بمعنى أريد الذين أو هم الذين². انتهى. قال في الباب: "قال تعالى ردًا على المنافقين ﴿أَيَبْنُغُونَ﴾ يطلبون يعني المنافقين"³. استفهام إنكار ﴿عِنْدَهُمْ﴾ أي عند اليهود ﴿الْعِزَّةُ﴾ القوة والاستفهام للإنكار ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ﴾ القوة والقدرة والقهر والغلبة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ حال من العزة، يعني أن العزة كلها لله تعالى، يعز من يشاء ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾⁴. وقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ فاصلة الآية الثامنة. قال في الباب: "﴿أَيَبْنُغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ﴾ يعني: يطلبون من عند اليهود القوة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يعني: فإن القوة والقدرة والغلبة لله جميعًا، وهو الذي يعز أوليائه وأهل طاعته، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾"⁵. انتهى. وقال في الضياء: "﴿أَيَبْنُغُونَ﴾ يطلبون بحوالاتهم عندهم العزة، استفهام إنكار، أي لا يجدونها عندهم ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ في الدنيا والآخرة، لا يعز إلا من أعزه، وقد كتب العزة لأوليائه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾"⁶، ولا يؤبه بعزة غيرهم"⁷. انتهى. وقال الثعالبي: "﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يؤتيها من يشاء، وقد وعد بها

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص441.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص214.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص441.

⁴ المنافقون، 8. الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص441.

⁵ المنافقون، 8. الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص441.

⁶ المنافقون، 8. الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص441.

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص214.

المؤمنين، وجعل العاقبة للمتقين"¹. انتهى. "ثم" ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ بالبناء للمفعول للجمهور، وبالبناء للفاعل لعاصم ويعقوب، أي الله ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ بال حذف، القرآن في سورة الأنعام ﴿أَنَّ﴾ مخففة من الثقيلة، أي أنه، وهو نائب الفاعل على الأول، ومفعول على الثانية ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا﴾ أي يجحد بها، ويظهر أن الباء للملاصقة ﴿وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ يلعب بها، ويسخر منها، ويظهر أن الباء للملاصقة ﴿فَلَا تَقْعُدُوا﴾ تجلسوا ﴿مَعَهُمْ﴾ مع الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّى﴾ إلى أن ﴿يَخُوضُوا﴾ يأخذوا ﴿فِي حَدِيثٍ﴾ كلام ﴿غَيْرِهِ﴾ أي غير الاستهزاء بالقرآن. قال الثعالبي: "وقد نزل عليكم في الكتاب مخاطبة لجميع من أظهر الإيمان، من محقق ومنافق، لأنه إذا أظهر الإيمان، فقد لزمه امتثال أوامر كتب الله تعالى، والإشارة بهذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾² إلى نحو هذا من الآيات. وفي الآية دليل على وجوب تجنب أهل البدع والمعاصي، وأن لا يجالسوا، وقد قيل³: [الطويل]

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ~ فكل قرين بالمقارن يقتدي⁴.

انتهى. وقال ابن جزى: "والضمير في ﴿مَعَهُمْ﴾ يعود على ما يدل عليه سياق الكلام من الكافرين والمنافقين"⁵. انتهى. وقال في الباب: "قال المفسرون: الذي أنزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص505.

² الأنعام، 68.

³ قاله عدي بن زيد. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص194. وينسب لغيره.

⁴ في الثعالبي: "مقتدي". الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص505.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص214.

عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ ¹ وهذا نزل بمكة، لأن المشركين كانوا يخوضون في القرآن، ويستهنئون به في مجالسهم، ثم إن أحبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين، وكان المنافقون يجلسون إليهم، ويخوضون معهم في الاستهزاء بالقرآن، فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ﴾ يعني: حتى يأخذوا في حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم. قال ابن عباس: دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة ². انتهى. وقال في الضياء: "﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ حالاً من الآيات، جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾" ³ انتهى المراد منه. ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها الجالسون مع الكافرين بالآيات، والمستهنئين بها ﴿إِذَا﴾ بالألف، إن قعدتم معهم، وهم يستهنئون بآيات الله ﴿مِثْلَهُمْ﴾ قال في الباب: "يعني: إنكم أيها الجالسون مع المستهنئين بآيات الله، ورضيتم بذلك، فأنتم وهم في الكفر سواء. قال العلماء: وهذا يدل على أن من رضي بالكفر فهو كافر، ومن رضي بمنكر أو خالط أهله كان في الإثم بمنزلتهم، إذا رضي به، وإن لم يباشره، وإن جلس إلى أهل الاستهزاء بالآيات، ولم يرض بفعلهم، بل كان ساقطاً له، وإنما جلس على سبيل التقية والخوف، فالأمر فيه أهون من المجالسة مع الرضى، وإن جلس مع صاحب بدعة أو منكر، ولم يخض في بدعته أو منكروه، فيجوز الجلوس معه مع الكراهة. وقيل: لا يجوز، والأول أصح" ⁴.

انتهى بتغيير. وقال في الضياء: "﴿إِنَّكُمْ إِذَا﴾ إن قعدتم معهم ﴿مِثْلَهُمْ﴾ في الإثم، لا في جميع الصفات، إن لم ترضوا به، لأنكم قادرون على الإعراض والإنكار، أو مثلهم في الكفر إن رضيتم به، لأن الرضى بالكفر كفر، والرضى بالشئ استحسانه، و﴿إِذَا﴾ ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر، ولذا لم يذكر بعدها الفعل، وأفرد مثلهم، لأنه كالمصدر وللإستغناء بالإضافة

¹ الأنعام، 68.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص441.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص214.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص441.

إلى الجمع، وقرأ بالفتح¹ على البناء، لإضافته إلى مبنى². انتهى. وقال الثعالبي: "وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات"³. انتهى. ولما أخبر الله تعالى أن الكفار والمنافقين اجتمعوا على الاستهزاء بآيات الله في الدنيا، أخبر الله أنه يجمعهم في عذاب جهنم في الآخرة، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعٌ﴾ بالإثبات ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ بالحذف ﴿وَالْكَافِرِينَ﴾ بالحذف ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾ متعلق بـ ﴿جَامِعٌ﴾ فهو لغو ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ﴿الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ﴾ فاصلة الآية التاسعة. قال في اللباب: "يعني أنهم اجتمعوا في الدنيا على الاستهزاء بآيات الله، فكذلك يجمعهم الله في عذاب جهنم يوم القيامة"⁴. انتهى. وقال الثعالبي: "ثم تواعد سبحانه المنافقين والكافرين بجمعهم في جهنم، فتأكد بذلك النهي عن محالستهم وخلطتهم"⁵. انتهى. ﴿الَّذِينَ﴾ قال في الضياء: "بدل من ﴿الَّذِينَ﴾ قبله منصوب أو مرفوع أو مجرور صفة لـ ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾"⁶. انتهى. ﴿يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ "ينتظرون ما يحدث بكم من خير أو شر، والآية نزلت في المنافقين"⁷، قاله في اللباب. ويظهر لي أن الباء للملاصقة. وقال ابن جزى: "صفة لـ ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ أي ينتظرون بكم دوائر الزمان"⁸. انتهى. وقال في الضياء: "ينتظرون بكم الدوائر أن تقع عليكم"⁹. انتهى. ويظهر لي من سياق الكلام أن تفسير صاحب اللباب أظهر، والله تعالى أعلم. ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ ويظهر أن اللام لشبه الملك

¹ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج3، ص375.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص215.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص506.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص441.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص506.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص215.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص441.

⁸ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص176، 177. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن،

ج1، ص214.

⁹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص215.

﴿فَتَحُّ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾، ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ صفة ﴿فَتَحُّ﴾ و ﴿مِّن﴾ ابتدائية. قال في اللباب: "﴿فَتَحُّ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي ظفر على عدو، أو غنيمة تناولوها منهم"¹. انتهى. وفي القاموس: "الفتح النصر"². ﴿قَالُوا﴾ يعني المنافقين ﴿أَلَمْ﴾ استفهام تقرير ﴿نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ "يعني في الوقعة والفتح، فأعطونا من الغنيمة. وقيل: معناه: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾"³، قاله في اللباب. وقال الثعالبي: "إن كان فتح للمؤمنين، ادعوا فيه النصيب بحكم ما يظهرونه من الإيمان"⁴. انتهى. وقال في الضياء: "﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدين والجهاد مظاهرين لكم، فأعطونا سهمنا من الغنيمة، كما شاركناكم في القتال"⁵. انتهى.

﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ﴾ بال حذف ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ من الظفر على المؤمنين. قال في اللباب: "أي دولة وظفر على المسلمين"⁶. وقال الثعالبي⁷: "وإن كان للكافرين نيل من المؤمنين، ادعوا فيه النصيب بحكم ما ييطنونه من مولاة الكفار، وهذا حال المنافقين". انتهى.

﴿قَالُوا﴾ أي المنافقون للكفار ﴿أَلَمْ﴾ استفهام تقرير ﴿نَسْتَحِذُ﴾ نستولي ﴿عَلَيْكُمْ﴾ قال في اللباب: "الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة، يقال: استحاذ على فلان، أي غلب عليه، والمعنى: ألم نغلبكم، نتمكن من قتلكم وأسرکم، ثم لم نفعل ذلك. وقيل: معناه: ألم نغلبكم على رأيكم"⁸. انتهى. وقال ابن جزى: "﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص441.

² الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب الحاء، فصل الفاء، ص297.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص441.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص506.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص215.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص441.

⁷ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص506.

⁸ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص411.

نغلب على أمركم بالنصرة لكم والحمية"¹. انتهى. وقال في الضياء: ﴿الْمَنَسَحُوذُ عَلَيْكُمْ﴾ نغلبكم، حين كان الظفر للمسلمين، وكنا قادرين على قتلكم وأسرکم، وقد أبقينا عليكم"².

انتهى. ﴿وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال في الضياء: "أن يظفروا بكم، بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم، فلنا عليكم المنة، فأشركونا فيما أصبتم، وإنما سمي ظفر المؤمنين فتحًا، لتعظيم شأنه بفتح أبواب السماء له، حتى ينزل النصر عليهم، وسمي ما للكافرين نصيبًا، لتحقيره وقصره على الدنيا، ولكونه استدراجًا ولم يقل³ استحوذ تنبيهًا على أصله المرفوض، وهو سماعي. وعن أبي زيد أنه مطرد، يقال: استحاذ واستحوذ"⁴. انتهى. وقال في اللباب: "

﴿وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني من ضالاتهم"⁵، والدخول في دينهم. وقيل: معناه: ألم ندفع عنكم المؤمنين، بتخذيلهم عنكم، ومراسلتنا إياكم بأخبارهم وأسرارهم، فهاتوا نصيبنا مما أصبتم منهم. ومراد المنافقين إظهار المنة على الكفار. فإن قلت: لم سمي ظفر المؤمنين فتحًا؟ وسمي ظفر الكافرين نصيبًا؟ قلت: تعظيمًا لشأن المؤمنين، وتخسيسًا لحظ الكافرين، لأن ظفر المسلمين أمر عظيم، تفتح له أبواب السماء، حتى ينزل النصر على المسلمين؛ وأما ظفر الكفار، فما هو إلا حظ ديني، ونصيب خسيس، لا يبقى منه إلا ما نالوه في الدنيا، ولهم في الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين"⁶. انتهى. ﴿فَاللَّهُ

يَحْكُمُ﴾ يقضي ﴿بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والمنافقون ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بالحذف، مصدر، يقال: قام قيامًا وقيامه، والمراد يوم الحشر والنشر ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁷ ويوم يقومون من قبورهم. قال في اللباب: "﴿بَيْنَكُمْ﴾ يعني الفريقين: فريق المؤمنين، وفريق

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص214.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص215.

³ في الأصل: "يمل"، وفي الضياء: "يقل".

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص215.

⁵ في الخازن: "صاتهم".

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص442.

⁷ المطففين، 6.

المنافقين. والمعنى: إنما وضع السيف على المنافقين في الدنيا، لا لأجل كرامتهم، بل آخر عذابهم إلى يوم القيامة¹. انتهى. وهذا هو الذي فسرت به، ومقتضى كلام غير واحد أو صريحه، أن هنا حذف الواو، مع ما عطفت. قال السيوطي: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بأن يدخلكم الجنة، ويدخلهم النار². انتهى. ونحوه للثعالبي³ والضياء⁴. قال الثعالبي: "ثم أنس الله المؤمنين، بما وعدهم به، في قوله: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وينصفكم من جميعهم، وبقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾^(١٤١) أي يوم القيامة، قاله علي رضي الله عنه، وعليه جميع أهل التأويل، والسبيل الحجة والغلبة. قلت: إلا ابن العربي لم يرض هذا التأويل⁵. انتهى. وها أنا أذكر ما فسر به ابن العربي: "قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ﴾ يوجد ﴿اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ﴾ بالحذف، واللام لشبه التمليك ﴿عَلَى﴾ استعلائية ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ حال من قوله: ﴿سَبِيلًا﴾ فاصلة الآية المكملة للأربعين بعد المائة من سورة النساء. قال ابن العربي: "إنما معنى الآية أحد ثلاثة أوجه: الأول: لمن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً، يحو به دولة المؤمنين، ويستبيح بيضتهم"⁶. وهذا هو الذي فسر به السيوطي: "فإنه قال: ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً بالاستئصال"⁷. الثاني: لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً، إلا أن يتراضوا⁸ بالباطل، ولا يتناهاوا عن المنكر، ويتباعدوا عن التوبة، فيكون تسلط العدو من قبلهم، وهذا نفيس جداً. الثالثة: لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 442.

² السيوطي، تفسير الجلالين، ص 127.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 506.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 215.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 506.

⁶ ابن العربي، أحكام القرآن، ج 1، ص 510.

⁷ السيوطي، تفسير الجلالين، ص 127.

⁸ في ابن العربي: "تواصوا".

سبيلاً بالشرع، فإن وجد ذلك فبخلاف الشرع"¹. انتهى. وقال في الباب: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما وهو قول علي رضي الله عنه وابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن المراد به في القيامة، بدليل أنه عطف على قوله: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾. وروي أن رجلاً سأل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ قال: وهم يقتلوننا، فقال: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ﴾ يوم القيامة ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ والقول الثاني: إن هذا في الدنيا، والمعنى أن حجة المؤمنين غالبية في الدنيا على الكافرين، وليس لأحد أن يغلبهم بالحجة. وقيل: معناه: أن الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً، بأن يمحو دولة المؤمنين بالكلية إلخ. وقيل: معناه: أن الله لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً بالشرع، فإن شريعة الإسلام ظاهرة إلى يوم القيامة، ويتفرع على ذلك مسائل من أحكام الفقه، منها أن الكافر لا يرث المسلم، ومنها أن الكافر إذا استولى على مال المسلم لم يملكه، بدليل هذه الآية، ومنها أن الكافر ليس له أن يشتري عبداً مسلماً، ومنها أن المسلم لا يقتل بالذمي، بدليل هذه الآية"². انتهى كلام صاحب الباب، وهو شافعي المذهب. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ بالحذف ﴿يُخَادِعُونَ﴾ بالحذف ﴿اللَّهُ﴾ قال السيوطي: "بإظهارهم خلاف ما أبطنوه من الكفر، ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ بالحذف، يجازيهم على خداعهم، فيفتضحون في الدنيا بإطلاع نبيه على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة"³. انتهى. وأصل الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه، لتنزله عما هو بصدد، وأصله الستر والإخفاء، ومنه المخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع، والمعنى على هذا أنهم يفعلون فعل المخدع، ويرومون الخدع بإظهار خلاف ما أبطنوه، والخدع من الله تعالى في قوله: ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ معناه:

¹ ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص510.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص442.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص127.

أن يظهر لهم، ويعجل لهم من النعيم في الدنيا، خلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة. وقيل: من الخدع، وهو الإفساد. ومعناه: يفسدون ما أظهروا من الإيمان بالله، بما أضمروا من الكفر، وهو خادعهم، يفسد عليهم نعيمهم في الدنيا، بما يصيرهم إليه في الآخرة من عذاب النار. وقيل: يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالكلام على حذف مضاف. وقيل:

إنه على حذف مضاف تقديره: يخادعون أولياء الله، وقد مر تفسير ﴿وَهُوَ خَدِعُهُمْ﴾ بأن معناه مجازيهم على خداعهم، فيفتضحون في الدنيا إلخ. وقال ابن جريح والحسن والسدي وغيرهم من المفسرين: إن هذا الخدع هو أن الله تعالى يعطي لهذه الأمة نورًا يوم القيامة نورا لكل إنسان مؤمن أو منافق، فيفرح المنافقون، ويظنون أنهم قد نجوا، فإذا جاؤوا إلى الصراط طغى نور كل منافق، ونهض المؤمنون، فذلك قول المنافقين: انظرونا نقتبس من نوركم، فذلك الخدع الذي يجري على المنافقين ﴿وَإِذَا﴾ ظرف فيه معنى الشرط، والعامل فيه الجواب ﴿قَامُوا كُسَالَى﴾، ﴿قَامُوا﴾ بالإثبات، يعني المنافقين. قال صاحب هذا التفسير: أصل

القيام الانتصاب على القدمين، والمراد عندي هنا، والله تعالى أعلم، فعلها وتأديتها ﴿إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ بالإثبات فيهما، أي متشاقلين دون فتور. قال في القاموس: "الكسل محركة التشاقل عن الشيء والفتور فيه، كسل كفرح، فهو كسل وكسلان، جمعه كسالى مثلثة الكاف، وكسالى بكسر اللام، وكسلى كقتلى، وهي كسيلة وكسالة¹ وكسول ومكسال، وهما أيضًا نعت للجارية المنعمة التي لا تكاد تبرح من مجلسها مدح"². انتهى. قال في اللباب: "

﴿قَامُوا كُسَالَى﴾ يعني متشاقلين، وسبب هذا الكسل أنهم يتعبون بها، لأنهم لا يرجون بفعلها ثوابًا، ولا يريدون به وجه الله عز وجل، ولا يخافون على تركها عقابًا، لأن الداعي إلى فعلها خوف الناس، ولذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور"³. انتهى. وقال البغوي: "

¹ في القاموس المحيط: "كسلانة".

² الفيروزبادي، القاموس المحيط، باب اللام، فصل الكاف، ص1260.

³ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص442.

﴿كَسَالَى﴾ متشاقلين، لا يريدون وجه الله، فإذا رآهم أحد صلوا، وإلا انصرفوا فلم يصلوا"¹. انتهى. ﴿يُرَاءُونَ﴾ بإثبات الألف ﴿النَّاسَ﴾ بالإثبات. قال في القاموس: "رأيته مراآة ورثاآ رأيته"² على خلاف ما أنا عليه"³. انتهى. وقال في الباب: "يعني أنهم لا يقومون إلى الصلاة إلا لأجل الرياء والسمعة، لا لأجل الدين، ولا يرون أنها واجبة عليهم. قال قتادة: والله، لولا الناس ما صلى منافق. انتهى"⁴. وقال في الضياء: "يراءون الناس بصلاتهم ليقولوا: إنهم مؤمنون"⁵. ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فاصلة الآية الأولى بعد الأربعين والمائة. قال في الباب: "قال ابن عباس: إنما قيل ذلك، لأنهم يفعلونه رياء وسمعة، ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا"⁶. انتهى. وقيل: لأن الله لم يقبله، ولو قبله لكان كثيرا. وقيل: المراد بالذكر الصلاة، والمعنى: أنهم لا يصلون إلا قليلا، لأنهم متى لم يكن معهم أحد من المؤمنين، فإنهم لا يصلون، وإذا كانوا مع المؤمنين يتكفون فعلها. انتهى. وقال الثعالبي: "روى الأئمة عن مالك وغيره عن أنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: >تلك صلاة المنافقين، يجلس أحدهم حتى إذا اصفرت الشمس وكانت بين قرني الشيطان، قام فنقر أربعاً، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً">⁷. قال ابن العربي في أحكامه: "قد بين الله تعالى صلاة المؤمنين بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)﴾⁸ ومن خشع خضع واستحيا⁹، ولم ينقر صلاته، ولم يستعجل"¹. انتهى. ﴿مُذَبِّذِينَ﴾ مرددين، حال من

¹ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص177.

² في القاموس المحيط: "رثته".

³ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب اللام، فصل الهاء، ص1658.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص442.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص216.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص442.

⁷ غير موجود في الثعالبي. أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 2 الصلاة، باب 5 في وقت صلاة العصر،

ج1، ص166، رقم413.

⁸ المؤمنون، 1، 2.

⁹ في الثعالبي: "وستمر".

من واو ﴿يُرَاءُونَ﴾ أي يراءون الناس غير ذاكين مذبذبين، أو منصوب على الذم ﴿بَيْنَ﴾ ذَلِكْ ﴿بالحذف﴾، "بين الكفر والإيمان من الذبذبة، جعل الشيء مضطرباً، وأصله بمعنى الطرد، وقرئ بكسر الهمزة، بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم"²، قاله في الضياء. وقال في اللباب: "يعني أنهم مترددون بين الكفر والإيمان"³. انتهى. ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ بحذف ألف ها، يعني المؤمنين ﴿وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ بحذف ألف ها حيث وقع، يعني الكافرين. قال في اللباب: "يعني ليسوا من المؤمنين، حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين، وليسوا من الكفار، فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار"⁴. انتهى. ونحوه لابن جزي⁵. وقال في الضياء: "لا منسوبين إلى هؤلاء الكفار، لإظهارهم الإيمان، ولا إلى هؤلاء المؤمنين لكفرهم"⁶. انتهى. وقال في القاموس: "الذبذبة تردد الشيء المعلق في الهواء وحماية الجوار والأهل وإذابة الخلق والتحريك"⁷. انتهى. وقال النابغة⁸: [الطويل]

ألم تر أن الله أعطاك سورة ~ ترى كل ملك دونها يتذبذب

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص507. ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص512.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص216.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص443.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص443.

⁵ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص214.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص216.

⁷ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الدال، فصل الباء، ص109.

⁸ النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب، الذبياني، العطفاني، المضري، أبو أمامة، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء، فتعرض عليّه أشعارها، وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة، شعره كثير، جُمع بعضه في "ديوان"، مات نحو 18 قبل الهجرة. الزركلي، الأعلام، ج3، ص5554. بتصرف.

وقال الثعالبي: "﴿مُذَبِّذِينَ﴾ مضطربين، لا يثبتون على حال، والتذبذب الاضطراب، فهؤلاء المنافقون مترددون بين الكفار والمؤمنين ﴿لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾. قال صلى الله عليه وسلم: <مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين>¹. والإشارة بذلك إلى حالتي الكفر والإيمان². انتهى. قال في القاموس: "عار البعير ترك شوله³ وانطلق إلى أخرى"⁴. انتهى. وقال في الباب: "العائرة بالعين المهملة المتحيرة المترددة لا تدري لأي الغنمين تتبع. وقيل: تعير تردد وذهب يمينًا وشمالًا، مرة إلى هذه، ومرة إلى هذه، ولا يدري إلى أين يذهب. وهذا مثل المنافق، مرة مع المؤمنين، ومرة مع الكفار، أو ظاهره مع المؤمنين، وباطنه مع الكافرين"⁵. انتهى. وعلم مما مر عن الضياء⁶ أن ﴿إِلَى﴾ متعلقة بمحذوف، وذكر ما هو كالعلة في نفاق المنافقين، فقال: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ يزغه عن الهدى ويذهب به ﴿فَلَنْ يَجِدَ﴾ تصادف، يا محمد ﴿لَهُ﴾ قال صاحب هذا التفسير: إما لغو متعلق بـ ﴿يَجِدَ﴾ ، وإما حال من قوله: ﴿سَيِلًا﴾ طريقًا إلى الهدى، فاصلة الآية الثانية. ولما ذم الله المنافقين بالتذبذب، نهي المؤمنين عن التخلق بأخلاقهم، بقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدقوا بالله ورسله ﴿لَا نَتَّخِذُوا﴾ تصيروا ﴿الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أنصارًا وبطانة ﴿مِنْ﴾ يظهر أنها ابتدائية متعلقة بـ ﴿نَتَّخِذُوا﴾، ﴿دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي لا تجعلوهم دونهم، أي أقرب منهم في المنزل، فإن ذلك صنيع المنافقين، فلا تتشبهوا بهم. قال في الباب: "يقول لا توالوا الكفار من دون أهل ملتكم، فتكونوا كمن وجبت له النار من المنافقين. والسبب في هذا النهي أن الأنصار بالمدينة كان لهم من يهود بني قريظة حلف ومودة ورضاع، فقالوا: يا رسول

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 5 صفات المنافقين وأحكامهم، ج 4، ص 2146، رقم 2784.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 507.

³ في القاموس المحيط: "شُولُهَا".

⁴ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب الرء، فصل العين، ص 574.

⁵ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 443.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 216.

الله، من يتولى؟ فقال: <المهاجرون>¹. انتهى. ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ أيها المتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴿أَنْ تَجْعَلُوا﴾ توجدوا ﴿لِلَّهِ﴾ لله متعلق بـ ﴿تَجْعَلُوا﴾، ﴿عَلَيْكُمْ﴾ متعلق بما بعده، حال منه، ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾²، ﴿سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ حجة ظاهرة، فاصلة الآية الثالثة. قال في اللباب: "يعني أتريدون أيها المتخذون الكفار أولياء أن تجعلوا لله عليكم حجة بينة، باتخاذكم الكفار أولياء من دون المؤمنين، فتستوجبوا بذلك النار"³. انتهى. وقال الثعالبي: "﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلخ، خطابه سبحانه للمؤمنين، يدخل فيه بحكم الظاهر المنافقون المظهرون للإيمان، ففي اللفظ رفق بهم، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا﴾ إلخ، لأن هذا التوقيف لا يكون إلا لمراء بشيء من الفعل المؤدي إلى هذا⁴ الحال، والمؤمنون المخلصون ما آلموا قط بشيء من ذلك، ويقوي هذا المنزع⁵: ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي والمؤمنون العارفون المخلصون⁶، غيب عن هذه الموالاة، وهذا لا يقال للمؤمنين المخلصين، بل المعنى: يا أيها الذين آمنوا، أظهروا الإيمان والتزموا لوازمه، والسلطان الحجة"⁷. ونهى عز وجل عن اتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين، لأن مصادقة عدو الصديق معاداة الصديق. قال الشاعر⁸: [الطويل]

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص443.

² النحل، 100.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص443.

⁴ في الثعالبي: "هذه".

⁵ في الثعالبي: "المنزع قوله تعالى".

⁶ في الثعالبي: "لأن هذا التوفيق إنما هو لمن ألمّ بشيء في هذا الفعل المؤدي إلى هذه الحال".

⁷ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص508.

⁸ القائل بشار بن برد، بلفظ: تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك، ليس النوك عنك بعازب. بشار بن برد، ديوان بشار بن برد، ص21.

تود عدوي ثم تزعم أنني ~ صديقك، ليس النوك¹ عنك بعازب

ثم أخبر عن مقر المنافقين فقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ بالحذف ﴿فِي الدَّرَكِ﴾ في المكان، والدرك في الأصل أقصر قعر الشيء ﴿الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ حال من ﴿الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾، و﴿مِنْ﴾ تبعيضية. قال في الباب: "يعني في الطبقة الذي في قعر جهنم، والنار سبع دركات، بعضها فوق بعض، سميت طباق جهنم دركات، لأنها متدركة متتابعة. وقيل: الدرك بيت مقفل عليهم، تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم. وقيل: هي توايت من حديد مقفلة عليهم في النار. فإن قلت: لما كان المنافق أشد عذاباً من الكافر؟ قلت: إن المنافق مثل الكافر في الكفر، وفيه زيادة، وهي أنه ضم إلى كفره نوعاً آخر من الكفر، أو أخبث منه، وهو الاستهزاء بالإسلام والمسلمين، وإفشاء أسرار المسلمين، ونقلها إلى الكفار؛ فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين أشد من عذاب الكفار، والمنافق هو الذي أظهر الإيمان وأبطن الكفر، وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقاً فلتغليظ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: >ثلاثة من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان<². فإن هذه الخصال صفات المنافقين، فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين"³. انتهى. وقال الثعالبي: "ثم أخبر تعالى عن المنافقين أنهم في الدرك الأسفل من نار جهنم، وذلك أنهم أسرى غوائل من الكفار، وأشد تمكناً من أذى المسلمين، وأيضاً لأنهم شاهدوا معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وما يجعل الله على يديه من الخوارق، ما لم يشهد غيرهم من الكفار، فكانت الحجة عليهم أعظم، وكان كفرهم محض عناد. وروي عن أبي هريرة وابن مسعود وغيرهما أنهم قالوا: المنافقون في الدرك الأسفل من النار، في توايت من النار، ثم تقفل عليهم"⁴. انتهى. وقال ابن جزي: "﴿فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ أي في الطبقة السفلى من جهنم، وهي سبع طبقات، وفي ذلك دليل

¹ النوك: الحمق والعجز والجهل. ابن منظور، لسان العرب، مادة ن و ك، ج 10، ص 501.

² أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج 2، ص 536.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 508.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 508.

على أنهم شر من الكفار"¹. انتهى. وقوله: ﴿فِي الدَّرَكِ﴾ "قرأ الكوفيون بسكون الراء، والباقون بفتحها، "نشر"، وهما² لغتان كالظعف والظعن، والتَّهَرُ والنَّهَرُ"³، قاله البغوي. ﴿وَلَنْ تَجِدَ﴾ أي ولن تصادف، يا محمد ﴿لَهُمْ﴾ يعني: للمنافقين، حال من قوله: ﴿نَصِيرًا﴾ مانعًا من عذاب الله تعالى، واللام للتقوية، فاصلة الآية الرابعة. قال في الباب: "يعني: ولن تجد، يا محمد، لهؤلاء المنافقين ناصرًا ينصرهم من عذاب الله إذا نزل بهم"⁴. انتهى. ثم استثنى عز وجل من المنافقين التائبين، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من النفاق، بالإثبات. قال ابن جزى: "التوبة هنا الإيمان الصادق في الظاهر والباطن"⁵. ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ قال في الباب: "يعني: أصلحوا الأعمال، فعملوا بما أمر الله، وأدوا فرائضه"⁶، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ "تمسكوا بعهد الله ووثقوا به"⁷، قاله في الباب. وقال الثعالبي: "جعلوه منعهم وملجأهم"⁸. وقال في الضياء: "وثقوا به وتمسكوا بدينه"⁹. ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمُ لِلَّهِ﴾ قال في الضياء: "من الرياء عكس ما كانوا عليه"¹⁰. وقال الثعالبي: "ومن شروط التائب أن يصلح في قوله وفعله، ويعتصم بالله، ويخلص دينه لله تعالى، وإلا فليس بتائب"¹¹. انتهى. وقال في الباب: "يعني: وأخلصوا طاعتهم وأعمالهم لله، وأرادوه بها، ولم

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص214.

² ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص37.

³ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص178.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص443.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص214.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص443.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص443.

⁸ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص508.

⁹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص216.

¹⁰ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص216.

¹¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص508.

يريدوا رياء وسمعة، فهذه الأمور الأربعة إذا حصلت فقد كمل الإيمان، فلذلك قال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾¹ بزيادة واو بعد الألف، وبالحذف حيث وقع، يعني: التائبين المصلحين المعتصمين المخلصين ﴿مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني في الجنة. وقيل: ﴿مَعَ﴾ بمعنى من، أي من المؤمنين. قال صاحب هذا التفسير: وهذا أظهر بدليل قوله: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي﴾ بحذف الياء وصلًا ووقفًا وخطأ يعط ﴿اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في الآخرة ﴿أَجْرًا﴾ ثوابًا ﴿عَظِيمًا﴾ فاصلة الآية الخامسة. قال الثعالبي: "﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في رحمة الله سبحانه، وفي منازل الجنة. ثم وعد سبحانه المؤمنين الأجر العظيم، وهو التحليل في الجنة. وقال السفاسي²: ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ خبره مضمّر، أي فأولئك مؤمنون مع المؤمنين، قاله أبو البقاء³. انتهى. ﴿مَا﴾ استفهامية، مفعول للفعل بعدها ﴿يَفْعَلُ﴾ يصنع ﴿اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ بالإثبات، ويظهر أن الباء للآلة، والمعنى: أي حاجة لله في تعذيبكم، أيها العباد ﴿إِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعم الله تعالى، والشكر هو الثناء على الله تعالى، وهو يحصل بالطاعة ﴿وَأَمَنْتُمْ﴾ صدقتم بالله ورسوله. قال في الباب: "هذا استفهام تقرير، معناه: أنه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن، فإن تعذيبه لا يزيد في ملكه، وترك عقوبته لا ينقص من سلطانه، لأنه الغني الذي لا يحتاج إلى شيء من ذلك، فإن عاقب أحدًا، إنما يعاقبه لأمر أوجبه العدل والحكمة، فإن قمتم بشكر نعمه، وآمنت به، فقد أبعدتم أنفسكم من عذابه. قال

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص443.

² لم أعثر على القول. إبراهيم بن محمد السفاسي بن إبراهيم بن أبي القاسم القيسي السفاسي المالكي. سمع ببجاية من شيخها ناصر الدين، ثم حج وأخذ عن أبي حيان بالقاهرة وعن غيره، ثم قدم هو وأخوه دمشق سنة 738 فسمعا كثيرًا من زينب بنت الكمال وأبي بكر بن عنتر وأبي بكر بن الرضي والمزي وغيرهم، ومهر في الفضائل وجمع إعراب القرآن، ذكره الذهبي في "المعجم المختص"، وقال: له همة في الفضائل والعلوم. ولد في حدود سنة 697هـ، وتوفي في ثامن عشر ذي القعدة سنة 742هـ. العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1، ص55، 56. بتصرف.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص508. وأبو البقاء هو ابن القاصح.

أهل المعاني: فيه تقديم وتأخير، تقديره: إن آمنتكم وشكرتم، لأن الإيمان مقدم على سائر الطاعات، والشكر لا ينفع مع عدم الإيمان، ولأن الواو لا يوجب الترتيب"¹. انتهى المراد منه. وقال الثعالبي: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ أي² أمن منفعة له سبحانه في ذلك، أو أمن حاجة؟ قال أبو عبد الله اللخمي³: زعم الطبري⁴ أن قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ خطاب للمنافقين، ولا يكاد يقوم له على ذلك دليل يقطع به، وليس في ذكر المنافقين قبله ما يقتضي أن يحمل عليهم. انتهى. وهو حسن إذ حمل الآية على العموم⁵ أحسن، والعجب من ابن عطية كيف تبع الطبري في هذا التخصيص، ويظهر. والله أعلم. أنهما عولا في تخصيص الآية على قوله تعالى: ﴿وَأَمَنْتُمْ﴾ وهو محتمل، إذ يحتمل في حق المنافقين على ظاهره، وفي حق المؤمنين على معنى دتم على إيمانكم، والله أعلم. والشكر على الحقيقة لا يكون إلا مقترنا بالإيمان، لكنه ذكر الإيمان تأكيداً وتنبهها على جلالته موقعه"⁶. انتهى. وقال ابن جزري: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ إلى أي حاجة أو منفعة لله بعذابكم وهو الغني، وقدم الشكر على الإيمان، لأن العبد ينظر إلى النعم فيشكر عليها، ثم يؤمن بالمنعم، فكان الشكر سبباً للإيمان متقدماً عليه، ويحتمل أن يكون الشكر يتضمن الإيمان، ثم ذكر الإيمان بعده تأكيداً واهتماماً به"⁷. انتهى. ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي لم يزل ﴿شَاكِرًا﴾ بالإثبات، لأعمال المؤمنين، بالإثابة، أي يتقبل أقل شيء من العمل وينمي، وذلك شكر منه تعالى لعباده، قاله غير واحد. وقال ابن جزري: "والشاعر والمشكور

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص443.

² في الثعالبي: "أي".

³ لم أعثر على القول. اللخمي في الأعلام كثير، ولا توجد علامة فارقة.

⁴ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص340.

⁵ في الثعالبي: "العمل".

⁶ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص508.

⁷ ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص214.

اسم الله، معناه المجازي لعباده على أعمالهم يجزىل الثواب. وقيل: المثني على عباده"¹. انتهى.

وقال في الباب: "﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾" يعني: مثنيًا على عباده المؤمنين، موفيًا أجورهم. والشكر من الله الرضى بالقليل من أعمال عباده، وإضعاف الثواب عليه. وقيل: لما أمر الله عباده بالشكر، سمى الجزاء شكرًا على سبيل الاستعارة، فالمراد من الشاكر في صفات الله تعالى كونه مثنيًا على الشكر"². انتهى. وقال في الذهب: "والشكور من البهائم الذي يأكل قليلاً، ويظهر في بدنه. والعرب تقول في مثل: أشكر من بروقة، لأنه يقال: تخضر وتنضر بظل السحاب دون مطر"³، قاله الثعالبي. وفي القاموس: "البروق كجدول⁴ شجيرة ضعيفة، إذا غامت السماء أخضرت الواحدة بهاء، ومنه أشكر من بروقة"⁵. انتهى. ﴿عَلِيمًا﴾ بشكرهم وإيمانكم، فيجازيكم على ذلك، فاصلة الآية السادسة. وقال السيوطي: "﴿عَلِيمًا﴾ بخلقه"⁶. انتهى. وهذا كالترجمة لما بعده، والخاتمة لما قبله. "حزب" ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ يعني أن الله تعالى يعاقب على الجهر بالسوء من القول، فمن قال قولاً سيئاً استحق العقاب عليه. قال في الباب: "قال أهل المعاني: لا يحب الله الجهر بالسوء، ولا غير الجهر به، من القول"⁷. انتهى. والسوء من القول هو القول القبيح، أي المحرم، كالغيبة والنميمة وغيرهما. وقال في الضياء: "﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ وكذا السر به، ولكن الجهر أفحش"⁸. ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بضم الظاء، على القراءة المعروفة، فلا يؤخذ بالإخبار عن ظلم ظالمه، ولا يزيد عليه. ومعنى الآية: لا يجوز إظهار أحوال الناس

¹ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، المقدمة.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص444.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص509.

⁴ في القاموس المحيط: "كَجَرْدٍ".

⁵ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الباء، فصل القاف، ص1118.

⁶ السيوطي، تفسير الجلالين، ص128.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص444.

⁸ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص216.

المستورة، إلا لمن ظلم، يقول: سرق مني أو غصبني أو يشتم بمثل ما شتم به، ﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ﴾¹، ولحديث: >المستبان ما قال<، فعلى البادي منهما². رواه مسلم. قال ابن عباس: يرخص للمظلوم أن يدعو على ظالمه، وإن صبر فهو خير له. قال الحسن البصري: بأن يقول: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج لي حقي، اللهم حل بيني وبين ما يريد، ونحوه من الدعاء. قال ابن العربي: كل هذا إذا كان مؤمناً، وإذا كان كافراً، فأرسل لسانك فيه، وادع بالهلكة، وبكل دعاء، وإذا كان الرجل مجاهراً بالظلم، دعا عليه جهراً، ولم يكن له عرض محترم، ولا بدن محترم، ولا مال محترم. انتهى. وقال مجاهد: نزلت في الضيافة، إذا نزل رجل على رجل فلم يقم بحقه، جاز أن يذكر ذلك عنه. انتهى. وقال ابن جزى: "﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي إلا جهراً لمظلوم، فيجوز له من الجهر أن يدعو على من ظلمه. وقيل: إن يذكر ما فعل به من الظلم. وقيل: أن يرد عليه بمثل مظلمته إن كان شتمه"³. انتهى. وقال في الباب: "قيل: هو استثناء متصل، والمعنى: إلا جهر من ظلم. وقيل: هو استثناء منقطع، ومعناه: لكن المظلوم يجوز له أن يجهر بظلم الظالم. قال العلماء: لا يجوز إظهار أحوال الناس المستورة المكنونة، لأن ذلك يصير سبباً لوقوع الناس في الغيبة، لكن من ظلم يجوز له إظهار ظلمه فيقول: سرق مني أو غصب ونحو ذلك. وإن شتم⁴ جاز له أن يشتم بمثله، ولا يزيده شيئاً على ذلك، ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة: >المستبان ما قال<، فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم⁵. أخرجه مسلم. قال ابن عباس: لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد، إلا أن يكون مظلوماً، فإنه قد رخص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ وإن صبر فهو خير له. وقيل: الآية نزلت في الضيف، إذا نزل

¹ الشورى، 41.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب 45 البر والصلة والآداب، باب 118 النهي عن السباب، ج4، ص2000، رقم 2587.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص214.

⁴ في الخازن: "شوت".

⁵ تقدم تخريجه قبل قليل.

بقوم، فلم يقروه، ولم يحسنوا ضيافته، فله أن يشكو ما صنع به. قال مجاهد: هو الرجل ينزل بالرجل، فلا يحسن ضيافته، فيخرج من عنده فيقول: أساء ضيافتي"¹. انتهى. وقرئ² شاذًا بفتح الظاء، أي لكن يجهر بالسوء من ظلم. قال صاحب هذا التفسير: وما قيل من أنها في الضيف، يخالفه مذهب الجمهور من أن الضيافة مندوبة، والله تعالى أعلم. وهنا سؤالان: أحدهما: لم اقتصر على الجهر بالسوء مع أن السر به غير محبوب عند الله؟ ويظهر لي في الجواب أن تقول: لعل الآية نزلت في واقعة معينة جهر صاحبها بالسوء من القول. ثانيهما إذا قلنا: إن الاستثناء متصل، فلم جعل جهره حينئذ من الجهر بالسوء من القول؟ ويظهر لي في الجواب أن تقول: هو من باب المقابلة نحو: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَ سَيِّئَةٍ﴾³، ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي لم يزل ﴿سَمِيْعًا﴾ يعني لدعاء المظلوم ﴿عَلِيْمًا﴾ بفعل الظالم أو ﴿سَمِيْعًا﴾ لقول الظالم ﴿عَلِيْمًا﴾ بفعله، فاصلة الآية السابعة، وقد مر تفسير ﴿عَلِيْمًا﴾ قبل هذا بشكرهم وإيمانكم ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾ تظهروا ﴿خَيْرًا﴾ عملاً صالحاً. قال ابن عباس: يريد من أعمال البر والصيام والصدقة والضيافة والصلة. وقيل: معناه: إن تبدوا خيراً بدلاً من الجهر بالسوء من القول ﴿أَوْ تُخْفَوْهُ﴾ تسروه. قال في اللباب: "يعني: تخفوا الخير، فلم تظهروه. وقيل: معناه: إن تبدوا حسنة فتعملوا بها، يكتب لكم عشر أمثالها، وإن همّ بها ولم يعملها كتبت له واحدة. وقيل: إن جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين: أحدهما: صدق النية مع الحق. والثاني: التخلص بخلق مع الخلق حسن⁴، فالذي يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين أيضاً وهما: إيصال نفع إليهم في السر والعلانية، وإليه الإشارة بقوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفَوْهُ﴾ ورفع ضرر، وإليه الإشارة بقوله: ﴿أَوْ تَعْفُوا﴾⁵ تتجاوزوا ﴿عَنْ سُوءٍ﴾ فيدخل في هاتين الكلمتين جميع أعمال البر وجميع رفع الضرر. وقيل: المراد بالخير المال، والمعنى: إن تبدوا

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص444.

² أحمد بن محمد البناء، إتحاف فضلاء البشر بالقرآت الأربعة عشر، ج1، ص523.

³ الشورى، 40.

⁴ غير موجودة في الخازن.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص444.

الصدقة فتعطوها الفقراء جهراً، أو تخفوها وتعطوها سراً، أو تغفرو عن مظلمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ أي لم يزل ﴿عَفْوَاً قَدِيراً﴾ فاصلة الآية الثامنة. "يعني: لم يزل ذا عفو كثير التجاوز مع القدرة على الانتقام، فاعفوا أنتم عمن ظلمكم، واقتدوا بسنة الله عز وجل، يعف عنكم يوم القيامة، لأنه أهل للتجاوز والعفو عنكم. وقيل: معناه: إن الله كان عفواً عمن عفا قديراً على إيصال الثواب إليه"¹، قاله في الباب. وقال ابن جزري: "الآية ترغيب في فعل الخير سراً وعلانية، وفي العفو عن الظلم بعد أن أباح الله الانتصار، لأن العفو أحب إلى الله من الانتصار، وأكد ذلك بوصفه تعالى نفسه بالعفو مع القدرة"². انتهى. وقال الثعالبي: "ولما ذكر سبحانه عذر المظلوم في أن يجهر بالسوء لظلمه، أتبع ذلك عرض إبداء الخير وإخفائه، والعفو عن السوء، ووعد سبحانه بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوَاً قَدِيراً﴾ وعداً خفياً تقتضيه البلاغة، ورغب سبحانه في العفو، إذ ذكر سبحانه أنه صفته مع القدرة على الانتقام. قال ابن عطية: "ففي هذه الألفاظ اليسيرة معانٍ كثيرة لمن تأملها"³. قال الداودي⁴: عن ابن عمر أنه قال: لا يحب الله سبحانه أن يدعو أحد على أحد إلا أن يظلم، فقد رخص له في ذلك"⁵. انتهى. وقوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ إلى قوله: أو ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾. قال في الضياء: "إرشاد إلى الأفضل بعد تجويز الأدنى"⁶. انتهى. ولما ذكر من الإرشاد إلى الأفضل بيّن حقيقة الكافر، وهو لا ثواب له في فعل الأفضل لكفره، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ يمحذون ﴿بِاللَّهِ﴾ ووجوه الكفر بالله كثيرة ﴿وَرُسُلِهِ﴾ بصيغة الجمع، أفاد به أن المؤمن بالله هو الذي يؤمن برسله، وأن الكافر برسله كافر به، وقد بيّن سبحانه ذلك بقوله: ﴿وَيُرِيدُونَ﴾ يشاءون ويقصدون ﴿أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بصيغة الجمع،

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص444.

² ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص214.

³ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص130.

⁴ لم أعثر عليه.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص511.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص217.

يعني: أنه لا يصح التفريق بين الإيمان بالله ورسله، فمن كفر بالرسل، فقد كفر بالله؛ ويَبَيَّن أن الإيمان بالرسل هو أن يؤمن بجميعهم، وأما من كذب واحداً منهم، فقد كذبهم جميعاً، فهو كافر بالله وبجميع الرسل، لأنه ما من رسول إلا وهو مقر برسالة جميع الرسل، فقد كذب الجميع بتكذيب واحد منهم، وأيضاً هم مشتركون في أصل واحد، وهو المحييء بالتوحيد، فمن كذب واحداً منهم، فقد كذب الجميع، بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي الذين يكفرون بالله ورسله ﴿تُؤْمِنُ﴾ نصدق ﴿بِبَعْضٍ﴾ أي ببعض الرسل، ونكفر ببعض، أي ببعضهم.

قال في الباب: "نزلت في اليهود، وذلك أنهم آمنوا بموسى والتوراة، وكفروا بـعيسى والإنجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن. وقيل: نزلت في اليهود والنصارى جميعاً، وذلك أن اليهود آمنوا بموسى، وكفروا بـعيسى ومحمد، والنصارى آمنوا بـعيسى وكفروا بمحمد¹، وعليهم أجمعين ويريدون أن يفرقوا بين الله، بين الإيمان بالله والإيمان بالرسل، وذلك لا يصح، ولا يصح الإيمان بالرسل مع التكذيب ببعض رسله"². وقال ابن جزى: "الآية في اليهود والنصارى، لأنهم آمنوا بأنبيائهم، وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وغيره. ومعنى التفريق بين الله ورسله هو الإيمان به والكفر برسله، وكذلك التفريق بين الرسل، وهو الكفر ببعضهم، والإيمان ببعضهم، فحكم الله عز وجل على من كان كذلك بحكم الكفر الحقيقي الكامل"³. انتهى. والحاصل: أن من زعم أنه مؤمن بالله كافر برسله، فهو كافر بالله ورسله، وكذا من زعم أنه مؤمن بالله وببعض رسله ومكذب لبعضهم، فهو كافر بالله وبجميع رسله ﴿وَيُرِيدُونَ﴾ يشاءون ويقصدون ﴿أَنْ يَتَّخِذُوا﴾ يتناولوا ويسلكوا ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ بالحذف، الإيمان ببعض، والكفر ببعض، أي من ذلك ﴿سَبِيلًا﴾ فاصلة الآية التاسعة، طريقاً أي مذهباً يذهبون إليه، ودينياً يتدينون به، وساء المذهب المركب بين الإيمان ببعض والكفر ببعض، أي المجموع منهما الذي يظهر أنه هو معظم المقصود بالآية، إذ غيره أخرى، والله تعالى أعلم. ويظهر أن قوله: ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ حال من قوله: ﴿سَبِيلًا﴾، ويحتمل أن يتعلق بـ ﴿يَتَّخِذُوا﴾،

¹ في الخازن: "صلى الله عليه وسلم".

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص444.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص444.

﴿أُولَئِكَ﴾ أي الذين يقولون: نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴿هُمْ﴾ ضمير فصل أو مبتدأ ﴿الْكَافِرُونَ﴾ بالحذف، أي الكاملون في الكفر بهم والذين كفروا بالله وبجميع رسله متساوون في الكفر، إذ كل منهم راسخ في الكفر غاية ﴿حَقًّا﴾ يقيناً، مصدر مؤكد لمضمون الجملة، أي حق كفرهم حقاً، أي ثبت كفرهم ثبوتاً، أكد بالجملة الاسمية، وبإن المكسورة، وبالضمير المفيد للاختصاص، وباسم الإشارة المقتضي لذكر الصفة، وبالمصدر، فتأمل هذا، والعياذ بالله تعالى. فالكلام كله سيق لإثبات كفر الذي يزعم أنه مؤمن ببعض وكافر ببعض الكفر التام البالغ الغاية، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿حَقًّا﴾ صفة لمصدر محذوف، والناصب له ﴿الْكَافِرُونَ﴾ أي الكافرون كفرًا حقاً، وأتى بهذا التوكيد. قال في الباب: "لثلا يتوهم متوهم أن الإيمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم، وليعلم أن الكفر ببعض الأنبياء كالكفر بكلهم، لأن الدليل الذي يدل على نبوة البعض وهو المعجزة، لزم منه أنه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة، وقد وجدت المعجزة لجميع الأنبياء، فلزم الإيمان بجميعهم"¹. انتهى. ونحوه لغيره، ولما أثبت أنهم من الكافرين الكاملين في الكفر، بيّن ما لهم وما لغيرهم من الكفار بقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أعددنا، أي هيأنا ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بالحذف ﴿عَذَابًا﴾ بالإثبات، نكالاً، واشتقاقه من العذب الذي هو المنع، لأنه يمنع الراحة ﴿مُهِينًا﴾ مخزياً لهم، يهانون فيه، وهو عذاب النار، فاصلة الآية المكملّة للخمسين بعد المائة من سورة النساء. ولما قدم ذكر المفرقين بين الله ورسله، وبين أنهم هم الكافرون على النهاية، عقب ذلك بذكر المؤمنين بالله وبرسله جميعاً، وهم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم، ليصرح بوعد هؤلاء، كما صرح بوعد أولئك، فبيّن الفرق بين المنزلتين فقال: ﴿وَالَّذِينَ﴾ جمع الذي، وهو اسم موصول صيغ ليتوصل به إلى وصف المعارف بالجميل ﴿ءَامَنُوا﴾ صدقوا ﴿بِاللَّهِ﴾ أي بوحدانية الله وبرسالته ﴿وَرُسُلِهِ﴾ كلهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا﴾ يفصلوا ﴿بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ أي من الرسل، بل آمنوا بالجميع ﴿أُولَئِكَ﴾ أي المؤمنون بالله وبجميع رسله، بواو

¹ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص445.

بعد الألف، وبالحذف حيث وقع ﴿سَوْفَ﴾ حرف تنفيس، أي يدل على أن الفعل للاستقبال ﴿يُؤْتِيهِمْ﴾ نعطيهم في الآخرة، قرأ حفص بالياء، والباقون بالنون "نشر"¹ ﴿أَجُورَهُمْ﴾ جمع أجر، وهو ثواب عملهم. قال في الضياء: "نؤتيهم بالنون للجمهور"²، وبالياء لحفص، و﴿سَوْفَ﴾ لتأكيد الوعد، والمضارع يحتمل الحال والاستقبال، فإذا دخل عليه "سوف" أكد الاستقبال مثله، إن المراد كائن لا محالة وإن تأخر"³. انتهى. وقال في اللباب: "يعني: والذين صدقوا بوحدانية الله وبنبوة جميع أنبيائه، وإن جميع ما جاءوا به من عند الله حق وصدق، ولم يفرقوا بين أحد منهم، يعني من الرسل، بل آمنوا بجميعهم، وهم المؤمنون، أولئك. يعني من هذه صفته. سوف نؤتيهم أجورهم، يعني جزاء إيمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله"⁴. انتهى. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾ إلخ. قال ابن جزي: "الآية في أمة محمد صلى الله عليه وسلم"⁵، ولما وعد المؤمنين بأنه يؤتيهم أجرًا عظيمًا في الآخرة، أخبر أنه يتجاوز عن سيئاتهم ويغفرها لهم ويرحمهم، فقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي لم يزل ﴿عَفُورًا﴾ لذنوبهم ﴿رَحِيمًا﴾ بهم، فاصلة الآية الأولى بعد الخمسين والمائة. "وهو كالترغيب لليهود والنصارى في الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأنهم إذا آمنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر"⁶، قاله في اللباب. ثم ذكر عن أهل الكتاب مقالة تدل على تعنتهم وعدم انقيادهم لله ولرسوله، فقال: ﴿يَسْأَلُكَ﴾ يا محمد، أي يطلب منك ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ بالحذف ﴿أَنْ تُنْزِلَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ كِتَابًا﴾ بالحذف ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ والتنزيل والإنزال الإتيان بالشيء من علو إلى سفلى. قال ابن جزي: "روي أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم:

¹ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص37، 38.

² ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص37، 38.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص217.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص445.

⁵ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص215.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص445.

لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من السماء جملة، كما أتى موسى بالتوراة. وقيل: كتاب إلى فلان، وكتاب إلى فلان، فإنك رسول الله، وإنما طلبوا ذلك على وجه التعنيت، فذكر الله سؤالهم من موسى وسوء أدبهم معه تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم بالتأسي بغيره، ثم ذكر أفعالهم القبيحة، ليبين أن كفرهم إنما هو عناد، وقد تقدم في البقرة ذكر طلبهم للرؤية، واتخاذهم العجل، ورفع الطور فوقهم، واعتدائهم في السبت، وغير ذلك مما أشير إليه هنا¹. انتهى. وقال في الباب: "يعني: يسألك، يا محمد، أهل الكتاب، وهم اليهود، وذلك أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء² من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كنت نبياً فأتنا بكتاب جملة واحدة من السماء، كما أتى موسى بالتوراة. وقيل: سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء مختصاً بهم. وقيل: سألوه أن ينزل عليهم كتاباً إلى فلان، وكتاباً إلى فلان، يشهد لك بأنك رسول الله. وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح، لا سؤال استرشاد وانقياد، والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد، ولأن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم قد تقدمت وظهرت، فكان طلب الزيادة من باب التعنت"³. ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ طلبوا ﴿مُوسَى أَكْبَرَ﴾ أعظم ﴿مِنْ ذَلِكَ﴾ بالحذف الذي سألوكم، يا محمد، يعني: أن جحود الحق والعناد فيه من عبادتهم في قديم الزمن، حيث سألو موسى أكبر من ذلك، فلا تبال بذلك، فإنه غير مستغرب فيهم. قال في الباب: "فيه تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم، وتوبيخ وتقريع لليهود، حيث سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت. والمعنى: لا يعظمن عليك، يا محمد، مسألتهم ذلك، فإنهم من فرط جهلهم واجترأهم على الله، لو أتيتهم بكتاب من السماء، لما آمنوا بك، وإنما أسند إليهم، وهو لليهود الذين كانوا في أيام موسى عليه السلام، لأنهم كانوا على مذهبهم، وراضين بسؤالهم، ومشاكين لهم في التعنت"⁴. انتهى. وقوله: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ إلخ. قال الثعالبي: "وفي الكلام حذف، يدل عليه المذكور، وتقدير المحذوف: فلا تبال، يا محمد، من سؤالهم

¹ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص215.

² لم أعثر على ترجمة له.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص445.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص445.

وتسلطهم، فإنها عادتهم"¹. ﴿فَقَالُوا﴾ بالإثبات حيث وقع، يعني: أهل الكاتب، والمراد أسلاف هؤلاء الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ﴿أَرَنَا﴾ بصرنا ﴿اللَّهُ جَهْرَةً﴾ عياناً، وذلك أن سبعين من بني إسرائيل خرجوا مع موسى عليه السلام إلى الجبل، فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة في البقرة، فراجعها إن شئت. قال الثعالبي: "وجمهور المتأولين على أن ﴿جَهْرَةً﴾ معمول لـ ﴿أَرَنَا﴾ حتى نراه جهراً، أي عياناً، وأهل السنة معتقدون أن هؤلاء لم يسألوا محالاً عقلاً، لكنه محال من جهة الشرع، إذ قد أخبر الله سبحانه على ألسنة أنبيائه، أنه لا يرى سبحانه في هذه الدنيا، والرؤية في الآخرة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر المتواتر، وهي جائزة عقلاً من غير تحديد ولا تكييف ولا تحيز، كما هو تعالى معلوم لا كالمعلومات، كذلك مرئي لا كالمرييات سبحانه، هذه حجة أهل السنة"². انتهى. وقال في الضياء: "﴿جَهْرَةً﴾ عياناً، كما يرى بعضنا بعضاً، نصب على الحصر³، أو الحال، والفاء لتفصيل الجمل"⁴. ﴿فَأَخَذْتَهُمْ﴾ أي أصابتهم، وأصل الأخذ التناول، والمراد أنه نزلت عليهم ﴿الصَّلَاقَةُ﴾ بالحذف، نار جاءت من السماء فأهلكتهم، وفسر بعضهم الصاعقة هنا بالصيحة ﴿يُظْلِمُهُمْ﴾ متعلق بأخذتهم، والباء للسببية، أي أخذتهم بسبب ظلمهم، وهو سؤالهم الرؤية تعنتاً. قال الثعالبي: "وظلمهم هو تنعتهم وسؤالهم ما ليس لهم أن يسألوه"⁵. ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الإخباري ﴿اتَّخَذُوا﴾ صيروا ﴿الْعَجَلَ﴾ الذي صاغه السامري إلهاً. قال الثعالبي: "ثم ترتيب في الأخبار، لا في نفس الأمر، التقدير: ثم قد كان من أمرهم أن اتخذوا العجل، وذلك أن اتخذ العجل كان عند مضي

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص511..

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص511.

³ في الضياء: "المصدر".

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص217.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص511.

موسى للميقات¹، حين خَلَفَهُم موسى مع أخيه هارون عليهما السلام. قال الثعالبي: "ولم يكن الذين صعدوا ممن اتخذ العجل"². ﴿مِنْ﴾ ابتدائية ﴿بَعْدَ مَا﴾ مصدرية ﴿جَاءَتْهُمْ﴾ أتهم ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ بالحذف، "المعجزات التسع الدالة على صدق موسى ووحداية الله"³، قاله في الضياء. وقال في اللباب: "يعني: الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى، وهي: العصا، واليد، وفلق البحر، وغير ذلك من المعجزات الباهرة"⁴. ﴿فَعَفَوْنَا﴾ تجاوزنا ﴿عَنْ ذَلِكَ﴾ الذنب العظيم، وهو عبادة العجل، فلم نستأصل عبدة العجل، والمقصود من هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم، والمعنى: أن هؤلاء الذين يطلبون منك، يا محمد، أن تنزل عليهم كتابًا من السماء، إنما يطلبونه عنادًا ولجاجًا، فإني قد أنزلت التوراة جملة واحدة على موسى، وآتيته من المعجزات الباهرات والآيات البينات ما فيه كفاية، ثم إنهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد، وعبدوا العجل، وكل ذلك يدل على جهلهم، وأنهم مجبولون على اللجاج والعناد. وفي قوله: ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ استدعاء إلى التوجه. والمعنى: أن أولئك الذين أجرموا لما تابوا عفونا عنهم، فتوبوا أنتم نعف عنكم. انتهى. وقال الثعالبي: "﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ يعني بما امتحنهم به من القتل لأنفسهم، ثم وقع الصفح عن الباقي"⁵. انتهى. ﴿وَأَتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿مُوسَى سُلْطَانًا﴾ بالحذف ﴿مُبِينًا﴾ حجة ظاهرة، فاصلة الآية الثانية. قال في اللباب: "﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ يعني حجة واضحة، تدل على صدقه، وهي المعجزات الباهرة، أعطاهها الله عز وجل لموسى عليه السلام"⁶. انتهى. وقال في الضياء: "﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ حجة ظاهرة على من خالفه، أو تسلطًا بينًا

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص511.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص511.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص217.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص445.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص511.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص445، 446.

حين أمرهم بقتل أنفسهم توبة من عبادة العجل فأطاعوه¹. ﴿وَرَفَعْنَا﴾ أعلينا ﴿فَوْقَهُمْ﴾
 الطُّورَ الجبل المسمى بالطور ﴿بِمِيثَقِهِمْ﴾ بالحذف، بسبب الميثاق، أي العهد الذي أخذ
 عليهم، وذلك أن الله أخذ عليهم العهد أن يعملوا بما في التوراة، فامتنعوا من قبولها. قوله:
 ﴿بِمِيثَقِهِمْ﴾ أي بسبب أخذهم ميثاقهم، قاله في الباب². وتحقيق هذا أن تقول: أخذ الله
 الميثاق على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة، وكانت فيها أمور شاقة، فامتنعوا من قبولها،
 فرفع فوقهم الطور، مثل الظلة، وأخرج الله تعالى بحرًا من ورائهم، وأضرم نارًا من بين أيديهم،
 فأحاط بهم غضبه. وقيل لهم: خذوها، وعليكم الميثاق أن لا تضيعوها، وإلا سقط عليكم
 الجبل، وأغرقكم البحر، وأحرقكم النار، فسجدوا توبة لله سبحانه، وأخذوا التوراة بالميثاق.
 وإيضاح هذا التحقيق أن تقول: إن أصل الأخذ التناول، والميثاق هنا العهد، وهو القول
 المحكم. والمعنى: أن الله تعالى أكد على بني إسرائيل العمل بما في التوراة، بمعنى أنه ألزمهم ذلك،
 والتزموا هم العمل بما فيها، فعهدهم هو التزامهم له ذلك، وعهده إليهم هو إلزامه ذلك لهم،
 والأخذ هو رضاه سبحانه، فالتزامهم وأخذهم قبول ذلك الميثاق. فقوله: ﴿بِمِيثَقِهِمْ﴾ أي
 بسبب أخذهم، أي قبولهم الميثاق، أي الإلزام من الله تعالى، كما في الباب³، أو بسبب أخذ
 الله عليهم الميثاق، كما في الضياء⁴، والله تعالى أعلم. ﴿وَقُلْنَا﴾ يظهر أنه عطف على ما
 قبله ﴿لَهُمْ﴾ اللام للتبليغ ﴿أَدْخُلُوا الْبَابَ﴾ بالإثبات ﴿سُجَّدًا﴾ جمع ساجد، أي خضعًا
 متواضعين كالركع، ولم يرد به نفس السجود، وقال عقبه: فإذا دخلتموه فاسجدوا شكرًا لله
 تعالى. قال صاحب هذا التفسير: وعلى هذا، فهو حال مقدرة، فخالفوا ما أمروا به، ودخلوا
 يزحفون على أستاههم، والله تعالى أعلم. واختلف في هذه القرية التي أمروا بدخول بابها،

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص217.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص446.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص446.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص217.

فالجمهور أنها بيت المقدس¹. وقيل: أريحاء، وهي قرية من بيت المقدس، ومن قال: إن القرية أريحاء قال: ادخلوا من أي باب كان من أبوابها، ومن قال: القرية بيت المقدس قال: هو باب حطة، قاله في اللباب². وقال في الضياء: "هو باب المسجد الأقصى، حين فتحه يوشع بعد موسى، وقول من قال من أهل التفسير: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ والجل مظل عليهم سهو، لأن نتق³ الجبل فوقهم كان في زمن موسى، قاله في غاية الأمان⁴. انتهى كلام صاحب الضياء. وقضية ما تقدم وما يأتي، أي الكفر، أمر متعارف في اليهود من قديم الزمن، لأنهم ابتدعوا الكفر الآن، فهذه عادتهم مع الأنبياء قبلك، يا محمد، وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ يعني لأهل الكتاب بني إسرائيل ﴿لَا تَعْدُوا﴾ بفتح العين⁵ وتشديد الدال لورش عن نافع، وقالون بإخفاء حركة العين وتشديد الدال، أي لا تتعدوا، ففيه إدغام التاء في الأصل في الدال، والنص عنه بالإسكان، وأبو جعفر بالإسكان والتشديد، وبإسكان العين وتخفيف الدال للباقيين، مضارع عدا يعدو، أي لا تتجاوزوا الأمر ﴿فِي السَّبْتِ﴾ باصطياد الحيتان فيه. قال في الضياء: "﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ على لسان داود، وعلى لسان موسى، لأن شرع السبت كان في زمنه، ولكن كان الاعتداء والمسح في زمن داود عليهما السلام"⁶. انتهى بزيد قليل. وقال في اللباب: "يعني: قلنا لهم لا تتجاوزوا في يوم السبت إلى ما لا يحل لكم، وذلك أنهم نهموا أن يصطادوا السمك في يوم السبت، فتجاوزوا واعتدوا واصطادوا

¹ بيت المقدس: من أشهر مدن الدنيا، يرتفع عن سطح البحر 750 مترًا، وهي قسمان: داخلي مسور، وهو القدس الشرقية، وفيها المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة. وقسم خارج السور، وهو القدس الغربية، من أسمائه: إيلياء. موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص 92، 93. بتصرف.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 446.

³ "النَّتَقُ: الزعزعة والهز والجذب والنَّفْض، وَتَنَقَّ الشَّيْءُ يَنْتَقُهُ وَيَنْتَقُهُ بِالضَّمِّ نَتَقًا: جذبته واقتلعه". ابن منظور، لسان العرب، مادة ن ت ق، ج 10، ص 351.

⁴ لم أعثر عليه. عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 217.

⁵ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 3، ص 38.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 446.

فيه. وقيل: المراد به النهي عن العمل والكسب في يوم السبت¹. ﴿وَأَخَذْنَا﴾ وأصل الأخذ التناول، وهو هنا معنوي ﴿مِنْهُمْ﴾ أي من بني إسرائيل ﴿مِيثَقًا﴾ بالحذف، عهدًا، أي التزامًا، أن يعملوا بما أمرهم الله تعالى، وأن ينتهوا عما نهاهم عنه، وذلك الالتزام منهم بعد أن ألزمه الله لهم، فقبلوا ذلك منه، ورضي بالتزامهم ﴿غَلِيظًا﴾ شديدًا مؤكدًا، فاصلة الآية الثالثة. قال في اللباب: "يعني: وأخذنا منهم عهدًا مؤكدًا شديدًا، بأنهم يعملون بما أمر الله به، وأن ينتهوا عما نهاهم عنه، ثم إنهم نقضوا ذلك الميثاق، وهو قوله: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَقَهُمْ﴾"². انتهى. وقال في الضياء: "و﴿مِيثَقَهُمْ﴾ قولهم: سمعنا وأطعنا"³. ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ﴾ قال ابن جزى: "ما زائدة للتأكيد، والباء تتعلق بمحذوف تقديره: بسبب نقضهم فعلنا بهم ما فعلنا، أو تتعلق بقوله: ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ويكون فبظلمهم على هذا بدلاً من قوله: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ﴾"⁴. انتهى، ونحوه لغيره. وفي اللباب: "لعنهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم ما فعلنا"⁵. وقال في القاموس: "النقض في البناء والجبل والعهد وغيره ضد الأبراح⁶، كالانتقاض والتناقض وبالكسر المنقوض"⁷. انتهى. ﴿مِيثَقَهُمْ﴾ بالحذف، عهدهم، مفعول ﴿نَقَضْتُمْ﴾. قال في اللباب: "الآية مخبرة عن أشياء واقعوها ضد ما أمروا به"⁸. ﴿وَكُفِّرْهُمْ﴾ عطف على ﴿نَقَضْتُمْ﴾ أي جحدهم ﴿بِأَيِّتِ اللَّهِ﴾ قال في الضياء: "

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص446.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص446.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص218.

⁴ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص215.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص446.

⁶ في القاموس المحيط: "الإبرام".

⁷ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب النون، فصل الضاد، ص846.

⁸ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص446.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ التي أنزلت على موسى¹. انتهى. وقال في الباب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الدالة على صدق أنبيائه²، ويظهر أن هذه المعطوفات من عطف الخاص على العام ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ عطف على ﴿نَقَضِهِمْ﴾ أي وبسبب قتلهم، أي بني إسرائيل ﴿الْأَنْبِيَاءَ﴾ جمع نبي ﴿بِغَيْرِ﴾ الباء إما للإلصاق أو للمصاحبة، حال أو لغو متعلق بقتلهم ﴿حَقٍّ﴾ استحقاق للقتل، وقتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حق، لأنهم معصومون. قال في الباب: ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ الْأَنْبِيَاءَ يعني: بعد قيام الحجة عليهم، والدلالة على صحة نبوءتهم بغير حق، يعني: بغير استحقاق لذلك القتل³. انتهى. وقوله: ﴿الْأَنْبِيَاءَ﴾ مفعول "قتل" ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ للنبي صلى الله عليه وسلم عطف على ﴿نَقَضِهِمْ﴾ ، ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ قال في الباب: "يعني: لهم على قلوبنا أغطية وغشاوة، فهي لا تفقه ما تقول، جمع أغلف. وقيل: هي جمع غلاف، يعني: قلوبنا أوعية للعلم، فلا حاجة بنا إلى ما تدعونا إليه"⁴. انتهى. وعلى هذا الأخير، فأصله بضم اللام، فسكن تخفيفًا. وقال الكلبي: "معناه: أوعية لكل علم، فهي لا تسمع حديثًا إلا وعته إلا حديثك لا تعيه ولا تعقله، ولو كان فيه خير لفهمته ووعته". انتهى.

﴿بَلْ﴾ للإضراب عما قالوا، وهو هنا إثبات ما بعدها، ورد ما قبلها، والمعنى: أنه تعالى أضرب عن دعواهم مثبتًا أن قلوبهم في أصل فطرتها قابلة للإيمان، لولا ما عرض لها من الطبع الذي عوقبوا به بسبب كفرهم، فعوقبوا على الذنب بأعظم الذنوب ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾ أي ختم على قلوبهم، واستوثق عليها، فلا يدخلها خير، وحقيقة الطبع هو الاستيثاق على الشيء كي لا يدخله ما خرج عنه، ولا يخرج منه ما فيه. والمعنى: أن الله تعالى حكم على قلوبهم بالكفر، لما سبق في علمه الأزلي فيهم، والقلب هو محل العلم والفهم، وهو الطبع مجاز، فهو عبارة عن إضلالهم، فهو مجاز. وقيل: حقيقة وإن القلب كالكف يقبض مع زيادة الضلال

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص218.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص446.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص446.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص446.

أصبغاً أصبغاً، حتى يطبع عليه. وقال في مختصر الطبري¹: والصحيح أن هذا الطبع حقيقة لا مجاز، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: >أن العبد إذا أذنب ذنباً، نكتت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزعه واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تغلق قلبه<².
فذلك إلى أن الذي قاله الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾³.

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أي طبع الله على قلوبهم بسبب ما تقدم من كفرهم واجترامهم، أي فليس عدم قبولهم للإيمان للخلل في قلوبهم، وإنما هو لطبع الله على قلوبهم، بسبب كفرهم المتقدم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ فلا يصدقون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ فاصلة الآية الرابعة، أي لا يؤمن بك، يا محمد، إلا نفر قليل منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا من اليهود؛ أو المعنى: فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً، وهو إيمانهم بموسى والتوراة، وكفرهم بما سوى ذلك من الأنبياء والكتب⁴، قاله في الباب. وقال في الضياء: "﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ بعيسى ثانياً⁵. ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ عطف على ﴿نَقَضِهِمْ﴾ أي وبسبب كفرهم، أي إنكارهم قدرة الله تعالى على خلق النسمة من غير أب ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا﴾ أي كذباً بنسبتهم إليها ما لم تفعل ﴿عَظِيمًا﴾ العظيم ضد الحقير فاصلة الآية الخامسة قال في الباب: "يعني: حين رموها بالزنى، وذلك أنهم أنكروا قدرة الله تعالى على خلق النسمة من غير أب، ومنكر قدرة الله تعالى كافر، فالمراد بقوله: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ هو إنكارهم قدرة الله، والمراد بقولهم على مريم بهتاناً: عظيمًا، هو رميهم إياها بالزنى، وإنما سماه بهتاناً عظيمًا، لأنه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك، فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على

¹ لم أعره عليه.

² ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب 37 الزهد، باب 29 ذكر الذنوب، ج2، ص1418، رقم4244.

³ المطففين، 14.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص446.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص218.

مریم بالبهتان العظيم¹. انتهى. وقال في الضياء: ﴿وَيَكْفُرِهِمْ﴾ ثالثًا بمحمد صلى الله عليه وسلم². انتهى. وقال الثعالبي: ﴿وَيَكْفُرِهِمْ﴾ أي بعيسى عليه السلام³. انتهى. وقال في القاموس: "بجته كمنعه بَهْتًا وَبُهْتًا وَبُهْتَانًا، قال عليه ما لم يفعل، والبهته الباطل الذي يتحير من بطلانه، والكذب كالبُهْت بالضم"⁴. انتهى. ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ أي اليهود ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾ سمي مسيحًا لأنه ما مسح على ذي عاهة إلا برئ ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ قال الثعالبي: "هذه الآية والتي قبلها عدّد الله فيها أقوال بني إسرائيل وأفعالهم على اختلاف الأزمان وتعاقب القرون، فاجتمع من ذلك توبيخ خلفهم المعاصرين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه الطائفة التي قالت: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم، غير الذين نقضوا الميثاق، وغير الذين اتخذوا العجل"⁵. انتهى. ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ صفة لـ ﴿عِيسَى﴾، أو بدل منه، وهو من قول الله تعالى مثبتًا له الرسالة، وليس من محكي الله تعالى عند اليهود، لأنهم منكرون لرسالة عيسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه، أو من قول اليهود، أي في زعمه، وليس برسول الله في نفس الأمر. قال الثعالبي: "قوله تعالى: ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ إنما هو إخبار من الله تعالى بصفة لعيسى، وهي الرسالة على جهة إظهار ذنب هؤلاء المقرين بالقتل، ولزمهم الذنب، وهم لم يقتلوا عيسى، لأنهم صلبوا ذلك الشخص على أنه عيسى، وعلى أن عيسى كذاب، ليس برسول الله، فلزمهم الذنب، من حيث اعتقدوا أن قتلهم وقع في عيسى. قال الصفاقسي⁶: و ﴿عِيسَى﴾ بدل أو عطف بيان من المسيح ورسول، كذلك ويجوز أن يكون صفة لعيسى، وأن يكون على إضمار "أعني"، قلت: وهذا الأخير حسن من جهة المعنى"⁷. انتهى. وقال في

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص446.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص218.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص511.

⁴ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب التاء، فصل الباء، ص189.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص511، 512.

⁶ لم أعثر عليه.

⁷ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص512.

الباب: "ادعت اليهود أنهم قتلوا عيسى عليه السلام، وصدقتهم النصارى على ذلك، فكذبهم الله عز وجل جميعاً، ورد عليهم بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾"¹، أي وما قتلوا عيسى ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾ يقال: صلبه شده على خشبة أو عمود. قال في الباب: "وفي قوله: ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أنه من قول اليهود، فيكون المعنى: أنه رسول الله في زعمه. والقول الثاني: أنه من قول الله على وجه الحكاية عنهم، وذلك أن الله تعالى أبدل ذكرهم في عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن، رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح"². انتهى. ﴿وَلَكِنْ﴾ حرف استدراك، وهو أن تثبت لما بعدها حكماً مخالفاً لما قبلها ﴿شَيْءَ﴾ المصلوب المقتول ﴿لَهُمْ﴾ أي لليهود بعيسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه. ومعنى ﴿شَيْءَ لَهُمْ﴾ أنه ألقى الله شبه عيسى على صاحبهم الذي دلهم عليه، وألقى شبهه على رجل كان مع عيسى، فقتلوه وصلبوه، ولم يقتل عيسى ولم يصلب، ونائب ﴿شَيْءَ﴾ ضمير يعود على المقتول المصلوب المفهوم من ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ كما يفيد السيوطي³ وغيره، ويظهر أن "اللام" بمعنى "على". قال الثعالبي: "واختلف الرواة في هذه، والذي لا يُشكَّ فيه أن عيسى عليه السلام كان يسيح في الأرض، ويدعو إلى الله، وكانت بنو إسرائيل يطلبونه في ذلك الزمان، يجعل عليه الجعائل، وكان عيسى قد انضوى إليه الحواريون، ويسرون معه حيث سار، فلما كان في بعض الأوقات شعر بأمر عيسى، فروي أن رجلاً من اليهود جعل له جعلاً، فما زال ينقر عنه حتى دل على مكانه، فلما أحس عيسى وأصحابه بتلاحق الطالبين لهم دخلوا بيتاً برأى⁴ من بني إسرائيل، فروي أنهم عدوهم ثلاثة عشر، وروي ثمانية عشر، وحصروا ليلاً، فروي أن عيسى فرَّق الحواريين عن نفسه تلك الليلة، ووجَّههم إلى الآفاق، وبقي هو ورجل معه، فرفع عيسى، وألقي شبهه على الرجل، فصلب

¹ الخازن، باب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص447.

² الخازن، باب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص447.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص130.

⁴ في الأصل: "بمراً"، وفي الثعالبي: "برأى".

ذلك الرجل. وروي أن الشبه ألقى على اليهودي الذي دل عليه، فصلب. وروي أن عيسى عليه السلام لما أحيط بهم قال لأصحابه: أيكم يلقي عليه شبيهي، فيقتل، ويخلص هؤلاء، وهو رفيقي في الجنة؟ فقال سرجيس: أنا، فألقي عليه شبه عيسى. وروي أن شبه عيسى ألقى على الجماعة كلها، فلما أخرجهم بنو إسرائيل نقصوا واحداً من العدة، فأخذوا واحداً ممن ألقى عليه الشبه، حسب هذه الروايات التي ذكرنا، فصلبوه. وروي أن الملك والمتنولين لم يخف عليهم أمر رفع عيسى، لما رأوا من نقصان العدة واختلاط الأمر¹. انتهى. وقال ابن جزى: "

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ رد عليهم وتكذيب لهم، وللنصارى أيضاً في قولهم: إنه صلب، حتى عبدوا الصليب من أجل ذلك، والعجب كل العجب من تناقضهم في قولهم: إنه إله، أو ابن الله، ثم يقولون: إنه صلب؟! وروي أن عيسى قال للحواريين: أيكم يلقي عليه شبيهي، ويقتل، ويكون رفيقي في الجنة؟ فقال أحدهم: أنا، فألقي عليه شبه عيسى، فقتل على أنه عيسى. وقيل: بل دل على عيسى يهودي، فألقى الله شبهه على اليهودي، فقتل اليهودي، ورفع عيسى إلى السماء حياً، حتى ينزل إلى الأرض، فيقتل الدجال. إن قيل: كيف قالوا فيه: رسول الله؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أنهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء. والثاني: أنهم قالوه على حسب اعتقاد المسلمين فيه، كأنهم قالوا: رسول الله عندكم أو بزعمكم. والثالث: أنه من قول الله لا من قولهم، فيوفق قلبه. وفائدة تعظيم ذنبهم وتفخيم قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾، ﴿وَلَكِنْ شَبَّهَهُمْ﴾ فيه تأويلان: أحدهما: ما ذكرنا من إلقاء شبهه على الحواري، أو على اليهودي. والآخر: أن معناه شبه لهم الأمر، أي خلط لهم القوم الذين حاولوا قتله، فإنهم قتلوا رجلاً آخر، وصلبوه، ومنعوا الناس أن يقربوا منه، حتى تغير، بحيث لا يعرف، وقالوا للناس: هذا عيسى، ولم يكن عيسى، فاعتقد الناس صدقهم، وكانوا متعمدين للكذب². انتهى. قال صاحب هذا التفسير: ونائب ﴿شَبَّهَهُ﴾ على هذا

﴿لَهُمْ﴾ أو ضمير يعود على الأمر المفهوم من الكلام، والله تعالى أعلم. وقال في الباب: "وفي رواية عن وهب بن منبه أن عيسى قال لأصحابه: ليكفرن في أحدكم قبل أن يصيح

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص512، 513.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص215، 216.

الديك ثلاث مرات، وليبيعي بدرهم يسيرة، وليأكلن ثمني، فخرجوا وتفرقوا، وكانت اليهود تطلبه، فأخذوا شمعون أحد الحواريين، فقالوا: هذا من أصحاب عيسى، فجدد وقال: ما أنا بصاحبه، فتركوه، ثم أخذوا آخر، فجدد كذلك، فلما أصبح، أتى بعض الحواريين إلى اليهود، وكان منافقًا، فقال: ما تجعلون لي إن أنا دللتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً، فدفعهم عليه، فألقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذي دل عليه، فأخذوه وقتلوه وصلبوه، وهم يظنون أنه عيسى¹. انتهى. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا﴾ قال صاحب هذا التفسير: الضمير في ﴿فِيهِ﴾ للمقتول المفهوم من قتل أو للقتل أو لعيسى، يعني في قتل عيسى، وهم اليهود. وكذا يقال في الضمير في به، وذلك أن اليهود لما قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى، وكان قد ألقى الشبه على وجهه دون جسده، نظروا إلى جسده، فأروه غير جسد عيسى، فقالوا: الوجه وجه عيسى، والجسد جسد غير عيسى، فهذا هو اختلافهم فيه. وقيل: إن اليهود لما حبسوا عيسى وأصحابه في البيت، دخل عليه رجل منهم ليخرجه إليهم، فألقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل، فأخذ وقتل ورفع إليه عيسى إلى السماء، وفقدوا صاحبهم، فقالوا: إن كنا قتلنا المسيح، فأين صاحبنا؟ وإن كنا قتلنا صاحبنا، فأين عيسى؟ فهذا هو اختلافهم فيه. انتهى. ويقدر قبل هذا قوله فقدًا. فقال بعضهم: هو. وقال بعضهم: ليس هو. ثم قال في الباب: "وقيل: إن الذين اختلفوا فيه هم النصارى، فبعضهم يقول: إن القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته. وبعضهم يقول: وقع القتل عليهما جميعًا. وبعضهم يقول: رأيناه قتل. وبعضهم يقول: رأيناه رفع إلى السماء. فهذا هو اختلافهم فيه"². انتهى. وقال ابن جزري: "روي أنه لما رفع عيسى، وألقى الله شبهه على غيره، فقتلوه، قالوا: إن كان هذا المقتول عيسى، فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى؟ فاختلفوا، فقال بعضهم: هو³، وقال بعضهم: ليس هو، فأجمعوا أن شخصًا قتل، واختلفوا من كان"⁴. انتهى. وقال السيوطي: "قال بعضهم لما رأوا المقتول: الوجه وجه عيسى، والجسد ليس بجسده، فليس به. وقال آخرون: بل هو

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص447.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص447.

³ في ابن جزري: "هو هو".

⁴ ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص216.

هو¹. ﴿فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ أي من قتله، ويظهر أن "من" بمعنى "في" ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾² أو ابتدائية. والحاصل: أنهم أجمعوا على قتل واحد، واختلفوا في المقتول، هل هو عيسى أو غيره؟ وكل المختلفين شك في أن المقتول هل هو عيسى أو غيره؟ قال في الباب: "يعني: أنهم قتلوا من قتلوه على شك فيه، ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول، هل هو عيسى أم غيره؟"³. انتهى. وقوله جلت قدرته: ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ قال في الضياء: "ولا يخرجون من هذا الشك، إذ ليس له بيان إلا في القرآن، وهم لا يؤمنون به"⁴. انتهى. ﴿مَا لَهُمْ﴾ أي للمختلفين في قتله ﴿بِهِ﴾ أي بعيسى، متعلق بقوله: ﴿عَلِمَ﴾ والباء للإلصاق، والمعنى: بقتله ﴿مَنْ﴾ زائدة ﴿عَلِمَ﴾ بأنهم قتلوه مبتدأ، خبره ﴿لَهُمْ﴾ ، يعني: أنهم لا يعلمون حقيقة المقتول، هل هو عيسى أم غيره؟ ﴿إِلَّا أَتْبَاعَ﴾ بالإثبات، تقليد ﴿الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع، لأن العلم بتحقيق، والظن تردد. وقال ابن عطية: "هو متصل، إذ العلم والظن يجمعهما جنس المعتقدات"⁵. والمعنى: أنهم جعلوا الظن في قتله إمامًا، فاتبعوه، وليس الأمر كما ظنوا ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ كما نص الله تعالى. وقال في الضياء: "استثناء منقطع، أي لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه. قال البيضاوي: "ويجوز أن يفسر الشك بالجهل، والعلم بالاعتقاد الذي تسكن إليه النفس، جزمًا كان أو غيره"⁶. انتهى⁷. وقال ابن جزري: "فإن قيل: كيف وصفهم بالشك، وهو تردد بين احتمالين على السواء، ثم وصفهم بالظن، وهو ترجيح أحد الاحتمالين؟ فالجواب: أنهم كانوا على الشك، ثم لاحت لهم أمانة، فظنوا، قاله

¹ السيوطي، تفسير الجلالين، ص 130.

² فاطر، 40. الأحقاف، 4.

³

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 218.

⁵ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 2، ص 134.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 218.

⁷ البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 2، ص 128.

الزخشي¹. وقد يقال: الظن بمعنى الشك، وبمعنى الوهم الذي هو أضعف من الشك². انتهى. ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ قال ابن جزى: "أي ما قتلوه قتلاً يقيناً، فإعراب ﴿يَقِينًا﴾ على هذا صفة لمصدر محذوف. وقيل: هو مصدر في موضع الحال، أي ما قتلوه متيقنين. وقيل: هو تأكيد للنفي الذي في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ أي تيقن انتفاء قتله، وعلى هذا فهو منصوب على المصدرية³. انتهى. يعني: أنه على هذا يكون مصدرًا مؤكدًا لمضمون الجملة، أي تيقن نفي القتل تيقناً، والله تعالى أعلم. وقوله: ﴿يَقِينًا﴾ فاصلة الآية السادسة. وقال في اللباب: "قال ابن عباس: يعني: لم يقتلوا ظنهم يقيناً، فعلى هذا القول يكون الهاء في ﴿قَتَلُوهُ﴾ عائد على الظن. والمعنى: ما قتلوا ذلك الظن يقيناً، ولم يزل ظنهم ولم يرفع ما وقع لهم من الشبه في قتله، فهو كقول العرب: قتلته علماً، وقتلته يقيناً، يعني: علمته علماً تاماً. وأصل ذلك أن القتل للشيء يكون عن قهر واستيلاء وغلبة. ومعنى الآية على هذا: لم يكن علمهم بقتل عيسى علماً تاماً كاملاً، إنما كان ظناً منهم أنهم قتلوه⁴. انتهى. قال صاحب هذا التفسير: ﴿يَقِينًا﴾ على هذا حال أو مفعول ثان، أي تأملوه أو صبروه، والله تعالى أعلم. ﴿بَلْ﴾ حرف إضراب. قال في القاموس: "﴿بَلْ﴾ حرف إضراب إن تلاها جملة كان معنى الإضراب إما الإبطال ك: ﴿سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾⁵، وإما

¹ لم أعر على القول. محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزخشي، أبو القاسم. ولد في زخشر من قرى خوارزم، وسافر إلى مكة، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية من قرى خوارزم، فتوفي فيها. أشهر كتبه: "الكشاف". ط، و"أساس البلاغة". ط، و"المفصل". ط، ومن كتبه: "المقامات". ط، و"الجبال والأمكنة والمياه". ط، و"المقدمة". ط، معجم عربي فارسي، مجلدان، وكان معتزلي المذهب، مجاهرًا، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره. ولد سنة 467هـ، وتوفي 538هـ. الزركلي، الأعلام، ج7، ص178. بتصرف.

² ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص206.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص206.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص448.

⁵ الأنبياء، 26.

الانتقال من غرض إلى غرض آخر: ﴿فَصَلَّى ۝١٥﴾ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾¹ وإن تلاها مفرد فهي عاطفة، ثم إن تقدمها أمر أو إيجاب كاضرب زيدًا بل عمرًا، أو قام زيد بل عمرو، فهي تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه، وإن تقدم نفي أو نهي فهي لتقرير ما قبلها على حاله، وجعل ضده لما بعدها². انتهى. ﴿رَفَعَهُ﴾ يعني: عيسى ﴿اللَّهُ﴾ أعلاه ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى سمائه ومحل كرامته، من غير موت منه. قال الثعالبي: "عبارة عن نقله من سفلى إلى علو، وإضافته إليه إضافة تشريف، إذ معلوم أنه سبحانه غير متحيز في جهة"³. انتهى. وقد ورد في حديث الإسراء أنه، أي عيسى، في السماء الثانية ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي لم يزل ﴿عَزِيزًا﴾ غالبًا لا يغلبه شيء، بل هو القاهر فوق عباده ﴿حَكِيمًا﴾ فاصلة الآية السابعة. قال في اللباب: "يعني: في إنجاء عيسى عليه السلام، وتخليصه من اليهود. وقيل: ﴿عَزِيزًا﴾ يعني: منيعًا منتقمًا من اليهود، وسلط عليهم حطيطوس⁴ الرومي، فقتل منهم مقتلة عظيمة ﴿حَكِيمًا﴾ حكم باللعنة والغضب على اليهود، حيث ادعوا هذه الدعوة الكاذبة"⁵. انتهى بتغيير قليل. ﴿وَإِنْ﴾ نافية، ويقدر بعدها مبتدأ، أي وليس أحد ﴿مَنْ﴾ تبعية ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ بالحذف، اليهود والنصارى ﴿إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ﴾ ليصدقن ﴿بِهِ﴾ أي بعيسى، أي بأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال ابن جزي: "فيها تأويلان: أحدهما: أن الضمير في ﴿مَوْتِهِ﴾ لعيسى، والمعنى: أن كل أحد من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض قبل موت عيسى، وتصير الأديان حينئذ دينًا واحدًا، وهو دين الإسلام"⁶. انتهى. وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله

¹ الأعلى، 15، 16.

² الفيروزبادي، القاموس المحيط، باب اللام، فصل الباء، ص 1252.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 326.

⁴ في الخازن: "نيطينيوس بن اسيسيانس".

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 448.

⁶ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 206.

صلى الله عليه وسلم: >والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد<¹، زاد في رواية: >حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها<². قوله: >السجدة الواحدة< إلخ، معناه: أن الصلاة تكون أفضل من الصدقة، لفيض المال، إذ ذاك، ولعدم الانتفاع به، وأهل الحجاز يسمون الركعة سجدة. وقيل: معناه: أن الناس يرغبون عن الدنيا، حتى تكون السجدة أحب إليهم من الدنيا وما فيها. ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾. وفي رواية: >كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم<³، وفي رواية: >فأمكم منكم<. قال ابن أبي ذئب⁴: تدري ما إمامكم منكم؟ قلت: تخبرني، قال: فأمكم بكتاب ربكم عز وجل سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم⁵. وفي أفراد مسلم من حديث النواس بن سمعان¹ قال: >بينما

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 34 البيوع، باب 102 قتل الخنزير، ج 4، ص 414، رقم 2222.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب 60 أحاديث الأنبياء، باب 49 نزول عيسى ابن مريم، ج 6، ص 490، 491، رقم 3448.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 60 أحاديث الأنبياء، باب 49 نزول عيسى ابن مريم، ج 6، ص 491، رقم 3449.

⁴ ابن أبي ذئب، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، واسم أبي ذئب: هشام بن شعبة، الإمام، شيخ الإسلام، أبو الحارث القرشي، العامري، المدني، الفقيه، سمع: عكرمة، وشرحبيل ابن سعد، وسعيداً المقبري، نافعا العمري، وشعبة مولى ابن عباس، وغيرهم، كان من أوعية العلم، ثقة، فاضلاً، قولاً بالحق مهيباً. حدث عنه: ابن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، وابن أبي فديك، وشبابة بن سوار وخلق كثير، قال أحمد بن حنبل: كان يشبه بسعيد بن المسيب، وولد سنة 80هـ، وكان من أروع الناس وأودعهم، وقال مصعب الزيري: كان ابن أبي ذئب فقيه المدينة، وقيل: إنه ألف كتاباً كبيراً في السنن. توفي سنة 159هـ وقيل غير هذا. الذهبي، سير أعلام النبلاء 6، ص 83.78، رقم الترجمة 1186. بتصرف.

⁵ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 1 الإيمان، باب 71 نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صل الله عليه وسلم، ج 1، ص 135، رقم 155.

هما كذلك، إذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق². وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: >ليس بيني وبينه . يعني عيسى . نبي، وأنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه مربوط إلى الحمرة والبياض، ينزل بين ممطرتين³، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، ثم يمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون⁴. أخرجه أبو داود. قوله: >ممطرتين< قال في القاموس: "المصر بالكسر الطين الأحمر، والممطر⁵ كمعظم المصبوغ به"⁶. انتهى. قال ابن جزري: "التأويل الثاني: أن الضمير في ﴿مَوْتِهِ﴾ للكتابي الذي تضمنه قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا﴾ التقدير: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى، ويعلم أنه نبي، قبل أن يموت هذا الإنسان، وذلك حين معاينة الموت، وهو إيمان لا ينفعه. وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس وغيره، وفي مصحف أبي بن كعب⁷: قبل موتهم، وفي هذه القراءة تقوية للقول الثاني. والضمير

¹ "النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب العامري الكلابي، له ولأبيه صحبة، وحديثه عند مسلم في صحيحه". العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص478.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب 52 الفتن وأشرط الساعة، باب 20 ذكر الدجال وصفته وما معه، ج4، ص2253، رقم 2937.

³ في أبي داود: "ممصرتين".

⁴ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 31 الملاحم، باب 14 خروج الدجال، ج2، ص520، 521، رقم 4324.

⁵ في القاموس المحيط: "الممصر".

⁶ الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب الرء، فصل الميم، ص612.

⁷ أبي بن كعب بن قيس بن عُبَيْد، سيد القراء، أبو منذر الأنصاري، النجاري، المدني، المقرئ، البصري، ويكنى أيضاً: أبا الطُّفَيْل. شهد العقبة، وبدراً، وجمع القرآن في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ عنه علماً مباركاً، وكان رأساً في العلم والعمل رضي الله عنه، وقال عنه النبي عليه الصلاة والسلام: "اقرأ أمّي أُبَيّ". وله في الكتب الستة نيف وستون حديثاً. يقال إنه توفي سنة 22هـ بالمدينة. العسقلاني، الإصابة، ج1، ص27. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص171.177، رقم الترجمة 223. بتصرف.

في ﴿يَهْ﴾ لعيسى على الوجهين. وقيل: لمحمد صلى الله عليه وسلم¹. انتهى. قال في الباب: "وهذا القول لا وجه له، لأنه لم يجر² للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر³". انتهى. وقال في الضياء: ﴿لَيُؤْمَنَّ﴾ بعيسى قبل⁴ الكتابي الذي حين يعاين ملائكة الموت، فلا ينفعه إيمانه، وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الإيمان به، قبل أن يضطروا إليه، ولا ينفعهم. وإن نافية، والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه، أي وما أحد من أهل الكتاب، و﴿لَيُؤْمَنَّ﴾ جواب قسم محذوف، والموصوف مبتدأ مقدم، أو فاعل للظرف، أي وإن أحد من أهل الكتاب، أو وإن من أهل الكتاب أحد، والقسم وجوابه هو الخبر. قال الزجاج: "حذف "أحد" مطلوب في كل نفي يدخله استثناء، نحو: ما قام إلا زيد، أي ما قام أحد إلا زيد"⁵. انتهى⁶. وقال في الباب: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي بعيسى قبل موته، أي الكتابي، ولكن يكون ذلك الإيمان عند الحشرجة⁷ حين لا ينفع إيمانه. قال ابن عباس: معناه: إذا وقع في اليأس حين لا ينفع إيمانه، سواء احترق أو تردى من شاهق أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة، فقليل له: أرايت إن خر من سقف بيت؟ قال: يتكلم به في الهوي. فقليل له: إن ضربت عنقه؟ قال: تلجلج بها لسانه. وقال شمر⁸ بن

¹ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص216.

² في الخازن: "يجر".

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص448.

⁴ في الضياء: "قبل موته به".

⁵ لم أعثر عليه.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص219.

⁷ "الحشرجة: تَرْدُدُ صوت النَّفْس وهو العَرَعَرَةُ في الصدر. الجوهري: الحَشْرَجَةُ الغرغرة عند الموت وتَرْدُدُ النَّفْس". ابن منظور، لسان العرب، مادة ح ش ر ج، ج2، ص237.

⁸ في الخازن: "شهر".

حوشب¹: إن اليهودي إذا حضره الموت، ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا: يا عدو الله، أتاك عيسى نبيًا، فكذبت به؟ فيقول: آمنت أنه عبد الله ورسوله. ويقول للنصراني: أتاك عيسى نبيًا، فزعمت أنه الله وابن الله؟ فيقول: آمنت أنه عبد الله. فأهل الكتاب يؤمنون به، ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الإيمان. وذهب جماعة إلى أن الضمير في قوله لعيسى عليه السلام، وهو رواية عن ابن عباس أيضًا. وذلك عند نزول عيسى من السماء في آخر الزمان، فلا يبقى أحد من أهل الكتابيين إلا آمن بعيسى، حتى تكون الملة واحدة وهي دين الإسلام². إلى أن قال³: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <والله، لينزلن ابن مريم حكمًا عادلًا، فليكسر الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، وليتركن القلاص، فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال، فلا يقبله أحد>⁴. أخرجاه في الصحيحين⁵. ففي هذا الحديث دليل على أن عيسى ينزل في آخر الزمان في هذه الأمة، ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه لا ينزل نبيًا برسالة مستقلة، وشريعة ناسخة، بل يكون حاكمًا من حكام هذه الأمة وإمامًا من أئمتهم. قوله⁶ صلى الله عليه وسلم: <يكسر الصليب>، يعني: يكسره حقيقة، ويبطل ما يزعمه النصراني من تعظيمه، وكذلك قتله الخنزير. وقوله: <ويضع الجزية>، لأنه لا يقبلها ممن بذلها من اليهود والنصارى، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام أو القتل، وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم، فإن الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها منه، ولم يجز قتله ولا إجباره على الإسلام؟ والجواب: أن هذا الحكم ليس مستمرًا إلى يوم القيامة، بل هو مقيد بما قبل

¹ شهر بن حوشب الأشعري، فقيه قارئ، من رجال الحديث، شامي الأصل، سكن العراق، وكان يتزيا بزي الجند، وولي بيت المال مدة، وهو متروك الحديث. ولد سنة 20 هـ، وتوفي سنة 100 هـ. الزركلي، الأعلام، ج3، ص178. بتصرف.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص448.

³ أي الخازن.

⁴ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 1 الإيمان، باب 71 نزول عيسى ابن مريم حكمًا بشريعة سيدنا محمد صل الله عليه وسلم، ج1، ص135، رقم155.

⁵ لم أعثر عليه في صحيح البخاري باللفظ الذي أورده المؤلف.

⁶ في الخازن: "قوله".

نزول عيسى عليه السلام، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنسخه، وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام، بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه هو المبين، وأن عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، فدل على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والله أعلم¹. انتهى. ﴿وَيَوْمَ﴾ متعلق بـ ﴿يَكُونُ﴾ أو ﴿شَهِيدًا﴾ وهو عندي أظهر، والواو داخلة في المعنى على ﴿يَكُونُ﴾، ﴿الْقِيَمَةَ﴾ بالحذف، يوم الحشر والنشر، يوم يقومون من قبورهم، ويوم يقوم الناس لرب العالمين، وهو مصدر من قام تقول: قام قيامًا وقيامه بقاء ﴿يَكُونُ﴾ عيسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه ﴿عَلَيْهِمْ﴾ متعلق بما بعده، أي على أهل الكتاب: اليهود والنصارى ﴿شَهِيدًا﴾ فاصلة الآية الثامنة، أي شاهدًا عليهم بما فعلوا من التكذيب والإشراك. قال في اللباب: "يعني: ويكون عيسى عليه السلام شاهدًا على اليهود أنهم كذبوه وطعنوا فيه، وعلى النصارى أنهم اتخذوه ربًا وأشركوا به، ويشهد على تصديق من صدقه منهم وآمن به. وقال قتادة: معناه: أنه يكون شهيدًا يوم القيامة أنه بلغ رسالة ربه، وأقر على نفسه بالعبودية"². ﴿فَيُظْلَمَ﴾ متعلق بـ ﴿حَرَمْنَا﴾ أو بدل من قوله: ﴿فِيمَا نَقُضِهِمْ﴾ على ما مر عن ابن جزي³. ﴿مِّنَ﴾ ابتدائية ﴿الَّذِينَ﴾ صفة ظلم ﴿هَادُوا﴾ وهم اليهود، يعني: فبسبب ظلم منهم ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ﴾ بالحذف ﴿أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ يظهر أن اللام لشبه التمليك. قال في اللباب: "يعني: ما حرمنا عليهم الطيبات التي كانت حلالاً لهم، إلا بظلم عظيم ارتكبه، وذلك الظلم هو ما ذكره من نقضهم الميثاق، وعدد عليهم من أنواع الكفر والكبائر العظيمة، مثل قولهم: ﴿أَجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾⁴، وكقولهم: ﴿أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾، وكعبادتهم العجل. فبسبب هذه الأمور، حرم الله

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص448، 449.

² لم أعثر عليه.

³ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص215.

⁴ الأعراف، 38.

عليهم طيبات كانت حلالاً لهم، وهي ما ذكره في سورة الأنعام في قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾¹ الآية. وقال الطبري في معنى الآية: "حرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا به ربهم، وكفروا بآيات الله، وقتلوا أنبياءهم، وقالوا البهتان على مريم، وجعلوا² ما وصفهم الله به في كتابه طيبات من المأكول وغيرها التي كانت حلالاً لهم عقوبة لهم بظلمهم الذي أخبر الله به عنهم في كتابه"³. وروي عن قتادة قال: "عوقب القوم بظلم ظلموه، وبغوا بغية حرمت عليهم أشياء يبغونها وظلمهم"⁴. ونقل الواحدي⁵ وابن الجوزي⁶ عن مقاتل: كان الله حرم على أهل التوراة أن يأكلوا الربا، ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس ظلماً، فأكلوا الربا، وأكلوا أموال الناس ظلماً، وصدوا عن دين الله، فحرم الله عليهم عقوبة ما ذكر في قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾⁷ الآية⁸.

﴿وَبَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ﴾ دين ﴿اللَّهُ كَثِيرًا﴾ فاصلة الآية التاسعة. فيه تفسيران: أحدهما: أن يكون الصد بمعنى الإعراض، ويكون ﴿كَثِيرًا﴾ منصوب على المصدر، أي وبسبب إعراضهم عن دين الله إعراضاً كثيراً. الثاني: أن يكون الصد بمعنى الصرف والكف، ويكون ﴿كَثِيرًا﴾ مفعول الصد، أي وبسبب صرفهم كثيراً من الناس عن دين الله. وقال الثعالبي: "والطيبات هنا هي الشحوم وبعض الذبائح والحوت" ﴿وَبَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ "يحتمل صدهم في أنفسهم، ويحتمل صدهم غيرهم"⁹. انتهى. ﴿وَأَخَذَهُمْ﴾ أي وبسبب

¹ الأنعام، 146.

² في الطبري: "وفعلوا".

³ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص23.

⁴ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص23، 24.

⁵ لم أعثر عليه.

⁶ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج2، ص250.

⁷ الأنعام، 146.

⁸ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص449.

⁹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص515.

أخذهم، أي تناولهم ﴿الرَّبُّوْا﴾ بالواو والألف بعده مفعول، وأخذهم الدرهم بالدرهمين الراجل، ونحو ذلك مما هو مفسده ﴿وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ أي والحال أنهم قد نهاهم الله في التوراة عن أخذ الربا. قال في الضياء: "﴿وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ في التوراة، وهو حرام في سائر الشرائع، وفيه دلالة على أن النهي للتحريم عند عدم الصارف"¹. ﴿وَأَكْلِهِمْ﴾ وهذه المعطوفات معطوفة على قوله: ﴿فَيُظْلَمُ﴾ أي وبسبب أكلهم، أي اليهود ﴿أَمْوَالٍ﴾ بالحذف، مفعول أكل ﴿النَّاسِ﴾ بالإثبات ﴿بِالْبَطْلِ﴾ بالحذف، كالرشوة على الأحكام وسائر الوجوه المحرمة، ويظهر أن الباء للآلة. قال في اللباب: "ثم إنهم مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال، فتارة يحصلونه بطريق الربا، مع أنهم قد نهوا عنه، وتارة يحصلونه بالرشا، وهو المراد بقوله: ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَطْلِ﴾"². ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بالحذف ﴿مِنْهُمْ﴾ أي من الذين هادوا، ومن تبعيضية ﴿عَذَابًا﴾ بالإثبات، ما يشق على النفس ﴿أَلِيمًا﴾ مؤلماً، فاصلة الآية المكملة للستين بعد المائة من سورة النساء. قال في اللباب: "فهذه الأربعة هي الذنوب التي شدد عليهم بسببها في الدنيا والآخرة، أما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات، وأما التشديد في الآخرة، فهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قال المفسرون: إنما قال: ﴿مِنْهُمْ﴾ لأن الله تعالى علم أن قوماً منهم سيؤمنون، فيؤمنون من العذاب"³. انتهى. وقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ عطف على ﴿حَرَمْنَا﴾، ﴿لَكِنْ﴾ قد مر قريباً أنها حرف استدراك، وهو أن تثبت لما بعدها حكماً مخالفاً لما قبلها ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ بالحذف ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ أي الثابتون فيه المتمكنون فيه غاية التمكن ﴿مِنْهُمْ﴾ حال من ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ ومن تبعيضية، يعني: من بني إسرائيل. قال في

¹ عبد الله بن محمد القودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص219.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص450.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص450.

اللباب: "يعني: من اليهود، وهذا استثناء استثنى الله عز وجل من آمن من أهل الكتاب، ممن تقدم وصفهم في الآيات التي تقدمت، فبيّن فيما تقدم حال كفار اليهود والجهال منهم، وبيّن في هذه الآية حال من هداه لدينه منهم، وأرشده للعمل بما علم، فقال: ﴿لَنَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، و﴿لَنَكِنِ﴾ هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء، و﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الثابتون في العلم، المبالغون فيه، أولو البصائر الشافية، والعقول الصافية، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب، لأنهم رسخوا في العلم، وعرفوا حقيقته، فأوصلهم ذلك إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم¹. انتهى. وقال الثعالبي: "ثم استثنى سبحانه الراسخين منهم، كعبد الله بن سلام، ومخيرق²، ومن جرى مجراهم³". انتهى. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي المصدقون بالله ورسوله منهم ومن المهاجرين والأنصار، قاله في الضياء⁴. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ خبر ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ يصدقون ﴿بِمَا﴾ يظهر أن الباء للإلصاق، أي بالذي ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني بالقرآن الذي أنزل إليك ويؤمنون ﴿وَمَا﴾ أي الذي ﴿أُنْزِلَ مِنْ﴾ ابتدائية ﴿قَبْلِكَ﴾ يا محمد. قال في اللباب: "يعني: ويؤمنون بسائر الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه من قبلك، يا محمد، وفي المراد بالمؤمنين هنا قولان: أحدهما: أنهم أصحاب الكتاب، فيكون المعنى: لكن الراسخون في العلم منهم وهم المؤمنون. والقول الثاني: أنهم المهاجرون والأنصار من هذه الأمة، يعني أنهم يصدقون بالقرآن الذي أنزل إليك، يا محمد، والذي أنزل من قبلك⁵". انتهى. وقد مر قول الضياء أنهم المؤمنون من بني إسرائيل والمهاجرين والأنصار ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص450.

² في الثعالبي: "ومخيرق النضري الإسرائيلي، من بني النضير، أسلم واستشهد بأحد. ويقال: إنه من بني قينقاع، ويقال: من بني القطيون. كان عالماً، وكان أوصى بأمواله للنبي صلى الله عليه وسلم، وهي سبع حوائط: الميثب والصائفة والدلال وحسنى وبرقة والأعواف ومشربة أم إبراهيم، فجعلها النبي صلى الله عليه وسلم صدقة. العسقلاني الإصابة، ج6، ص57. بتصرف.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص515.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص219.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص450.

بالنصب مفعول محذوف، وبالرفع عطفاً على ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ أو مبتدأ، والخبر أولئك، وخبره ﴿الصَّلَاةَ﴾ بالواو مكان الألف، وبالهاء في كل موضع، ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ هم الذين يأتون بها بشروطها وأركانها وحقوقها. قال الثعالبي: "واختلف في قوله سبحانه: ﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾ كيف خالف إعرابها إعراب ما تقدم وما تأخر؟ قال بعض نحاة البصرة¹ والكوفة²: إنما هو من قطع النعوت على نصب بأعني، والرفع بعد ذلك بهم. وقال قوم: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ عطف على ما في قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ والمعنى: ويؤمنون بالمقيمين الصلاة، وهم الملائكة، أو من تقدم من الأنبياء. وقال قوم: ﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾ عطف على الضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾. وقال آخرون: بل عطف على الكاف في قوله: ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ وزاد الصفاقسي³: أن المقيمين منصوب على المدح، قال: وقرأ جماعة: والمقيمون⁴. انتهى. واعلم أن مذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم أن هذا اللفظ . أعني: ﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾ لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولا غيره، وأما ما روي عن السيدة أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها وإبان بن عثمان، أنه غلط من الكتاب، ينبغي أن يكتب: والمقيمون، وأن عثمان رضي الله تعالى عنه قال: إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتها، فقد أجيب عنه بأن هذا بعيد جداً، لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك، فكيف يتركون في كتاب الله لحناً يصلحه غيرهم، فلا ينبغي أن

¹ البصرة: بالعراق، وهي كانت قبة الإسلام، بنيت في خلافة عمر رضي الله عنه سنة أربع عشرة للهجرة، وقيل: سنة سبع عشرة، وعتبة بن غزوان كان أول من اختطها، ونزلها في ثمانمائة رجل. الحميري، الروض المعطار، ص105.

² الكوفة: المدينة الكبرى بالعراق، وهي أول مدينة اختطها المسلمون بالعراق في سنة أربع عشرة، وهي على معظم الفرات، ومنه شرب أهلها، ومن بغداد إلى الكوفة ثلاثون فرسخاً، وهي ثلاث مراحل، سيمت بجبل صغير في وسطها كان يقال له: كوفان، وعليه اختطت. الحميري، الروض المعطار، ص501.

³ لم أعثر عليه.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص515.

ينسب هذا إليهم. قال ابن الأنباري¹: ما روي عن عثمان لا يصح، لأنه غير متصل، ومحال أن يؤخر عثمان شيئاً فاسداً ليصلحه غيره، ولأن القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه، ولا تلتفت إلى ما زعموا من وقوع لحن في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب، يعني في كتاب سيبويه، ولم يعرف مذاهب العرب، وما لهم من النصب على الاختصاص والمدح من الأفنان، وهو باب واسع قد ذكره سيبويه على أمثلة وشواهد، والسابقون الأولون كانوا لبعده همة في الغيرة على الإسلام وذب الطاعن عنه، من أن يتركوا في كتاب الله عز وجل ثلمة يسدها من بعدهم، وخرقاً يرفعه من يلحق بهم. ثم اختلف العلماء في المقيمين الصلوة أهم الراسخون في العلم أم غيرهم؟ على قولين: أحدهما: أنهم هم، وإنما نصب على المدح، والمعنى: واذكر المقيمين الصلوة، وهم المؤتون الزكاة، قالوا: والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته، إذا تطاولت بمدح أو ذم، وربما خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحياناً، ثم رجعوا بآخره إلى أوله، وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه، وربما أفردوا ذلك على نوع واحد من الإعراب، واستشهدوا على معنى الآية بقوله²: [الكامل]

| | | | | | |
|-------|-------|-------|---------|---|------------------------|
| الجزر | وآفة | العدة | سم | ~ | لا يبعدن قومي الذين هم |
| الأزر | معاقد | | والطيون | ~ | النازلين بكل معترك |

وهذا على معنى اذكر النازلين، وهم الطيون، ومن هذا المعنى جاءني قومك المتطعمين، وهم المعينون. والقول الثاني: إن المقيمين الصلوة غير الراسخين في العلم إلخ ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾ المعطون ﴿الزَّكَاةَ﴾ بالواو مكان الألف في كل موضع، خبر مبتدأ محذوف، كما مر، أي وهم المؤتون الزكاة، أو عطف على "المؤمنون"، لأنه من صفتهم. انظر: اللباب³. وقال في

¹ لم أعثر عليه.

² قاله خرنق بن عفان. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص174.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص451.

الضياء: "بالرفع عطف على الراسخين، أو مبتدأ، وخبره جملة أولئك"¹. إلخ. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ المصدقون ﴿بِاللَّهِ﴾ وهذا يشمل ما يجب لله، وما يجوز، وما يستحيل ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ آخر الأيام، يوم البعث والنشور، ذكر هنا الإيمان بالله واليوم الآخر، وقدم في أول الكلام الإيمان بالكتب، أو الأولون المؤمنون من أهل الكتب، وهذا عام. قال في اللباب: "يعني: والمصدقون بوحداية الله، وبالبعث بعد الموت، وبالثواب والعقاب"². انتهى. ﴿أُولَئِكَ﴾ بال حذف، وزيادة واو بعد الألف حيث وقع، مبتدأ، يعني: من هذه الأوصاف صفته ﴿سَوَّيْتَهُمْ﴾ بالنون للجمهور، وبالياء لحمزة وخلق، "نشر"³، نعطيهم في الآخرة، والسين بمعنى سوف للتنفيس ﴿أَجْرًا﴾ ثوابًا ﴿عَظِيمًا﴾ فاصلة الآية الأولى بعد الستين والمائة من سورة النساء. قال في اللباب: "يعني: سنعطيهما على ما كان من طاعة الله واتباع أمره ثوابًا عظيمًا"⁴. انتهى. وهو الجنة، قاله غير واحد ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا﴾ ألقينا ﴿إِلَيْكَ كَمَا﴾ مصدريه ﴿أَوْحَيْنَا﴾ أي إحياء كإحيائنا ﴿إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ﴾ أي وكما أوحينا إلى النبيين ﴿مِّنْ بَعْدِهِ﴾ أي من بعد نوح، و﴿مِّنْ﴾ ابتدائية، وهو إما متعلق بـ ﴿أَوْحَيْنَا﴾ فيكون لغوا، أو متعلق بالكون حالاً من النبيين، فيكون مستقرًا. قال الثعالبي: "والوحي في المعنى في خفاء، وعرفه في الأنبياء بواسطة جبريل عليه السلام"⁵. انتهى. وقال في الضياء: "﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ جواب السؤال⁶ أهل الكتب أن ينزل عليهم كتابًا من السماء، وما بينهما استطراد لبعض قبائحهم، دلالة على أن ذلك السؤال ليس بأول منكر ارتكبه، فأخبرهم الله

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص219.

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص451.

³ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج3، ص38.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص451.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص516.

⁶ في الضياء: "السؤال".

تعالى أن أمر محمد في الوحي كسائر الأنبياء بقوله: ﴿كَأَوْحَيْنَا﴾ والكاف صفة¹ لمصدر محذوف، أي إحياء مثل إحيائنا، أو حال من ذلك المصدر المحذوف، وما مصدرية، لا تفتقر إلى عائد على الصحيح، أو موصولة، والعائد محذوف إلى ﴿نُوحٍ﴾ بدأ به، لأنه أول الرسل إلى الكفار، ولأنه² آدم الثاني، ومعجزته كانت في نفسه، عاش ألفاً وثيقاً ولم يشب، ولم تسقط له سن، ﴿وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ المعنى: أنكم، يا معشر اليهود، تقرّون بنبوة نوح والأنبياء المذكورين بعده، وما أنزل على أحد منهم كتاباً جملة، مثل ما أنزل على موسى، فلما لم يكن ذلك قادحاً في نبوءتهم، فلا يقدح في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه كما أنزل عليهم، ولما ذكرهم جملة، خص جماعة منهم بالذكر، اثني عشر، لفضلهم، وهم المشاهير، فقال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾³. إلخ. وقال في الباب: "قال ابن عباس: قال مسكين⁴ وعدي بن زيد⁵: يا محمد، ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى،

¹ في الضياء: "والكاف نصب بمصدر محذوف".

² في الضياء: "وأنه".

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص219.

⁴ في الخازن: "سكين". أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم، الإمام، العلامة، مفتي مصر، أبو عمرو القيسي، العامري، المصري، الفقيه، يُقال: اسمه مسكين، وأشهب: لقب له، مولده سنة 140هـ، سمع: مالك ابن أنس، والليث بن سعد، ويحيى بن أيوب، وسليمان بن بلال، وبكر بن مضر، وداود بن عبد الرحمن العطار، وعدة، حدّث عنه: الحارث بن مسكين، ويونس بن عبد الأعلى، وبخّز بن نصر، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، ومحمد بن إبراهيم بن المؤازر، وآخرون، قال أبو عمر ابن عبد البر: كان فقيهاً، حسن الرأي والنظر، وقال سُحنون: رحم الله أشهب، ما كان يزيد في سماعه حرفاً واحداً، مات لثمانين بقين من شعبان سنة 204هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص287، 288، رقم الترجمة 1639. بتصرف.

⁵ عدي بن زيد بن الحمار العبّادي التميمي النصراني فجاهلي، من فحول الشعراء، وهو أحد الفحول الأربعة الذين هم: هو، وطرفة بن العبد، وعبيد بن الأبرص، وعلقمة بن عبدة. وأما صاحب الأغاني فقيّد جدّه الحمار بمعجمة مضمومة. وأظنه مات في الفترة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص110، 111، رقم الترجمة 46. بتصرف.

فأنزل الله هذه الآيات. وقيل: هو جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابًا من السماء جملة واحدة. فأجاب الله عزَّ وجلَّ عن سؤالهم بهذه الآية فقال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ والمعنى: أنكم، يا معشر اليهود، تقرّون بنبوة نوح، وبنبوة جميع الأنبياء المذكورين في هذه الآية، يعني: نوحًا وإبراهيم وإسماعيل إلخ، المذكورين هنا، فالله تعالى أوحى إلى هؤلاء الأنبياء، وأنتم، يا معشر اليهود، معترفون بذلك، وما أنزل الله على واحد من هؤلاء المذكورين كتابًا جملة واحدة، مثل ما أنزل على موسى، فلما لم يكن عدم إنزال الكتاب جملة واحدة قاذغًا في نبوة هؤلاء، لم يكن إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم جملة واحدة قاذغًا في نبوته، بل قد أنزل عليه كما أنزل عليهم. قال المفسرون: وإنما بدأ الله عزَّ وجلَّ بذكر نوح عليه السلام، لأنه أول نبي بعث بشريعة¹، وأول نذير على الشرك، وأنزل الله عليه عشر صحائف، وكان أول من عذبت أمته لرد دعوته، وأهلك أهل الأرض بدعائه، وكان أبا البشر كآدم عليه السلام، وكان أطول الأنبياء عمرًا، عاش ألف سنة، ولم تنقص قوته، ولم يشب، ولم ينقص له سن، وصبر على أذى قومه طول عمره. ثم ذكر الله الأنبياء من بعده جملة بقوله تعالى: ﴿وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ثم خص جماعة من الأنبياء بالذكر لفضلهم وشرفهم، فقال: ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾² ألقينا ﴿إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ بالحذف، ومعناه: أب رحيم ﴿وَأِسْمَاعِيلَ﴾ قال في القاموس: "إسماعيل بكسر الهمزة ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام، ومعناه: مطيع الله، وهو الذبيح على الصحيح"³. انتهى. قال صاحب هذا التفسير: يظهر من كلامه أن إيل⁴ اسم الله تعالى، وأن إسماع معناه في العربية السامع سمعًا وطاعة سمعنا وأطعنا ﴿وَأِسْحَاقَ﴾ بالحذف، ابن إبراهيم، قال في القاموس: "إسحاق علم أعجمي، ويصرف إن نظر إلى أنه مصدر في

¹ بعد آدم عليه السلام.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص451.

³ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب اللام، فصل السين، ص1314.

⁴ إيل: اسم الله. الفيومي، المصباح المنير، ج1، ص90.

الأصل"¹. انتهى. ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ وهو ابن اسحاق بن إبراهيم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم ﴿وَالْأَسْبَاطُ﴾ بالإثبات، يعني أولاد يعقوب، وهم اثنا عشر سبطاً²، والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب من بني إسماعيل والشعوب من العجم، ولأن في الأسباط أنبياء، فلذلك قال: ﴿وَالْأَسْبَاطُ﴾. وقيل: هم بنو يعقوب من صلبه، صاروا كلهم أنبياء، والله تعالى أعلم. ﴿وَعِيسَى﴾ وهو عيسى ابن مريم الصديقة صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهما، ولم تكن هي نبيه، وما كانت نبيه من هذا النوع، وإنما النبوة في الرجال ﴿وَأَيُّوبَ﴾ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ ﴿وَالْحُذَفَ﴾ وسُلَيْمَانَ ﴿وَالْحُذَفَ﴾ وهو ابن داود، وهو معطوف ﴿إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ وكذا ما قبله من المعطوفات ﴿وَعَاتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿دَاوُدَ﴾ بإثبات الألف وحذف الواو الثانية. قال في المورد: [الرجز]

"وباتفـاق أثبتـوا داوداً³ ~ إذ كان أيضاً واوه مفقوداً"⁴.

﴿زَبُورًا﴾ فاصلة الآية الثانية، بالفتح للجمهور، اسم للكتاب المؤتى، وبالضم لحمزة وخلق هنا وفي سبحة وفي الأنبياء في الزبور، بمعنى فزبوراً أي مكتوباً، والكتاب الذي أنزل على داود مائة وخمسون سورة، ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام، بل كلها تسييح وتقديس وتحميد وثناء على الله عز وجل ومواعظ، وكان داود عليه السلام يخرج على البرية فيقوم ويقرأ الزبور، ويقوم علماء بني إسرائيل خلفه، ويقوم الناس خلف العلماء، ويقوم الجن خلف الناس، والشياطين خلف الجن، وتجيء الدواب التي في الجبال، فيقمن بين يديه، ويرفرف الطير على

¹ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب القاف، فصل السين، ص1153.

² وهذا القول غير ثابت، لأن بعض أولاد يعقوب عليه السلام فعلوا أفاعيل خسيصة، واتهموا والدهم بالضلال، وتآمروا على أخيهم يوسف، وكذبوا، فهم بعد توبتهم وصلاحتهم صاروا أولياء، وما صاروا أنبياء، لأن الأنبياء معصومون قبل النبوة وبعدها. عبد الله الحرري، مختصر عبد الله الحرري، ص7. بتصرف.

³ في المورد: "داود".

⁴ محمد بن محمد الشرييني، المورد، ص58.

رؤوس الناس، يستمعون لقراءة داود، ويتعجبون منها. وروى البخاري¹ ومسلم² عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <لو رأيتم البارحة وأنا أسمع لقراءتك، لقد أعطيت مزمارًا من مزامير داود>. انتهى. وقال الحميدي في رواية: "قلت: والله، يا رسول الله، لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيرًا"³. التحبير تحسين الصوت بالقراءة. قال بعض العلماء: وإنما لم يذكر موسى عليه السلام في هذه الآية، لأن الله أنزل عليه التوراة جملة واحدة، وكان المقصود بذكر من ذكر من الأنبياء في الآية أنه لم ينزل على أحد منهم كتابًا جملة واحدة، فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام. انتهى. يعني هنا، ويأتي ذكره قريبًا. ولما نزلت هذه الآية قالت اليهود: ما لموسى لم يذكر؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وفيها ذكر موسى عليه السلام، وهي قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا﴾ مفعول فعل محذوف، أي وأرسلنا رسلاً ﴿قَدْ قَصَصْنَاهُمْ﴾ بالحذف ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد، أي تلونا عليك نبأهم، وسميناهم في القرآن، وعرفناك بمن بعثوا إليه، وما رد عليهم قومهم. قال في القاموس: "قص الخبر أعلمه، و﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾"⁴ نبين لك أحسن البيان، والقاص من يأتي بالقصة"⁵. انتهى. ﴿مِنْ﴾ ابتدائية ﴿قَبْلُ﴾ أي من قبل هذه السورة، وهو لغو متعلق بـ ﴿قَصَصْنَاهُمْ﴾، ﴿وَرُسُلًا﴾ أي وأرسلنا رسلاً ﴿لَمْ نَقْصُصْهُمْ﴾ "أي لم نسمهم لك، ولم نعرفك أخبارهم. قال أهل المعاني: الذين نوه الله بذكرهم من الأنبياء، يدل ذلك على تفضيلهم على من لم يذكر ولم يسم"⁶، قاله في اللباب. ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد، في القرآن.

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 66 فضائل القرآن، باب 31 حسن الصوت بالقراءة للقرآن، ج9، ص92، رقم5048.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب 6 صلاة المسافرين وقصرها، باب 34 استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ج1، ص546، رقم793.

³ الحميدي، الجمع بين الصحيحين، ج1، ص188.

⁴ يوسف، 3.

⁵ الفيروزبادي، القاموس المحيط، باب الصاد، فصل القاف، ص809.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص452.

قال الشيخ سيدي عبد العزيز ابن مسعود الشريف الدباغ¹: الحكمة² في عدم قص هؤلاء، أنهم لم تعرفهم الناس، وإنما قص من هو معروف عند الناس، وهؤلاء لم تسمع الناس لهم خبراً، فلذا لم يقصصهم الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. انتهى. وقال السيوطي: "روي أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس، قاله الشيخ³ في سورة غافر"⁴، يعني المحلي⁵. ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ فاصلة الآية الثالثة، "صرح بالكلام مؤكداً له بالمصدر، وذلك دليل على بطلان قول المعتزلة أن الشجرة هي التي كلمت موسى"⁶، قاله ابن جزى. وقال الثعالبي: "كلم الله سبحانه موسى عليه السلام بكلام دون تعيين ولا تحديد ولا حرف ولا صوت، والذي عليه الراسخون في العلم أن الكلام هو المعنى القائم بالنفس، ويخلق الله لموسى إدراكاً من جهة السمع، فيسمع الكلام"⁷، وكما أن الله تعالى موجود لا كالموجودات، معلوم لا كالمعلومات، وكذلك كلامه لا كالكلام"⁸. انتهى.

وقال في الباب: "﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة، لأن تأكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام، وأن موسى عليه السلام سمع كلامه بلا شك، لأن أفعال المجاز لا تؤكد بالمصادر، فلا يقال أراد الحائط يسقط إرادة، وهذا رد على من

¹ لم أعثر على ترجمة له.

² لم أعثر عليه.

³ المحلي، تفسير الجلالين، ص 628.

⁴ السيوطي، تفسير الجلالين، ص 131.

⁵ جلال الدين المحلي، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي. أصولي، مفسر. مولده ووفاته بالقاهرة. عرفه ابن العماد بتفتازاني العرب. وكان مهيباً صداداً بالحق، يواجه بذلك ظلمة الحكام، ويأتون إليه، فلا يأذن لهم. وعرض عليه القضاء الأكبر فامتنع. وصنف كتاباً في التفسير أئمة الجلال السيوطي، فسمي "تفسير الجلالين". ط، و"كنز الراغبين". ط، مجلدان، في شرح المنهاج في فقه الشافعية، وغير ذلك. ولد سنة 791هـ وتوفي سنة 864هـ. الزركلي، الأعلام، ج 5، ص 333. بتصرف.

⁶ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 217.

⁷ في الثعالبي: "فيسمع به".

⁸ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 1، ص 516.

يقول: إن الله تعالى خلق كلامًا في محل، فسمع موسى ذلك الكلام. وقال الفراء¹: العرب تسمي كل ما² يوصل إلى الإنسان كلامًا بأي طريق وصل، لكن لا يحقق بالمصدر، فإذا حقق بالمصدر، لم يكن إلا حقيقة الكلام، فدل قوله تعالى: ﴿تَكْلِيمًا﴾ على أن موسى سمع كلام الله عز وجل حقيقة من غير واسطة. روى الطبري بسنده من عدة طرق عن كعب الخير قال: "لما كلم الله عز وجل موسى عليه السلام، كلمه بالألسنة كلها قبل كلامه، يعني كلام موسى بلسانه، فجعل موسى يقول: يا ربي، لا أفهم، حتى كلمه بلسانه آخر الألسنة، فقال: يا رب، هكذا كلامك؟ قال: لو سمعت كلامي . يعني على وجهه . لم تكن شيئًا"³، قال موسى: "يا رب، هل في خلقك شيء شبه كلامك؟ قال: فلا، وأقرب خلقي شيئًا بكلامي، أشد ما يسمع الناس من الصواعق"⁴. قال بعض العلماء: كما أن الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم، وشرفه به، لم يكن ذلك قادمًا في نبوة غيره من الأنبياء، فكذلك إنزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادمًا في نبوة من أنزل عليه كتابه متفرقًا"⁵. انتهى. ﴿رُسُلًا﴾ بدل من رسلًا قبله، أو تأكيد، أو نصب على المدح ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ من أطاعهم بالجنة، والبشارة هي الخبر السار الذي يظهر سروره في بشرة الوجه، أي جلدته ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى، والإنذار إعلام مع تخويف. قال في اللباب: "وإن ما قدم البشارة، لأنها تجري مجرى حفظ الصحة للأبدان، والإنذار يجري مجرى إزالة المرض، ولا شك أن المقصود هو الأول، فكان أولى بالتقديم"⁶. انتهى. وقوله: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ فيه رد

¹ لم أعثر عليه.

² في الأصل: "كلما"، وفي الخازن: "كل ما".

³ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص29.

⁴ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص30. وهذه الرواية فيها كلام موهم التشبيه في حق الله، فذات الله لا يشبه ذوات الخلق، وصفات الله لا تشبه صفات الخلق، وأفعال الله لا تشبه أفعال الخلق.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص452.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص452.

لسؤال أهل الكتاب أن ينزل الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم جملة واحدة بخط سماوي، كما في التوراة، والمعنى: أن المقصود من بعد الرسل هو إرشاد الخلق إلى معرفة الله تعالى وتوحيده، والإيمان به، والاشتغال بعبادته، وتبشير من أطاعه، وإنذار من خالفه. وهذا المقصود يحصل بإنزال الكتب جملة واحدة، وإنزاله نجومًا متفرقة، بل إنزاله متفرقًا أولى، وذلك أن النفوس قبل بعث الرسل وإنزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيئًا من العبادات، ولم تألفها، فإذا نزل الكتاب جملة واحدة، وفيه جميع التكاليف ربما حصل في بعض نفوس العباد بقدر من تلك التكاليف، ويثقل عليهم، كما أخبر عن قوم موسى بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نُنَقِّئُ الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾¹ ولم يقبلوا أحكام التوراة، إلا بعد شدة، فلهذا السبب كان إنزال الكتاب نجومًا متفرقة أولى. انظر: اللباب². ﴿لَيْلًا﴾ أي لأن لا وصريح كلام غير واحد أنه متعلق بمحذوف، أي أرسلناهم مبشرين ومنذرين، لأن لا ﴿يَكُونُ لِلنَّاسِ﴾ بالإثبات، خبر ﴿يَكُونُ﴾، ﴿عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ برهان، وهو أي الأصل الدليل الذي يغلب صاحبه به من يحاجه، أي يجادله، ويظهر لي أن المراد به هنا ما يعذر به صاحبه، والله سبحانه الحجة على عباده ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾³ ويظهر أن قوله: ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ حال من قوله: ﴿حُجَّةٌ﴾ ويحتمل أن يتعلق بـ ﴿يَكُونُ﴾، ﴿بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ أي بعد بعث الرسل بالبشارة والندارة، ويظهر أن ﴿بَعْدَ﴾ متعلق بـ ﴿يَكُونُ﴾، وقوله: ﴿لَيْلًا﴾ يكون قد علمت من التفسير أن لا نافية، والناصب للفعل أن قبلها، وخففت بالياء. قال في الضياء: "أرسلناهم لئلا يكون للناس على الله حجة تقال بعد إرسال الرسل إليهم ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ

¹ الأعراف، 171.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص452.

³ الأنعام، 149.

عَايَنِيكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾¹ فبعثنا لقطع عذرهم. واستدل الأشعري بهذا على أن لا تكليف قبل البعثة². انتهى. وقال في الباب: "بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب، والمعنى: لئلا يحتج الناس على الله في ترك التوحيد والطاعة لعدم الرسل، فيقولوا: ما أرسلت إلينا رسولا، وما أنزلت علينا كتابا؛ ففيه دليل على أنه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة في ترك التوحيد والطاعة، لعدم الرسل. وفيه دليل على أن الخلق لا يعذب قبل بعث الرسل، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾³، وفيه دليل لمذهب أهل السنة على أن معرفة الله تعالى لا تثبت إلا بالسمع، لأن قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ يدل على أن قبل بعثة الرسل يكون لهم حجة في ترك الطاعات والعبادات. فإن قلت: كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل، والخلق محجوجون بما نصب من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى معرفته ووحدانيته تعالى؟ كما قيل⁴: [المتقارب]

وفي كل شيء له آية ~ تدل على أنه واحد

قلت: الرسل منبهون من رقاد الغفلة والجهالة، وباعثون الخلق على النظر في تلك الدلائل التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى، ومبينون لها، وهي وسائط بين الله وخلقهم، ومبينون أحكام الله التي افترضها على عباده، ومبلغون رسالاته إليهم. روى البخاري⁵ ومسلم⁶ عن المغيرة بن شعبة⁷ رضي الله عنه قال: قال سعد بن عبادة¹ رضي الله عنه: لو رأيت رجلاً مع امرأتي

¹ القصص، 47

² عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص220.

³ الإسراء، 15.

⁴ قائله مجهول.

⁵ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 97 التوحيد، باب 20 قول النبي صلى الله عليه وسلم، ج13، ص399، رقم7316.

⁶ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 19 اللعان، ج2، ص1136، رقم1499.

⁷ المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن مُعَتَّب الأمير أبو عيسى، ويقال: أبو عبد الله، وقيل: أبو محمد، من كبار الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة، شهد بيعة الرضوان، كان رجلاً ضوئاً، مهيباً، ذهب

لضرته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: <أتعجبون من
غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر
منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث المنذرين
والمبشرين، ولا أحد أحب إليه المداحة من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة>. انتهى².

﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي لم يزل ﴿عَزِيزًا﴾ قال في اللباب: "يعني في انتقامه ممن خالف أمره
وعصى رسله ﴿حَكِيمًا﴾ فاصلة الآية الرابعة. قال في اللباب: "يعني حكيمًا في إرساله
الرسل"³. انتهى. والحكيم هو المصيب في الأمور الذي يضع كل شيء في محله. وقوله:
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ هو كالحاتمة، فهو كالحاتمة لما قبله، فيفيد الانتقام ممن خالف
فيما مر، وكالترجمة لما بعده، فيفيد الانتقام ممن خالف فيما يأتي، فتأمل هذا التخلص، فإنه
غريب بديع غاية. "ربع" ﴿لَكِنَّ﴾ بالحذف حيث وقعت. وقيل: ﴿لَكِنَّ﴾ حذف، أي
لم يشهد اليهود نبوتك وكذبوها، ﴿لَكِنَّ اللَّهَ﴾ إلخ ﴿اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ على رسالتك، يا محمد
﴿بِمَا﴾ أي بالذي ﴿أَنْزَلَ﴾ بفتح الهمزة والزاي ﴿إِلَيْكَ﴾ من القرآن، يعني: أن الله

عينه يوم القيوم، وقيل: يوم القادسية، يقال إنه كان داهية ويقال له: مغيرة الرأي، حدث عنه: بنوه عروة
وحزمة وعقار، وعقار مخزومة، وأبوأمامة الباهلي، ومسروق وغيرهم، وله في "الصحيحين" اثنا عشر حديثًا،
مات سنة 50 هـ، في شعبان وله 70 سنة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 6، ص 200.197.
الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 18.12، رقم الترجمة 365. بتصرف.

¹ سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن
الخزرج. السيد الكبير الشريف، أبو قيس الأنصاري الخزرجي الساعدي المدني، النقيب سيد الخزرج. له
أحاديث يسيرة وهي عشرون بالمكرر. مات قبل أوان الرواية، روى عنه سعيد بن المسيب، والحسن
البصري، مرسل. له عند أبي داود، والنسائي حديثان. وكان عقبًا نقيبًا سيّدًا جوادًا. وقال البخاري في
"تاريخه": إنه شهد بدرًا. وممن روى عنه أولاده: قيس وسعيد، وإسحاق، وابن عباس. وسكن دمشق، فيما
نقل ابن عساكر، قال: ومات بحوران، وقيل: قبره بالمنيحة. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 3،
ص 65، 66. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 1، ص 270 وما بعدها، رقم الترجمة 55. بتصرف.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 452، 453.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 453.

يشهد على رسالتك، بما أنزل إليك من القرآن، وشهادته تعالى إنما عرفت بسبب إنزاله هذا القرآن الذي تعجز عنه الإنس والجن عن أن يأتوا بمثله، فالباء في ﴿يَمَّا﴾ سببية، والآية رادة على اليهود في قولهم: إنهم لا يعلمون أن محمداً رسول الله، وإن القرآن لم ينزل عليه، فلم يشهدوا على رسالته. قال في الباب: "والمعنى: أن اليهود لم يشهدوا أن القرآن أنزل عليك، يا محمد، لكن الله تعالى يشهد بأنه أنزله عليك، وشهادة الله إنما عرفت بسبب أنه أنزل هذا القرآن البالغ في الفصاحة والبلاغة، إلى حيث عجز الأولون والآخرون عن معارضته والإتيان بمثله، فكان ذلك معجزة، وإظهار المعجزة شهادة يكون المرء بها صادقاً لا جرم. قال الله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾ يا محمد، بالنبوة، بواسطة هذا القرآن الذي أنزله عليك"¹. انتهى. وقال في الباب: "قبل هذا قال ابن عباس: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال: <إني، والله، أعلم أنكم لتعلمن أنني رسول الله>، فقالوا: ما نعلم ذلك، فأنزل الله هذه الآية². وفي رواية عن ابن عباس قال: إن رؤساء مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد، إنا سألنا عنك اليهود، وعن صفتك في كتابهم، فزعموا أنهم لا يعرفونك، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ يَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: إن جحدك هؤلاء اليهود، وكفروا بما أوحينا إليك، وقالوا: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾³، فقد كذبوا فيما ادعوا، فإن الله تعالى يشهد لك بالنبوة، ويشهد⁴ بما إليك"⁵. والحاصل: أن الباء في قوله: ﴿يَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ تحتمل السببية، كما فسرت، وتحتمل أن تكون للآلة، وتحتمل أن تكون داخلية على المشهود عليه، وحينئذ فهي بمعنى "على" أو على بابها، ويظهر ذلك بالتأمل، والله تعالى أعلم. فتلك ثلاثة تأويلات. قال الثعالبي: "وقوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص453.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص453.

³ الأنعام، 91.

⁴ في الخازن: "وشهيد بما أنزل".

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص453.

يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴿١﴾ سببها قول اليهود: ﴿مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾¹. قال الصفاقسي²: ﴿لَكِن﴾ استدراك، والاستدراك هو أن تثبت لما بعدها حكماً مخالفاً لما قبلها، فيتعين تقدير جملة قبلها، بينها سبب النزول، وهو أنه لما أنزل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قالوا: ما نشهد لك بهذا، فنزل: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾³. انتهى. وهذا هو الذي فسرت به قبل ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾. قال في الضياء: "أنزله متلبساً ﴿بِعِلْمِهِ﴾ استئناف يؤكد شهادته، أي علماً به، كما إذا رأيت فعلاً متقناً تقول: فعله فعلم"⁴. انتهى. وقال في الباب: "لما قال تعالى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ بين صفة ذلك الإنزال، وهو أنه بعلم تام، وحكمة بالغة. وقيل: معناه: أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله عليك، وأنت مبلغه إلى عبادته. وقيل: معناه: أنزله بما علم من مصالح عبادته في إنزاله عليك"⁵. انتهى. يعني: أنه مشتمل على بيان مصالح العباد. قال في الضياء: "وفيه حجة قوية لأهل السنة في إثبات العلم على المعتزلة القائلين: عالم بلا علم"⁶. انتهى. ونحو هذا لابن جزري، وزاد: "وقد تأولوا الآية بتأويل بعيد"⁷. انتهى. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ يعني: أن الملائكة يشهدون لك أيضاً بما شهد لك الله به من النبوة والرسالة، وإنزال القرآن إليك، من عند الله تعالى. فإن قلت: شهادة الله تعالى عرفت بالمعجزات الظاهرة، والبراهين الباهرة، فبأي شيء تعلم شهادة الملائكة عليهم السلام؟ فالجواب: أن شهادة الملائكة تعلم بخبر الله تعالى الصادق، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾⁸ قال: فالحق والحق أقول، فقد ظهرت لنا شهادة الملائكة

¹ الأنعام، 91.

² لم أعثر عليه.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص506.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص220.

⁵ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص453.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص220.

⁷ ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص217.

⁸ الأحزاب، 4.

بإخبار الله تعالى عنهم بأنهم يشهدون. قال في اللباب: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ يعني: يشهدون بأن الله أنزله عليك، ويشهدون بتصديقك، وإنما عرفت شهادة الملائكة، لأن الله تعالى إذا شهد بشيء شهدت الملائكة بذلك الشيء، وقد ثبت أن الله يشهد بأنه أنزله بعلمه، فالملائكة يشهدون بذلك¹. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي وكفى الله ﴿شَهِيدًا﴾ لك بالنبوة، يا محمد، أي حسبك من الشهود أن الله تعالى يشهد لك، فكفى ذلك، وإن لم يشهد معه غيره، والله فاعل مجرور بالباء الزائدة، و﴿شَهِيدًا﴾ تمييز، ويحتمل الحالية. وقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي بما أقام من الحجج و﴿شَهِيدًا﴾ فاصلة الآية الخامسة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهم اليهود ﴿وَصَدُّوا﴾ صرفوا غيرهم ومنعوه ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام. قال في اللباب: "يعني: منعوا غيرهم من الإيمان به، بكتمان صفته، وإلقاء الشبهة في قلوب الناس، وهو قولهم: لو كان محمد رسولاً لأتى بكتاب من السماء جملة واحدة، كما أتى موسى بالتوراة"². انتهى. وقد مر الرد عليهم، بأنهم سلموا نبوة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وغيرهم، ولم يكن أنزل عليهم كتاب جملة واحدة، وحينئذ فلا وجه لقولهم: لو كان نبياً لأتى بكتاب من السماء جملة واحدة، كما أتى موسى بالتوراة. قوله: ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أصل السبيل الطريق، والمراد بها هنا الدين الذي يتعبد به. قال في القاموس³: ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كل ما أمر به من الخير. ﴿قَدْ﴾ يظهر أنها للتحقيق ﴿ضَلُّوا﴾ ذهبوا عن الحق وتخيروا ﴿ضَلَالًا﴾ بالحذف، ذهاباً ﴿بَعِيدًا﴾ فاصلة الآية السادسة. ووصف الضلال بالبعد مجاز، إذ البعيد عن الحق صاحبه المتلبس به، والجملة خبر أن. وقوله: ﴿قَدْ﴾. قال في القاموس: ﴿قَدْ﴾ مخففة حرفية واسمية، وهي على وجهين: اسم فعل مرادفة ليكفي قد كدرهم وقد زيداً درهم، أي

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص453.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص453.

³ الفيروزآبادي، القاموس، باب اللام، فصل السين، ج1، ص1308.

يكفي، واسم مرادف لحسب وتستعمل مبنية غالباً، قد زيد درهم بالسكون، ومعربة قد زيد درهم، أي يكفي، واسم مرادف لحسب، وتستعمل مبنية غالباً قد زيد درهم بالسكون، ومعربة قد زيد درهم، والحرفية مختصة بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس، ولها ست معان: التوقع قد يقدم الغائب، وتقريب الماضي من الحال: قد قام زيد، والتحقيق: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾¹، والنفي: قد كنت في خير فتعرفه ينصب تعرف، والتقليل: قد يصدق الكذب، والتكثير: قد أترك القرن مصغراً أنامله². انتهى. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿وَزَلَمُوا﴾ محمداً صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته، وظلموا غيرهم بإلقاء الشبهات في قلوبهم ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾ مذهب البصريين أن اللام زائدة، وأن الناصب للفعل أن مقدرة، أي لم يكن الله مريداً لأن يغفر لهم ومذهب الكوفيين أن اللام زائدة ولكنها ناصبة للفعل والفعل هو الخبر. قال في الباب: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يعني: لمن علم منهم أنهم يموتون على الكفر. وقيل: معناه: لم يكن الله ليستر عليهم قبائح أفعالهم، بل يفضحهم في الدنيا، ويعاقبهم عليها بالقتل والسبي والجلاء في الدنيا، وفي الآخرة بالنار³. انتهى. فإن قلت: ما الفرق بين هذا والذي قبله؟ فالجواب: أنه في الأولى وصفهم بالكفر والصد عن سبيل الله، وأخبر عنهم أنهم قد ضلوا بذلك عن الحق ضلالاً بعيداً. ووصفهم في الثاني بالكفر والظلم، وأخبر عنهم أنهم لا يغفر لهم ولا يهديهم إلى الحق، وأنهم مخلدون في النار، وكفى بهذا فارقاً، والصد في الأول حاصل بكتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم، وإلقاء الشبه في قلوب الناس. والظلم في الثاني حاصل بهما، فأخبر أن في كل من الكتمان والإلقاء أمران مذمومان: الظلم والصرف، والله تعالى أعلم. ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ﴾ عطف على ﴿لِيَغْفِرَ﴾، ﴿طَرِيقًا﴾ فاصلة الآية السابعة. قال في الباب: ﴿طَرِيقًا﴾ ينجون فيها من النار. وقيل: ﴿لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ إلى الإسلام، لأنه قد سبق في علمه أنهم

¹ الشمس، 9.

² الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب الدال، فصل القاف، ص 394، 395.

³ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 453.

لا يؤمنون"¹. انتهى. والهداية هي الإرشاد والتوفيق، وهي نقيض الخذلان والإضلال ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ قال في اللباب: "يعني: لكنه تعالى يهديهم إلى طريق يؤدي إلى جهنم، وهي اليهودية، لما سبق في علمه أنهم أهل لذلك"². انتهى. وظاهره أو صريحه أن الاستثناء منقطع، ولم يظهر لي ذلك، إذ المعنى: لم يكن الله ليهديهم طريقًا، أي طريق كان إلا طريق جهنم، والله تعالى أعلم. ﴿خَالِدِينَ﴾ مقيمين ﴿فِيهَا﴾ أي في جهنم ﴿أَبَدًا﴾ زمنًا لا نهاية له ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ يعني: هدايتهم إلى الطريق المؤدي إلى جهنم، والخلود فيها أبدًا ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ متعلق بما بعد ﴿يَسِيرًا﴾ فاصلة الآية الثامنة، أي هينًا، "لا يصعب عليه، ولا يستعصي"³، إن الله على كل شيء قدير. وفي الحديث القدسي: >خلقت هؤلاء للنار، ولا أبالي<⁴. ولما قرر أمر النبوة، وبَيَّن الطريق الموصل إلى العلم بها، ووعيد من أنكرها، خاطب الناس جميعًا بطلب الإجابة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾⁵، قاله في الضياء. وقال في اللباب: "﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب عام، يدخل فيه جميع الكفار، من اليهود والنصارى وعبدة الأصنام وغيرهم. وقيل: هو خطاب لمشركي العرب"⁶. انتهى. وقال ابن جزى: "خطاب عام لجميع الناس، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل إلى جميع الناس ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الرُّسُولُ﴾ يعني: محمدًا صلى الله عليه وسلم ﴿بِالْحَقِّ﴾ يعني: بدين الإسلام الذي ارتضاه لعباده. وقيل: جاء بالقرآن الذي هو الحق"⁷. انتهى. والباء إما للتعدي، أي آتاكم الحق، أو للملابسة، أو الملاصقة، والله تعالى أعلم. ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي من عند ربكم، حال، و

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص453.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص453.

³ في الضياء: "يستعظمه".

⁴ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج4، ص186.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص221.

⁶ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص453.

⁷ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص217.

﴿مِنْ﴾ ابتدائية. وقال في الضياء: "والجار والمجرور في الموضعين حال الأول من الفاعل، والثاني من المفعول"¹. انتهى. وقال الثعالبي: "الآية خطاب لجميع الناس، وهي دعاء إلى الشرع، ولو كانت في أمر من أوامر الأحكام، لكانت: يا أيها الذين آمنوا، والرسول في الآية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم"². انتهى. ﴿فَعَامِنُوا﴾ صدقوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم ﴿خَيْرًا﴾ خبر يكن محذوفًا، أي يكن الإيمان بما جاءكم به خير ﴿لَكُمْ﴾ من الكفر الذي أنتم عليه، قاله في الباب³. وقال في الضياء: "فآمنوا به إيمانًا خيرًا لكم مما أنتم فيه، أو اقصدوا خيرًا لكم، أو يكن خيرًا لكم عند الكوفيين، وأنكر البصريون حذف كان مع اسمها، لأن حذفها هنا يؤدي إلى حذف الشرط وجوابه"⁴. ولما ندبهم إلى الإيمان، أخبرهم بما يفيد أنه لا يضره كفرهم إن كفروا، ولا ينفعه إيمانهم لو آمنوا، فقال: ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾ يعني: وإن تجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا﴾ أي الذي ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ بحذف الألفين ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بدون ما، يعني: فإن الله هو الغني عن إيمانكم، لأن له ما في السماوات والأرض ملكًا وخلقًا، ومن كان كذلك لم يكن محتاجًا إلى شيء، وأنه قادر على ما يشاء. انتهى. وقال في الضياء: "﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾ به بعد ظهور الحق بالدلائل وهذا النصح، ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو غني عنكم، ولا يضره كفركم، ولا ينفعه إيمانكم"⁵. انتهى. وقال ابن جزي: "﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي هو غني عنكم، لا يضره كفركم"⁶. انتهى. ونحوه لغير واحد ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي لم يزل ﴿عَلِيًّا﴾ بمن يكفر ومن يؤمن وبكل شيء. قال في الباب: "

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص221.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص517.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص453.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص221.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص221.

⁶ ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص218.

﴿عَلِيًّا﴾ يعني: بما يكون منكم، لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده، فيجزى كل عامل بعمله¹. ﴿حَكِيمًا﴾ فاصلة الآية التاسعة. قال في الباب: "﴿حَكِيمًا﴾ يعني في تكليفكم، مع علمه بما يكون منكم"². وقال في الضياء: "﴿عَلِيًّا﴾ بخلقه، من يؤمن ومن يكفر، ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه بهم، لا يسوي بين المؤمن والكافر في الأجر"³. وقال السيوطي: "﴿عَلِيًّا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه بهم". انتهى. وقوله: ﴿عَلِيًّا حَكِيمًا﴾ كالحاتمة لما قبله، والترجمة لما بعده. قال في الضياء: "ولما أراح الشبهة عن حال محمد، أراحها عن حال عيسى عليه السلام بقوله: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ﴾"⁴ بال حذف في الموضوعين، وظاهره العموم في اليهود والنصارى، فيكون الكتاب اسم جنس يعم التوراة والإنجيل ﴿لَا تَغْلُوا﴾ تتجاوزوا الحق ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ شريعتكم في أمر عيسى، أي في دين الله وشريعته التي أنتم مطلوبون بها بأن توحّدوا الله، والغلو الإفراط في الشيء، فاليهود بالغوا في الإفراط في أمر عيسى صلوات الله وسلامه على نبيينا وعليه، وذلك أنهم بالغوا في التقصير في أمره، حتى حطوه عن منزلته، حيث جعلوه لغير رشد، والنصارى غلوا في رفع عيسى، أي بالغوا في الإفراط في رفعه، حتى رفعوه عن منزلته، بأن جعلوه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة. وقال ابن جزى: "هذا خطاب للنصارى، لأنهم غلوا في عيسى، حتى كفروا، فلفظ أهل الكتاب عموم يراد به الخصوص في النصارى، بدليل ما بعد ذلك، والغلو هو الإفراط وتجاوز الحد"⁵. انتهى. وقال في الباب: "نزلت هذه الآية في النصارى، وذلك أن الله تعالى لما أجاب عن شبه اليهود، اتبع ذلك بإبطال ما يعتقد النصارى، وأصناف النصارى أربعة: اليعقوبية، والمملكانية، والنسطورية، والمرقسية. فأما اليعقوبية والمملكانية فقالوا في عيسى: إنه الله. وقالت النسطورية: إنه ابن الله.

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص454.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص454.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص221.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص221.

⁵ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص218.

وقالت المرقسية: ثالث ثلاثة. يعنون . لعنهم الله . الله وعيسى وأمه مريم، ويبيّن هذا قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَإِيمَى إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ

اللَّهِ¹ . وقيل: إنهم . يعني المرقسية، لحامهم² الباري . يقولون: إن عيسى جوهر، وأحد ثلاثة أقانيم³: أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم روح القدس . وإنهم يريدون بأقنوم الأب الذات، وبأقنوم الابن عيسى، وبأقنوم روح القدس الحياة فيه . فتقديره عندهم الإله ثلاثة . وقيل: إنهم يقولون في عيسى: ناسوتية وألوهية . فناسوتيته من قبل الأم، وألوهيته من قبل الأب . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . يقال: إن الذي أظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له: بولص، تنصر ودس هذا في دين النصارى، ليضلهم بذلك، وستأتي قصته في سورة التوبة إن شاء الله تعالى⁴ . انتهى بزيادة قليلة. ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾ يا أهل الكتاب ﴿عَلَى اللَّهِ إِلَّا﴾ القول

﴿الْحَقَّ﴾ أي لا تقولوا إن له شريكاً وولداً، ولا تصفوه بالحلول والاتحاد في بدن الإنسان، ونزهوا الله تعالى عن ذلك، وقولوا القول الحق من تنزيهه عن ذلك كله، ونفي الشريك، وغير ذلك، مما هو واجب لله . وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل> . رواه مسلم⁵ والبخاري⁶ والنسائي¹ . وفي مسلم: <أدخله الله من أي

¹ المائدة، 116.

² "لَحَا الشَّجَرَةَ يَلْحُوهَا لَحْوًا قَشَرَهَا". ابن منظور، لسان العرب، مادة ل ح ا، ج 15، ص 241. والمعنى: أهلكتهم الله.

³ "الأقَانِيمُ: الأصول، واحدها: أُقْنُوم. قال الجوهرى: وأَحْسَبُهَا رومية". ابن منظور، لسان العرب، مادة ق ن م، ج 12، ص 495.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 454.

⁵ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 1 الإيمان، باب 10 الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، ج 1، ص 57، رقم 28.

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 60 أحاديث الأنبياء، باب 47 قوله لأهل الكتاب: <لا تغلوا في دينكم>، ج 6، ص 474، رقم 3435.

أبواب الجنة الثمانية شاء². انتهى. وقال في الضياء: "ولا تقولوا على الله إلا القول الحق، من تنزيهه عن الشريك والولد والحلول والاتحاد في بدن الإنسان، فنزهوا الله تعالى عن ذلك"³. انتهى. قال غير واحد: ولما منعهم الله من الغلو في دينهم، أرشدهم إلى طريق الحق في أمر عيسى عليه السلام، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ مبتدأ وخبر و ﴿أَبْنُ﴾ عطف بيان، أو صفة لـ ﴿عِيسَى﴾ يقول الله تعالى ما المسيح إلا عيسى ابن مريم، أي ليس له نسب غير هذا، فليس بالله، ولا بابنه سبحانه عز وجل، ولا بإله، والله تعالى هو المتفرد بالألوهية ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ خبر بعد خبر، أي وما هو إلا رسول لا غير، فمن زعم أنه غير هذا فقد كفر وأشرك، هذا هو مقتضى كلام صاحب اللباب⁴. وقال في الضياء: "﴿عِيسَى﴾ عطف بيان على⁵ ﴿الْمَسِيحُ﴾ لأنه أشهر منه"⁶. انتهى. يعني: فالمعنى: ما المسيح، وهو عيسى ابن مريم إلا رسول الله، وليس بإله، ولا بابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾ أي وما المسيح إلا عيسى ابن مريم، وما هو إلا رسول الله، وما هو إلا كلمة الله، كن أي نشأ عنها، قال الله تعالى له: كن، فكان بشراً من غير أب. قال في الضياء: "كلمته" كن "فكان من غير واسطة، وتسميته بالكلمة تسمية الشيء باسم سببه"⁷. ﴿الْقَهَّاءَ﴾ بالياء مكان الألف، أوصلها ﴿إِلَى مَرْيَمَ﴾ بأن جعلها حاملة له. وقال ابن جزى: "﴿وَكَلِمَتُهُ﴾ أي مكون عن كلمته التي هي "كن" من غير واسطة أب ولا

¹ النسائي، السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب 269 ما يقال عند الموت، ج6، ص277، 278، رقم10969.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب 1 الإيمان، باب 10 الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، ج1، ص57، رقم28.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص221.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص454.

⁵ في الضياء: "من".

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص221.

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص221.

نطفة"¹. انتهى. ﴿وَرُوحٌ﴾ أي وإنما هو روح، أي ذو روح صدر ﴿مِّنْهُ﴾ أي من الله تعالى بخلقه إياه، فمن ابتدائية. قال ابن جزري: "﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي ذو روح من الله، فمن هنا لا ابتداء الغاية، والمعنى: من عند الله، لأن الله أرسل به جبريل عليه السلام إلى مريم"². انتهى. وقال السيوطي: "﴿وَرُوحٌ﴾ أي ذو روح منه، أضيف إليه تعالى تشريفاً له، وليس كما زعمتم. ابن الله، أو إلهاً معه، أو ثالث ثلاثة، لأن ذا الروح مركب، والإله منزّه عن التركيب، وعن نسبة التركيب إليه"³. انتهى. وقوله: ﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ يفهم منه أنه أوصل عيسى إلى مريم، كما هو قضية هذا الكلام. قال صاحب هذا التفسير: يظهر لي مما يأتي في قوله في سورة مريم: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾⁴ ومما هنا أن الجثة خلقت في بطن مريم، وأن الروح أرسل بها الله إلى مريم، وألقاها إليها. قال في اللباب: "قال بعض المفسرين: روي أن الله تعالى لما خلق أرواح البشر، جعلها في صلب آدم عليه السلام، وأمسك عنده روح عيسى، فلما أراد الله أن يخلقه، أرسل بروحه مع جبريل، فنفخ في جب درعها، فحملت بعيسى عليه السلام. وقيل: إن الروح هو نفخ جبريل عليه السلام في درعها. والتكثير في روح للتعظيم والتشريف، أي روح وأي روح من الأرواح الشريفة القدسية العالية المطهرة"⁵. والله تعالى أعلم. ﴿فَأَمِنُوا﴾ صدقوا ﴿بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ وصدقوا برسله، ومن جملتهم عيسى. يقول الله تعالى يا أهل الكتاب بينت لكم الحق في عيسى، فآمنوا بي، وبجميع أنبيائي: محمد وعيسى وغيرهما من الأنبياء. قال في اللباب: "يعني: فصدقوا، يا أهل الكتاب، بوحدانية الله، وصدقوا رسله فيما جاءوكم به من عند الله، وصدقوا بأن عيسى عليه السلام من رسل الله، فآمنوا به، ولا تجعلوه إلهاً، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ يعني ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾

¹ ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 218.

² ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 218.

³ السيوطي، تفسير الجلالين، ص 132.

⁴ مريم، 22.

⁵ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 454.

الإله ﴿ثَلَاثَةٌ﴾¹، بالحذف، قاله في الباب². وهذا على قول المرقسية، أن الإله جوهر مركب من ثلاثة أقانيم، جمع أقنوم، وهو الأصل، وقد مر ذلك، ومر أيضاً أنه قيل وقالوا أيضاً: إن عيسى إله، وأمه إله، والله ثالث ثلاثة. ﴿أَنْتَهُوْا﴾ يا أهل الكتاب، عن تثليثكم ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه، أي يكن ذلك الانتهاء خيراً لكم، أو واقصدوا خيراً لكم، أو انتهاء خيراً لكم ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾. إنما الله إله واحد، بالحذف في الثلاثة، يعني: أن الله تعالى ليس بثالث ثلاثة، وإنما هو إله واحد، لا كما يقول النصارى ﴿سُبْحَنَهُ﴾ بالحذف، تنزيهاً له عن ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ "لأن الولد جزء من الوالد، تعالى الله عن التجزئة، وعن صفات المخلوقين"³، قاله في الباب. وقال في الضياء: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهاً له عن أن يكون له ولد، لأنه يشبه الوالد، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁴، ﴿لَهُ﴾ أي الله ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ بحذف الألفين ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بتكرير ما. قال في الباب: "يعني أنه تعالى له ملك السماوات والأرض، وما فيهما عبيده وملكه، وعيسى ومريم من جملة من فيهما عبيده وملكه، وإذا كانا عبيدين له، فكيف يعقل مع هذا أن له زوجة وولداً؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وهذا بيان لتنزيهه عما نسب إليه من الولد والمعنى أن جميع ما في السماوات والأرض خلقه وملكه، فكيف يكون بعض ملكه جزءاً منه؟ لأن التجزئة إنما تصح في الأجسام والأعراض"⁵. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ فاصلة الآية المكملة للسبعين بعد المائة من سورة النساء. "حافظاً يوكل إليه الأمور، وهذا تقرير لغناه"⁶، قاله في الضياء. وقال في الباب: "يعني: أنه تعالى كاف في تدبير خلقه، فلا حاجة له إلى غيره، وكل الخلق محتاجون إليه، وفقراء

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص454.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص454.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص455.

⁴ الشورى، 11.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص455.

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص221.

إليه، وهو غني عنهم"¹. انتهى. وقال السيوطي: ﴿وَكَيْلًا﴾ شهيدًا على ذلك"². انتهى. والله فاعل، والباء زائدة، و﴿وَكَيْلًا﴾ تمييز، ثم أخبر بعبودية المسيح الذي يدعون ربوبيته وعبودية الملائكة فقال: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾ أي لن يأنف، ولن يتعاضم، ولن يستكبر ﴿الْمَسِيحُ﴾ عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه عن ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا﴾ مملوكًا ﴿لِلَّهِ وَلَا﴾ أي ولن يستنكف ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ بالحذف ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ تقرب اختصاص واصطفاء، لا تقرب مكانة، أي لن يأنفوا، ولن يستكبروا، لن يتعاضموا عن أن يكونوا عبيدًا لله سبحانه. قال في الباب: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾ المسيح أن يكون عبدًا لله، وذلك أن وفد نجران قالوا: يا محمد، إنك تعيب صاحبنا، فتقول: إنه عبد الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: <إنه ليس بعار على عيسى أن يكون عبدًا لله>³. فنزل: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾ يعني: لن يأنف، ولن يتعاضم، والاستنكاف الاستكبار مع الأنفة، يقال: نكفت من كذا، واستنكفت منه، أي آفت منه، وأصله من نكفت الشيء، أي نحيت، ونكفت الدمع، أي نحيت بإصبعك عن خده. والمعنى: لن ينقبض، ولن يمتنع، ولن يأنف المسيح، أن يكون عبدًا لله، ولا الملائكة المقربون، أي ولن يستنكف الملائكة المقربون، وهم حملة العرش والكروبيون⁴ وأفاضل الملائكة، مثل: جبريل وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، عن أن يكونوا عبيدًا لله، لأنهم في ملكه، ومن جملة خلقه. وقيل: لما ادعت النصراني في عيسى أنه ابن الله، وذلك لما رأوا منه من خوارق العادات من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه⁵ والأبرص، وغير ذلك من المعجزات. أجاب الله تعالى عن هذه الشبهة التي وقعت للنصارى، بأن عيسى

¹ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 455.

² السيوطي، تفسير الجلالين، ص 132.

³

⁴ "الْكُرُوبِيُّونَ سَادَةُ الْمَلَائِكَةِ". ابن منظور، لسان العرب، مادة ك ر ب، ج 1، ص 711.

⁵ "ابن الأعرابي: الْأَكْمَةُ الذي يُبْصَرُ بالنهار ولا يُبْصَرُ بالليل. وقال أبو الهيثم: الْأَكْمَةُ الْأَعْمَى الذي لا يُبْصَرُ فيتحير ويتردد. ويقال: إن الْأَكْمَةَ الذي تَلِدُهُ أُمُّهُ أَعْمَى". ابن منظور، لسان العرب، مادة ك م ه، ج 15، ص 536.

مع شرف قدره وكرامته، لن يستنكف عن أن يكون عبداً لله، وكذلك الملائكة المقربون، فإنهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا أن يكونوا عبيداً لله، وقد يستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر. ووجه الدليل أنه تعالى ارتقى من عيسى إلى الملائكة، ولا يرتقى إلا من الأدنى للأعلى، ولا حجة لهم فيه. والجواب عنه: أن الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر، بل قاله ردّاً على من يقول: الملائكة بنات الله، وإنهم آلهة، كما رد على النصارى. يعني: كما أن المسيح عبد لله، فكذلك الملائكة عبيد الله¹. انتهى. ثم أخبر عمن استنكف عن عبادته فقال: ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكَفْ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ بالإثبات، أي يأنف عن عبادته ويمتنع ﴿وَيَسْتَكْبِرْ﴾ يتكبر ويتعاضم. قال في اللباب: "﴿وَمَنْ يَسْتَنْكَفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ يعني: ومن يتعاضم عن عبادة الله تعالى، ويأنف من التذلل له والخضوع بالطاعة من جميع خلقه"². ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ﴾ يجمعهم ويسوقهم ﴿إِلَيْهِ﴾ يعني: إلى الله تعالى ﴿جَمِيعًا﴾ حال من مفعول يحشرهم، فاصلة الآية الأولى بعد المائة والسبعين من سورة النساء. قال في اللباب: "يعني: فسيبعثهم يوم القيامة لموعدهم الذي وعدهم، حيث لا يملكون لأنفسهم شيئاً"³. انتهى. ﴿فَأَمَّا﴾ حرف سيق لتفصيل ما قبله على سبيل التوكيد، بمعنى أن ما بعده لا بد أن يقع بحيث يتحتم وقوعه، ولا يصرف عنه صارف ﴿الَّذِينَ﴾ جمع الذي، وهو اسم موصول، صيغ لوصف المعارف بالجميل ﴿ءَامَنُوا﴾ صدقوا بالله ورسله ﴿وَعَمِلُوا﴾ الأعمال ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ بحذف الألفين، والصلوات هي أعمال الطاعات ﴿فَيُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾ أي يعطيهم أجورهم، جمع أجر، جزاء أعمالهم موفاة، أي مكملة تامة، يعني: جزاء أعمالهم الصالحات ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ يظهر أن هنا مفعول محذوف، أي كثيراً ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي عطائه الكثير، و﴿مِنْ﴾ تبعيضية،

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص455، 456.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص456.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص456.

أو ابتدائية. قال في الباب: "يعني: ويزيدهم على ما أعطاهم من الثواب على أعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"¹. انتهى. ﴿وَأَمَّا﴾ يقال فيه ما قيل فيما قبله ﴿الَّذِينَ اسْتَنَكَفُوا﴾ أنفوا عن الإيمان وامتنعوا ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا عنه. قال في الباب: "يعني: الذين أنفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى"². ﴿فَيَعَذِّبُهُمْ﴾ يصيبهم بما يؤلمهم ﴿عَذَابًا﴾ يظهر أنه اسم مصدر نحو: كلمه تَكْلِمًا وكلامًا ﴿أَلِيمًا﴾ مؤلماً، وهو عذاب النار ﴿وَلَا يَجِدُونَ﴾ يعني: الذين استنكفوا واستكبروا، أي لا يصادفون ﴿لَهُمْ﴾ يظهر أنه حال من ﴿وَلِيًّا﴾ واللام لشبه الملك، أو للاستحقاق، أو لغو متعلق بـ ﴿يَجِدُونَ﴾، ﴿مَنْ دُونَ اللَّهِ﴾ ﴿دُونِ﴾ بمعنى غير، والظاهر أنه حال بعد حال من ﴿وَلِيًّا﴾ و﴿مَنْ﴾ للتبعيض، أي ولياً مما سوى الله تعالى، والله أعلم. ﴿وَلِيًّا﴾ متولياً لهم، ينجيهم من عذاب الله تعالى ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ مانعاً لهم، ينصرهم من الله تعالى. قال في الباب: "﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ وَلِيًّا مِّنْ دُونَ اللَّهِ﴾ يعني: من سوى الله لأنفسهم ولياً، يعني: ينجيهم من عذابه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم منه، ويدفع عنهم عقوبته. بقي في الآية سؤال: وهو أن التفصيل بحسب ظاهره غير مطابق للمفصل، لأن التفصيل اشتمل على ذكر فريقين، وهو قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّنْ فَضْلِهِ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنَكَفُوا وَأَسْتَكْبَرُوا﴾ والمفصل اشتمل على ذكر فريق واحد، وهو قوله: ﴿وَمَنْ يَسْتَنَكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْبِرْ﴾ والجواب: أن الإشكال³ فيه، فهو مثل قولك: جمع الإمام الخوارج، فمن لم يخرج عليه كساه وحمله، ومن خرج عليه نكله. وصحة ذلك بوجهين: أحدهما: أنه

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص456.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص456.

³ في الخازن: "أنه لا إشكال فيه".

حذف أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه، لأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني. والوجه الثاني: أن الإحسان إلى غيرهم مما يعمهم، وكان داخلاً في جملة التنكيل بهم، فكأنه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر، فسيعذبهم بالحسرة والغم، إذا رأوا أجور المطيعين العاملين لله تعالى¹. انتهى. فإن قلت: ما وجه المنع بين الاستنكاف والاستكبار؟ فالجواب: ما قال في الضياء، ونصه: ﴿وَيَسْتَكْبِرُ﴾ عطف على الاستنكاف، لأنه أخص من الاستكبار، لأنه تكبر مع الإعراض، قاله في غاية الأمان². وقال البيضاوي: الاستنكاف دون الاستكبار، ولذا عطف عليه، وإنما يستعمل حيث لا استحقاق، بخلاف التكبر، فإنه قد يكون باستخفاف³. انتهى. وقوله: ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكَفْ﴾ إلخ. اعلم أن هذا الاستنكاف إنما هو في الكفار. وقوله: ﴿نَصِيرًا﴾ فاصلة الآية الثانية. "ثم". ثم خاطب الكافة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا﴾ بحذف ألف يا، وأي اسم مبهم، يتوصل به إلى نداء المعرفة، أي يا جنس الذي هو ﴿النَّاسُ﴾ قال في الباب: خطاب الكافة، وهو بالإثبات حيث وقع ﴿قَدْ جَاءَكُمْ﴾ يعني: قد أتاكم، ويظهر أن ﴿قَدْ﴾ هنا للتحقيق ﴿بُرْهَنٌ﴾ بالحذف، حجة قاطعة ﴿مِّنْ﴾ ابتدائية ﴿رَبِّكُمْ﴾ إما صفة لـ ﴿بُرْهَنٌ﴾، فهو مستقر، وإما متعلق بـ جاء، فهو لغو. قال في الباب: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم، وما جاء من البينات من ربه عز وجل، وإنما سماه برهاناً، لما معه من المعجزات الباهرات التي تشهد بصدقه، ولأن البرهان دليل على إقامة الحق وإبطال الباطل، والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك، ولأن الله تعالى جعله حجة قاطعة، قطع به عذر جميع الخلائق⁴. انتهى. وقال البغوي: ﴿بُرْهَنٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وسلم، وهذا قول أكثر المفسرين.

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص456.

² لم أعثر عليه.

³ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص222.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص456.

وقيل: هو القرآن¹. انتهى. ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ فاصلة الآية الثالثة، بيّنًا ظاهرًا، يعني القرآن، قاله غير واحد. قال في اللباب: "وإنما سماه نورًا، لأن به تتبين الأحكام الشرعية، كما تتبين الأشياء بالنور بعد الظلام، لأنه سبب لوقوع نور الإيمان في القلب، فسماه نورًا لهذا المعنى"². انتهى. وحقيقة النور هو الشيء الظاهر في نفسه المظهر لغيره. وقال ابن جزى: "﴿بُرْهَانٌ﴾ هو القرآن، وهو أيضًا النور المبين، ويحتمل أن يريد بالبرهان الدلائل والحجج، وبالنور النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه سماه سراجًا"³. انتهى. قال صاحب هذا التفسير: والحاصل: أنه فسر البرهان، بأنه هو القرآن، وكذلك النور المبين، وعلى أن المراد بهما القرآن، فالأمر ظاهر، لأن القرآن برهان قاطع، ونور ساطع، وكذا تفسير البرهان بأن المراد به الدلائل والحجج والمعجزات الواضحات، والنور بأنه القرآن، وكذا التفسير بأن المراد بالبرهان النبي صلى الله عليه وسلم، وبالنور القرآن، وأما تفسير النور المبين، بأن المراد به النبي صلى الله عليه وسلم، فإنما يظهر إذا تجوز بـ ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ فيكون معناه: وأرسلنا، والله تعالى أعلم. وقال في الضياء: "والمعنى: جاءكم دلائل العقل، وشواهد النقل، ولم يبق لكم عذر، ولا علة، وسمي القرآن نورًا لهدايته إلى كل خير"⁴. انتهى. وقال الثعالبي: "والبرهان الحجة النيرة الواضحة التي تعطي اليقين التام، والنور المبين يعني القرآن فيه بيان كل شيء. وفي صحيح مسلم، عن زيد بن أرقم⁵ قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ

¹ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج2، ص195.

² الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص456.

³ ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص218.

⁴ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص222.

⁵ زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ابن الخزرج، أبو عمرو، ويقال: أبو عامر، ويقال: أبو سعيد، ويقال: أبو سعد، ويقال: أبو أنيسة، الأنصاري الخزرجي، نزيل الكوفة، من مشاهير الصحابة. شهد غزوة مؤتة وغيرها. وله عدة أحاديث. حدث عنه: عبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبو عمرو الشيباني وطاووس، وعدة. توفي سنة ست وستين، وقيل: مات بالكوفة سنة ثمان وستين. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص589. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص168.165، رقم الترجمة 27. بتصرف.

وذكر ثم قال: >ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر مثلكم، يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا>، فحث على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال: >وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله . ثلاثا . في أهل بيتي<¹ الحديث. وفي رواية: >كتاب الله، فيه الهدى والنور، من استمسك به، وأخذ به، كان على الهدى، ومن أخطأه ضل<²، وفي رواية: >ألا وأنا تارك فيكم ثقلين، أحدهما كتاب الله، وهو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة<³. انتهى⁴. ولما أخبرهم بأنه أوضح لهم الحجة، وبَيَّن لهم الطريق المستقيم، أخبرهم بفوز من سلكه في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ﴾ "يعني: صدقوا بوحدانية الله وبما أرسل من رسول وأنزل من كتاب"⁵، قاله في اللباب. ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾ "امتنعوا ﴿بِهِ﴾ أي بالله من زيغ الشيطان"⁶، قاله البغوي. وقال في اللباب: "﴿وَأَعْتَصِمُوا بِهِ﴾ يعني: بالله في أن يشبتهم على الإيمان، ويصونهم عن زيغ الشيطان. وقيل: في معنى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِهِ﴾ أي وتمسكوا بالنور، وهو القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم"⁷. انتهى. وقال في الضياء: "

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 44 فضائل الصحابة، باب 4 من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ج 4، ص 1873، رقم 2408.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب 44 فضائل الصحابة، باب 4 من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ج 4، ص 1873، رقم 2408.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 44 فضائل الصحابة، باب 4 من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ج 4، ص 1873، رقم 2408.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 457.

⁵ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 456.

⁶ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج 2، ص 195.

⁷ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 457.

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِهِ﴾ أي بالله، أو بالنور، وهو القرآن، بالعمل به¹. انتهى. وقال الثعالبي: "﴿وَأَعْتَصِمُوا بِهِ﴾ أي بالله، ويحتمل: واعتصموا بالقرآن، كما قال عليه السلام: <القرآن جبل الله المتين، من تمسك به عصم>². انتهى. ﴿بِهِ﴾ فسيدخلهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ ﴿أَيَ﴾ أي من الله. قال في اللباب: "يعني: فسيدخلهم في رحمته التي ينجيهم بها من أليم عذابه. قال ابن عباس: الرحمة الجنة"³. انتهى. ﴿وَفَضَّلِ﴾ يعني: ما يتفضل به عليهم بعد إدخالهم الجنة، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾ عطف على سيدخلهم ﴿إِلَيْهِ﴾ يعني: إلى الله، أو الفضل، لغو متعلق بـ ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ فاستقيموا إليه، قاله مفسره ﴿صِرَاطًا﴾ بالحذف، على خلاف فيه، طريقًا معمول لـ يهديهم، والهداية هي التوفيق والإرشاد ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ لا اعوجاج فيه، فاصلة الآية الرابعة. قال في اللباب: "يعني: ويوفقهم لإصابة فضله الذي تفضل به عليهم، ويسددهم لسلوك منهج من أنعم عليه من أهل طاعته، ويرشدهم لدينه الذي ارتضاه لعباده، وهو دين الإسلام"⁴. انتهى. قال صاحب هذا التفسير: ويظهر أنه حذف القسم الآخر لوضوحه، أي وأما الذين كفروا فسيصليهم نارًا خالدين فيها أبدًا، ولما ذكر الاعتصام، وهو إنما يكون باتباع ما أنزل الله، بيّن لهم هنا مما يعملون به في الميراث والعمل بذلك من الصراط المستقيم، فقال: ﴿يَسْتَقْتُونَكَ﴾ بدون واو، أي يسألونك ويستخبرونك، يا محمد، عن شأن الكلالة ﴿قُلْ﴾ لهم، يا محمد ﴿اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ يخبركم ويبيّن لكم ﴿فِي الْكَلَلَةِ﴾

¹ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص222.

² الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص519. الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج1، ص555. ولفظه: <إن هذا القرآن جبل الله والنور المبين والشفاع النافع عصمة لمن تمسك به>. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بصالح بن عمر"، وتعقبه الذهبي في تلخيص المستدرك (555/1) فقال: "صالح ثقة، خرج له مسلم، لكن إبراهيم بن مسلم ضعيف".

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص457.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص457.

بالحذف، أي يبيّن لكم أمرها. قال في الباب: "يعني: أن الله تعالى هو الذي يخبركم عما سألتكم عنه من أمر الكلالة، وقد تقدم في أول السورة الكلام على معنى الكلالة، من حيث الاشتقاق وغيره، وإن اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث، فإن وقع على الوارث، فهم من سوى الوالد والولد، وإن وقع على الموروث، فهو من مات ولم يرثه والد ولا ولد"¹. انتهى. وقال الثعالبي: "تقدم القول في تفسير الكلالة في صدر السورة، وكان أمر الكلالة عند عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مشكلاً، والله أعلم، فالذي أشكل عليه منها، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: <تكفيك منها آية الضيف التي نزلت في آخر سورة النساء>². فيه كفاية. قال كثير من الصحابة: هذه الآية هي من آخر ما نزل"³. انتهى. وقال في الباب: "نزلت. يعني هذه الآية آية الكلالة. في جابر بن عبد الله الأنصاري. روى البخاري⁴ ومسلم⁵ عن جابر بن عبد الله قال: "مرضت، فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعوداني ماشيين، فأغمي عليّ، فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم، ثم صبّ علي من وضوئه، فأفقت، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، كيف أصنع في مالي؟ كيف أقضي في مالي؟ فلم يجبني، حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾". وفي رواية: "قلت: يا رسول الله، إنما يرثني كلاله، فنزلت آية الميراث. قال شعبة⁶: فقلت لمحمد

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص457.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب 23 الفرائض، باب 2 ميراث الكلالة، ج3، ص1236، رقم1617.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص519.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 65 التفسير، باب 4 قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾، ج8، ص243، رقم4577.

⁵ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 23 الفرائض، باب 2 ميراث الكلالة، ج3، ص1234، رقم1616.

⁶ شعبة بن الحجاج بن الورد، الإمام، الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث، أبو بسطام الأزدي، العتكيّ مولاهم، الواسطيّ، عالم أهل البصرة، وشيخها، رأى الحسن، وأخذ عنه مسائل، حدّث عن أنس بن سيرين، وإسماعيل بن رجاء، وسلمة بن كهيل، وجامع بن شدّاد وغيرهم، وقد ولد سنة 80هـ، وقال عنه أبو زيد الهرويّ: عالم عظيم، وانتشر حديثه في الآفاق، حدّث عنه: أيوب السخيتانيّ، وسعيد الجريريّ، ومنصور بن المعتمر، ومطر الزرق وسواهم كثير، ومن جلالته قد روى مالك الإمام عن رجل عنه: وقال

بن المنكدر¹: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ قال: هكذا نزلت². وفي رواية الترمذي: "وكان لي تسع أخوات"³. ولأبي داود قال: "اشتكت، وعندى سبع أخوات، فدخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنفخ في وجهي، فأفقت، فقلت: يا رسول الله، ألا أوصي لأخواتي بالثلثين؟"⁴، قال: <أحسن>، قلت: بالشرط؟ قال: <أحسن>، ثم خرج وتركني، فقال: <يا جابر، لا أراك ميتاً من وجعك هذا، وإن الله قد أنزل فبين الذي لأخواتك، فجعل لهن الثلثين>، قال: فكان جابر يقول: نزلت هذه الآية في: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾⁵. وروى الطبري⁶ أن الصحابة أهمهم شأن

الشافعي: لولا شُعْبَةُ، لما عُرفَ الحديث بالعراق، وقال أبو داود الطيالسي: سمعت من شعبة: 7000 حديث، وسمع منه غُنْدَرُ: 7000، وقد توفي سنة 160هـ، بالبصرة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص129.116، رقم الترجمة 1216. بتصرف.

¹ محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الحرير بن عبد العزيز بن عامر التيمي، الإمام، الحافظ، القدوة، شيخ الإسلام، أبو عبد الله القرشي، المدني، ولد سنة بضع وثلاثين، وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن سلمان، وأبي رافع، وأسماء بنت عميس، وأبي قتادة، وطائفة مرسلاً، وعن عائشة، وأبي هريرة وعن كثيرين، وروى عنه: عمرو بن دينار، والزهرى، وهشام بن عروة، وأبو حازم الأعرج وغيرهم، له نحو 200 حديث، وروى ابن راهويه عن سفيان: كان محمد بن المنكدر من معادن الصدق، ويجتمع إليه الصالحون وقال عنه الحُمَيْدِي: هو حافظ، وقال ابن معين، وأبو حاتم: ثقة. وهو الذي قال: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت، مات سنة 130هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص228.223، رقم الترجمة 913. بتصرف.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب 23 الفرائض، باب 2 ميراث الكلاله، ج3، ص1234، رقم 1616.
³ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب 30 الفرائض، باب 7 ميراث الأخوات، ج4، ص364، رقم 2097.
قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

⁴ في أبي داود: "بالثلث".
⁵ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب 13 الفرائض، باب 3 من كان ليس له ولد وله أخوات، ج2، ص-134.133، رقم 2887.

⁶ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص40.

الكلالة، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله هذه الآية. وروي عن ابن سيرين¹ قال: "نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ والنبي صلى الله عليه وسلم في مسير له، وإلى جنبه حذيفة بن اليمان، فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة، وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب، وهو يسير خلفه، فلما استخلف عمر سأل حذيفة عنها، ورجا أن يكون عنده تفسيرها، فقال له حذيفة: والله، إنك لعاجز إن ظننت أن أمارتك تحملي أن أحدثك فيها ما لم أحدثك يومئذ، فقال عمر: لم هذا، رحمك الله"². انتهى³. ﴿إِنْ أَمْرُؤَا﴾ فاعل فعل محذوف يفسره ﴿هَلَاكَ﴾ مات ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ "يعني: ولا والد له، فاكتفى بذكر أحدهما من الآخر، ويدل على المحذوف أن السؤال إنما كان في الكلالة، وقد مر أن الكلالة من ليس له ولد ولا والد"⁴، قاله في الباب. وقال في الضياء: "أي لا ولد"⁵، إذ لو كان الأب لما ورثت الأخت شيئاً إجماعاً، والجملة صفة امرؤ، أو حال من المستكن في هلك"⁶. ﴿وَلَهُ﴾ أي وللهاك ﴿أُخْتُ﴾ "شقيقة، أو لأب، والواو للحال، أو للعطف"⁷، قاله في الضياء. ﴿فَلَهَا﴾ أي للأخت ﴿نِصْفٌ﴾ والنصف أحد شقي الشيء كالنصف ﴿مَا﴾ مضاف إليه ما قبله، أي الذي ﴿تَرَكَ﴾ الأخ، أي المال الذي مات عنه، وكان

¹ ابن سيرين، محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر. إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي. من أشرف الكتاب. مولده ووفاته في البصرة. نشأ بزازاً، في أذنه صمم. وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. واستكتبه أنس بن مالك، بفارس. وكان أبوه مولى لأنس. ينسب له كتاب: "تعبير الرؤيا". ط، ذكره ابن النديم، وهو غير "منتخب الكلام في تفسير الأحلام" المطبوع المنسوب إليه أيضاً، وليس له. ولد سنة 33هـ، وتوفي سنة 110هـ. الزركلي، الأعلام، ج6، ص154. بتصرف.

² ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص42.

³ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص456-457.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص457.

⁵ في الضياء: "والد".

⁶ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص223.

⁷ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص223.

يملكه ﴿وَهُوَ﴾ أي الأخ إذا انعكس الأمر بأن هلكت هي وكان هو حيًّا ﴿يَرِثُهَا﴾ أي يأخذ مالها كله ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا﴾ أي للأخت الميتة ﴿وَلَدٌ﴾ ولا غيره من الفرضيين. قال في اللباب: "﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ يعني: فلأخت الميت نصف تركته، وهو فرضها إذا انفردت، وباقي المال لبيت المال، إذا لم يكن للميت عصبه، وهذا مذهب زيد بن ثابت، وبه قال الشافعي، وعند أبي حنيفة وأهل العراق: يرد الباقي عليها، فإن كان للميت بنت، أخذت النصف بالفرض، وتأخذ الأخت النصف بالتعصيب، لا بالفرض، لأن الأخوات مع البنات عصبه"¹. وقوله: وبه قال الشافعي، وكذا الإمام مالك، وهو يرثها إن لم يكن لها ولد، يعني: أن الأخت إذا ماتت وتركت أخًا من الأب والأم، أو من الأب، فإنه يستغرق جميع ميراث الأخت إذا انفرد، ولم يكن للأخت ولد، وهذا أصل في جميع العصبات، واستغرقهم جميع المال، فأما الأخ من الأم، فإنه صاحب فرض، ولا يستغرق جميع المال، وقد تقدم بيانه. انتهى.

﴿فَإِنْ كَانَتَا﴾ أي الأختان ﴿أُثْنَتَيْنِ﴾ يعني: أو أكثر، إذ قد تقدم أن البنات إن كن فوق اثنتين لم يزدن على الثلثين، فالأخوات أولى بذلك ﴿فَلَهُمَا﴾ أي للأختين ﴿الْثُلُثَانِ مِمَّا﴾ من المال الذي ﴿تَرَكَ﴾ له الأخ إن مات عنه. فإن قلت: ما المفسر للضمير في ﴿كَانَتَا﴾؟ فالجواب: أنه استغنى عنه بذكر البعض الذي هو الأخت، على حد قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾² وعكسه: ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾³، ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ أي المتروكون من الإخوة ﴿إِخْوَةً رِّجَالًا﴾ بالإثبات ﴿وَفِسَاءً﴾ أي مات عن رجال ونساء إخوة له ﴿فَلِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ﴾ نصيب ﴿الْأُنثَيَيْنِ﴾ وفيه تعظيم للذكر مرتين: إحداهما: تضعيف نصيبه على نصيب الأنثى. ثانيتهما: الاعتناء به، حيث قال: للذكر مثل حظ الأنثيين، ولم يقل للأنثيين مثل حظ الذكر، وفُهم من الكلام أنه إن ترك الذكور فقط فهم

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص456، 457.

² التوبة، 34.

³ المائدة، 8.

سواء ﴿يُبَيِّنُ﴾ يظهر ويوضح الله "هذه الفرائض والأحكام"¹، قاله في الباب. وقال السيوطي: "﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم"². ﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾ قال ابن جزري: "مفعول من أجله، تقديره: كراهة أن تضلوا"³، ونحوه في الباب: "وزاد، وقيل: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الضلالة لتجنبوها"⁴. انتهى. وعليه، فإن ﴿تَضِلُّوا﴾ مفعول ﴿يُبَيِّنُ﴾ وعلى ما قبله مفعوله محذوف، كما فسرنا. وقال في الضياء: "لثلا تضلوا، أو كراهة أن تضلوا"⁵. انتهى. واللام للتبليغ، وفي قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ﴾ إلخ، حثٌّ على امتثال ما أمر به قبل وبعد، وأكد ذلك بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١٧٦)، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ متعلق بما بعده ﴿عَلِيمٌ﴾^(١٧٦) أي مطلع على كل شيء، لا تخفى عليه خافية، فاصلة الآية الخامسة بعد السبعين والمائة. قال في الباب: "﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١٧٦) يعني: من مصالح عباده التي حكم بها من قسمة الميراث، وبيان الأحكام، وغير ذلك، لأن علمه محيط بكل شيء. وروى البخاري⁶ ومسلم⁷ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "إن آخر سورة نزلت تامة سورة التوبة، وإن آخر آية نزلت آية الكلاله". وفي رواية لمسلم قال: "آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾"⁸. "وروي عن ابن عباس أن آخر آية نزلت آية الربا، وآخر سورة نزلت:

¹ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص458.

² السيوطي، تفسير الجلالين، ص134.

³ ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص218.

⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص458.

⁵ عبد الله بن محمد الفودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص223.

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 64 المغازي، باب 66 حج أبي بكر بالناس سنة تسع، ج8، ص82، رقم4364.

⁷ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 23 الفرائض، باب 3 آخر آية أنزلت آية الكلاله، ج3، ص1236، 1237، رقم1618.

⁸ مسلم، صحيح مسلم، كتاب 23 الفرائض، باب 3 آخر آية أنزلت آية الكلاله، ج3، ص1236، 1237، رقم1618.

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾¹. وروي عنه أن آخر آية نزلت: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾². ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة، ونزلت بعدها سورة براءة، وهي آخر سورة نزلت كاملة، فعاش بعدها ستة أشهر³، هكذا ذكره البغوي، وفيه نظر، لأنه قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي بكر الصديق: "أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث في الحجة التي أمره عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر: ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ثم أرفده النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب، فأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذن معنا⁴ في أهل منى ببراءة: ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان"⁵. وكانت حجة أبي بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة. قال البغوي: "ثم نزلت في طريق حجة الوداع: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ فسميت آية الصيف، ثم نزلت وهو واقف بعرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾⁶ فعاش بعد واحدًا وثمانين يومًا، ثم نزلت آية الربا: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾⁷ وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها أحد وعشرين يومًا⁸. انتهى"⁹. وهذا آخر سورة النساء، وليس فيها من الآيات المختلف فيها شيء، والله أعلم بممراده، وأسرار كتابه، والحمد لله رب العالمين، اللهم ارزقنا فهم ما في القرآن، والعمل به،

¹ النصر، 1.

² البقرة، 281. الطبراني، المعجم الكبير، ج 11، ص 371.

³ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج 2، ص 196.

⁴ في صحيح البخاري: "معنا علي".

⁵ البخاري، صحيح البخاري، كتاب 8 الصلاة، باب 10 ما يستتر من العورة، ج 1، ص 477، 478، رقم 369. مسلم، صحيح مسلم، كتاب 10 الحج، باب 78 لا يحج البيت المشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ج 2، ص 982، رقم 1347.

⁶ المائدة، 3.

⁷ البقرة، 281.

⁸ البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ج 2، ص 197.

⁹ الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 457، 458.

والموت على الإيمان، بجاه النبي صلى الله عليه وسلم. وقوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٧٦) هو خاتمة لما قبله، أي ومما هو عليم به عملكم فيما أمركم به، ونهاكم عنه فيما تقدم، وكالترجمة لما بعده، مع انفصاله عنه، فكأنه يقول وإني لعليم بما تعملون في هذا الذي أمركم به، فيما بعد هذه السورة، فعلم منه أنه يأمرهم فيه وينهاهم، والله تعالى أعلم.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

| الآية | رقم الآية | الصحيفة |
|---|-----------|----------|
| 1- الفاتحة | | |
| ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ | 6 | 305، 304 |
| ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ | 7 | 305، 304 |
| 2- البقرة | | |
| ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ | 1 | 15 |
| ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ | 8 | 367 |
| ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ | 21 | 22، 26 |
| ﴿وَيَبْشِرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ | 25 | 22 |
| ﴿وَقُلْنَا يَتَّخِذُمْ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ | 35 | 27 |
| ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ | 45 | 138 |
| ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ | 54 | 300 |
| ﴿وَلَنَجْذِثَهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ | 96 | 211 |
| ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ | 104 | 248 |
| ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ﴾ | 109 | 245 |
| ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ | 111 | 259 |
| ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾ | 116 | 454 |
| ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَةٍ أَوَّلَ تِلْكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ | 121 | 13 |
| ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ | 143 | 219 |
| ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِن مَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ | 168 | 22 |
| ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُفْتِنُوكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ | 190 | 312 |
| ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ | 220 | 118 |
| ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمَنَّ﴾ | 221 | 27 |
| ﴿الَّذِينَ مَرَّتَانٍ قَامَسَاكُم بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيعٍ بِإِخْسَنِ﴾ | 229 | 168، 27 |
| ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ | 233 | 166، 27 |

| | | |
|-----|-----|---|
| 376 | 239 | ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ |
| 312 | 246 | ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْآلِیَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِیلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ |
| 423 | 268 | ﴿ الشَّيْطَانُ یُعِدُّكُمُ الْفَقْرَ وَیَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَآءِ ﴾ |
| 552 | 281 | ﴿ وَاتَّقُوا یَوْمَ تُرْجَعُونَ فِیهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ﴾ |

3- النساء

السورة بكاملها

4- ءال عمران

| | | |
|-----|-----|---|
| 29 | 7 | ﴿ هُوَ الَّذِیْ أَنْزَلَ عَلَیْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ |
| 29 | 14 | ﴿ زُیِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾ |
| 29 | 55 | ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ یَعِیْسَىٰ إِنِّی مُتَوَفِّیْكَ وَرَافِعُكَ إِلَیَّ ﴾ |
| 66 | 58 | ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَیْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِیْمِ ﴾ |
| 453 | 83 | ﴿ أَفَغَیَّرَ دِیْنَ اللَّهِ یَبْعُوثُ ﴾ |
| 28 | 172 | ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ |

5- المائدة

| | | |
|-----------|-----|--|
| 552 | 3 | ﴿ حُرِّمَتْ عَلَیْكُمْ أَلْمِیْنَةُ وَالْأَدْمُ وَلَحْمُ الْخَنَزِیْرِ ﴾ |
| 200 | 5 | ﴿ الْیَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّیِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ ﴾ |
| 232 | 6 | ﴿ یَتَأْتِیْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ |
| 550 | 8 | ﴿ یَتَأْتِیْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِیْنَ لِلَّهِ شُهَدَآءُ بِالْقِسْطِ ﴾ |
| 259، 260، | 18 | ﴿ وَقَالَتِ الْیَهُودُ وَالنَّصْرَئُیُّ نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ ﴾ |
| 261 | 116 | ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ یَعِیْسَىٰ ابْنُ مَرْیَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِی ﴾ |
| 536 | 117 | ﴿ مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِی بِهِ ءَإِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّی وَرَبَّكُمْ ﴾ |

6- الأنعام

| | | |
|-----|----|---|
| 18 | 7 | ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَیْكَ كِتَابًا فِی قِرْطَاسٍ فَلَمَّسُوهُ بِأَیْدِهِمْ ﴾ |
| 455 | 12 | ﴿ قُلْ لِمَنِ مَا فِی السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ ﴾ |
| 221 | 23 | ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِیْنَ ﴿٢٣﴾ ﴾ |
| 152 | 54 | ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَیْكُمْ ﴾ |

| | | |
|----------|-----|---|
| 471 | 68 | ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ |
| 530، 529 | 91 | ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ |
| 514، 513 | 146 | ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُلْفَرٍ﴾ |
| 514 | 149 | ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ |

7- الأعراف

| | | |
|-----|-----|---|
| 422 | 17 | ﴿ثُمَّ لَا يَنبَغُهُم مِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا خُلُوفٌ مِّنْ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ |
| 67 | 26 | ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ بَعْضِكُمْ وَرَيْثًا﴾ |
| 67 | 27 | ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْنَىٰ عَنْكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ |
| 67 | 31 | ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ |
| 67 | 35 | ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ |
| 339 | 38 | ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ﴾ |
| 236 | 58 | ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ |
| 236 | 171 | ﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجِبَلِ فَوْقَهُمْ كَانَتْ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ |

8- الأنفال

| | | |
|----------|----|---|
| 124 | 12 | ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ |
| 468 | 38 | ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ |
| 345، 122 | 72 | ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ |

9- التوبة

| | | |
|-----|----|---|
| 338 | 5 | ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْآسَاطِيرَ الْحَرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ |
| 385 | 33 | ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ |
| 550 | 34 | ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَعْبَارِ وَالرُّهْبَانِ﴾ |
| 160 | 53 | ﴿قُلْ أَنِيقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ |
| 338 | 93 | ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَسْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ |

10- يونس

| | | |
|----------|----|--|
| 253 | 22 | ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ |
| 212 | 44 | ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ |
| 455، 453 | 55 | ﴿إِلَّا إِلَٰهَ إِلَٰهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ |

| | | |
|-----|----|--|
| 156 | 90 | ﴿ وَجَنَّا نَا بِنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ ﴾ |
| 156 | 91 | ﴿ ءَأَلْفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ |

11- هود

| | | |
|-----|-----|---|
| 179 | 14 | ﴿ فَسَاءَ مَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ |
| 250 | 107 | ﴿ خَلَدِيتَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ |

12- يوسف

| | | |
|-----|---|--|
| 523 | 3 | ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ ﴾ |
|-----|---|--|

13- الرعد

| | | |
|-----|----|--|
| 454 | 6 | ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْهَيْبَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ |
| 454 | 15 | ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ |

14- إبراهيم

| | | |
|-----|----|---|
| 339 | 34 | ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ |
|-----|----|---|

15- الحجر

| | | |
|----|---|---|
| 12 | 9 | ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ |
|----|---|---|

16- النحل

| | | |
|-----|-----|--|
| 455 | 52 | ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ |
| 12 | 89 | ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ |
| 482 | 100 | ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ |

17- الإسراء

| | | |
|-----|----|---|
| 527 | 15 | ﴿ مَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ |
| 407 | 47 | ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ |
| 454 | 50 | ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ |
| 454 | 55 | ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ |
| 422 | 62 | ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَى لَيْلٍ أَخَّرْتَنِي إِلَيْهِ يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ |



| | | |
|----|----|--|
| 13 | 82 | ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْفُورَانِ مَاءٌ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ |
| 18 | 88 | ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا﴾ |

18- الكهف

| | | |
|-----|----|---|
| 188 | 1 | ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ |
| 188 | 2 | ﴿فَيَسَاءَ لِمَنذَرٍ أَسَاسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ |
| 171 | 29 | ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ |
| 77 | 49 | ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ |

19- مريم

| | | |
|-----|----|---|
| 158 | 5 | ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلَى مِنْ وَرَاءِي وَكَأَنِّي أَمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ |
| 538 | 22 | ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِءَ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ |
| 453 | 77 | ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَا أُفِيكُ مَا لَا وَوَلَدًا﴾ |
| 454 | 93 | ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ |

20- طه

| | | |
|-----|----|--|
| 143 | 74 | ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ |
|-----|----|--|

21- الأنبياء

| | | |
|-----|----|---|
| 454 | 15 | ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلِيبِينَ﴾ |
| 389 | 16 | ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِنَعِينِ﴾ |
| 454 | 19 | ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ |
| 507 | 26 | ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ |
| 129 | 78 | ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَمْسُكُمَا فِي الْخُرُثِ﴾ |

22- الحج

| | | |
|-----|----|---|
| 453 | 18 | ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ |
| 225 | 40 | ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ |

23- المؤمنون

| | | |
|-----|---|---|
| 479 | 1 | ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ |
| 479 | 2 | ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ |

| | | |
|--------------|-----|--|
| 190، 189 | 5 | ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ |
| 190 | 6 | ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ |
| 272 | 44 | ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ |
| 215 | 101 | ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ |
| 24- النور | | |
| 454 | 41 | ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ لَهُ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْطُّيُورِ صَفْنَ﴾ |
| 369 | 61 | ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ |
| 455 | 64 | ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ |
| 25- الفرقان | | |
| 467 | 11 | ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ |
| 256 | 68 | ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ |
| 256 | 70 | ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ |
| 27- النمل | | |
| 453 | 11 | ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ |
| 307 | 52 | ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ |
| 454 | 56 | ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلَّا لَوْطُ﴾ |
| 454 | 65 | ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ |
| 453 | 87 | ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ |
| 28- القصص | | |
| 527 | 47 | ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا﴾ |
| 29- العنكبوت | | |
| 455 | 46 | ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ |
| 455 | 52 | ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ |
| 30- الروم | | |
| 454 | 20 | ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ |
| 454 | 26 | ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ﴾ |

31- لقمان

| | | |
|-----|----|---|
| 409 | 18 | ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ |
| 432 | 22 | ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ |
| 455 | 26 | ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ |

33- الأحزاب

| | | |
|-----------|----|---|
| 530 ، 180 | 4 | ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ |
| 180 ، 65 | 5 | ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ |
| 444 | 34 | ﴿وَأَذْكُرْكَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ |
| 459 | 48 | ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ |

34- سبا

| | | |
|-----|----|--|
| 422 | 20 | ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ |
|-----|----|--|

35- فاطر

| | | |
|-----|----|---|
| 377 | 6 | ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ |
| 13 | 29 | ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ |
| 4 | 32 | ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ |
| 153 | 40 | ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ |

37- الصافات

| | | |
|-----|-----|---|
| 222 | 27 | ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ |
| 117 | 163 | ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ |

38- ص

| | | |
|-----|----|--|
| 421 | 82 | ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا تُغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ |
| 421 | 83 | ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ |

39- الزمر

| | | |
|-----|----|--|
| 409 | 7 | ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ |
| 12 | 23 | ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ |

| | | |
|----------|----|--|
| 18 | 27 | ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ |
| 4 | 28 | ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ |
| 257، 256 | 53 | ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ |
| 453 | 67 | ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ |
| 453 | 68 | ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ |

42- الشورى

| | | |
|-----|----|--|
| 539 | 11 | ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ |
| 489 | 40 | ﴿وَحَرَّزْنَا سِنِّيَّةَ سِنِّيَّةٍ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ |
| 488 | 41 | ﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ |
| 338 | 42 | ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ |

43- الزخرف

| | | |
|-----|----|--|
| 414 | 19 | ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ |
|-----|----|--|

46- الأحقاف

| | | |
|----------|----|--|
| 389 | 3 | ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ |
| 506، 153 | 4 | ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ |
| 161 | 15 | ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ |

49- الخُجرات

| | | |
|-----|----|--|
| 201 | 13 | ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ |
|-----|----|--|

50- ق

| | | |
|----|----|--|
| 76 | 18 | ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ |
|----|----|--|

53- النجم

| | | |
|-----|----|---|
| 259 | 32 | ﴿الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ |
|-----|----|---|

55- الرحمن

| | | |
|-----|----|--|
| 454 | 29 | ﴿يَتَنَبَّهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ |
|-----|----|--|

57- الحديد

| | | |
|--------------|----|--|
| 455 | 1 | ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ |
| 270 | 26 | ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ﴾ |
| 319 | 28 | ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَقُوا اللَّهَ ءَامَنُوا بِرُسُولِهِ﴾ |
| 59- الحشر | | |
| 447 | 9 | ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجَبُونَ مِنْ هَاجِرِ إِلَيْهِمْ﴾ |
| 456 | 24 | ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ |
| 60- الممتحنة | | |
| 338 | 8 | ﴿لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾ |
| 64- التغابن | | |
| 456 | 4 | ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُنْصِرُونَ﴾ |
| 447 | 16 | ﴿فَأَنقُذُوا اللَّهَ مَا أَسْطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ |
| 65- الطلاق | | |
| 191 | 1 | ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ |
| 66- التحريم | | |
| 129 ، 124 | 4 | ﴿إِنْ نُبَوَّأُ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ |
| 359 | 6 | ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ |
| 67- الملك | | |
| 359 | 8 | ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا لَبَاذِكُمْ نَذِيرٌ﴾ |
| 222 | 11 | ﴿فَاعترفُوا بَذُنْبِهِمْ فُسْحًا لَاصِحْبِ السَّعِيرِ﴾ |
| 74- المدثر | | |
| 117 | 26 | ﴿سَاطِئِهِ سَفَرٌ﴾ |
| 264 | 48 | ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ |
| 83- المطففين | | |
| 475 | 6 | ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ |
| 501 | 14 | ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ |

| | | |
|-----|----|---|
| | | 87- الأعلى |
| 508 | 15 | ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ |
| 508 | 16 | ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ |
| | | 88- الغاشية |
| 70 | 16 | ﴿وَرَأَى مِثْقَالَ مَثْنٍ﴾ |
| | | 90- البلد |
| 179 | 7 | ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ |
| | | 91- الشمس |
| 532 | 9 | ﴿فَدَاخِلْ مِنْ رُكْنَيْهَا﴾ |
| | | 93- الضحى |
| 207 | 11 | ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ |
| | | 101- القارعة |
| 70 | 4 | ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ |
| | | 109- الكافرون |
| 224 | 1 | ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَُا الْكُفْرُونَ﴾ |
| 224 | 2 | ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ |
| | | 110- النصر |
| 552 | 1 | ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ |

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

— أ —

- أول من يدخل النار، 210
أبغض الحلال إلى الله الطلاق، 448
أتعجبون من غيرة سعد، 528
اتقوا الله في النساء، 168
أحب الناس إلى الله، 283
أحسنتم، يا عائشة، 373
أحق الشروط أن توفوا، 93
أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، 282
إذ بعث الله المسيح، 510
إذا جلس بين شعبها، 229
إذا خلص المؤمنون من النار، 214
إذا رأيتم مسجدًا، 315
إذا زنت أمة أحدكم، 185
إذا نعس أحدكم وهو يصلي ، 203
اذهبوا بنا نصلح بينهم، 364
أرضيت من نفسك، 178
استوصوا بالنساء خيرًا، 152
اسق يا زبير ثم أرسل لجارك، 299
اسق يا زبير ثم احبس الماء، 299
اسمعوا وأطيعوا، 286
اشفعوا تؤجروا، 320
أصحابي كالنجوم، 286

اطلب مفتاح البيت من عثمان ، 281
أعتق رقبة، 351
أعط ابنتي سعد الثلثين، 121
أفلا شققت عن قلبه، 351
أقتلتموه إرادة ما معه، 351
اقرأ القرآن، 14
اقعدي في بيتك، 159
اكتب لا يستوي، 358
ألا أخبركم، 408
ألا أيها الناس، 545
ألا وأنا تارك فيكم ثقلين، 545
الإحسان أن تعبد الله، 77، 433
الأرض بعد البعث، 392
التمس ولو خاتما من حديد، 188
التيمن ضربة للوجه، 239
الجهاد في سبيل الله، 359
الحرائر صلاح البيت، 206
الرحم معلقة بالعرش، 72
الصديقون المتصدقون، 305
العيافة والطرق والطيرة، 263
العين وكاء السه، 235
القرآن جبل الله المتين، 546
ألك حوبة، 82
اللهم آتنا في الدنيا حسنة، 322
اللهم أكفني غورث بن الحارث، 383

اللهم أنج الوليد بن الوليد، 366
اللهم هذا فعلي فيما أملك، 449
المستبان ما قال، 488
المقسطون يوم القيامة، 277
المهاجر من هجر، 331
الواشحات، والمستوشحات، 419
أما أنت يا أبا بكر، 430
أن تحفظ الرأس، 398
أن تصدق، 447
إن الحسد يأكل الحسنات، 267
إن الذي ليس في جوفه، 15
إن الرجل ليعمل، 139
إن الشيطان قال، 154
أن العبد إذا أذنب ذنبًا، 501
إن الله سيخلص رجلاً، 215
إن الله لا يظلم المؤمن، 213
إن الله يقبل توبة، 153
إن المرأة خلقت من ضلع، 69
إن المسلمين إذا التقيا، 322
إن علم الفرائض، 122
إن في الجنة شجرة، 360
إن في الجنة مائة درجة، 359
إن من أمتي لرجالا، 301
أنا حبيب الله، 436
أنت الفاروق، 292

إنك إن تذر ورثك، 140
إنما الأعمال بالنيات، 409، 461
إنما يكفيك أن تقول، 240
إنه ليس بعار على عيسى، 540
إنها ركس، 332
إنها طيبة، 330
إنها لا تحل، 174
إنها لخبز من الدرمل، 392
إني بين يديكم، 219
إني لا أدري، 286
إني لأشفع يوم القيامة، 217
أهل القرآن هم، 14
أوتي موسى الألواح، 23
أولى الناس بالله، 321
إيتنا بالمفتاح، 280
أيما رجل، 177
أيما سرية، 313
أيما عبد، 360

— ت —

تطعم الطعام، 324
تعلموا الفرائض والقرآن، 122
تكفيك منها آية الضيف، 457
تلك صلاة المنافقين، 479

- ث -

ثبت الأجر وبقي الوزر، 79
ثلاث لا يسلم منهن أحد، 267
ثلاثة من كن فيه، 483

- ج -

جعلت لي الأرض مسجداً، 237
حتى لا تعلم شماله، 89

- خ -

خذوها خالدة تالدة، 277
خذوا عني، 148
خذوها يا بني طلحة، 280
حصلتان لا يجتمعان، 208
خير النكاح أيسره، 165
خيركم من تعلّم القرآن، 14
خيّرني الله، 286

- ذ -

ذاك إبراهيم، 436
ذلك بما استحللت، 162

- ر -

رب تقبل توبتي، 82

رجعتم من الجهاد، 375
رمتكم مكة بأفلاذ كبدها، 280

- ص -

صدقة تصدق الله بها عليكم، 375

- ض -

ضرس الكافر، 271

- ط -

طلق أيهما شيءت، 181

- ع -

على المرء المسلم السمع، 285
عمدت إلى أهل بيت، 392

- ف -

فضل القرآن، 13
فضلنا على الناس بثلاث، 241
قال تعالى: خلقت هؤلاء للنار، 533

- ق -

قاربوا وسددوا، 430
قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، 209

قد جعل الله لهن سبيلاً، 147

- ك -

كل ذنب، 348

كل كلام ابن آدم، 408

كل مولود يولد، 419

كلكم راع، 277

كيف أنت بلا إله إلا الله، 351

- ل -

لا إيمان لمن لا أمانة له، 282

لا تحرم الإملاجة، 176

لا تحرم المصصة، 175

لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، 323

لا توطأ حامل، 185

لا يجمع بين المرأة وعمتها، 182

لا يدخل الجنة قاطع، 74

لا يفرك مؤمن مؤمنة، 164

لأقاتلنكم حتى تنفرد سالفتي، 316

لقد خلفتم في المدينة أقواماً، 358

لما خلق الله تعالى آدم، 325

لن يدخل أحد، 307

لو رأيته البارحة، 523

لو كنت متخذاً خليلاً، 436

ليس الكذاب بالذي يصلح، 408

ليس الواصل بالمكافئ، 76

- م -

ما اجتمع قوم، 14

ما أعددت لها؟، 306

ما بين شحمة أذن الكافر وعاتقه، 273

ما شأنك يا أبا بكر، 430

ما غير لونك يا ثوبان، 305

ما من عبد قال، 258

ما من عبيدين متحابين، 321

مثل أصحابي، 286

مثل المنافق، 481

من أخذ السبع الأول، 23

من أصاب ذنبًا، 349

من أطاعني فقد أطاع الله، 285

من أعان على خصومة، 401

من أعطى في صداق، 197

من آمن بالله ورسوله، 359

من جامع المشرك، 367

من جلس في مجلس، 393

من حالت شفاعته، 400

من رضي بالله ربًّا، 359

من سره أن ييسط عليه، 73

من شفع لأحد، 319

من شهد أن لا إله إلا الله، 536

من عمل بما علم، 303

من عوقب في الدنيا، 347
من قرأ حرفًا، 15
من كانت له امرأتان، 450
من مات لا يشرك، 257
من يوق شح نفسه، 79
منه ما يكون في الدنيا، 429

- ه -

هات المفتاح، 281
هل عندك من شيء، 196
هم قوم هذا، 459

- و -

والذي نفسي بيده لأخرجن، 318
والذي نفسي بيده ليوشكن ، 508
والله لا الدنيا وما فيها، 348
والله لينزلن، 512
ويحك غيب وجهك عني، 256

- ي -

يا أبا بكر، 430
يا أبا ذر، 14
يا أيها الناس افشوا السلام، 324
يا أيها الناس إني قد تركت فيكم، 14
يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم، 190

يا جابر، 548
يا عمر، 173
يا غورث، 384
يا معشر اليهود، 250
يحرم من الرضاع، 174
يسلم الراكب على الماشي، 326
يضمن الله لمن خرج، 313
يغتسل، 228
يقال لصاحب القرآن، 15
يقضي الله في ذلك، 121

فهرس الأعلام

— أ —

- إبراهيم بن محمد السفاسي، 485
ابن أبي حاتم، 366
ابن أبي ذئب، 509
ابن إسحاق، 68
ابن الأثير، 278
ابن الأنباري، 129
ابن الجوزي، 192
ابن السني، 321
ابن العربي، 89، 103، 111، 127، 223، 277، 287، 300، 331، 332،
345، 418، 444، 476، 479، 488
ابن القاسم، 99، 104، 198
ابن القاصح، 126، 142، 150، 160، 163
ابن المواز، 183
ابن الهندي، 105
ابن أم مكتوم، 358
ابن جريج، 276
ابن جرير، 193، 225، 227، 315
ابن جزي، 67، 77، 78، 81، 87، 88، 90، 91، 94، 102، 103، 104،
109، 119، 123، 125، 131، 134، 135، 143، 145، 150،
151، 152، 156، 163، 164، 169، 170، 172، 173، 178،
180، 183، 186، 189، 194، 198، 201، 202، 203، 206

,232 ,230 ,229 ,226 ,225 ,224 ,222 ,212 ,209 ,207
,259 ,257 ,252 ,250 ,246 ,245 ,238 ,237 ,236 ,233
,284 ,276 ,275 ,271 ,269 ,268 ,267 ,266 ,264 ,260
,308 ,307 ,306 ,305 ,303 ,302 ,299 ,291 ,289 ,288
,238 ,323 ,319 ,318 ,317 ,316 ,315 ,314 ,313 ,309
,348 ,346 ,345 ,344 ,343 ,338 ,336 ,335 ,331 ,330
,380 ,378 ,375 ,369 ,367 ,365 ,363 ,355 ,354 ,350
,403 ,399 ,396 ,390 ,388 ,387 ,386 ,385 ,382 ,381
,430 ,428 ,426 ,418 ,417 ,416 ,415 ,411 ,410 ,407
,451 ,448 ,446 ,444 ,442 ,441 ,440 ,438 ,437 ,432
,480 ,474 ,468473 ,467 ,464 ,463 ,462 ,461 ,459
,506 ,504 ,499 ,493 ,491 ,490 ,488 ,486 ,484 ,483
,537 ,535 ,534 ,533 , 530 ,524 ,513 ,510 ,508 ,507
551 ,544 ,538

ابن حبيب، 200

ابن ذكوان (المقرئ)، 161

ابن رشد، 302، 349

ابن زيد (عبد الرحمن)، 79، 97، 137، 168، 172، 254، 244، 354، 367
468، 465، 446، 420

ابن سحنون، 105، 372

ابن سلمون، 105

ابن سيرين 110، 549

ابن عامر (المقرئ)، 96، 117، 130، 142، 163، 220، 283، 301، 352
466، 464، 355

ابن عبد البر، 115، 267، 278

ابن عتاب، 105
 ابن عطاء الله الإسكندري، 300
 ابن عطية 85، 146، 150، 153، 157، 160، 162، 164، 217، 260،
 304، 305، 311، 331، 335، 346، 347، 348، 362، 367،
 368، 369، 370، 378، 379، 390، 392، 409، 417، 421،
 446، 465، 468، 486، 490، 506
 ابن كثير (المقرئ)، 130، 149، 150، 163، 283، 310، 432، 466
 ابن وردان، 352
 ابن وهب، 372
 أبو الحسن الماوردي، 422
 أبو الدرداء 235، 407
 أبو السنابل 444
 أبو العالية، 109، 153
 أبو الليث السمرقندي، 275
 أبو الوليد الباجي، 297
 أبو بكر الخطيب البغدادي، 274، 367
 أبو بكر الصّدّيق، 115، 116، 120، 136، 137، 241، 242، 286، 301،
 302، 304، 306، 316، 429، 430، 436، 547، 551، 552
 أبو بكر بن عياش (المقرئ)، 130، 163، 204، 411، 431
 أبو بكر عاصم الكوفي (المقرئ)، 71، 117، 283، 296، 300، 352، 470
 أبو جعفر (المقرئ)، 86، 89، 94، 125، 142، 186، 216، 220، 352، 355،
 431، 498
 أبو جهل، 341

أبو حنيفة، 98، 99، 101، 149، 151، 167، 169، 175، 181، 184،
196، 200، 226، 209، 226، 227، 230، 231، 233، 234،
236، 238، 239، 240، 243، 272، 373، 374، 375، 549

أبو حيان، 139

أبو سعيد الخدري، 114، 154، 183، 184، 208، 214، 283، 358، 436

أبو سفيان، 262، 275، 264، 316، 317، 318، 387

أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال، 195

أبو صالح المؤذن، 91، 281، 379، 429

أبو عُبَيْدَةَ، 162

أبو موسى الأشعري، 94، 95، 109، 320، 522

أبو هريرة، 116، 139، 182، 205، 209، 210، 217، 229، 235، 271،

282، 285، 307، 313، 323، 324، 325، 326، 359، 365،

429، 450، 484، 488، 509، 510، 552

أُبَيُّ بن كَعْب، 511

أحمد بن حنبل، 175، 188، 196، 199، 227، 228، 234، 235، 240،

273، 274، 371، 373، 374

الأزهري، 90، 91

أسامة بن زيد، 280، 327، 350، 351

إسحاق بن راهويه، 148، 196، 235، 240

أسماء بنت أبي بكر، 419

أسماء بنت زيد بن الخطاب، 326

إسماعيل بن أمية، 267

أسيد بن الحضير، 241

أسير بن عروة، 391

الأشعث بن قيس، 171

أشهب بن عبد العزيز (مسكين)، 520
أصحمة بن أبحر النجاشي، 279
أمّ سَلَمَة، 228
أم كحة الأنصارية، 438، 440
أم كُحَّة، 107، 108، 120
أم كلثوم بنت عقبة، 408
أنس بن مالك، 73، 213، 217، 236، 234، 267، 286، 306، 321، 322،
326، 344، 374، 420، 479
الأوزاعي، 149، 175، 231، 233، 240، 374
أوس بن ثابت 107، 120

- ب -

الباقلاني، 128
البخاري، 66، 72، 73، 76، 84، 92، 93، 120، 147، 174، 190، 219،
220، 229، 286، 298، 307، 320، 322، 324، 325، 326
330، 331، 358، 384، 386، 415، 441، 445، 509، 523
527، 537، 547، 551
البراء بن عازب، 24، 171، 322، 551
البغوي، 71، 89، 96، 100، 101، 102، 103، 105، 108، 117، 131،
149، 150، 154، 163، 171، 200، 201، 205، 211، 212،
213، 214، 216، 229، 238، 257، 260، 262، 264، 269،
271، 277، 278، 282، 286، 293، 299، 307، 340، 373
379، 381، 392، 393، 400، 402، 405، 412، 416، 423
441، 459، 478، 484، 544، 454، 552
بلال بن رباح، 280

البيضاوي، 75، 151، 337، 364، 420، 506، 543

– ت –

الترمذي، 121، 124، 177، 195، 206، 197، 208، 224، 229، 234،
235، 282، 283، 286، 321، 322، 324، 325، 326، 327،
331، 353، 376، 393، 408، 430، 436، 548

– ث –

ثابت بن رفاعه، 98
ثابت بن قيس، 300، 301، 302
الثعالبي، 65، 69، 77، 78، 82، 85، 89، 92، 94، 95، 97، 98، 99،
102، 103، 104، 106، 109، 113، 115، 119، 124، 130،
139، 146، 153، 155، 156، 157، 158، 160، 162، 163،
164، 167، 168، 171، 172، 178، 180، 181، 182، 187،
194، 200، 201، 202، 203، 204، 210، 212، 213، 218،
221، 236، 244، 245، 247، 249، 251، 252، 253، 254،
258، 260، 261، 264، 265، 266، 267، 269، 270، 274،
276، 276، 283، 287، 288، 289، 291، 292، 293، 294،
295، 297، 301، 304، 308، 309، 310، 313، 315، 316،
317، 318، 319، 321، 329، 331، 332، 332، 334، 337،
338، 340، 343، 344، 345، 346، 347، 352، 354، 360،
362، 363، 364، 365، 367، 368، 369، 371، 374، 378

,399 ,398 ,397 ,393 ,390 ,388 ,387 ,386 ,385 ,383
,417 ,415 ,409 ,408 ,407 ,406 ,405 ,404 ,403 ,400
,446 ,443 ,440 ,434 ,431 ,430 ,428 ,425 ,424 ,420
,465 ,464 ,463 ,460 ,548 ,457 ,456 ,451 ,449 ,448
,482 ,481 ,479 ,476 ,474 ,473 ,471 ,470 ,469 ,468
,503 ,502 ,496 ,495 ,490 ,487 ,486 ,485 ,484 ,483
,546 ,544 ,534 ,530 ,524 ,519 ,517 ,516 ,514 ,508
547

ثوبان (مولى رسول الله)، 305 ،235

- ج -

جابر بن زيد، 22
جابر بن عبد الله، 199 ،120 ،121 ،137 ،176 ،197 ،199 ،239 ،257
285 ،287 ،372 ،373 ،379 ،381 ،547 ،548
جبير بن مطعم، 74
جلال الدين المحلي، 524
جندع بن حمزة، 369
جندع بن ضمرة، 370
الجويني (عبد الملك)، 104
الحارث بن أسد المحاسبي، 342
الحارث بن زيد، 346
الحارث بن هشام، 342 ،343
الحارث بن زمعة، 361

الحجاج بن علاط، 397، 400، 412
حذيفة بن اليمان، 241، 286، 549
الحسن البصري، 22، 74، 83، 85، 95، 99، 111، 148، 162، 168، 200،
204، 222، 227، 233، 234، 235، 239، 240، 260، 271،
285، 286، 315، 321، 371، 372، 374، 414، 429، 477،
478

الخطاب المالكي، 76
حفص (المقرئ)، 117، 130، 163، 186، 283، 310، 439
همزة (المقرئ)، 71، 72، 126، 160، 163، 186، 204، 220، 232، 255،
283، 301، 329، 352، 369، 410، 411، 464، 519، 522
همزة بن عبد المطلب، 174
الحميدي، 196، 523
حيي بن أخطب النضري، 263

- خ -

خالد بن الوليد، 279، 285
الخطابي، 141
خلف بن هشام (المقرئ)، 186

- د -

داود بن أبي هند، 148، 205، 226، 240، 376، 377
الداودي، 85، 348، 490

- ر -

رافع بن خديج، 444، 445
الربيع بن أنس، 119
رفاعة بن زيد، 98، 244، 391
رملة بنت أبي سفيان (أم حبيبة)، 408
رويس (المقرئ)، 310، 329

- ز -

الزبير بن العوام، 84، 298، 299
الزجاج، 97، 132، 167، 193، 194، 287، 311، 315، 367، 414، 511
الزمنخشري، 507
الزهري، 80، 110، 200، 227، 233، 238، 239، 240، 371، 374
زيد بن أرقم، 544
زيد بن أسلم، 90
زيد بن ثابت، 127، 136، 176، 330، 331، 339، 550
زيد بن حارثة، 180

- س -

سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، 191
سبرة بن معبد، 190
السخاوي، 426، 451

السدي الصغير، 80، 82، 114، 121، 162، 167، 285، 290، 367، 373،
478، 462
سعد بن أبي وقاص، 136
سعد بن الربيع بن عمرو، 119، 121، 124، 445
سعد بن عبادة، 528
سعد بن مُعَاذ، 248
سعيد بن المسيّب، 80، 109، 227
سعيد بن جبير بن هشام، 82
سفيان الثوري، 74، 196، 235
سلمة بن هشام، 366
سُمُرَة بن جُنْدُب، 367
سهل بن سعد، 116، 196، 408
سودة بنت زمعة، 443، 445
سويد الأنصاري، 107، 108
سيبويه، 132، 246، 268، 514
السيوطي، 17، 47، 49، 70، 82، 99، 102، 106، 114، 141، 145، 150،
155، 158، 182، 194، 201، 204، 207، 208، 212، 229
230، 231، 252، 264، 273، 284، 305، 315، 316، 318
327، 328، 330، 331، 340، 341، 355، 358، 374، 383
388، 389، 402، 405، 406، 407، 416، 417، 424، 429
431، 449، 456، 476، 477، 487، 503، 506، 524، 535
538، 540، 551

— ش —

الشافعي، 87، 88، 90، 91، 101، 149، 151، 167، 169، 175، 176،
181، 188، 190، 192، 196، 197، 199، 200، 203، 226،
228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 236، 237، 238،
239، 240، 323، 324، 326، 345، 346، 347، 371، 373،
374، 383، 550

شُرَاحَةُ الهمْدَانِيَّة، 148

شعبة بن الحجاج، 528

الشعبي، 100، 109، 136، 233، 239، 240، 299

شعيب بن محمد، 177

شمر بن حوشب الأشعري، 512

شيبه بن عثمان، 276

- ص -

صُدِّي بن عجلان بن الحارث (أبو أمامة)، 319، 325، 369

صيفي بن عامر (أبو قيس)، 159، 169، 171

- ض -

الضحاك، 82، 109، 144، 181، 223، 225، 226، 285، 315، 429

- ط -

طاووس بن كيسان، 137، 199، 205، 234، 374

الطرطوشي، 457

طعمة بن أبيرق، 392، 393، 394، 396، 397، 398، 399، 400، 401،
402، 403، 404، 405، 407، 410، 412، 413، 462

- ع -

عائشة بنت أبي بكر الصديق، 21، 22، 66، 72، 84، 103، 174، 175، 195،
225، 228، 234، 241، 242، 372، 373، 386، 394، 415،

439، 440، 441، 443، 444، 445، 448، 517

عُبادة بن الصامت، 146، 148، 149، 347، 536

عبد الرحمن بن ثابت، 383، 384

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، 90

عبد الرحمن بن عوف، 223، 383، 384

عبد الرزاق بن همام بن نافع، 267

عبد الله بن الحارث بن كثير، 351

عبد الله بن المبارك، 175، 214، 214، 235

عبد الله بن حُذافة بن قيس بن عدي، 284، 285

عبد الله بن خالد بن أسيد، 376

عبد الله بن زيد الأنصاري، 304

عبد الله بن عباس، 22، 68، 69، 74، 84، 95، 99، 103، 109، 111، 123،

124، 127، 128، 134، 136، 137، 150، 153، 155، 156،

160، 161، 164، 167، 169، 174، 175، 176، 178، 189،

190، 191، 199، 200، 202، 204، 205، 213، 222، 227،

233، 234، 239، 240، 246، 271، 275، 281، 281، 285،

286، 290، 303، 310، 315، 320، 326، 330، 336،

374, 372, 371, 367, 365, 351, 350, 349, 348, 345
 419, 417, 415, 412, 392, 389, 383, 382, 379, 376
 443, 438, 435, 435, 434, 432, 431, 429, 428, 420
 479, 477, 472, 467, 466, 465, 462, 461, 459, 458
 552, 546, 529, 520, 512, 511, 510, 507, 489, 488
 عبد الله بن عمر بن الخطاب، 103، 116، 127، 136، 137، 145، 147، 149،
 165، 166، 191، 195، 197، 233، 234، 252، 271، 277،
 286، 289، 291، 301، 302، 304، 306، 314، 343، 375،
 548، 546
 عبد الله بن عمرو بن العاص، 215، 283، 324
 عبد الله بن مسعود ، 136، 137، 215، 219، 227، 233، 301، 302، 400،
 436، 483، 523
 عبيدة السلماني، 110
 عثمان بن طلحة، 20، 22، 276، 277، 278، 280، 281
 عثمان بن عفان، 127، 128، 277، 304، 372، 374، 517
 عثمان بن مظعون، 419
 عدي بن زيد، 520
 عرفجة (عرفطة)، 107، 108
 عروة بن الزُّبَيْر بن العَوَّام، 84، 278
 العسقلاني، 280
 عطاء الخراساني، 191، 227
 عطاء بن أبي رباح، 22، 81، 97، 109، 121، 150، 184، 187، 222، 234،
 240، 287، 321، 371
 عطاء بن يسار، 228
 عقبة بن عامر، 93، 220

عقبة بن نافع، 45
 عكرمة، 84، 94، 109، 227، 263، 286، 317
 علقمة بن قيس، 21
 علي بن أبي طالب، 128، 130، 136، 137، 148، 176، 177، 178، 190،
 199، 223، 224، 233، 235، 239، 240، 278، 360، 372
 467، 476، 552
 عمّار بن ياسر، 239، 240، 285
 عُمارَة بن الوليد، 191، 333
 عمر بن الخطاب، 103، 115، 127، 136، 137، 145، 147، 149، 165،
 191، 195، 197، 233، 252، 271، 277، 286، 289، 291
 292، 301، 304، 314، 343، 372، 390، 397، 546، 548
 عمر بن عبد العزيز، 31، 372
 عمران بن حُصَيْن، 147، 325
 عمرو بن العاص، 215، 279، 283، 324
 عمرو بن دينار، 199
 عمرو بن شعيب، 177
 عيَّاش بن أبي ربيعة، 341، 342، 346، 366

- غ -

غالب بن فضالة الكناني، 350
 الغامدية، 149، 150
 غورث بن الحارث، 383، 384

– ف –

الفخر الرازي، 132

فزارة بن ذبيان، 197

– ق –

القالي، 327

قتادة بن النعمان، 391، 392

قتادة بن دعامه 22، 82، 99، 109، 129، 139، 150، 152، 213، 227،

233، 237، 240، 244، 260، 315، 338، 391، 392، 479،

513، 514

القُسْطَلَانِي، 364، 384

قيس بن صيفي بن الأسلت، 159

– ك –

كبيشة بنت الأنصارية، 159

الكسائي (المقري)، 71، 91، ، 126، ، 160، 163، 183، 186، 204، 220،

232، 283، 329، 332، 352، 355

كعب الأحبار، 252

كعب بن الأشرف، 250، 262، 263، 264، 289، 290، 494

كعب بن زهير، 73
الكلبي، 91، 96، 112، 120، 144، 167، 221، 255، 315، 379، 392،
500، 417

- ل -

ليبد بن سهل، 391
الليث بن سعد، 234

- م -

ماعرز بن مالك الأسلمي، 149، 150
مالك بن أنس، 86، 87، 94، 98، 99، 100، 103، 104، 115، 149، 151،
163، 175، 181، 183، 196، 198، 199، 200، 203، 217،
226، 227، 230، 231، 232، 233، 234، 236، 238، 239،
240، 244، 252، 287، 311، 323، 343، 344، 345،
346، 347، 368، 371، 373، 374، 376، 420، 479، 550

المبرّد، 170
مجاهد بن جبر، 22، 100، 109، 110، 167، 168، 200، 227، 233، 285،
288، 298، 299، 318، 364، 367، 373، 420، 443، 468،
487، 488

معلم بن جثامة الليثي، 351
محمد بن المنكدر، 547
محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، 177
مخيرق أو مخيريق النضري، 516

مرداس بن نُهيك الضمري، 350
المزني، 228، 235، 353،
مسروق بن الأجدع، 199
مسلم بن الحجاج، 72، 175، 176، 190، 195، 209، 210، 217، 219،
229، 241، 325، 359، 436، 510، 551
معاذ بن جبل، 271
معمر بن راشد، 267
معمر بن المثنى، 85
المغيرة بن شعبة، 528
مقاتل بن سليمان البلخي، 22، 120
المقداد بن عمرو، 299
مكحول الشامي، 199، 240
ميمون بن مهران الرقي، 286، 287

— ن —

النابعة الذُّيباني، 480
نافع (المقرئ)، 142، 149، 220، 283، 352، 355، 498
نافع مولى ابن عمر، 120، 420
النحاس، 21
النَّحَعي، 80، 110، 227، 233، 240
النَّسائي، 359، 373، 376، 393، 394، 537
النضر بن شُمَيْل، 332
النفراوي، 75
النقاش، 21

النواس بن سمعان، 510
النووي، 205، 297، 321، 324

- و -

وحشي بن حرب، 255، 256
الوليد بن المغيرة، 361
وهب بن منبه، 505

- ي -

يعلى بن أمية، 375، 376

فهرس البلدان

الحجاز، 192، 509

أريحا، 251، 498

الشام، 192، 251، 257، 330، 331، 391، 392، 412

العراق، 192، 198، 550

الكوفة، 374، 517

أوطاس، 183، 184

المدينة (يثرب)، 17، 18، 21، 22، 25، 66، 83، 125، 159، 242، 244،
251، 278، 330، 331، 333، 339، 341، 342، 358، 363، 365،
369، 370، 372، 373، 376، 472، 481

بيت المقدس، 17

فدك، 250

مراكش، 44

مكة، 17، 18، 20، 21، 22، 65، 66، 209، 256، 262، 278، 280،
282، 314، 318، 330، 331، 336، 340، 341، 361، 362، 363،
365، 366، 367، 369، 373، 376، 392، 397، 410، 412، 414،
472، 529

فهرس الغزوات

أحد، 28، 121، 304، 330، 361

بدر الصغرى، 316، 317، 318

بدر الكبرى، 318، 361، 362

بنو النضير، 251

بني المصطلق، 230

تبوك، 357، 358

الحديبية، 17، 279

حنين، 184

فتح مكة، 20، 65، 281، 318، 361، 362

المريسع، 230

فهرس الأشعار

| <u>المطلع</u> | <u>الخاتمة</u> | <u>البحر</u> | <u>القائل</u> | <u>الصحيفة</u> |
|---------------|----------------|--------------|-------------------|----------------|
| أَبوكَ | الْكَمال | الوافر | الفراء | 68 |
| إذا لم تكن | داره | الطويل | الشافعي | 207 |
| أفكلما | قالها | الكمال | بشير بن أبرق | 391 |
| ألا ليت | أهلي | الطويل | مجهول (امرأة) | 178 |
| ألم تر | يتذبذب | الطويل | النابعة الذبياني | 480 |
| إلى بلد | والمضطرب | المتقارب | الزجاج | 367 |
| أُمَّهَيَّ | النَّسب | الرجز | قصي بن كلاب | 172 |
| إن تاب | الرحمن | الرجز | طاهر | 255 |
| إنما الميَّت | الرجاء | الخفيف | مجهول | 178 |
| بيض | أشبالا | البسيط | أمية بن أبي الصلت | 178 |
| تود | بعازب | الطويل | بشار بن برد | 483 |
| حسبت | ثاقلا | الطويل | أبو حيان الأندلسي | 328 |
| عن المرء | يقتدي | الطويل | عدي بن زيد | 471 |
| ففي النساء | محصلا | الرجز | السخاوي | 426 |
| في آل عمران | عده | الرجز | السخاوي | 452 |

| | | | | |
|-----|----------------------|-------------|---------|----------------|
| 452 | السخاوي | الرجز | السجده | في يونس |
| 435 | مجهول | الخفيف | خليلا | قد تخللت |
| 221 | مجهول | الطويل | وظاهرا | كتمتكم |
| 518 | خرنق بن عفان | الكامل | الجزر | لا يبعدن |
| 65 | مجهول | الكامل | تسليما | الله عظم |
| 255 | طاهر | الرجز | قاص | محفوظ |
| 395 | مجهول | مجزوء الرجز | هبط | محمد |
| 255 | طاهر | الرجز | نزاع | مخلد |
| 395 | مجهول | مجزوء الرجز | فقط | من ذا |
| 452 | السخاوي | الرجز | العرض | من في السماوات |
| 518 | خرنق بن عفان | الكامل | الأزر | النازلين |
| 296 | مجهول | البسيط | والكرم | نفسى |
| 272 | ابن الرومي | الطويل | عنفا | هنالك |
| 426 | السخاوي | الرجز | يقينا | وأبدا |
| 255 | طاهر | الرجز | فالثان | والحق |
| 452 | السخاوي | الرجز | مير | والنمل |
| 522 | محمد بن محمد الشريبي | الرجز | مفقودا | وباتفاق |
| 311 | ابن مالك | الرجز | نصب | وبعد فا |
| 427 | السخاوي | الرجز | الأماكن | وثامن |

| | | | | |
|-----|----------------------|----------|----------------|----------------|
| 469 | عمرو بن معدي كرب | الوافر | وجيع | وخيل |
| 320 | الزبير بن عبد المطلب | الوافر | مقيتا | وذي ضغن |
| 427 | السخاوي | الرجز | الوفيه | وعاشر |
| 255 | طاهر | الرجز | الكبائر | وغيره |
| 427 | السخاوي | الرجز | سطعا | وفي العقود |
| 527 | مجهول | المتقارب | واحد | وفي كل |
| 452 | السخاوي | الرجز | شطط | وقد أتى |
| 425 | جعفر بن علبة الحارثي | الطويل | متطاول | ولم نَدِرْ |
| 185 | ابن مالك | الرجز | العمل | وما لما |
| 427 | السخاوي | الرجز | اقتفي | ومثله |
| 422 | مجهول | الكامل | السؤدد | وهم الأقل |
| 185 | جارية من الأنصار | الرجز | يَحْمَدُونَكَا | يا أيها المائح |
| 296 | مجهول | البسيط | والأكُم | يا خير |
| 74 | كعب بن زهير | البسيط | الأئُرْ | يَسْعَى |

فهرس القبائل

بنو أنمار، 383

بنو خزاعة، 335، 336، 369

بنو سليم، 351، 412

بنو ظفر، 392، 393، 398

بنو غطفان، 79، 339

بنو قضاة، 412

بنو كنانة، 335، 369

بنو ليث، 369

بنو مدلج، 335

بنو مرة، 350

بنو مضر، 366

فهرس الملل والنحل

الخوارج، 254، 255، 542

المرجئة، 254، 255، 257

المعتزلة، 39، 143، 254، 255، 257، 349، 524، 530

فهرس المصادر والمراجع

. القرآن الكريم.

1. الأبيشي، محمد بن أحمد، (ت850هـ)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1405هـ/1986م.
2. ابن أبي حاتم، أبو محمد، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1419هـ/1999م.
3. ابن أبي داود، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث (ت316هـ)، المصاحف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.
4. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الجزري (ت630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1409هـ/1989م.
5. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الجزري (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، دار الفكر ودار صادر، بيروت، د.ط، 1979م.
6. ابن الأثير، مجد الدين، أبو السعادات، المبارك بن محمد بن محمد الجزري (ت606هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، د.ب، د.ط، 1389هـ/1969م.
7. أحمد ولد عبد القادر، تحقيق مقدمة النهر الجاري على صحيح البخاري، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
8. بابتي، عزيزة فوال، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، دار صادر، بيروت، ط1، 1415هـ/1996م.

9. الباقلائي، محمد بن الطيّب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصريّ البغداديّ، (ت403هـ)، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق عماد الدين حيدر، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.
10. البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1407هـ/1987م. ونسخة أخرى: بإشراف محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
11. البزّار، أبو بكرٍ أحمد بن عمرو البصريّ (ت292هـ)، مسند البزار، تحقيق علي بن نايف الشحود، دن، دب، د.ط، د.ت.
12. بشار بن برد (ت167هـ)، ديوان بشار بن برد، دن، دب، د.ط، د.ت.
13. البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء (ت516هـ)، مصابيح السنة، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م. ونسخة أخرى: دار الفكر، بيروت، د.ط، 1405هـ/1985م.
14. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1415هـ/1995م.
15. أبو بكر بن العربي، محمد بن عبد الله بن محمد المعافري (ت543هـ)، أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
16. البناء، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد الدميّاطي (ت1117هـ)، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر (المسمّى منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات)، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1407هـ/1987م.
17. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد (ت685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت، د.ط، د.ت.

18. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت 458هـ)، الأسماء والصفات، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
19. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت 458هـ)، السنن الكبرى، دار المعرفة، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
20. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورَة (ت 279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، دار الفكر، بيروت، ط1، 1408هـ/1987م. ونسخة أخرى: تحقيق محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
21. التنبكي، أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر السوداني التكري التنبكي (ت 1063هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، إشراف عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، 1398هـ/1989م.
22. الثعالبي، أبو زيد، عبد الرحمٰن بن محمد بن مخلوف الجزائري (ت 875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1985م. ونسخة أخرى: مؤسسة الأعلمي، بيروت، د.ط، د.ت.
23. ابن جرير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1408هـ/1988م. ونسخة أخرى: تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م.
24. ابن الجزري، أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد الدمشقي (ت 833هـ)، طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق محمد تميم الزعبي، دار الهدى، المدينة المنورة، ط3، 1426هـ/2005م. وفي نسخة: تحقيق علي محمد الطباع، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
25. ابن الجزري، (ت 833هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، عنى بنشره برجستراسر، دار الكتب العلمية، دار الفكر، بيروت، ط3، 1402هـ/1982م.

26. ابن الجزري، أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد الدمشقي (ت833هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق محمد سالم محيسن، مكتبة القاهرة، القاهرة، د.ط، د.ت.
27. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت593هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1384هـ/1964م، ط3، 1404هـ/1985م.
28. ابن جزي، محمد بن أحمد بن جزيل الغرناطي (ت741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، اعتنى بتنقيحه عبد الله الخالدي، دن، دب، د.ط، د.ت.
29. الحاكم، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد (ت405هـ)، المستدرك على الصحيحين، بإشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
30. ابن حبان، أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت354هـ)، الثقات، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ط1، 1395هـ/1975م.
31. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد (ت852هـ)، الإيثار بمعرفة رواة الآثار، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1413هـ/1994م.
32. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد (ت852هـ)، تقريب التهذيب، (ومعه حاشيتا عبد الله بن سالم البصري (ت1143هـ)، ومحمد أمين ميرغني (ت1161هـ))، تحقيق محمد عوّامة، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1420هـ/1999م.
33. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد (ت852هـ)، تهذيب التهذيب، دار الفكر، دار الفكر، بيروت، ط1، 1404هـ/1984م.
34. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد (ت852هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، بيروت، دار إحياء التراث العربي

- (مصورة عن الطبعة الهندية بدائرة المعارف بحيدر آباد الدكن، 1350هـ)، د.ط، د.ت. ونسخة أخرى: دار إحياء التراث العربي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
35. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد (ت852هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،
36. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد (ت852هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1379هـ/1979م.
37. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد (ت852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
38. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت626هـ)، معجم البلدان، تحقيق محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، 1323هـ/1906م. ونسخة أخرى: دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
39. الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت488هـ)، الجمع بين الصحيحين، تحقيق علي حسين البواب، دار ابن حزم، دار الفكر، بيروت، ط2، 1423هـ/2002م.
40. الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت1366هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، د.ب، ط2، 1980م.
41. ابن حنبل، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل (ت241هـ)، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ط، د.ت. ونسخة أخرى: دار صادر، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
42. أبو حيان (المفسر)، أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي (ت745هـ)، البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ/1993م.

43. الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت741هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، د.ط، د.ت. ونسخة أخرى: دار الفكر، بيروت، 1399هـ/1979م.
44. الخراز، أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الأموي الشريشي (ت718هـ)، مورد الظمان في رسم القرآن (مطبوع مع شرحه دليل الخيران، للمارغني، ويليّه تنبيه الخلان على الإعلان بتكميل مورد الظمان، للمارغني)، المطبعة العمومية، تونس، د.ط، 1326هـ/1917م.
45. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
46. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
47. خليل بن إسحاق الجندي (ت776هـ)، مختصر خليل، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة ط1، 1426هـ/2005م.
48. الدارمي، أبو محمد، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (ت255هـ)، سنن الدارمي، طبع بعناية محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية، د.ب، د.ط، د.ت.
49. أبو داود السجستاني، سلمان بن الأشعث بن إسحاق (ت275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، دار الفكر، بيروت، ط1، 1409هـ/1988م.
50. الدد بن سيد أحمد، أحكام القضاة في بلاد شنقيط بين التعقيب والتسليم، رسالة ماجستير بإشراف محفوظ بن محمد الغزالي، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، موريتانيا، 1424هـ/2003م.
51. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، دار الفكر، بيروت، ط7، 1410هـ/1990م.

52. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)،
 معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون،
 مؤسسة الرسالة، دار الفكر، بيروت، ط1، 1404هـ/1984م.
53. الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين (ت606هـ)،
 التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، دار الفكر، بيروت، ط1،
 1401هـ/1981م. ونسخة أخرى: دار إحياء التراث العربي، د.ب، د.ط، د.ت.
54. ابن رشد (الجد)، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي (ت520هـ)،
 البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق محمد حجي،
 دار الغرب، بيروت، ط2، 1408هـ/1988م.
55. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت311هـ)، معاني القرآن وإعرابه،
 تحقيق عبد الجليل عبده شلي، عالم الكتب، دار الفكر، بيروت، ط1،
 1408هـ/1988م.
56. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بھادر (ت794هـ)، البرهان في
 علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1،
 1376هـ/1957م.
57. الزركلي، خير الدين بن محمد بن محمد (ت1396هـ)، الأعلام، دار العلم
 للملايين، دار الفكر، بيروت، ط6، 1984م.
58. ابن السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي
 السبكي (ت771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد
 الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت. ونسخة
 أخرى: دار المعرفة، بيروت، ط2، د.ت.
59. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت902هـ)،
 هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبين متشابه الكتاب، الضوء اللامع لأهل
 القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

60. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري (ت230هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط1، 1410هـ/1990م.
61. سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة (ت227هـ)، سنن سعيد بن منصور، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، دار الفكر، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.
62. السفاقي، علي التنوري بن محمد (ت1118هـ)، غيث النفع في القراءات السبع، تحقيق أحمد الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ/2004م.
63. ابن سلمون، أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن سلمون الكنائي المالكي (ت741هـ)، العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود الأحكام (مطبوع بهامش تبصرة الحكام، لابن فرحون)، دار الكتب العلمية (مصورة عن الطبعة المصرية)، دار الفكر، بيروت، ط1، 1301هـ/1887م.
64. السيد ولد أباه وآخرون، موريتانيا الثقافة والدولة والمجتمع، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
65. السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، الإتقان في علوم القرآن (وبهامشه إعجاز القرآن، للقاضي أبي بكر الباقلاني (ت403هـ)، دار الندوة الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت. ونسخة أخرى: تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1427هـ/2007م.
66. السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، أسرار ترتيب القرآن، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
67. السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، البرهان في علوم القرآن، د.ط، د.ت/د.ب، د.ن.
68. السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.
69. السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، التحرير في علم التفسير، تحقيق فتحي فريد، دار العلوم، الرياض، ط1، 1402هـ/1982م.

70. السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، تفسير الجلالين، تحقيق محمد أحمد كنعان، دار الحديث، القاهرة، د.ط، د.ت. ونسخة أخرى: دار الفكر، بيروت، ط4، 1411هـ/1991م.
71. السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد (ت911هـ)، الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.
72. أبو شجاع الديلمي، شيرويه بن شهردار بن شيرويه (ت509هـ)، الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ/1986م.
73. الشربيني (الخطيب)، شمس الدين محمد بن أحمد (ت977هـ)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، اعتنى به محمد خليل شيحا، دار المعرفة، دار الفكر، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م.
74. الشنقيطي، أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مكتبة الخانجي، القاهرة، مؤسسة منير، موريتانيا، د.ط، 1409هـ/1989م.
75. الشنقيطي، محمد بن سالم المجلسي (ت1302هـ)، منح العلي في شرح كتاب الأخصري، تحقيق آباء بن محمد عالي بن نعم العبد المجلسي الشنقيطي، ط1، 1426هـ/2005م.
76. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط7، د.ت.
77. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ)، الوافي بالوفيات، بعناية جماعة من المستشرقين والعرب بإشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، د.ط، 1381هـ/1962م.
78. الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع (ت211هـ)، المصنّف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، من منشورات المجلس العلمي، د.ب، د.ط، د.ت.

79. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (ت360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1404هـ/1983م.
80. ابن عادل الدمشقي الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي، الباب في علوم الكتاب، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.
81. ابن عاشور، محمد الطاهر (ت1393هـ)، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، 1417هـ/1997م.
82. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي (ت463هـ)، الاستيعاب في أسماء الأصحاب (مطبوع بهامش الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني)، دار الفكر، د.ط، د.ت.
83. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي (ت463هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
84. العُتبي المالكي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز القرطبي (ت255هـ)، العُتبيّة، (مطبوعة مع البيان والتحصيل لابن رشد)، انظر: ابن رشد، البيان والتحصيل.
85. العجللي، تاريخ الثقات، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي (ت261هـ)، تاريخ الثقات، وثق أصوله وخرّج أحاديثه عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ/1984م.
86. عدنان بن محمد بن عبد الله آل شلش، العلامة الشنقيطي مفسراً، دار النفائس، الأردن، ط1، 1425هـ/2005م.
87. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرافة العمروي، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1415هـ/1995م.

88. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (ت546هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، دار الفكر، بيروت، ط1، 1422هـ/2001م.
89. ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1399هـ/1979م.
90. العيدروسي، محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت1038هـ)، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.
91. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ)، جواهر القرآن، تحقيق محمد القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.
92. الغيتاي، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفي (ت762هـ)، مغاني الأخبار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي القاهري الشهير بمحمد فارس، دن، دب، دط، دت.
93. الفراء (النحوي)، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي (ت207هـ)، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ/1983م.
94. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت170هـ)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دب، دط، دت.
95. ابن فرحون، أبو الوفاء برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المدني اليعمري المالكي (ت799هـ)، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، دار الكتب العلمية (مصورة عن الطبعة المصرية)، دار الفكر، بيروت، ط1، 1301هـ/1887م.
96. ابن فرحون، أبو الوفاء برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المدني اليعمري المالكي (ت799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق

- مأمون بن محيي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، دار الفكر، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.
97. الفودي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن عثمان الفودي (ت1245هـ)، ضياء التأويل في معاني التنزيل، دار إحياء الكتب العربية، مصر، د.ط، د.ت.
98. الفيروزبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد (ت817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، دار الفكر، بيروت، ط1، 1406هـ/1987م.
99. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ (ت770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
100. القاسم بن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي (ت224هـ)، غريب الحديث، دار الكتاب العربي، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1396هـ/1976م.
101. القاسم بن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي (ت224هـ)، الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار، الرياض، ط1، 1419هـ/1999م.
102. ابن القاصح، أبو البقاء علي بن عثمان بن محمد العذري المقرئ (ت801هـ)، سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، دار الفكر، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1401هـ/1981م.
103. القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليخضبي (ت544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
104. القرطبي (المفسر)، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، د.ط، 1423هـ/2003م. ونسخة أخرى: دار الكتب المصرية، مصر، د.ط، د.ت.

105. ابن قُطْلُوْبغا، زين الدين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا بن عبد الله (ت879هـ)، تاج التراجم، حققه محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، ط1، 1413هـ/1992م.
106. القلقشندي أحمد بن علي (ت821هـ)، نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، دن، دب، دط، دت.
107. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت25هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، دط، دت.
108. مالك بن أنس، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك (ت179هـ)، المدونة الكبرى (ومعها مقدمات ابن رشد الجدد)، دار الفكر، بيروت، دط، 1411هـ/1991م.
109. مالك بن أنس، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك (ت179هـ)، موطأ مالك، راجعه فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1399هـ/1979م.
110. ابن مالك (النحوي)، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله (ت672هـ)، ألفية ابن مالك في النحو والصرف، دار البصائر، ط2، 1405هـ/1985م.
111. المباركفوري، أبو العلي عبد الرحمن (ت1353هـ)، تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي، بيت الأفكار الدولية، دب، دط، 1425هـ/2004م.
112. محمد الأمين داداه، مذكرة القاضي، دن، دب، دط، دت.
113. محمد الأمين ولد داداه، "محمد بن محمد سالم حياته وآثاره العلمية"، دن، دب، دط، دت.
114. محمد الحافظ بن المجتبى، الحديث الشريف وعلومه وعلماءه في بلاد شنقيط، المطبعة السريعة، دب، ط2، 1424هـ/2003م.
115. محمد السيد، تاريخ دول المغرب العربي (موريتانيا)، دن، دب، دط، دت.
116. محمد بن محمد فال، مذكرة "جميع جوانب عبد القادر بن محمد"، دن، دب، دط، دت.

117. محمد المختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي بين المشرق والمغرب، مراجعة محمد توفيق أبو علي ونعيم علوية، دار التقريب بين المذاهب، بيروت، ط1، 1422هـ/2001م.
118. المختار بن حامد، حياة موريتانيا الثقافية، الدار العربية للكتاب، د.ب، د.ط، د.ت.
119. المزني، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف (ت742هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، دار الفكر، بيروت، ط5، 1413هـ/1992م.
120. مسلم بن الحجاج، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط2، 1398هـ/1978م. ونسخة أخرى: دار الجيل ودار الآفاق، بيروت، د.ط، د.ت.
121. مصطفى طوموم (ت1354هـ)، سراج الكتبة شرح تحفة الأجابة، دار المشاريع، بيروت، ط1، 1426هـ/2005م.
122. ابن الملحق، سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الوادياشي الأندلسي التكروري الأصل المصري الشافعي، (ت804هـ)، التوضيح لشرح الجامع، تحقيق خالد بريجان الحيص، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1416هـ/1996م.
123. أبو منصور البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي الأسفرايني (ت429هـ)، التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.
124. أبو منصور البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي الأسفرايني (ت429هـ)، الفرق بين الفرق، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت. ونسخة أخرى: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ/1985م.
125. ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت.

126. نايف معروف، الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، دار النفائس، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م.
127. ناصيف بن عبد الله اليازجي (ت1287هـ)، مجمع البحرين، دار نظير عبود، د.ب، د.ط، 1414هـ/1993م.
128. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت302هـ)، سنن النسائي الكبرى، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.
129. النسفي (المفسر)، حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت701هـ وقيل: 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، د.ط، د.ت. ونسخة أخرى: تحقيق مروان الشعار، دار النفائس، بيروت، د.ط، 1426هـ/2005م.
130. أبو نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1409هـ/1988م.
131. النفراوي، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم بن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهرى المالكي (ت1126هـ)، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط3، 1374هـ/1955م.
132. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مُرِّي (ت676هـ)، الأذكار، بعناية محيي الدين الشامي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط3، 1409هـ/1988م.
133. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مُرِّي (ت676هـ)، حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار (هو كتابه المشهور بالأذكار)، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
134. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مُرِّي (ت676هـ)، شرح صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1401هـ/1981م.

135. النيني، أحمد بن محمد الأمين، المعهد العالي للدراسات، نواكشوط، د.ط، 1412هـ/1993م.
136. ولد أباه، محمد المختار، دراسات في تاريخ التشريع الإسلامي في موريتانيا، منشورات الجامعة التونسية، تونس، د.ط، 1400هـ/1981م.
137. ابن هشام الأنصاري (النحوي)، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد (ت761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد عبي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط6، 1406هـ/1985م.
138. ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، (ت213هـ)، سيرة ابن هشام، دن، د.ب، د.ط، د.ت.
139. الهرري، عبد الله (ت1929هـ)، مختصر عبد الله الهرري، دار المشاريع، بيروت، ط1، 1424هـ/2004م.
140. الهندي، علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت975هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دن، د.ب، د.ط، د.ت.
141. الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت807هـ)، كشف الأستار عن زوائد البزار، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1404هـ/1984م.
142. الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1408هـ/1988م.
143. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (ت468هـ)، أسباب النزول، دار المعرفة، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
144. ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1996م.

145. أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت307هـ)، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1404هـ/1984م.

146. يوسف الكتاني، مدرسة البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، د.ط، د.ت.

9. فهرس المحتويات

| | |
|----|--|
| 7 | المقدمة |
| 7 | موضوع البحث |
| 7 | أسباب انتقاء هذا البحث |
| 8 | مجال البحث |
| 9 | أهمية هذا البحث |
| 10 | تقسيم البحث |
| 12 | الجزء الأول: إعجاز سورة النساء |
| 12 | الفصل الأول: عظمة القرآن العظيم |
| 20 | الفصل الثاني: فضل سورة النساء |
| 25 | الفصل الثالث: مواضع سورة النساء |
| 31 | الجزء الثاني: ترجمة المؤلف ومنهجه |
| 31 | الفصل الأول: ترجمة المؤلف |
| 31 | المبحث الأول: ولادته، اسمه، نسبه، ووفاته |
| 33 | المبحث الثاني: نشأته ورحلته العلمية |
| 34 | المبحث الثالث: شيخه وتلاميذه |
| 36 | المبحث الرابع: مؤلفاته وأعماله |
| 38 | المبحث الخامس: ثناء العلماء عليه ومنزلته |
| 41 | المبحث السادس: تعريف موجز بعصر المؤلف |
| 46 | الفصل الثاني: منهج البحث |
| 46 | المبحث الأول: مصادر الكتاب |
| 50 | المبحث الثاني: منهج المؤلف في التفسير |
| 52 | المبحث الثالث: المؤلف في ميزان النقد |

| | |
|-----|--|
| 56 | المبحث الرابع: نسخ المخطوط ووصفه |
| 59 | المبحث الخامس: عملي في التحقيق، والصعوبات المعترضة |
| 62 | الخاتمة |
| 64 | المخطوط المحقق |
| 554 | الفهارس |
| 555 | فهرس الآيات القرآنية |
| 565 | فهرس الأحاديث النبوية الشريفة |
| 575 | فهرس الأعلام |
| 593 | فهرس البلدان |
| 594 | فهرس الغزوات |
| 595 | فهرس الأشعار |
| 598 | فهرس القبائل |
| 599 | فهرس الملل والنحل |
| 600 | فهرس المصادر والمراجع |
| 617 | فهرس المحتويات |